

صَلَاةُ الْعُشَّاقِ

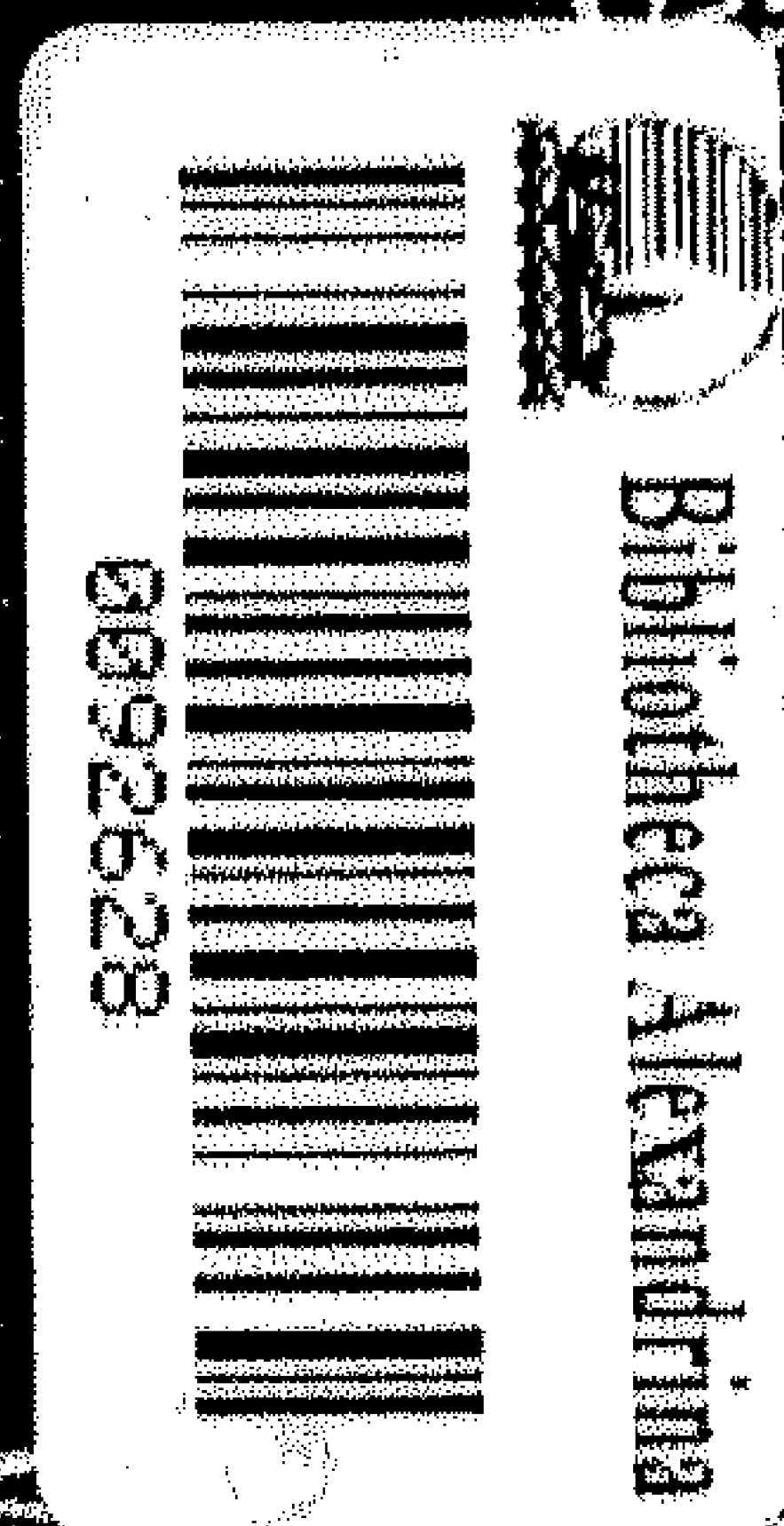
تَأَلِيفُ

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القاري



دار طاهر

بيروت



مصارع العشاق

١

مَصَالِحُ الْعُشَّاقِ

تأليف

الشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ

المجلد الأول

دار صادر
بيروت

الشيخ أبو محمد القارىء

٤١٧ - ٥٠٠ هـ (١٠٢٦ - ١١٠٦ م)

هو جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ، كنيته أبو محمد ، ولقبه القارىء . ولد في بغداد وتوفي فيها في ٢١ صفر . وكان علامة زمانه : له التصانيف العجبية منها كتاب « مصارع العشاق » حدث عن كثيرين وأخذ عنه كثيرون وله شعر حسن . هذا كل ما استطعنا الوصول إليه من ترجمته . وانه في صورته المختصرة لكاف لأن يعرفنا أن مترجمنا كان من المحدثين الذين أخذ عنهم كثيرون ، وكان كذلك شاعراً . وقد أثبت لنفسه في « مصارع العشاق » مقطوعات كثيرة غزلية نحا فيها منحى الأقدمين في أغراضهم ومعانيهم وذكر منازل العرب .

وإن ما توخاه من اسناد كل رواية رواها إلى عدة محدثين ومخبرين ليدلنا على سعة اطلاعه وعنايته في أن يجعل قارئه على ثقة من صحة ما يرويه له .

وقد جمع من الروايات كل ما يتعلق بالعشاق الذين صرعهم الحب على أنواعهم ، وربما وجدنا نحن اليوم فيها ما لا يمكن العقل ان يقبله : كرواية الزاغ الذي كان « من وسطه إلى أعلاه رجلاً ومن وسطه إلى أسفل صورة الزاغ ذنباً ورجلاً » وما أنشده هذا الغراب الصغير « بلسان فصيح طلق » من شعر وصف به نفسه فقال : « أنا الزاغ أبو عجوه ... الخ » وكروايات مصارع عشاق الجن ، وهاتف الجبل الذي دلّ بيتين أنشدهما على المكان الذي مات فيه العاشقان اللذان فقدا واختفى أثرهما ، وغيرها من حوادث الموت السريع على أثر شهقة شفقها العاشق أو شهقتها العاشقة .

ورواياته خليط من جاهلي واسلامي وأموي وعباسي وكلها نزيه بسوده العفاف وخوف الله وعذاب الآخرة . حتى ان الذي يحتوي شيئاً من روح التراخي الاخلاقي ينتهي بالتوبة إلى الله واستغفاره ، جلّ جلاله ، وطلب مراحمة .

والروح الدينية والترعة الصوفية مسيطرتان على كثير من القصص ، كشأنهما

في مصارع عشاق الله ، عزّ وجلّ ، وذكر كراماتهم ومصارع عشاق الجنان وغيرها ، والشعر المرويّ نزيه كله لا نستثني إلا أربعة أبيات في أحدها وصف يشبه وصف النابغة للمتجردة .

وهذا الكتاب في أصله منسوخ في اثنين وعشرين جزءاً ، قدم مؤلفها لكل جزء منها بمقطوعة شعرية غزلية من نظمه فرأينا أن نجمع الأبيات التي قدم بها لأجزائه ، بعد هذه المقدمة ، لئلا يضيع شيء مما هو في الأصل .

وربما وجد القارئ بعض قصص مكررة أشرنا في الشرح إلى تكررها ، وجعلنا لكل رواية وحكاية ومقطوعة منفردة عنواناً مأخوذاً من موضوعها أو منها ، وفصلنا الإسناد عن القصة لاعتقادنا أن كثيرين من القراء يرغبون عن قراءته ، ويهتمهم أن يتناولوا القصة رأساً دون أن يمرّوا به .

وقصارى القول أن كتاب مصارع العشاق من الكتب التي تستهوي القراء بما فيها من قصص ملؤها المتعة واللذة والسلوى .

كرم البستاني

وها هي الأشعار التي صدر بها كلّ جزء من أجزاء هذا الكتاب وعددها إحدى وعشرون مقطوعة إذ أن الأبيات التي وضعها المؤلف في الجزء التاسع عشر هي نفسها التي وضعت في الجزء العشرين :

هذا كتابُ مصارعِ العشاقِ صرّعتهمُ يوماً نوى وفراقِ
تصنيفُ من لدغَ الفراقُ فؤاده وتطلّبَ الرّاقى فعزّ الرّاقى
فإذا تصفّحه اللبيبُ رثى لهم ، أسرى الهوى أيسوا من الإطلاقِ

* * *

مصارعُ العاشقين صرّعتهم هوى الطّباء الفواتر الحمدقِ
تصنيفُ من صدّه تصوّنه عن كشفِ ما في الفؤاد من حرقِ
فهو يسيرُ الهوى ويكتّمه ، والقلبُ قد تاه منه في طرقِ

* * *

مَصَارِعُ العُشَّاقِ مُجْمُوعَةٌ فِيهَا لِمَن يقرأها عِبْرَةٌ
جَمَعَ عَفِيفُ الحُبِّ يَطْوِي الهَوَى لَوْ لَمْ تَكُنْ تَنْشُرُهُ العِبْرَةَ
غَرَامُهُ ثَاوٍ مَقِيمٌ ، وَإِنْ أَعَدَمَهُ ، يَوْمَ النَّوَى ، صَبْرُهُ

كِتَابُ مَصَارِعِ أَهْلِ الهَوَى وَمَنْ فَتَكَتْ فِيهِ أَيْدِي النَّوَى
تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقٌ عَفِيفُ الضَّمَائِرِ جَمَّ الجَوَى
أَضَلَّ بِرَمْلِ اللُّوَى قَلْبَهُ ، فَهَلْ نَاشَدُ قَلْبَهُ بِاللُّوَى

مَصَارِعُ قَتْلَى مِنَ العَاشِقِ نَ مَا لِيَدِيائِهِمْ طَالِبُ
تَكَلَّفَ جَمَعَ أَحَادِيثِهِمْ عَفِيفُ هَوَى ، وَجَدُهُ غَالِبُ
سَقَاهُ الهَوَى صِرْفَ صَهْبَائِهِ ، فَأَصْبَحَ سَكْرَانًا الشَّارِبُ

كِتَابُ صَرَعَى الهَوَى وَقَتْلَاهُ وَمَنْ صَحَا مِنْهُمْ وَسَكْرَاهُ
تَصْنِيفُ مَنْ كَادَ أَنْ يُشَارِكَهُمْ لَكِنْ وَقَاهُ بِفَضْلِهِ اللهُ
فَضَمَّ مَا مُنُوا بِهِ طَرَفًا يَعْجَبُ قَارِيهِ حِينَ يَقْرَاهُ

مَصَارِعُ مَنْ جَارَتْ يَدُ الْبَيْنِ وَالنَّوَى عَلَيْهِمْ ، فَأَضْحَوْا فِي دِيَارِهِمْ صَرَعَى
دِمَاؤُهُمْ مَطْلُولَةٌ قَدْ أَبَاحَتْهَا لِأَحْبَابِهِمْ شَرَعُ الهَوَى ، حَبَّذَا شَرَعَا
تَدَرَّعَتْ مِنْ نَبْلِ الهَوَى الصَّبْرَ جُنَّةً فَجَاءَتْ سِيهَامٌ مِنْهُ أَنْفَذَتْ الدُّرْعَا

كِتَابُ مَصَارِعِ قَوْمٍ سَقُوا كُؤُوسَ الْهَوَى مُتَرَعَاتٍ دِهَاقًا
شَكُوا صِرْفَهَا طَالِبِينَ الْمِزَا جَ فَشِيْبَتْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْهُمْ فِرَاقًا
جَمَعْنَا أَحَادِيثَ صَرَغَاهُمْ ، وَسَكَرَاهُمْ فِيهِ ، لَا مِنْ أَفَاقًا

* * *

مَصَارِعُ ابْنَاءِ الْهَوَى جَمْعُ عَاشِقٍ تَجَرَّعَ مِنْ رَاحِ الْهَوَى مَا تَجَرَّعَا
فَلَمَّا رَأَى الْقَوْدَيْنِ قَدْ حَلَّ فِيهِمَا الذِّ مَشِيْبُ مَتِيحًا وَالْمَفَارِقَ ، أَقْلَعَا
وَأَضْحَى مُصِيْحًا لِلتَّنْذِيرِ الَّذِي عَلَا مَفَارِقَهُ يَنْعَى الشَّبَابَ الْمَوْدَعَا

* * *

كِتَابُ مَنْ دَارَتْ كُؤُوسُ الْهَوَى عَلَيْهِ صِرْفًا ، لَيْسَ فِيهَا مِزَاجُ
فَصَرَّعَتْهُمْ إِذْ حَسَوْهَا ، فَهَمُّ مَرْضَى يُنَادُونَ: أَلَا مِنْ عِلَاجُ
تَصْنِيفُ مَنْ شَارَكْتَهُمْ فِي الْهَوَى ، فَلَيْتَهُ مِمَّا لَقُوا الْيَوْمَ نَسَاجُ

* * *

مَصَارِعُ اللَّابِسِينَ قُمْصَ الْهَوَى ضَفَّتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ يَجْرُرُهَا
تَصْنِيفُ مَنْ ذَاقَ مِنْ سُلَافَتِهِ الصَّفْوَ وَمَا فَاتَهُ مُكَدَّرُهَا
يَطْوِي أَحَادِيثَ وَجْدِهِ ، وَدَمُو عُ الْعَيْنِ فِي فَيْضِهِنَّ تَنْشُرُهَا

* * *

كِتَابُ تَضَمَّنَ أَخْبَارَ مَنْ أَطَاعَ الْهَوَى وَعَصَى الْعُدْلَا
فَلَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ أَعَادَ حَلَاوَتَهُ حَنْظَلَا
تَكَلَّفَ تَصْنِيفَهُ عَاشِقٌ ، سَلَا الْعَاشِقُونَ وَمَا إِنْ سَلَا

* * *

مَصَارِعُ أَقْوَامٍ تَوَالَّتْ عَلَيْهِمْ كَوْسُ هَوَى مَمْرُوجَةٍ بِفِرَاقِ
فَمَالُوا سَكَارَى مَا لَهُمْ مِنْ إِفَاقَةٍ إِلَى حِينَ شَمَلِ جَامِعٍ وَتَلَاقِي
رَأَى لَهُمْ، مِمَّا لَقُوا، عَاشِقٌ أَبَتْ تَجَفُّ لَهُ، بَعْدَ الْفِرَاقِ، مَا قِي

* * *

كِتَابُ مَصَارِعٍ مَنْ جَهَّزَتْ بَظْلَمٍ عَلَيْهِ النَّوَى جُنْدَهَا
جَمَعْنَاهُ لَمَّا سَقَانَا الْهَوَى أَفَاقِيَقَ لَمْ نَسْتَطِيعْ رَدَّهَا
وَسُقْنَا أَحَادِيثَ مَنْ جَاوَزَتْ بِهِ فَجَعَلَتْ النَّوَى حَدَّهَا

* * *

كِتَابُ مَصَارِعِ الْعُشَا قِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
لِيَعْتَبِرَ الْخَلِيُّ بِمَا لَقُوا شُكْرًا عَلَى النِّعَمِ
مُصَنَّفُهُ عَفِيفٌ هَوَى مَصُونٌ غَيْرُ مُشْتَهَمِ

* * *

مَصَارِعُ أَبْنَاءِ الْهَوَى كُلُّ عَاشِقٍ رَمَاهُ الْهَوَى عَنْ قَوْسِهِ فَتَأْصَابَا
رَأَى لَهُمْ مَنْ خَافَ يَلْقَى الَّذِي لَقُوا، فَالْفَ فِي مَا قَدْ لَقُوهُ كِتَابَا
وَجَمَعَ مِنْ أَخْبَارِهِمْ فِي هَوَاهُمْ أَحَادِيثَ مِثْلَ الرَّوْضِ جِيدَ سَحَابَا

* * *

كِتَابُ جَمَعْتُ بِهِ كُلَّ مَا تَفَرَّقَ مِنْ قِصَصِ الْعَاشِقِينَا
وَكَنتُ أَلْوَمُهُمْ دَائِبَسَا فَصِرْتُ لَهُمْ أَحَدَ الْعَازِرِينَا
فَكَمْ عَاشِقٍ ذَاقَ يَوْمَ النَّوَى وَقَدْ غَرَّدَ الْحَادِيَانِ الْمَنُونَا

* * *

كِتَابٌ جَمَعْنَا بِهِ عَابِثِينَ مَصَارِعَ مَنْ قَتَلَ الْحُبَّ صَبْرًا
إِذَا مَا تَصَفَّحَهُ سَالِمٌ مِنْ الْحَبِّ أَخْلَصَ لِلَّهِ شُكْرًا
جَمَعْنَاهُ صَاحِينَ حَتَّى إِذَا خَبَرْنَاهُ مِلْنَا مِنَ الْحَبِّ سُكْرًا

* * *

كِتَابٌ تَضَمَّنَ أَبْوَابَهُ مَصَارِعَ قَتَلَى مِنَ الْعَاشِقِينَ
سَقَاهُمْ سُلَافَتَهُ مَارِجًا هَوَاهُ فَمَالُوا لَهُ خَاضِعِينَ
غَرَامٌ تَلُومُ الْعُيُونُ الْقُلُوبَ بَ فِيهِ وَتَلْحَى الْقُلُوبُ الْعُيُونَنَا

* * *

مَصَارِعُ قَتَلَى لِلْهُوَى صَرَعَتْهُمْ سُلَافَتُهُ يُسْقَوْنَ صَافِيَهَا صِرْفًا
يَنْهَمُ عَقِيفٌ ظَلَّ يَكْتُمُ وَجْدَهُ فَتَمَّ عَلَيْهِ مَاءُ أَجْفَانِهِ وَكَفَا
جَمَعْتُ كِتَابًا فِي مَصَارِعِهِمْ إِذَا تَصَفَّحَهُ ذُو اللَّبِّ رَقَّ لَهُمْ تَلْفًا

* * *

قَدْ صَنَّفَ النَّاسُ فِي أَهْلِ الْهُوَى كُتُبًا فِي مَنْ صَحَّحَا بَعْدَ سُكْرِ مَنْهُ أَوْ عَطَبَا
وَأَكْثَرُوا غَيْرَ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ لَهُمْ وَمَا اخْتَصَرْتُ كِتَابًا رَائِقًا عَجَبًا
ذَكَرْتُ فِيهِ بِإِسْنَادٍ مَصَارِعَهُمْ عُنْجُمًا وَجَدْتُهُمْ فِي النَّاسِ أَوْ عَرَبًا

المؤمنون يسأل ما هو العشق

رَبُّ يَسْرُ . رَبُّ أَعِينُ

المؤمنون يسأل ما هو العشق

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراقي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكرياء
الحريري قال : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرئ قال : حدثنا أحمد بن يحيى
ثعلب قال : حدثنا أبو العالية الشامي قال :

سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو ؟ فقال : هو
سوانحُ تسنحُ للمرء ، فيهتم بها قلبه ، وتؤثرها نفسه .

قال : فقال له ثُمّامة : اسكُتْ يا يحيى إنما عليك أن تجيبَ في مسألة
طلاق أو في مُحَرِّمٍ صَادَ ظِيماً أو قتلَ نَمْلَةٍ ، فأما هذه فمَسَائِلُنَا نحن .

فقال له المأمون : قُلْ يا ثُمّامة ، ما العشق ؟

فَقَالَ ثُمّامة : العِشْقُ جَلِيسٌ مُسْتَعٍ ، وَأَلِيفٌ مُؤَنَسٌ ، وَصَاحِبٌ مُلْكٌ
مَسَالِكُهُ لَطِيفَةٌ ، وَمَذَاهِبُهُ غَامِضَةٌ ، وَأَحْكَامُهُ جَائِزَةٌ ، مَلِكٌ الْأَبْدَانِ
وَأَرْوَاحِهَا ، وَالْقُلُوبَ وَخَوَاطِرَهَا ، وَالْعْيُونَ وَنَوَاطِرَهَا ، وَالْعُقُولَ وَأَرَءَاهَا ،

مَنْ عَشِيقَ وَكْتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ
أَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

انْظُرْ إِلَى السَّحَرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِهِ ، وانظر إلى دَعَجٍ في طَرَفِهِ السَّاجِي^١
وانظر إلى شَعَرَاتٍ فَوْقَ عَارِضِهِ كأنَّهِنَّ نِمالٌ دَبَّ في عَاجٍ^٢
وَأَنشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

مَا لَهُمْ أَنْكُرُوا سَوَادًا بِخَدَيْهِ ، وَلَا يُنْكِرُونَ وَرَدَ الْغُصُونِ
إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خَدِّهِ بُدَّدَ الشَّعْرَ ، فَعَيْبُ الْعْيُونِ شَعْرُ الْجُفُونِ^٣
فَقُلْتُ لَهُ : نَفَيْتَ الْقِيَاسَ فِي الْفَقْهِ ، وَأَثْبَتَهُ فِي الشَّعْرِ . فَقَالَ : غَلَبَهُ الْهُوَى ،
وَمَلَكَةُ النُّفُوسِ دَعَا إِلَىهِ .
قَالَ : وَمَاتَ فِي لَيْلَتِهِ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي .

العاشق الشهيد

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَافِظُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقُمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ خُزُومٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَشْجَنِيُّ
وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْرُوقٍ قَالَا : حَدَّثَنَا سُؤْدَةُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْعَرٍ عَنْ أَبِي
يَحْيَى الْقَتَاتِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَشِيقَ فَظْفَرَ فَعَفَّ
فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا .

١ الدَّعَجُ : سَوَادُ الْعَيْنِ مَعَ سَمْتِهَا . السَّاجِي : السَّاكِنُ .

٢ الْعَارِضُ : صَفْحَةُ الْخَدِّ .

٣ قَوْلُهُ : يَدُّ الشَّعْرِ : أَيُّ مُتَفَرِّقَةٍ ، أَوْ أَنَّهُ جَمْعُ يَدَةٍ : النَّصِيبُ ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ عَيْبَ خَدِّهِ نَصِيبَهُ ،
أَيُّ حِظِّهِ مِنَ الشَّعْرِ الثَّابِتِ عَلَيْهِ .

سقراط والعشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : وأخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر بن المرزبان قال :

قال سقراط الحكيم : العشق جنون ، وهو ألوانٌ كما أن الجنون ألوان .

العاشق التقي

أخبرنا الشيخ الصالح أبو طالب محمد بن علي بن الفتح المشاري بقراة عليه قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيعي إجازة قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخالدي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا سويد بن سعيد أبو محمد قال :

سمعت علي بن عاصم يقول : قال لي رجلٌ من أهل الكوفة من بعض إخواني : ألا أريك فتى عاشقاً ؟ قال : بلى ، والله ، فإنني أسمعُ الناسَ يُنكرونُ العشقَ وذهابَ العقل فيه ، وإنني لأُحبُّ رؤيتَه ، فعِدْني يوماً أجىءُ معك فيه . قال : فوعده يوماً فمضينا فأنشأ صاحبي يحدثني عن نُسكِه وعبادته ، وما كان فيه من الاجتهاد ، قلت : وبِمَن هو متعلق ؟ قال : بجارية لبعض أهلِهِ كان يَخْتَلِفُ إِلَيْهِمْ ، فَوَقَعَتْ في نفسه ، فسألهم أن يبيعوها منه ، فأبوا ، وبذل لهم جميعَ ملكه ، وهو سبعمائة دينار ، فأبوا عليه ضِراراً وخَسَداً أن يكون مثلها في ملكه ، فلما أبوا عليه ، بعثتُ إليه الجارية ، وكانت تحبه حباً شديداً : مُرِنِي بِأَمْرِكَ ، فَوَاللَّهِ لَأُطِيعَنَّكَ وَلَأَنْتَهِيَنَّ إِلَى أَمْرِكَ فِي كُلِّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : عَلَيْكَ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّ عَلَيْهَا الْمُعَوَّلَ وَالسَّكُونَ إِلَيْهَا ، وَبِطَاعَةِ مَنْ يَمْلِكُ رِقْلَكَ ، فَإِنَّهَا مضمومةٌ إلى طاعةِ رَبِّكَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَدَعِيَ الْفِكْرَ فِي أَمْرِي لَعَلَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَجْعَلَ لَنَا فَرَجاً يوماً من الدهر ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ بِالَّذِي تَطِيبُ نَفْسِي بِنَيْلِ شَيْءٍ

أَحِبُّهُ أَبَدًا فِي مِلْكِي ، فَأَمْنَعَهُ ، أَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ حَرَامًا بِغَيْرِ ثَمَنِ ، وَلَكِنْ أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَى أَمْرِي ، فَلْيَكُنْ هَذَا آخِرَ مُرْسَلِكِ إِلَيَّ ، وَلَا تَعُودِي فَإِنِّي أَكْرَهُ وَاللَّهِ أَنْ يَرَانِي اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَنَا فِي قَبْضَتِهِ ، مُلْتَمِسًا أَمْرًا يَكْرَهُهُ مِنِّي ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّهَا عِصْمَةٌ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَفِيهَا سُلُوكٌ عَنْ مَعْصِيَتِهِ : قَالَ : ثُمَّ لَزِمَ الْجَهْدَ الشَّدِيدَ ، وَلَبَسَ الشَّعْرَ وَتَوَحَّدَ ، فَكَانَ لَا يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ إِلَّا مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُشْغُولُ الْقَلْبِ بِذِكْرِهَا مَا يَكَادُ يَفَارِقُهُ ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ الْأَمْرُ بِهِ حَتَّى قَطَعَهُ ، فَهُوَ الْآنَ ذَاهِبُ الْعَقْلِ وَآلِهِ فِي مَنْزِلِهِ .

قَالَ : ثُمَّ صَرْنَا إِلَى الْبَابِ وَاسْتَأْذَنَّا فَأَذِنَ لَنَا . قَالَ عَلِيٌّ : فَدَخَلْتُ إِلَى دَارِ قَوْرَاءٍ سِرِّيَّةً ، وَإِذَا أَنَا بِشَابٍّ فِي وَسْطِ الدَّارِ عَلَى حَصِيرٍ مُتَّزِرٍ بِإِزَارٍ وَمُرْتَدٍ بِآخِرٍ . قَالَ : فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ ، فَجَلَسْنَا إِلَى جَنْبِهِ ، وَإِذَا هُوَ مِنْ أَجْمَلِ مَنْ رَأَيْتُ وَجْهًا ، وَهُوَ مُطْرِقٌ يَنْكُتُ^٢ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى سَاعِدِهِ ، ثُمَّ يَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ ، حَتَّى أَقُولُ قَدْ خَرَجَتْ نَفْسُهُ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَالْحِلَالِ مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي بِهِ .

قَالَ : فَالْتَفَتُ ، فَإِذَا أَنَا بِوَرْدَةٍ حَمْرَاءَ مَشْدُودَةٍ فِي عَضُدِهِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لِمَ هَذِهِ ؟ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ الْعَامَ وَرَدًا قَبْلَ هَذِهِ ! فَقَالَ : أَظُنُّ فُلَانَةً ، وَسَمَّاهَا ، بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمَّاهَا رَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْنَا ثُمَّ قَالَ :

جَعَلْتُ مِنْ وَرْدِيهَا تَمِيمَةً^٣ فِي عَضُدِي
أَسْمَاهَا مِنْ حَبِّهَا إِذَا عَلَانِي كَمَدِي

١ قوراء : واسعة .

٢ ينكت : يضرب الأرض بشيء .

٣ تميمه : عوذة .

فَمَنْ رَأَى مِثْلِي فَتًى بِالْحَزَنِ أَضْحَىٰ مِرْتَدِي
أَسْقَمَهُ الْحُبُّ، فَقَدْ صَارَ حَلِيفَ الْأَوْدِ
وَصَارَ سَهْوَ دَهْرُهُ مُقَارِنًا لِلْكَمَدِ

قال : ثمَّ أَطْرَقَ ، فقلتُ : الساعةَ ، والله ، يموتُ . قالَ علي بن عاصم :
وَوَرَدَ عَلَيَّ مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ أَتِمَّاكَ ، وَقُمْتُ أَجْرًا رِدَائِي ، فَوَاللَّهِ مَا بَلَغْتُ
الْبَابَ حَتَّى سَمِعْتُ الصَّرَاخَ فَقُلْتُ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : مَاتَ وَاللَّهِ ! قَالَ عَلِيٌّ :
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَشْهَدَهُ . قال : وَتَسَامِعَ النَّاسُ فَجَاؤُوا بِطَبِيبٍ فَقَالَ :
خُذُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِكُمْ ، فَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، فغسلوه وكفّنوه ودفنوه ،
وانصرف الناس .

فقال لي صاحبي : امض بنا ! فقلتُ : امض أنت فإني أريد الجلوسَ
ههنا ساعة ، فمضى ، فما زلت أبكي وأعتبرُ به . وأذكرُ أهلَ محبةِ الله ، عزَّ
وجلَّ ، وما هم فيه . قال : فبينما أنا على ذلك ، إذا أنا بجارية قد أقبلت كأنها
مَهْأَة ، وهي تُكثِرُ الالتفاتَ ، فقالت لي : يا هذا ! أين دُفِنَ هذا الفتى ؟
قال عليٌّ : فرأيتُ وجهًا ما رأيتُ قبله مثله ، فأومأتُ إلى قبره ؟ قال : فذهبتُ
إليه ، فوالله ما تركتُ على القبرِ كثيرَ تُرابٍ إلَّا أَلْقَيْتُهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وجعلتُ
تَتَمَرَّغُ فِيهِ ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَمُوتَ ، فما كان بأسرعَ من أن طَلَعَ قَوْمٌ
يَسْعَوْنَ حَتَّى جَاؤُوا إِلَيْهَا ، فَأَخَذُوهَا ، وجعلوا يضربونها ، فقُتِلَتْ إِلَيْهِمْ فقلتُ :
رِفْقًا بِهَا ، بِرَحْمَتِكُمْ اللَّهُ ! فقالت : دَعَهُمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ يَلْغُوا هِمَّتَهُمْ ،
فَوَاللَّهِ لَا انْتَفَعُوا بِي بَعْدَهُ أَيَّامَ حَيَاتِي ، فَلْيَصْنَعُوا بِي مَا شَاؤُوا .
قال عليٌّ : فَإِذَا هِيَ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا الْفَتَى ، فأنصرفتُ وتركتها .

رواية ثانية عن العاشق التقي

أنبأنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قراءة عليه قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : أخبرني عبد الله بن نصر المروزي قال : أخبرني عبد الله بن سويد عن أبيه قال : سمعت علي بن عاصم يقول :

قال لي رجل " من أهل الكوفة من بعض إخواني : هل لك في عاشقٍ تراه ؟
فمضيتُ معه ، فرأيتُ فتًى كأنما نُزِعَتِ الرُّوحُ من جَسَدِهِ ، وهو مُؤْتَزِرٌ
بإزارٍ ومُرْتَدٍ بآخر ، وإذا هو مُفَكَّرٌ ، وفي ساعده وَرْدَةٌ ، فذكرنا له بيتاً
من الشعر ، فتَهَيَّجَ ، وقال ... وذكرَ الأبياتَ المتقدِّمةَ الخمسة ، ثم أطرق ،
فقلنا : ما شأنه ؟ فقالوا : عاشقٌ جاريةً لبعضِ أهلِهِ فأعطى بها كُلَّ ما يملك ،
وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها . فنزلَ به ما ترى ، وفَقَدَ عقلَه .
قال : فخرجنا فلبثنا ما شاءَ الله ، ثم ماتَ فحضرتُ جنازَتَه ، فلما سُويَ
عليه ، إذا أنا بجاريةٍ تسألُ عن القبرِ ، فدَلَلْتُها ، فما زالت تبكي وتأخذُ
الترابَ فتجعلُه في شعرها ، فبينما هي كذلك إذا قومٌ يسعون فأقبلوا عليها ضرباً ،
فقلت : شأنُكم ، والله لا تنتفعون بي بعده أبداً .

عاقبوه في سفك دمي !

ولي^١ من أبيات :

عاقبوه اليومَ في سفكِ دمي فعسى عتبُكم يُحشِمُه
ثمَّ قولوا للذي لم يُخطِني إذ رمى ، صائبةً أسهمُه :
أحلالٌ لك في شرعِ الهوى دمٌ من ليسَ حلالاً دمه ؟
بي جرحٍ في فؤادي من هوى شادنٍ اعوزني مرهمُه

١ قوله لي : أي للمؤلف نفسه .

مجنون دير هرقل

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام، بباب الندوة، في سنة ست وأربعين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن الصديق بنسف قال : حدثنا أبو يعلى محمد بن مالك الرقي قال : حدثنا عبد الله بن عبد العزيز السامري قال :

مررتُ بديرِ هِرَقْل أنا وصديقٌ لي ، فقال لي : هل لك أن تدخل فترى من فيه من ملاح المجانين ؟ قلت : ذاك إليك . فدخلنا فإذا بشاب حسن الوجه ، مُرَجَّلٍ الشعر ، مكحول العين ، أزجٌ^٢ الحواجب ، كأنَّ شعرَ أجفانه قوادمَ^٣ النّسور ، وعليه طلاوةٌ تعلوها حلاوةٌ ، مشدودٌ بسلسلةٍ إلى جدارٍ ، فلما بَصُرَ بنا قال : مرحباً بالوفد ، قربَ الله ما نأى منكما ، بأبي أنتما . قلنا : وأنت ، فأمتعَ اللهُ الخاصّةَ والعامةَ بقربك ، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك ، وجعلنا وسائرَ مَنْ يحبُّك فداءك .

فقال : أحسنَ اللهُ عن جميلِ القولِ جزاءكما ، وتولّى عني مكافأتكما . قلنا : وما تصنعُ في هذا المكان الذي أنتَ لغيره أهل ؟ فقال :

اللهُ يعلمُ أنني كَمِيدٌ ، لا أستطيعُ أبثُّ ما أجِدُ
نفسانِ لي : نفسٌ تَضَمَّنُهَا بَلَدٌ ، وأُخرى حازَها بَلَدٌ
أما المقيمةُ ليس ينفعُها صَبْرٌ ، وليس بقربها جَلَدٌ^٤ ،
وأظنُّ غائبتي كشاهدتي ، بإمكانِها تجِدُ الذي أجِدُ

١ ١٠٥٤ م .

٢ أزج : دقيق .

٣ القوادم : ريشات الجناح الكبيرة .

٤ قوله : أما المقيمة ليس : حذف الفاء من جواب أما مراعاة للوزن ، وهذا خطأ نحوي .

ثمّ التفت إلينا فقال : أحسنتُ ؟ قلنا : نعم ! ثمّ ولّينا ، فقال : بأبي
أنتم ما أسرعَ ملككم ، بالله أعيروني أفهامكم وأذهانكم . قلنا : هات !
فقال :

لما أناخوا ، قُبَيْلَ الصُّبْحِ ، عَيْسَهُمْ^١ ، وَرَحَلُوهَا ، فسارت بالهوى الإبل^١
وَقَلَّبتْ ، من خِلالِ السَّجَفِ ، ناظرَهَا ، ترنو إليّ وَدَمَعُ العَيْنِ مُنْهَمِلٌ^٢
فَوَدَّعَتْ بِيَسَنانٍ عَقْدُها عَنَمٌ^٣ ، ناديتُ لا حَمَلَتْ رِجلاكِ يا جَمَلٌ^٣
ويلي من البَيْنِ ! ماذا حلّ بي وبِها ؟ يا نازِحَ الدَّارِ حلّ البَيْنُ وارْتَحَلوا
يا راحِلَ العَيْسِ عَرَجٌ كيّ أودَّعَها ؛ يا راحِلَ العَيْسِ في تَرَحُّالكِ الأَجَلُ^٤
إنّي على العَهْدِ لم أنقض مودَّتكم ، فليت شعري ، وطالَ العَهْدُ ، ما فعلوا ؟

فقلنا ، ولم نعلم بحقيقة ما وصف ، مجوناً منّا : ماتوا ! فقال : أقسمت
عليكم ! ماتوا ؟ فقلنا ، لننظر ما يصنع : نعم ! ماتوا . قال : إنّي والله ميّتٌ
في أثرهم ، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبةً دلَّعَ منها لسانه ، وندرت^٤ لها
عيناه ، وانبعثت شفتاه بالدماء ، فتلبط ساعة ، ثم مات . فلا أنسى ندامتنا على
ما صنعنا .

-
- ١ العيس : كرام الإبل ، الواحدة عيساء . رحلوها : يريد اما وضعوا الرجال على ظهورها ،
أو جعلوها ترحل . والرجال الواحد رحل ، وهو للجمل كالسرج للفرس .
٢ السجف : الستران بينهما فرجة .
٣ عقدها : أي عقد عليها . العنم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضّب ، الواحدة عنمة .
٤ قدرت عينه : خرجت من محجرها .

هند المحرمة

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراءتي عليه سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة^١ ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب السخيتاني عن ابن سيرين قال :

قال عبد الله بن عجلان النهدي في الجاهليّة :

ألا إنَّ هِنْدًا أصبحت منك مَحْرَمًا : وأصبحت من أدنى حُموتها حَمَى^٢
وأصبحت كالمقمورِ جفنٍ سلاحه يُقَلِّبُ بالكفَّينِ قوساً وأسهُمَا
ومدَّ بها صوته حتى مات .

المجنون الشاعر

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى بقراءتي أو قراءة عليه بمصر قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم بن مرزوق قال : أخبرنا إبراهيم بن علي بن إبراهيم البغدادي قال : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدثني المبرد قال :

. خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون ، فلما قربنا من نحو الزَّرقَة فإذا نحن بدير كبير فأقبل إلَيَّ بعض أصحابي فقال : مِلْ بِنَا إلى هذا الدير لننظرَ مَنْ فيه ، ونحمدَ اللهَ ، سبحانه ، على ما رَزَقَنَا مِنَ السَّلامَةِ . فلما دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين ، وهم في نهاية القَدَارَةِ ، فإذا منهم شابٌ عليه بَقِيَّةُ ثِيَابٍ ناعمة ، فلما بَصُرَ بنا قال : من أين أنتم يا فتیان ، حياكم الله ؟

١ سنة ١٠٥١ م .

٢ أي أصبحت أدنى الناس قرابة إليها . وفي الأغاني : ان هذا الشعر لرجل طلق امرأته فتزوجها أخوه فهو يقول : انه أصبح أخا زوجها بعد ما كان زوجها .

فقلنا : نحن من العراق . فقال : يا بأبي العِراقُ وأهلُها ! بالله أنشدوني أو أنشدُكم ؟ فقال المبرّد : والله إنَّ الشَّعرَ من هذا لطريفٌ . فقلنا : أنشدنا ! فأنشأ يقول :

اللهُ يعلمُ أنِّي كَمِيدُ لا أُستطيعُ أبثُّ ما أُجِدُ
روحانِ لي : رُوحٌ تَضَمَّنَها بلدٌ ، وأخرى حازها بلدُ
وأرى المُقيمةَ ليس ينفعُها صبرٌ ، ولا يقوى بها جَلَدُ
وأظنُّ غائبتي ، كشاهدتي ، بإمكانها تجِدُ الذي أُجِدُ

قال المبرّد : إنَّ هذا لطريفٌ ، والله زدنا ! فأنشأ يقول :

لَمَّا أناخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْسَتَهُمْ وَرَحَلُوها ، فسارت بالهوى الإبلُ
وأبرزتُ من خِلالِ السَّجْفِ ناظِرَها ترنو إليّ ودمعُ العينِ مُنْهَمِلُ
وودَّعتُ بِيَنانٍ عَقْدُها عَنَمٌ ، ناديتُ لاحتَمَلتِ رجلاك يا جَمَلُ !
ويلى من البَينِ ! ماذا حلَّ بي وبِها ، من نازِلِ البَينِ حانَ الحَينُ وارْتَحَلُوا^١
يا راحِلَ العِيسِ عَجَّلْ كي نُودَّعَها ! يا راحِلَ العِيسِ في تَرَحُّالكِ الأجلُ !
إنِّي على العَهدِ لم أنقضِ مودَّتَهُم ، فليتَ شعري لطولِ العَهدِ ما فعلوا ؟
فقال رجلٌ من البُغَضاء الذين معي : ماتوا ! قال : إذا فأموت . فقالَ
له : إن شِئتَ . قال : فتمطّى واستندَ إلى السارية^٢ التي كان مشدوداً فيها
فما برحنا حتى دفنّاه .

١ حان : قرب أوانه . الحين : الهلاك .

٢ السارية : العمود .

فراقية ابن زريق

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن محمد بن الجاز القرشي الأديب بالكوفة ، وأنا متوجه إلى مكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ١ بقراقي عليه ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن حاتم بن بكير البزاز التكريتي بتكرير قال :

حدثني بعض أصدقائي أن رجلاً من أهل بغداد قصد أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرّب إليه بنسبه ، فأراد أبو عبد الرحمن أن يَبْلُوَهُ ٢ ويختبره ، فأعطاه شيئاً نزرأ ٣ ، فقال البغدادي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سلكت البراري والبحار والمهامه ٤ والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النزر ؟ فانكسرت إليه نفسه واعتلّ فمات .

وشغل عنه الأندلسي أياماً ، ثم سأل عنه فخرجوا يطلبونه ، فانتهاوا إلى الخان الذي كان فيه وسألوا الخانية عنه ، فقالت : إنه كان في هذا البيت ، ومذ أمس لم أره ، فصعدوا فدفعوا الباب ، فإذا بالرجل ميتاً ، وعند رأسه رقعة فيها مكتوب :

لا تَعْدُلِيهِ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ يُولِعُهُ ٥
جاوَزَتْ فِي نَصْحِهِ حَدّاً أَضْرَبَ بِهِ ٦
قد كان مضطرباً بالخطب يَحْمِلُهُ ،
فَضْلَعَتْ بِخَطُوبِ الْبَيْنِ أَضْلَعُهُ ٧

١ سنة ١٠٤٩ م .

٢ يبلوه : يجربه .

٣ نزرأ : قليلاً .

٤ المهامه ، الواحد المهمة : المفاضة البعيدة .

٥ هذه القصيدة هي لأبي الحسين علي بن زريق البغدادي ، وقد أطلق عليها اسم : فراقية ابن زريق ، لأنه يذكر فيها فراقه لزوجته التي كان كلفاً بها ورحل إلى الأندلس في طلب الرزق . وهي قصيدة طويلة لم يذكر هنا إلا قسم منها . يولعه : يغريه .

٦ مضطلع ، من اضطلع بالأمر : نهض به وقوي عليه .

ما آبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجَهُ عَزَمَ إِلَى سَفَرٍ بِالرُّغْمِ يُزْمِعُهُ^١
 كَأَنَّمَا هُوَ فِي حُلٍّ وَمَرَّتْ حَلِّ مُوَكَّلٌ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَنْدَرُهُ
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ، فِي بَغْدَادَ ، لِي قَمَرًا بِالكَرْخِ مِنْ فَلَكِ الْأَزْرَارِ مَطْلَعُهُ^٢
 وَكَمْ تَشَفَّعَ بِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُ ، وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشَفِّعُهُ^٣
 وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحًى ، وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٌ وَأَدْمَعُهُ
 أُعْطِيتُ مَلَكًا فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ ، وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
 وَمَنْ غَدَا لَابِسًا ثَوْبَ النَّعِيمِ بِلَا شُكْرِ عَلَيْهِ ، فَعَنَهُ اللَّهُ يَنْزِعُهُ
 قَالَ لَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَازِ وَزَادَنِي أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمُتَصَوِّفُ :
 وَالْحَرِصُ فِي الْمَرْءِ ، وَالْأَرْزَاقُ قَدْ قَسَمَتْ ، بَغْيٌ ؛ أَلَا إِنَّ بَغْيَ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
 لَوْ أَنِّي لَمْ تَقَعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ فِي سَفَرَتِي هَذِهِ إِلَّا وَأَقْطَعَهُ
 اعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خِلَتِي ، بَعْدَ فِرْقَتِهِ ، كَأَسَا تَجَرَّعَ مِنْهَا مَا أَجْرَعُهُ
 فَلَمَّا وَقَفَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ بَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لَحْيَتُهُ ،
 وَقَالَ : وَدِدْتُ أَنْ هَذَا الرَّجُلُ حَيٌّ وَأَشَاطَرُهُ نَصَفَ مُلْكِي . وَكَانَ فِي رُقْعَةٍ
 الرَّجُلُ : مَنَزَلِي بِبَغْدَادَ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِكَذَا ، وَالْقَوْمُ يُعْرِفُونَ بِكَذَا ،
 فَحُمِّلَ إِلَيْهِمْ خَمْسَةُ آلَافٍ دِينَارٍ وَسَفُتْجَةٌ^٤ ، وَحَصَلَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ وَعَرَفْتَهُمْ
 مَوْتَ الرَّجُلِ .

١ آب : رَجَعَ ، عَادَ . أَزْعَجَهُ : أَقْلَقَهُ ، وَقْلَعَهُ مِنْ مَكَانِهِ . يَزْمِعُهُ : يَثْبِتُ عَلَيْهِ .

٢ الكرخ : سَوْقٌ فِي بَغْدَادَ عَلَى الصُّفَّةِ الثَّانِيَةِ مِنْ دَجَلَةٍ كَانَتْ فِيهَا الْخِمَارَاتُ . وَقَوْلُهُ : فَلَكِ الْأَزْرَارُ ، اسْتِعَارَ الْفَلَكَ لِحَبِيبِ قَمِيصِ الْمُتَوَصِّفِ الطَّالِعِ وَجْهَهُ مِنْ بَيْنِ أَزْرَارِهِ وَجَعَلَ الْأَزْرَارَ كَنَجُومٍ لِهَذَا الْفَلَكَ ، وَفِي الْبَيْتِ اسْتِعَارَةُ مَجْرَدَةٍ وَاسْتِعَارَةُ مَرَشَةٍ .

٣ تَشَفَّعَهُ : تَقَبَّلَ شَفَاعَتَهُ .

٤ السُّفْتَجَةُ : هِيَ أَنْ تُعْطِيَ مَالًا لِرَجُلٍ فَيُعْطِيكَ خَطَأً يُمْكِنُكَ مِنْ اسْتِرْدَادِ ذَلِكَ الْمَالِ مِنْ عَمِيلٍ لَهُ فِي مَكَانٍ آخَرَ .

مجنون على الدرب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني في المسجد الحرام بباب الندوة بقراءتي عليه قال :
حدثنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكري قال : سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد بن بيان النهاوندي
يقول :

مررت بدرب أبي خَلَف ، فإذا جماعةٌ وقوفٌ على مجنون فوقفت ،
فهشَّ إليّ وقال :

سَقَّيْ قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ ! إِنَّ يَوْمِي يَوْمٌ طَشٌ بَعْدَ رَشٍ^١
حُبٌّ مِّنْ أَهْوَاهُ قَدْ أَدْهَشَنِي ؛ لَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهَشِ

لحم على وضم

ولي في نسيب قصيدة مدحتُ بها أحد بني عَقِيل ، رحمه الله ، بالشام :
قَالَتْ ، وَقَدْ قُوِّضَتْ خِيَامُهُمْ^٢ واستسلموا للنَّوَى بِذِي سَلَمٍ^٣
لِلسَّائِقِ الْمُسْتَحِثِّ : رَدَّ عَلَى الْوَاقِفِ السَّلَامَ وَاسْتَقِيمَ^٤
فَصِحْتُ وَجَدًا ، وَالْبَيْنُ مُبْتَسِمٌ ، أَلْقَاهُ مِنْ مَفْرِقِي بِمُبْتَسَمِي :
اللَّهُ يَا سَلَمَ فِي صَرِيحِ هَوَى أَبْقَيْتَ مِنْهُ لَحْمًا عَلَى وَضَمٍ^٤

١ تباريح العطش : شدته وتوجهه . العطش : المطر الخفيف . الرش : المطر القليل .

٢ قوِّضت : هدمت . ذو سلم : موضع .

٣ المستحث : المسرع .

٤ سلم : مرخم سلمى . الوضم : الخشب الذي يقطع عليه اللحم .

عقربا الصدغين

ولي أيضاً من نسيب قصيدة مدحتُ بها بعضَ الرؤساء ببغداد :
يا خَلِيلِي اكشِفا عَن قِصَّتِي تَجِدَا نِضْوَاً من الحبِّ لَقَمًا^١
فَأَدَالَ اللهُ ، يا يَوْمَ النَّوَى ، مِنْكَ ، إِذْ أَقْلَقْتَنِي يَوْمَ اللَّقَا
إِنَّ فِي نَهْرِ الْمُعَلَّى فَرْهَدًا قَمَرًا من فَوْقِ غِصْنٍ فِي نَقَمًا^٢
عَقْرَبَا صُدْغِيهِ تَسْرِي ، فَإِذَا لَدَغَتْ قَلْبًا تَحَامَتَهُ الرُّقَى^٣

قبر النديم

أخبرنا أبو القاسم المحسن بن حمزة بن عبيد الله الوراق بقراة علي بن تميم قال : حدثنا أبو علي الحسين بن علي الديلمي قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن علي قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبيد النعماني غلام أبي الهذيل قال :

انصرفتُ من جنازةٍ من مسجد الرضى في وقت الهاجرة ، فلما دخلتُ سِكَكَ البصرة اشتدَّ عليَّ الحرُّ فتَوَخَّيتُ سَكَةً ظَلِيلَةً فَاضْطَجَعْتُ عَلَى بَابِ دَارٍ ، فَسَمِعْتُ تَرَنُّمًا يَجْذِبُ الْقَلْبَ ، فَطَرَقْتُ الْبَابَ وَاسْتَسْقَيْتُ مَاءً فَإِذَا فَتًى اجْتَهَرَنِي جَمَالُهُ ، إِلَّا أَنْ أَثَرَ الْعِلَّةِ وَالسُّقْمِ عَلَيْهِ يَبِينُ ، فَأَدْخَلَنِي إِلَى خَيْشٍ نَظِيفٍ ، وَفَرَشَ سَرِيَّةً ، فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتُ خَرَجَ الْفَتَى وَمَعَهُ وَصِيفَةٌ^٤ مَعَهَا طُسْتُ وَمَاءٌ وَمَنْدِيلٌ ، فَغَسَلَتْ رِجْلِيَّ

١ النضو : المهزول . اللقا : المطروح .

٢ الفرهد : الغلام الممتلئ حسناً . النقا : القطعة من الرمل المحدودة .

٣ قوله عقربا صدغيه تسري : كان الوجه أن يقول تسريان . الرقى : السحر .

٤ اجتهرني جماله : راعني جماله .

٥ الخيش : ثياب رقاق النسيج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان . السري : الجيد .

٦ الوصيفة : الفتاة دون المراهقة .

وَأَخَذَتْ رِدَائِي وَنَعْلِي، وَانصَرَفَتْ، فَلَبِثْتُ يَسِيراً فَإِذَا جَارِيَةٌ أُخْرَى وَقَدْ جَاءَتْ
بِطَسْتٍ وَمَاءٍ، فَقُلْتُ : قَدْ غَسَلْتُ يَدَيَّ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا غَسَلْتَ رَجْلَيْكَ ، فَاغْسِلِ
الْآنَ يَدَيْكَ لِلْغَدَاءِ . وَإِذَا الْفَتَى قَدْ أَقْبَلَ ضَاحِكاً لِيُوْنِسَتِي ، وَأَنَا أَعْرِفُ الْعَبْرَةَ
فِي عَيْنِهِ، وَأَتِي بِالطَّعَامِ فَأَقْبَلَ يَأْكُلُ كَأَنَّهُ نَغْضُ ١ بِمَا يَأْكُلُهُ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ
يُبَسِّطُنِي .

فَلَمَّا انْقَضَى أَكَلُنَا أَتَيْنَا بِشَرَابٍ فَشَرِبَ قَدَحاً وَشَرِبْتُ آخَرَ ، ثُمَّ زَفَرَ
زَفْرَةً ظَنَنْتُ أَنَّ أَعْضَاءَهُ قَدْ تَقَبَّضَتْ ، وَقَالَ لِي : يَا أَخِي ! إِنَّ لِي نَدِيماً ،
فَقُمْ بِنَا إِلَيْهِ ! فَقُمْتُ وَتَقَدَّمَنِي ، وَدَخَلَ مَجْلِساً ، فَإِذَا قَبْرٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَخْضَرُ ،
وَفِي الْبَيْتِ رَمْلٌ مُصْبُوبٌ ، فَقَعَدَ عَلَى الرَّمْلِ، وَطَرَحَ لِي مُصَلَّتِي ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ
لَا قَعْدَتُ إِلَّا كَمَا تَقْعُدُ ، وَأَقْبَلَ يَرْدِّدُ الْعَبْرَاتِ ثُمَّ شَرِبَ كَأْساً وَشَرِبْتُ
وَأَنْشَأُ يَقُولُ :

أَطَّأُ التَّرَابَ، وَأَنْتَ زَهْنُ حَفِيرَةٍ ، هَالَتْ يَدَايَ عَلَى صَدَاكَ تَرَاباً ٢
إِنِّي لِأَعْذِرُ مَنْ مَشَى إِنْ لَمْ أَطَّأْ يَجْفُونَ عَيْنِي مَا حَيَّيْتَ جِنَابَهَا
لَوْ أَنَّ جَمْرَ جَوَانِحِي مُتَلَبِّسٌ ٣ بِالنَّارِ أَطْفَأُ حَرَّهَا وَأَذَابَهَا
ثُمَّ أَكْبَى عَلَى الْقَبْرِ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ ، فَجَاءَهُ غَلَامٌ بِمَاءٍ فَصَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ ،
فَأَفَاقَ فَشَرِبَ ثُمَّ أَنْشَأُ يَقُولُ :

الْيَوْمَ ثَابَ لِي السَّرُورُ لِأَنِّي أَيْقَنْتُ أَنَّي عَاجِلٌ بِكَ لِاحِقٌ ٣
فَغَدَاً أَقَاسِمُكَ الْبَلَى ، وَيَسُوقُنِي طَوْعاً إِلَيْكَ ، مِنَ الْمَنِيَّةِ ، سَائِقُ
ثُمَّ قَالَ لِي : قَدْ وَجَّسَ حَقِّي عَلَيْكَ فَاحْضِرْ غَدَاً جَنَازَتِي ! قُلْتُ : يُطِيلُ

١ نغض : اضطرب .

٢ هال التراب : حبه . صدك : جشك .

٣ ثاب : رجع وعاد .

الله عمرك . قال : إنني ميتٌ لاحالة . فدعوتُ له بالبقاء فقال : لقد عَقَقْتَنِي ،
ألا قلت :

جاور خليلك مُسْعِداً في رَمْسِهِ ، كَيْما يَنالُكَ في البلى ما نالَه
فانصرفتُ وطالت عني ليلتي ، وغدوتُ فإذا هو قد مات .

مريض مطوح

أخبرنا أبو علي محمد بن أبي نصر الأندلسي بمصر من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن محمد
الحافظ بالأندلس قال : أخبرنا أبو مروان عبد الملك بن أبي نصر السعدي قال : قال أبو النصر
مسلمة بن سهل : حدثني أبو كامل مؤمل بن صالح البغدادي قال :

قال أبو شراعة : بينا أنا أمشي بالبادية فاحية السماء مُصْعِداً إذا بفتى
من الأعراب ملوح الجسم معروقه ، عليه قُطَيْرِيتان^١ ، وهو مُحْتَضِنٌ صَبِيّاً^٢
يقول له : إذا حاذيتَ أبياتَ آلِ فلان ، فارفعْ صَوْتَكَ منشِداً بهذه الأبيات ،
ولك إحدى بُرْدَتَيَّ هاتين . فجعل يكررها عليه ليَحْفَظَهَا فَحَفِظَهَا :

مريضٌ بأفناءِ البيوتِ مُطَوِّحٌ^٣ ، أبى ما به من لاعِجِ الشوقِ يبرحُ^٤
يقولون : لو جئتَ النّطاسيَّ^٣ علّ ما تشكّاهُ من آلامِ وجدك يُمَصِّحُ^٣
وليسَ دواءُ الدّاءِ إلّا بخيلةٌ^٤ أضرتْ بنا فيها غرامٌ مُبرحُ^٤
إذا ما سألناها وصّالاً تُنِيلُهُ^٤ فصمُّ الصّفا منها بذلك أسمعُ^٤
فتبعتُ الصّبيَّ ، وهو لا يشعر بي ، فلما حاذاهَا رفعَ عقيرته بالأبيات

١ قوله قُطَيْرِيتان : لم نعر على هذه اللفظة في المعاجم ولعلها تعني ضرباً من الثياب كالبرود .

٢ مطوح : مضجع . لاعج : نار .

٣ النطاسي : الطبيب الحاذق . يمصح : يذهب وينقطع .

٤ الصفا : الحجارة .

يُنْشِدُهَا ، فسمعت من بعض الأبياتِ قائلاً يقول :

رعى الله مَنْ هَامَ الفؤادُ بحبه ، وَمَنْ كِدَتْ من شوقٍ إليه أطيُرُ
لَشِنْ كَثُرَتْ بالقلبِ أبراحُ لَوَعَةٍ ، فإنَّ الوُشاةَ الحاضرينَ كَثِيرُ^١
يمشونَ ، يستشرونَ غَيْظاً وَشِرَّةً ، وما منهمُ إلاَّ أبلٌ غيورُ^٢
فإنَّ لم أزرُ بالجسمِ رهبةَ مُرْصِدٍ ، فبالقلبِ آتي نَحْوكمُ فَأزورُ^٣
فرجع بها الصبيُّ إليه ، فتبعته ، فأنشده إياها فسقط مغشياً عليه ، ثم
أفاق بعد لأي ، وهو يقول :

أظُنَّ هوى الخودِ الغريرةِ قاتلي ؛ فيا ليتَ شعري ما بنو العمِّ صُنِعُ^٤
أراهم ، وللرحمنِ دَرٌّ صَنِيعِهِمْ ، تراكى دمي هدراً ، وخابَ المُضِيعُ^٥

حَيَّ عَلَى الْبِهِم

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقراة علي عليه بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن
السلمي قال : حدثنا أحمد بن سعيد قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا عباس الترقفي
قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا أبو غياث البصري
عن إبراهيم بن محمد الشافعي قال :

بينما ابن أبي مُلَيْكَةَ يُوْذَنُ إذ سمعَ الأخضر الجدي يتغنى في دار العاص بن

.....

- ١ الأبراح ، الواحد برح : الشر والأذى .
- ٢ يمشون : يعادون ويخاصمون . يستشرون غيظاً : يتفاقم غيظهم وشرهم .
- ٣ المرصد ، من أرصده : وضعه على الطريق للمراقبة .
- ٤ الخود : الشابة الحسنة . الغريرة : التي لا تجربة لها .
- ٥ هدراً : ضياعاً .

واثل ويقول :

صَغِيرَيْنِ نَرُعِي الْبَهْمَ ، يَا لَيْتَ أَتْنَا إِلَى الْآنِ لَمْ نَكْبِرْ ، وَلَمْ تَكْبِرِ الْبَهْمُ^١
قال : فَأَسْرَعَ فِي الْأَذَانِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ : حَيٌّ عَلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : حَيٌّ
عَلَى الْبَهْمِ ، حَتَّى سَمِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ ، فَجَاءَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ .

موت عروة بن حزام

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قال :
حدثنا المعافى بن زكرياء قال : حدثني علي بن سليمان الأنخشي قال : أخبرنا محمد بن يزيد
قال : حدثني مسعود بن بشر المازني قال : حدثنا العتبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن
عروة عن النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري قال :

وَلَيْتُ صَدَقَاتِ بَنِي عُدْرَةَ ، قَالَ : فَدُفِعْتُ إِلَى فِتْيٍ تَحْتَ ثَوْبٍ ،
فَكَشَفْتُ عَنْهُ ، فَإِذَا رَجُلٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا رَأْسُهُ ، فَقُلْتُ : مَا بَكَ ؟ فَقَالَ :
كَأَنَّ قِطْعَةً عُلِّقَتْ بِجَنَاحَيْهَا ، عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْحَقِّقَانِ
جَعَلْتُ لِعِرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ ، وَعِرَافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي^٢
ثُمَّ تَنَفَّسَ حَتَّى مَلَأَ مِنْهُ الثَّوْبَ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ خَمَدَ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ،
فَأُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِي : أَتَدْرِي مَنْ هَذَا ؟ هَذَا عُرْوَةُ
ابْنِ حِزَامٍ .

١ البهم : صغار البقر والمعز والضأن .

٢ عراف اليمامة : هو رباح بن عجلة . وعراف نجد : هو الأبلق الاسدي . ولفظة عراف تعني الذي
يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها ، وتطلق أيضاً على الطبيب ، وهو المراد
هنا .

ذو الرمة ورسيس الهوى

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ قال : حدثني جعفر بن هارون بن رباب قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة المهلب قال : حدثني عبد الصمد بن المعتل عن أبيه عن جده غيلان بن الحكم قال :

وَفَدَّ عَلَيْنَا ذُو الرُّمَّةَ ، وَنَحْنُ بِكِنَاسَةِ الكُوفَةِ ، فَأَنشَدَنَا قَصِيدَتَهُ الْحَاشِيَةَ ،
فلما انتهى إلى قوله :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الْهُوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^١
قال له ابن شبرمة : أراه قد بَرَحَ . ففكَّرَ ثم قال : لم أَجِدَ .
رسيس الهوى من حبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

فرجعتُ بحديثهم إلى أبي الحكم البُخَّاري ، من المختار ، فقال : أخطأ ابنُ شبرمة حين ردَّ عليه ، وأخطأ ذو الرُّمَّةَ حيثُ قبل منه ، إنما هذا كقول الله عز وجل : إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ بِرَاهَا ، أي لم يَرَهَا ولم يَكْدُ .

موت الصوفي عاشق الغلام

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراة عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن أليس قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال :

قال أبو حمزة : رأيتُ معَ محمد بن قَطَنَ الصوفي غلاماً جميلاً ، فكانا لا يفترقان في سفر ولا حَضَرَ ، فمكثنا بذلك زمناً طويلاً ، فماتَ الغُلامُ ، وكمِدَ عليه محمد بن قَطَنَ ، حتى عاد جِلْدًا وَعَظْماً ، فرأيتُه يوماً ، وقد

١ رسيس الهوى : بقيته وأثره .

خرجَ إلى المقابر ، فاتَّبَعْتُهُ ، فَوَقَفَ على قبرِهِ قائماً يبكي ، وينظرُ إليه والسماءُ
تُمْطِرُ بالمَطَرِ ، فما زالَ واقفاً من وقتِ الضُّحَى إلى أن غَرَبَتِ الشَّمْسُ لم
يرح ولم يجلس ، ويدُهُ على خَدِّهِ ، فانصرفتُ عنه ، وهو كذلك واقفاً ، فلما
كان من الغدِ خرجتُ لأعرف خبرَهُ ، وما كان من أمرِهِ ، فصِرْتُ إلى القبرِ ،
فإذا هو مكبوبٌ لوجهِهِ مَيِّتٌ ، فدَعَوْتُ مَنْ كانَ بالحضرةِ فأعانوني على
حملِهِ ، فغسلته وكفَّنته في ثيابه ودفنتُهُ إلى جانب القبرِ .

عاشق يخاف معصية الله

وأخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر أيضاً بإسناده قال :

قال أبو حمزة : ونظرَ محمد بن عبيد الله بن الأشعث الدمشقي ، وكان من
خيار عباد الله ، إلى غلامٍ جميل فغشيَ عليه ، فحُمِلَ إلى منزله ، واعتاده
السُّقْمُ حتى أُقْعِدَ من رِجْلَيْهِ ، فكان لا يقوم عليهما زمناً طويلاً ، فكنا
نأتيه ونعودُهُ ، ونسأله عن حالِهِ وأمرِهِ ، وكان لا يُخبرُنَا بِقِصَّتِهِ ولا بِسَبَبِ
مَرَضِهِ ، وكان الناسُ يَتَحَدَّثُونَ بِحديثِ نظره ، فبلغ ذلك الغلام ، فأثاه عائداً ،
فَهَشَّ إليه وتحرَّكَ وَضَحِكَ في وجهِهِ ، واستبشرَ برؤيتِهِ ، فما زالَ يعودُهُ
حتى قامَ على رِجْلَيْهِ ، وعاد إلى حالَتِهِ . فسألهُ الغلامُ يوماً المصيرَ إليه معه
إلى منزله ، فأبى أن يفعل ، فكلَّمَتْنِي أن أسأله أن يَتَحَوَّلَ إِلَيْهِ ، فسألته ، فأبى ،
فقلتُ : وما الذي تكره من ذلك ؟ فقال : لست بمعصومٍ من البلاءِ ، ولا آمنُ
من الفِتْنَةِ ، وأخافُ أن تَقَعَ عليّ من الشيطانِ مِحْنَةٌ أو عند ظَفَرِ بفرصةٍ
فتَجْريَ بيني وبينه معصِيَةٌ فيحتَجِبَ اللهُ عني يومَ تَظْهَرُ فيه الأسرارُ وَيُكْشَفُ
فيه عن ساقٍ فأكونَ من الخاسرين .

ليلي العامرية ومجنونها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني قاسم ابن الحسن عن العمري قال : قال الهيثم بن عدي : حدثنا عثمان بن عمار عن أشياخهم من بني مرة قال :

رحل رجل منا إلى ناحية الشام مما يلي تيماء والشرارة في طلب بُغْيَةٍ له ، فإذا هوَ بِخَيْمَةٍ قد رُفِعَتْ لَهُ ، وقد أَصَابَهُ مُطَرٌّ ، فعدل إليها ، فتَنَحَّج ، فإذا امرأةٌ قد كَلَمَتْهُ ، فقالت له : انزل ، فنزل وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم ، وإذا رُعاءٌ كثير ، فقالت لبعض العبيد : سلوا هذا الرجل من أين أَقْبَل ؟ فقلتُ : من ناحية اليمامة ونجد . فقالت : أي بلادِ نجد وطِئت ؟ قلتُ : كُلَّهَا . قالت : بمن نزلت هناك ؟ قلتُ : ببني عامرٍ ، فتَنَفَّستِ الصُّعْدَاءُ ، وقالت : بأيّ بني عامر ؟ فقلتُ : ببني الحُرَيْش . فاستعبرت ، ثم قالت : هل سمعتَ بذكرٍ فتي يقالُ له قَيْسٌ ويلقَّبُ بالمَجْنُونِ ؟ فقلتُ : إي والله ، ونزلتُ بأبيه ، وأتيتُهُ حتى نظرتُ إليه ، يَهِيمُ في تلكَ الفَيَافِي ، ويكون معَ الوَحْشِ لا يَعْقِلُ ولا يَفْهَمُ إِلَّا أن تُذَكَّرَ لَهُ لَيْلِي فَيَبْكِي ، وَيُنْشِدُ أشعاراً يقولها فيها .

قال : فرَفَعَتِ السَّيْرَ بيني وبينها ، فإذا شِقَّةٌ قَمَرٍ لم ترَ عيني مثلها ، فَبَكَتْ وانتَحَبَتْ حتى ظَنَنْتُ ، والله ، أن قلبها قد انصدع ، فقلتُ لها : أيتها المرأة ! اتقي الله ، فوالله ما قلتُ بأساً . فَمَسَكْتُ طويلاً على تلكَ الحالِ من البُكَى والتَّحْيِيْبِ ثم قالت :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَالْحُطُوبُ كَثِيرَةٌ ، متى رَحَلُ قَيْسٍ مُسْتَقِيلٌ فَرَاجِعٌ
بِنَفْسِي مَنْ لَا يَسْتَقِيلُ بِرَحْلِهِ ، ومن هو ، إن لم يحفظ الله ، ضائعٌ

١ . مستقل ، من استقل القوم : ارتحلوا .

ثم بَكَتْ حتى غشي عليها ، فلما أفاقَتْ قلتُ . مَنْ أَنْتِ ، باللهِ ؟
قالتُ : أنا لَيْلى المشؤومةُ عليه ، غيرُ المساعدة له . فما رَأَيْتُ مثلَ حُزْنِهَا
وَوَجْدِهَا ، فَمَضَيْتُ وتركْتُهَا .

ردوا على المشتاق قلبه الجريح

ولي من نسيب قصيدة مدحت بها أمير المؤمنين المقتدي بأمر الله :
سَبَّحَتْ حينَ أبصرتُ من دموعي لُجَّ بِحَرٍّ قَدْ أعْجَزَ السُّبَّاحَا
ثُمَّ قالتْ لِتَرْبِهَا ، في خَفَاءٍ : لَيْتَ هذا الفَتَى قَضَى فاستراحَا
أيتها الرَّاحِلُونَ ! رُدُّوا على الـ مُشْتاقِ قَلْبًا أثْخَنَتْموهُ جِرَاحَا
كُتِمَ الوَجْدَ جُهْدُهُ ، فإذا الدَّمُ حُ بِأسرارِ وَجْدِهِ قَدْ باحَا
باعكم قَلْبَهُ الكُتِيبَ سفاهاً ، فأخَذْتُمْ رُقَادَهُ استرباحَا

الرشيد وجارية زلزل

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه الخزاز
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو العباس المروزي قال : حدثني المفضل قال :
حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي عن أبيه قال :
قال لي زَلْزَلٌ ، وكان اسمه منصوراً : عندي جاريةٌ من حالِها ومن صِفَتِها ،
قد علَّمْتُها الغِناءَ . فكنتُ أَشْتهِي أن أراها فأستحيي أن أسأله ، فلما تُوفِّي

١ سفاهاً : جهلاً . استرباحاً : طلباً للربح .

زلزل^١ بلغني أن ورثته^٢ يعرضون الجارية ، فصرت^٣ إليهم فأخرجوها ، فإذا جارية كاد الغزال أن يكونها لولا ما تم^٤ منها ونقص^٥ منه ، قال : قلت لها : غني صوتاً ! فجيء بالعود^٦ فوضع^٧ في حجرها ، فاندفعت^٨ تغني وتقول ، وعيناها تذرفان :

أقفر^٩ من أوتاره العود^{١٠} فالعود^{١١} للإقفار^{١٢} معمود^{١٣}
وأوحش^{١٤} المزمار^{١٥} من صوته^{١٦} فما له بعدك^{١٧} تغريد^{١٨}
من^{١٩} للمزامير^{٢٠} وسماغيها^{٢١} وعامير^{٢٢} اللذات^{٢٣} مفقود^{٢٤}
والحمر^{٢٥} تبكي في أباريقها^{٢٦} والقينة^{٢٧} الحمصانة^{٢٨} الرود^{٢٩}

ثم^{٣٠} شهقت^{٣١} شهقة^{٣٢} ظننت^{٣٣} أن نفسها قد خرجت^{٣٤} ، فركبت^{٣٥} من ساعتني^{٣٦} ، فدخلت^{٣٧} على أمير المؤمنين فأخبرته^{٣٨} بخبر الجارية ، وما سمعت^{٣٩} منها ، فأمر^{٤٠} بإحضارها ، فلما دخلت^{٤١} عليه قال لها : غني الصوت^{٤٢} الذي غنيت^{٤٣} به إبراهيم ! فغنت^{٤٤} وجعلت^{٤٥} تريد^{٤٦} البكى^{٤٧} فيمنعها^{٤٨} إجلال^{٤٩} أمير المؤمنين ، فرحمتها^{٥٠} وأعجب^{٥١} بها ، فقال : أتجبن^{٥٢} أن أشتريك^{٥٣} ؟ فقالت : يا سيدي أمّا إذ خيرتني^{٥٤} فقد وجب^{٥٥} نصحك^{٥٦} علي^{٥٧} ، والله لا يشتريني^{٥٨} أحد^{٥٩} بعد^{٦٠} زلزل^{٦١} فينتفع^{٦٢} بي . فقال : يا إبراهيم ! أتعلم^{٦٣} بالعراق^{٦٤} جارية^{٦٥} جمعت^{٦٦} ما جمعت^{٦٧} هذه ؟ إن وجدت^{٦٨} فاشترها^{٦٩} بشطر مالي ! فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ولا على وجه الأرض . فأمر^{٧٠} بشرائها^{٧١} وأعتقها^{٧٢} وأجرى^{٧٣} عليها رزقاً

١ المعمود : المضي ، الشديد الحزن .

٢ القينة : المغنية . الحمصانة : الضامرة البطن . الرود ، سهل رؤد : الشابة الحسنة .

اطلبوا نفسي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال :
أنشدنا جحظةً لنفسه :

ويح نفسي عهدي بها في التراقي ، قبلَ يومِ الفِراقِ ، عندَ الفِراقِ
اطلبوها في حيثُ كنّا اعتنقنّا ، هلكت في اشتغالنا بالعِناقِ

وجهك أظرف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسنون النرسي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو حاتم محمد ابن عبد الواحد بن محمد اللبان الرازي قال : حدثنا أبو محمد بيان بن يزداد القمي إجازة قال :
أنشدني أحمد بن محمد القميّ المؤدّب :

يَرَاكَ الْفُؤَادُ بِعَيْنِ الْهَوَى ، وَعَيْنُ الْمَحَبَّةِ لَا تُتَخَلَفُ
إِذَا غِيبْتَ عَنْ نَاضِرِ الْمُقْلَتِيَّةِ نِ قَلْبِي يَرَاكَ وَمَا يَطْرِفُ
تَمَكَّنَ فِي الْقَلْبِ مِنْ حَبِّكُمْ عِيُونٌَ مِنْ الْحَبِّ مَا تَنْزَفُ
فَمَنْ يَكُ مِنْ حَبِّهِ سَالِيًا ، فَإِنِّي مِنْ حَبِّكُمْ مُدْنَفُ
كَلَامٌ رَخِيمٌ وَدَلٌّ مَلِيحٌ ، وَوَجْهُكَ مِنْ كُلِّ ذَا أَظْرَفُ

العيون الدعج

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشروطي قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : حدثنا محمد ابن عمران قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناداني قال : أخبرني التوزي قال :

سمعت أبا عبيدة يقول : قال رجل من بني فزارة لرجل من عذرة : تعدّون موتكم من الحبّ مزيّة، أي فضيلة ، وإنما ذلك من ضعف البنية، ووهن العقيدة ، وضيق الرويّة . فقال العذري : أمّا لو أنكم رأيتم المحاجر البلج ترشق بالأعين الدعج من فوقها الحواجب الزج، والشفاه السمر تفرّ عن الشايات الغرّ ، كأنها سرد الدّرّ، لجعلتموها اللات والعزى^١، ودفعتم الإسلام وراء ظهوركم .

صرع الغواني

أنبأنا أحمد بن علي قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا محمد بن عمران قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

أنّ مسلم بن الوليد الأنصاري لما وصل الرشيد في أول يومٍ لقيته أنشده قصيدته التي يصف فيها الخمر ، وأولها :

أديراً عليّ الكأس لا تشرباً قبلي ، ولا تطلباً من عند قاتلي ذحلي^٢

١ المحاجر ، الواحد محجر : وقب العين . البلج ، من البلج : وهو نقاوة ما بين الحاجبين .
الدعج ، من الدعج : سواد العين مع سعتها . الزج : الدققة . الغر : البيضاء . سرد : نظم .
اللات والعزى : إلهتان من آلهة الجاهلية الكاذبة .

٢ ذحلي : ثاري .

فاستحسنَ ما حكاةَ من وصف الشراب واللهم والغزل وسمّاهُ يومئذ صريعَ
الغواني بآخر بيتٍ منها وهو :
هل العيشُ إلا أن ترُوحَ مع الصبّا ، وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْل^١

غليل ودموع

أخبرنا أبو بكر الأردستاني بقراءتي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال : أخبرنا ابن
حبيب المذكر قال :

دخلت دار المرضى بنيسابور فرأيت شاباً من أبناء النعم ، يقال له أبو
صادق السكرى ، مشدوداً ، وهو يُجْلِبُ ويَصيح ، فلما بصُرَّ بي قال :
أتروي من الشعر شيئاً ؟ قلت : نعم ! قال : من شعر مَنْ ؟ قلت : من
شعر مَنْ شئت . قال : من شعر البُحْري ؟ قلت : أي قصيدة تريد ؟ فقال :
الْمَعُ بَرَقَ سِرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحٍ أَمْ ابْتِسامُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي^٢ ؟
فأنشدته القصيدة ، فقال : أفأنشيدُكَ قصيدة ؟ قلت : نعم ! فأخذ في إنشاد قصيدته :
أَقْصِرَا ! إِنْ شَأْنِي الْإِقْصَارُ ، وَأَقِلا لا يَنْفَعُ الْإِكْثَارُ
حتى بلغ قوله :

إِنْ جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَتَبٌ ، أَوْ تَنَاءَتْ مِنَّا وَمِنْكَ الدِّيارُ
فَالْغَلِيلُ الَّذِي عَهِدْتَ مُقِيمٌ ، وَالدَّمْعُ الَّذِي شَهِدْتَ غِزارُ^٣
فَقَفَزَ وَجَعَلَ يَرْقُصُ فِي قَيْدِهِ وَيَصيحُ إِلَى أَنْ سَقَطَ مَغْشِيّاً عَلَيْهِ .

١ الأعين النجل : الواسمة الحسنه .

٢ الضاحي : البارز للشمس .

٣ الغليل : حرارة الحب .

عبد الله بن جعفر وجاريتہ

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الانبوسي ، ونقلته من أصله ، قال : حدثنا أبو محمد علي ابن عبد الله بن المغيرة قال : حدثني جدي قال : حدثني عمي قال : حدثني علي بن أبي مريم قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني بكر بن إسحاق النجلي قال : حدثنا أبو سهل محمد ابن عمر الأنصاري عن محمد بن سيرين قال :

نظرَ عبدُ الله بن جعفر إلى جارية له كان يحبُّها حبًّا شديدًا وهي تلاحظُ مولاه فسألها : بالله هل تحبين فلانًا ؟ فقالت : أعيدُكَ بالله يا سيدي ! قال فسألها : بالله لا تكتسِميني ذلك ! فسكتت فأعتقها ودعاها فزوّجها إياه . قال : ثم إن نفسه تتبّعها فدعا مولاه فقال : أتتزل عنها ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا والله ، ولا مائة ألف درهم . قال : بارك الله لك فيها ! قال فأعرض عنها . قال : فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا حتى مات مولاه وتزوجها ابن جعفر بعد ذلك .

قال ابنُ حسين فذكرت هذا الحديث لأبي ياسين الرقيّ فحدثني عن بعض أصحابه أن عبد الله بن جعفر لما دخلت عليه أنشأ يقول :

رضيتُ بحُكم الله في كلِّ أمره ،	وسلّمتُ أمرَ الله في كما مضى
بلاني وأبلاني بحُبِّ دنيّةٍ ،	وصبّرني حتى امسحى الحبُّ فانقضى
لعمري ! ما حبّي بحُبِّ ملالةٍ ،	ولا كان ودّي زائلًا فتسقطضاً ^١
ولكنّ حبّي معه دَلٌّ يزيّنه ،	ويُعرضُ أحياناً إذا الحبُّ أعرَضاً ^٢

١ تنقض : انحل .

٢ الحب ، بكسر الحاء : الحبيب .

صريعا الحب

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد بن علي الجراذي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن يونس قال :

انصرفتُ من الحجِّ فمررتُ بماويةَ وكان لي فيها صديقٌ من بني عامر بن صعصعة ، فصرت إليه مُسلماً ، فأنزلتني ، فبينما أنا عنده ، ونحن قاعدان بفنائه ، إذا نساءٌ مستبشرات ، وهن يقلن : تكلّم تكلّم ! فقلتُ : ما هذا ؟ فقالوا : فتى منّا كان يعشقُ ابنةَ عمّ له ، فزوّجَتْ ، وحُمِلَتْ إلى ناحيةِ الحجازِ ، فإنه لعلّ فراشه منذُ حوّل ما تكلّم ، ولا أكل ، إلا أن يُوتى بما يأكله ويشربه . فقلتُ : أحبّ أن أراه . فقام ، وقمتُ معه فمشينا غيرَ بعيد ، وإذا بفتى مُضطجعٍ بفناء بيت من تلك البيوت ، لم يبقَ منه إلا خيالٌ ، فأكسبَ الشيخُ عليه يسأله ، وأمه واقفةٌ ، فقالت : يا مالكُ ! هذا عمّك أبو فلان يعودُكَ ، ففتَحَ عَيْنَيْهِ ، وأنشأ يقول :

ليبكي اليومَ أهلُ الودِّ والشَّفَقِ ؛ لم يبقَ من مهجتي إلا شفا رَمَقِ
اليومَ آخرُ عهدي بالحياةِ ، فقد أطلّقتُ من رُبّةِ الأحرانِ والقلقِ
ثم تنفّس الصُّعداءَ فإذا هو ميت ، فقام الشيخُ ، وقمتُ فانصرفتُ إلى خبائه فإذا جاريةٌ بضّةٌ تبكي وتتفجّع . فقال الشيخُ : ما يُبكيكِ ؟ فأنشأت تقول :

ألا أبكي لَصَبٍ شَفَّ مُهْجَتَهُ طولُ السَّقامِ وأضنى جسمه الكَمَدُ
ياليتَ مَنْ خَلَفَ القلبَ الهَيومَ به ، عِندي فأشكو إليه بعض ما أُجِدُ
أنشرُ تُربِكَ أسرى لي النسيمُ به ، أم أنتَ حيثُ يُنَاطُ السَّحرُ والكَبِدُ^١

١ ينَاطُ : يعلق . السحر : الرثة .

ثم انشئت على كعبِديها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة .
قال يونس : فقامت من عند الشيخ وأنا وقيداً .
أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقّاق قال : حدثنا الأمير
أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد فذكر القصة^٢ .

أجساد بغير قلوب

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : أخبرنا أبو محمد بن الجرادي الكاتب قال : حدثنا
أبو بكر بن دريد قال :

أنشدنا العُكلي عن أبيه لداود بن سلم التميمي :

ما ذرّ قرْنُ الشمسِ إلا ذكرْتُها ، ويذكرُنيها ما دنت لِغُرُوبِ
وأذكرُها ما بينَ ذلكَ وبعدهُ ، وبالليلِ أحلامي ، وعندَ هُبوبِ
وبُلّيتها شوقاً ، وبَلّائي الهوى ، وأعي الذي بي طيبٌ كلّ طيبٍ^٣
وأعجبُ أني لا أموتُ صَبَابَةً ، وما كمدُ منْ عاشقٍ بعَجيبِ
وكم لامَ فيها من مؤدّ نصيحةٍ ، فقلتُ له : أقصرْ ، فغيرُ مُصيبِ
أتأمرُ إنساناً بفرقةٍ قلبه ؟ أتُصلِحُ أجساداً بغيرِ قلوبٍ ؟
وكلُّ حُبٍّ قد سلا ، غيرَ أني غريبٌ ! ألا يا ويحَ كلِّ غريبِ

١ الوقيد : الحزين القلب .

٢ القصة : يريد قصة صريمي الحب التي مرث .

٣ بلاه : صيره بالياً .

السل داء الحب

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي فيما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال : حدثنا أحمد بن منصور بن سوار قال : حدثنا نوح بن يزيد المعلم قال : حدثنا إبراهيم بن سعد قال : حدثني محمد بن اسحاق قال : حدثني محمد بن جعفر بن زبير قال :

سمعت رجلاً من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه ، فقال عروة : يا هذا بحق أقول لكم إنكم أرقّ الناس قلوباً . فقال : نعم ، والله ، لقد تركت بالحي ثلاثين قد خامرهم السلّ ، وما بهم داء إلاّ الحب .

مجنون وعليلة

أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الوراق من حفظه قال : حكى لي أبو الحسين علي ابن الحسين الصوفي المعروف برباح قال :

حدثني بعض أصدقائي أنّه دخل إلى بعض المارستانات ببغداد فرأى شاباً حسن الوجه ، نظيف الثياب ، جالساً على حصير نظيف ، وعن يساره ميخدة نظيفة ، وفي يده مروحة ، وإلى جانبه كوز فيه ماء ، فسلمت عليه ، فردّ السلام أحسن ردّ ، فقلت له : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم ! أريد قرصين وعليهما فالودج^١ ، فمضيت فجئته بذلك ، وجلست مقابلته حتى أكل ، ثم قلت له : أبقى لك حاجة ؟ فقال : نعم ، ولا أظنك تقدر عليها . فقلت : اذكرها ، فلعلّ الله أن ييسرها . فقال : تمضي إلى نهر الدجاج درب أحمد الدهقان ، إلى دارٍ على باب زقاق الغفلة ، فاطرق الباب وقل : إن فلاناً قال لي :

١ فالودج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل .

مُرَّ بِالْحَبِيبِ وَقُلْ لَهُ : مَجْنُونُكُمْ مَنْ ذَا يَحِلُّهُ ؟
قال : فمضيت وسألتُ عن الدربِ والزُّقاقِ ، فدُلُّتُ عليه ، فطَرَقْتُ
البابَ ، فخرجتُ إليَّ عَجُوزٌ فأبلغتُها الرِّسالةَ ، فدخَلتْ وغابتُ عني ساعة ،
ثم خرجت فقالت :

ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : عَلَيْكُمْ مَنْ ذَا أَعْلَهُ ؟
فرجعتُ إلى الفتى فأخبرته بالجواب ، فشهِقَ شهقةً فمات ، وعدتُ إلى
القوم أخبرهم بذلك ، فوجدت الصراخ في الدار ، وقد ماتت الجارية ، أو
كما قال .

الحب للحبيب الأول

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن الفضل الأرجي قال : أخبرنا أبو الحسن عمر
عبد الله الهمداني بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا محمد بن علي بن المأمون قال : حدثنا أبو
محمد الرقاعي قال :

خَرَجَ أَبُو حَمْزَةَ يُشَيِّعُ بَعْضَ الْغُرَاةِ ، وَكَانَ رَاكِبًا ، فَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ :
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شَتَّ مِنَ الْهَوَى ، مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
فسقط حتى خشنا عليه .

دين الغدر

ولي من قطعة :

يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَلَمْ يُخْطِهِ ، أَصْمَيْتَنِي قَتْلًا ، وَلَمْ أَدْرِ
سَاعِدَكَ الْحُبُّ عَلَى مَقْتَلِي ، كَلَّا كَمَا قَدْ دَانَ بِالْغَدْرِ

٨ سواجع وهواتف

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن طاهر اللقاق بقراءتي عليه قال : أخبرني الأمير أبو الحسن أحمد ابن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال : أخبرني مسجع بن نيهان قال : حدثني رجل من بني الصيदा من أهل الصريم قال :

كنتُ أهوى جاريةً من باهلة ، وكان قومُها قد أخافوني ، وأخذوا عليّ المسالك ، فخرجتُ ذاتَ يومٍ ، فإذا حماماتٌ يسجننَ على أفنانِ أيكاتٍ متناوحاتٍ في سرّارةٍ وادي¹ ، فاستفزّني من الشوقِ ما لم أعقِلْ معه بشيءٍ ، فركبتُ ، وأنا أقول :

دعتُ ، فوق أغصانٍ من الأيكِ موهناً² ، مطوّقةً ورقاءً في إثرِ ألف³
فهاجّتْ عقابيلُ الهوى ، إذ ترنّمتُ ، وشبّتْ ضرامُ الشوقِ بين الشراسفِ⁴
لكنّي خرجتُ فأواني الليلُ إلى حيٍّ فخفضتُ أن يكونوا من قومِها فبيتُ
في القفر ، فلما هدأتِ الرّجل إذا قائل يقول :

تمتّع من شميمِ عرارٍ نجدٍ فما بعدَ العشيّةِ من عرارٍ⁵

فتأملتُ من ذلك ثمّ غلبتني عيناى ، فإذا آخرُ يقول :

ولا شيءٌ بعدَ اليومِ إلاّ تَعِلّةٌ⁶ من الطيفِ أو تلقى بها منزلاً قفراً
فزادني ذلك قلقاً ، ثمّ نمتُ فإذا ثالثٌ يقول :

لن يُلبيثَ القرناء أن يفترّقوا ، ليلٌ يكرّرُ عليهمُ ونهارٌ

١ سرارة الوادي : بطنه .

٢ موهناً : ليلاً .

٣ العقابيل ، الواحدة عقبولة : بقايا العلة . الشراسف : أطراف الضلوع المشرفة على البطن ، الواحد شرسوف .

٤ العرار : النرجس البري ،

فَقَمْتُ ، فَغَيَّرْتُ ، وَرَكِبْتُ مُسْتَكْبِئاً عَنِ الطَّرِيقِ ، فَلَمَّا بَرَقَ الْفَجْرُ ،
إِذَا رَاعٍ مَعَ الشَّرُوقِ قَدْ سَرَّحَ غَنَمَهُ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ :

كَفَى بِاللَّيَالِي مَخْلِقَاتٍ لِحِدَّةٍ ، وَبِالْمَوْتِ قَطَاعاً حِبَالِ الْقَرَائِنِ
فَأَظْلَمْتُ عَلَيَّ الْأَرْضُ فَتَأَمَّلْتُهُ فَعَرَفْتُهُ ، فَقُلْتُ : فَلَان ؟ قَالَ : فَلَان .
قُلْتُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : ضَاجَعْتُ ، وَاللَّهِ ، رَمْلَةُ الثَّرَى ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ سَقَطْتُ
عَنْ بَعِيرِي فَمَا أَفْقْتُ حَتَّى حَمَيْتِ الشَّمْسُ عَلَيَّ ، وَقَدْ عَقَلَ الْغَلَامُ نَاقِي ،
وَقَدْ مَضَى ، فَكَّرَرْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

يَا رَاعِي الضَّانِ ! قَدْ أَبْقَيْتَ لِي كَمَدًا يَبْقَى وَيُتْلَفُنِي ، يَا رَاعِي الضَّانِ
نَعَيْتَ نَفْسِي إِلَى نَفْسِي ، فَكَيْفَ إِذَا أَبْقَى ، وَنَفْسِي فِي أَثْنَاءِ أَكْفَانِي ؟
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أُسَارْتُ فِي كَيْدِي ، بَكَيْتَ مِمَّا تَرَاهُ الْيَوْمَ أَبْكَانِي

من الحب اليأس إلى التعبّد

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَكَرٍ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَمْدَانِيُّ
بِمَكَّةَ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
الْبَرْجَلَانِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الْعَابِدُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

كَانَ عِنْدَنَا بِالْكُوفَةِ شَابٌّ يَتَعَبَّدُ مُلَازِمًا لِلْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، لَا يَكَادُ يَخْلُو
مِنْهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ ، حَسَنَ الْقَامَةِ ، حَسَنَ السَّمْتِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ
ذَاتُ جَمَالٍ ، وَعَقْلٍ ، فَشَغِفَتْ بِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ
وَقَفَتْ لَهُ عَلَى طَرِيقِهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا فُتَى اسْمَعْ مِنِّي
كَلِمَاتٍ أَكَلَمَكَ بِهَا ، ثُمَّ أَعْمَلْ مَا شِئْتَ . فَمَضَى وَلَمْ يُكَلِّمْهَا . ثُمَّ وَقَفَتْ

١ اسأرت : أبقيت .

له بعد ذلك على طريقه ، وهو يريد منزله ، فقالت له : يا فتى اسمع كلمات
أَكَلَمْتُكِ بها . فأطرقَ ، فقال لها : هذا موقفُ تَهْمَةٍ ، وأنا أكرهُ أن أكونَ
للتَّهْمَةِ موضعاً . فقالت له : والله ما وقفتُ موقفِي هذا جهالةً مني بأمرِك ،
ولكن معاذَ الله أن يتشَوَّفَ العبادُ إلى مثل هذا مني ، والذي حملتني على أن
لقيتُكِ في هذا الأمرِ بنفسي معرفتي أن القليلَ من هذا عندَ الناس كثيرٌ ،
وأنتم ، معاشرَ العباد ، في مثالِ القواريرِ أدنى شيءٍ يعيبُهُ ، وجُمْلَةُ
ما أَكَلَمْتُكِ به أن جوارحي كلُّها مشغولةٌ بك ، فاللهَ الله في أمري وأمرِك .
قال : فمضى الشابُّ إلى منزله ، وأرادَ أن يُصَلِّي فلم يَعْقِلْ كيفَ
يُصَلِّي ، فأخذَ قِرْطاساً وكتبَ كتاباً ، ثمَّ خرَجَ من منزله . فإذا بالمرأةِ واقفةٌ
في موضعِها ، فألقى إليها الكتابَ ، ورجَعَ إلى منزله . وكانَ في الكتابِ :
بسمِ الله الرحمن الرحيم . اعلمي أيتها المرأةُ أن اللهَ ، تبارك وتعالى ، إذا
عُصِيَ حُلمٌ ، فإذا عاودَ العبدُ المعصيةَ سترَ ، فإذا لبسَ لها ملابسها غضِبَ
اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، لنفسه غضبةً تضيقُ منها السمواتُ والأرضون والجبالُ
والشجرُ والدوابُّ ، فمن ذا الذي يُطبقُ غضبَهُ ؟ فإن كانَ ما ذكرتُ باطلاً ،
فلأنِّي أذكرُكِ يوماً تكونُ السماءُ كالمُهْلِ ، وتصيرُ الجبالُ كالعِهْنِ ،
وتجثو الأممُ لصولةِ الجبارِ العظيمِ ، ولأنِّي والله قد ضَعُفْتُ عن إصلاحِ نفسي ،
فكيفَ بصلاحِ غيري ، وإن كانَ ما ذكرتُ حقاً فلأنِّي أدُلُّكِ على طبيبٍ ،
هو وليُّ الكلِّومِ المُمرِضةِ ، والأوجاعِ المُرمِضةِ ، ذلك الله ربُّ العالمين ،
فاقصديه على صدقِ المسألةِ ، فلأنِّي متشاغلٌ عنكِ بقوله ، عزَّ وجلَّ :
وأنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ ، ما للظالمينَ من حميمٍ
ولا شفيعٍ يُطاعُ ، يعلمُ خائنةَ الأعين ، وما تخفي الصدور ، والله يقضي
بالحقِّ ، فأينَ المَهْرَبُ من هذه الآية ؟

ثمَّ جاءت بعد ذلك بأيامٍ فوقفتُ لهُ على طريقه ، فلما رآها من بعيدٍ

١ المهمل : دردي الزيت الأسود أي عكره . العهن : الصوف . « من آيات الكتاب »

أرادَ الرجوعَ إلى منزله لثلاً يراها، فقالت : يا فتى لا ترجعْ ، فلا كان الملتقى بعدَ هذا أبداً إلاّ بينَ يدي الله ، عزّ وجلّ . وبَكَتْ بُكاءً كثيراً ، ثمّ قالت : أسألُ اللهَ ، عزّ وجلّ . الذي بيده مفاتيحُ قلبِكَ أن يُسهِّلَ ما قد عَسِرَ من أمرِكَ . ثمّ تَبِعَتْهُ فقالت : امسُنْ عليّ بِمَوْعِظَةٍ أَحْمِلُهَا عَنْكَ ، وَأَوْصِنِي بِوَصِيَّةٍ أَعْمَلُ عَلَيْهَا ! فقالَ لها الفتى : أوصيكُ بِحِفْظِ نَفْسِكَ من نَفْسِكَ ، وأذكركُ قولَه ، عزّ وجلّ : وهو الذي يتوفّاكُم بالليل ، ويعلمُ ما جَرَحْتُم بالنهار .

قال : فأطَرَقَتْ ، وبَكَتْ بُكاءً أَشدَّ من بُكائها الأوّل ، ثمّ أَفاقَتْ ، فقالت : والله ما حَمَلْتُ أَنْثَى ولا وَضَعْتُ إِنْساً كَمِثْلِكَ في مِصْرِي وأحيائي . وذكرَتْ آياتاً آخرها :

لألبسَنَ لهذا الأمرِ مِدْرَعَةً ، ولا ركنْتُ إلى لذّاتِ دُنْيَايَا^١
ثمّ لَزِمَتْ بيتَها فأخذَتْ بِالْعِبَادَةِ . قال : فكانتُ إذا أَجهدَها الأمرُ تدعو بكتابه فتَضَعُهُ على عَيْنَيْهَا ، فيُقالُ لها : وهل يغني هذا شيئاً ؟ فتقولُ : وهل لي دواءٌ غيرَه ؟ وكان إذا جَنّ عليها الليلُ قامتُ إلى مِخْرَابِهَا ، فإذا صَلّتْ قالت :

يا وَارِثَ الأَرْضِ هَبْ لي مِنْكَ مَغْفِرَةً ، وحلّ عني هوى ذا الهاجِرِ الدّاني^٢
وانظُرْ إلى خَلَّتِي ، يا مُشْتَكِي حَزَنِي ، بنظرةٍ مِنْكَ تجلو كلَّ أَحْزَانِي^٣
فلم تزلْ على ذلك حتّى ماتت كَمَدّاً ، وكان الفتى يذكُرُها بعدَ موْتِها ثمّ يبكي عليها ، فيقال له : ممّ بكاؤك ، وأنتَ قد أَيَسْتَهَا^٣ ؟ فيقول : إنّي ذُقْتُ طعمَها مني في أوّلِ أمرِها وجعلت قطعَها ذخيرةً لي عند الله ، عزّ وجلّ ،

١ المدرعة : جبة مشقوقة المقدم .

٢ الخلة : الحاجة والفقر .

٣ أَيَسْتَهَا : جعلتها تيّاس .

ولائي لأستحيي من الله ، عزّ وجلّ ، أن أسترِدّ ذخيرةً ذخَرْتُها عنده .
 قال لنا الشيخ أبو القاسم الأزجي ، رحمه الله : ووجدتُ في نسخة زيادةٍ
 مسموعةٍ عن الزيني شيخنا ، رحمه الله ، قال : ثم إن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية
 في جِسمها ، فكان الطبيبُ يقطع من لحمها أرتالاً لأنه قد عرف حديثها مع
 الفتى ، فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدّثُها بحديث الفتى ، فما كانت تجدُ
 لقطع لحمها ألماً ، ولا كانت تتأوّه ، فإذا سكّت عن ذكره تأوّهت . قال : فلم
 تنزل كذلك حتى ماتت كمدأ .

خارب بيته

أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي إجازةً وحدثني أحمد بن ثابت الحافظ عنه قال :
 أنشدني أبو عبد الله بن الحجاجٍ لنفسه :
 يا سيّدي ! عبدك ليمُ تقتله ؟ رأيت من يفعلُ ما تفعله ؟
 نزلت في قلبي ، فيا سيّدي ليمُ تخربُ البيتَ الذي تنزله ؟

آه من البين !

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
 على باب الندوة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت
 أبا علي الحسن بن أحمد بن علي الزنجاني الصوفي بأسفرايين يقول : سمعت عبد العزيز بن سعيد
 المنجوري يقول : سمعت سهلان القاضي يقول :
 بينا أنا مارٌّ في طُرُقَاتِ جبلِ شوري ، وقد مرّت عليّ قافلةٌ عظيمةٌ ،
 إذا نحن بشابٍّ على الطريقِ ذاهِبِ العقلِ ، مدهوشٍ ، عريانٍ ، وبين يديه

١ سنة ١٠٥٤ م .

خُلِقَانُ^١ مُمَزَّقاتٌ فقال لي: أينَ رأيتَ القافِلَةَ ؟ قلتُ : في موضِعٍ كَذَا .
قالَ : آه من البَين ! آه من الِبن ! آه من دواعي الحَين ! فقلتُ : وما دهاكَ ؟
فقالَ :

شَيَّعْتُهُم من حيثُ لم يَعْلَمُوا ، وَرَحْتُ ، وَالْقَلْبُ بِهِم مُّغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ ، إِذْ بَانُوا ، فَمَا سَلَّمُوا
سَارُوا ، وَلَمْ يَرْتُوا لِمُسْتَهْتَرٍ ، وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا^٢
وَاسْتَحْسَنُوا ظَلَمِي ، فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ

وفاء زوجة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه قال : أخبرنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري عن مصعب بن عبد الله
الزبيري قال :

تَزَوَّجَ مالِكُ بنَ عمرو الغساني بَابنة عم النُّعْمان بن بشير فشُغِفَ كل واحد
منهما بصاحبه ، وكان مالِكُ شُجاعاً ، فاشترطَتْ عَلَيْهِ أن لا يُقاتِلَ إِذا لُقِيَ ،
شَفَقَةً عَلَيْهِ وَضَنّاً بِهِ ، وإِنَّه غَزَا حَيّاً من لحم ، فباشر القِتالَ ، فأصابته جراحٌ
فقالَ ، وهوَ مَثْقَلٌ منها :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي عن غزالٍ تركتُهُ ، إِذا ما أَتاهُ مصرعي كيفَ يَصْنَعُ ؟
فَلَوْ أَنِّي كُنْتُ المُوَخَّرَ بَعْدَهُ ، لَمَّا بَرَحْتُ نَفْسي عَلَيْهِ تَطَلَّعُ
وَإِنَّه مَكَثَ يوماً وَلَيْلَةً ثُمَّ ماتَ من جراحه ، فلما وَصَلَ خَبْرُهُ إلى
زَوْجَتِهِ بِكَتْهِ سَنَةً ، ثُمَّ اعتُقِلَ لِسَانُها فامتنعتُ من الكلامِ ، وكثُرَ

١ الخلقان : الثياب البالية .

٢ المستهتر : المتبع هواه .

خُطَّابُهَا ، فَقَالَ عُمُومَتُهَا وَوَلَاةُ أَمْرِهَا : نَزَوَّجُهَا لَعَلَّ لِسَانَهَا يَنْطَلِقُ ،
وَيَذْهَبُ حَزْنُهَا ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَنَزَوَّجُهَا بِبَعْضِ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فَسَاقَ
إِلَيْهَا أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُهْدِيَتْ إِلَيْهِ فِيهَا قَامَتْ عَلَى بَابِ
الْقُبَّةِ ثُمَّ قَالَتْ :

يَقُولُ رِجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تَقَرُّ ، وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِخَلِيلٍ
فَأَخْفَيْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا رَجَاءٌ لَهُمْ ، وَالصَّدَقُ أَفْضَلُ قِيلَ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقَامَ ، وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلَ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السِّيفِ غَيْرُ نَكُولٍ^١
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْأَحْدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلٍ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَا ضِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَبِيبٍ
قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمْرُو
ابْنُ مُحَمَّدٍ الْعَبْقَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ أَثِقٌ بِهِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ^٢ ، وَزَادَ فِيهِ : فَلَمَّا
فَرَّغْتَ مِنَ الشَّعْرِ شَهَقْتَ شَهَقَةً فَمَاتَتْ .

١ النكول : الجبان .

٢ أراد بالحديث ما حدث في القصة السابقة .

جميل والبنات العذريات

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر قال : أخبرنا المدايني قال : قال هشام بن محمد سمعت رجلاً من بني عذرة يحدث قال :

لَمَّا عَلِقَ جَمِيلٌ بُشَيْنَةَ وَجَعَلَ يَنْسُبُ بِهَا اسْتَعْدَى عَلَيْهِ أَهْلُهَا رِبْعِيٌّ بْنُ دَجَاجَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَمِيرُ تِيْمَاءَ ، قَالَ : فَخَرَجَ جَمِيلٌ هَارِباً حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ مِنْ عَذْرَةَ ، بِأَقْصَى بِلَادِهِمْ ، وَكَانَ سَيِّدًا ، فَاسْتَجَارَ بِهِ ، وَكَانَ لِلرَّجُلِ سَبْعُ بَنَاتٍ ، فَلَمَّا رَأَى جَمِيلًا رَغِبَ فِيهِ ، وَأَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهُ لِيَسْلُوَ عَنْ بُشَيْنَةَ ، فَقَالَ لِبَنَاتِهِ : الْبَسْنَ أَحْسَنَ ثِيَابِكُنَّ وَتَحَلَّيْنَ بِأَحْسَنِ حُلِيِّكُنَّ ، وَتَعَرَّضْنَ لَهُ ، فَلَمَعَلَّ عَيْنَهُ أَنْ تَقَعَ عَلَى إِحْدَاكُنَّ فَأَزَوَّجَهُ .

قال : وكان جميلٌ ، إذا أرادَ الحاجةَ ، أبعَدَ في المذهبِ ، فإذا أقبلَ رَفَعْنَ جَانِبَ الْحِجَابِ ، فإذا رآهُنَّ صَرَفَ وَجْهَهُ ، قال : فَفَعَلْنَ ذَلِكَ مِرَارًا ، فَعَرَفَ جَمِيلٌ مَا أَرَادَ بِهِ الشَّيْخُ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

حَلَفْتُ لَكَيْمًا تَعْلَمِيْنِي صَادِقًا ، وَلِلصَّدَقِ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
لِتَكْلِيمِ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ بُشَيْنَةَ وَرَوَيْتُهَا عِنْدِي أَلَدًا وَأَمْلَحُ
مِنَ الدَّهْرِ لَوْ أَخْلَوُ بِكُنَّ ، وَإِنَّمَا أَعَالِجُ قَلْبًا طَامَحًا حَيْثُ يَطْمَحُ
فَقَالَ الشَّيْخُ : أَرْخِيْنَ عَلَيْكُنَّ الْحِجَابَ ، فَوَاللَّهِ لَا يُفْلِحُ هَذَا أَبَدًا .

حبذا ذاك الظلوم

أبنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا الشريف أبو الفضل محمد بن الحسن بن الفضل بن المأمون قال :

قُرئ على أبي بكر بن الأنباري ، وأنا أسمعُ ، للموئل :

أَقَاتِلْتِي هِنْدُ ، وَقَتْلِي مُحَرَّمُ ؛ أَمَا فِيكُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُسْلِمُ
يُظْلَمُهَا فِي مَا تُرِيدُ بِعَاشِقٍ ؛ أَلَا حَبْدَا ذَاكَ الظَّلُومُ الْمُظْلَمُ^١
لَقَدْ زَعَمُوا لِي أَنَّهَا نَذَرَتْ دَمِي ، وَمَا لِي بِحَمْدِ اللَّهِ لَحْمٌ وَلَا دَمٌ
بَرَرْتُ حُبُّهَا لَحْمِي ، وَلَمْ يُبْقِ لِي دَمًا ، وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّي صَاحِبٌ مُسَلِّمٌ
سَتَقْتُلُ جِلْدًا بَالِيًا فَوْقَ أَعْظَمِ ، وَلَيْسَ بِيَالِي الْقَتْلَ جِلْدٌ وَأَعْظَمُ
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحُبِّ صَحَّ قَرِينُهُ ، وَلَا مِثْلَ مَنْ لَمْ يَدْرِ مَا الْحُبُّ يُسْقِمُ
أَذْنَةُ لِي أَنْتِ فِي ذِكْرِ حَاجَةٍ ، أَلَا طَالَمَا قَدْ كُنْتُ عَنْهَا أَجْمَجِمُ^٢
غَدَرْتُمْ ، وَلَمْ نَغْدِرْ ، وَقَلْتُمْ : غَدَرْتُمْ ، تَظُنُّونَ أَنَا مِنْكُمْ نَتَعَلَّمُ
قَطَعْنَا ، زَعَمْتُمْ ، وَالْقَطِيعَةُ مِنْكُمْ ، زَعَمْنَا ، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَتَزْعُمُ
فَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ اجْتِمَاعًا ، فَقَلْتُمْ ، وَقَلْنَا ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لِلْقَوْلِ سُلَّمٌ
وإِلَّا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكُمْ ، عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاحْكُمُوا
فَوَاللَّهِ مَا أَجْرَمْتُ جُرْمًا عَلِمْتُهُ ، فَإِنْ سَرَّكُمْ جُرْمِي ، فَهَا أَنَا مُجْرِمٌ
وَعَاقِبَتُكُمْ فِي السَّلَامِ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ يَكُ لِي ذَنْبٌ سِوَى ذَاكَ يُعْلَمُ
فَإِنْ تَمَنَعُوا مِنِّي السَّلَامَ ، فَإِنِّي لَتَغَادِرُ عَلَى حِيْطَانِكُمْ فَمُسَلِّمٌ

١ يظلمها : ينسبها إلى الظلم .

٢ أجمجم ، من جمجم الكلام : لم يبينه .

الظريفة العاشقة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي ما أذن لنا أن نرويه عنه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه
قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله السرخسي قال : حدثني
عباس بن عبيد قال :

كان بالمدينة جاريةً ظريفةً حاذقةً بالغناء ، فهَوِيَتْ فتى من قُرَيْشٍ ،
فكانت لا تُفَارِقُهُ ولا يُفَارِقُهَا ، فمَلَّهَا الفتى وتزايدت هي في محبته ،
وأَسِفَتْ ، فغارت ، فَوَلَّيَتْ وجعلَ مولاهَا لا يعبأ بذاك ، ولا يرقُ
لِشَكْوَاهَا ، وتفاقمَ الأمرُ بها حتى هَامَتْ على وجهيها ، وَمَزَّقَتْ ثِيَابَهَا ،
وضربت من لَقِيَّهَا ، فلما رأى مولاهَا ذلك عَالَجَهَا ، فلم ينجع فيها العِلاجُ ،
وكانت تدورُ بالليلِ في السُّكَّكِ معَ الأدبِ والظُّرْفِ . قال : فَلَقِيَّهَا مولاهَا
ذاتَ يومٍ في الطريقِ ، ومعهُ أصحابٌ لهُ ، فَجَعَلَتْ تبكي وتقولُ :

الحُبُّ أَوَّلُ ما يكونُ لِحَاجَةٍ ، يَأْتِي بِهِ وَتَسوقُهُ الأَقْدَارُ
حتى إذا اقْتَحَمَ الفتى لُجَجَ الهوى ، جَاءَتْ أُمُورٌ ، لا تُطَاقُ ، كِبَارُ

قال : فما بقيَ أحدٌ إلا رَحِمَهَا ، فقال لها مولاهَا : يا فُلَانَةُ امْضِي
مَعَنَا إلى البيتِ ، فَأَبَتْ وَقَالَتْ :

شَغَلَ الحَلْيُ أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا

قال : وذكرَ بعضُ مَنْ رآها لَيْلَةً ، وقد لَقِيَتْهَا مُجْنُونَةً أُخْرَى ،
فَقَالَتْ لها : فُلَانَةُ ! كَيْفَ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : كما لا أَحِبُّ ، فَكَيْفَ أَنْتِ
مِنْ وَلَهِيكِ وَحُبِّكِ ؟ قالت : على ما لم يَزَلْ يتزايدُ بي على مرِّ الأَيَّامِ .
قالت لها : تغني بصوتٍ من أصواتِكِ فَإِنِّي قَرِيْبَةُ الشَّبهِ بِكِ . فَأَخَذَتْ

١ هذا مثل أرادت به البخارية ان ما بها شغلها عن كل شيء ، فلا فائدة من ذهابها إلى البيت .

قَصَبَةٌ تَوْقَعُ بِهَا وَغَنَّتْ :

يَا مَنْ شَكَا أَلَمًا لِلْحُبِّ شَبَهَهُ بالنارِ في القلبِ من حُزْنٍ وتذكارِ
إِنِّي لَأُعْظِمُ مَا بِي أَنْ أَشَبَهَهُ شيئًا يُقَاسُ إِلَى مِثْلٍ وَمِقْدَارِ
لَوْ أَنَّ قَلْبِي فِي نَارٍ لَأَحْرَقَهَا، لِأَنَّ أَحْزَانَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ
ثُمَّ مَضَتْ .

عُلَيَّانُ الْمَجْنُونِ

حدثنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد
الجرادي الكاتب قال : حدثنا محمد بن أبي الأزهري قال : حدثني عبيد الله بن الزعفراني
المحدث عن حدثه قال :

مَرَّ بِي عُلَيَّانُ الْمَجْنُونِ الْبَصْرِيُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا الْحُسَيْنِ ،
قِفْ عَلَيْنَا ! فَقَالَ : أَنْتَ شَبَعَانُ وَعُلَيَّانُ جَائِعٌ يَرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ شَيْئًا ،
فَدَعَوْتُ لَهُ بِمَا يَأْكُلُ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، فَرَجَعَ ، فَلَمَّا أَكَلَ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ
وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَذِي نَفْسٍ صَاعِدٍ ، يَشْنُ بِلَا عَائِدِ
تَبَرَّمَ عَوَّادُهُ بِذِي السَّقَمِ الزَّائِدِ
وَذِي سَهْرَةٍ قَدْ جَفَا هَ كُلُّ أَخٍ رَاقِدِ
يَكْرَهُ عَلَى عَسْكَرٍ ، وَبِضْعُفٍ عَنْ وَاحِدِ

ومضى ، فَقُلْتُ لِغُلَامِي : رُدِّهِ وَارْفُق بِهِ ! فَرَدَّهُ ، فَقُلْتُ : زِدْنِي !
فَقَالَ : الَّذِي أُعْطَيْتَنِي لَا يَسَاوِي أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطَيْتُكَ . فَقُلْتُ لِلْغُلَامِ : اسْقِهِ

١ رَجَعَ : أَيُّ قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قدحاً ، فوقف ، فلما شربه قال :

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبْكِي عَلَى شَجْنٍ ضَحِكْتُ إِذَا خَلَوْتُ
فَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهُ مِنِّي ، فَصِرْتُ إِذَا سَمِعْتُ بِهِ بَكَيْتُ
فَشَغِلْتُ بِخَطِّ مَا أَنْشَدَنِيهِ وَمَضَى .

عاشق يموت كتماناً

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن العلاف الواعظ ، رحمه الله ، بقراءتي عليه قال :
حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين قال : حدثنا جعفر بن محمد الصوفي قال :
حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا زكريا بن
إسحاق قال :

سمعتُ مالك بن سعيد يقول : حدثني مشيخةٌ من خزاعةٍ أنه كان عندهم
بالطائفِ جاريةٌ متعبدةٌ ذاتُ يسارٍ وورعٍ ، وكانت لها أمٌ أشدَّ عبادةً منها ،
وكانت مشهورةً بالعبادة ، وكانتا قليلتي المخالطة للناس ، وكانت لهما
بضاعةٌ مع رجلٍ من أهل الطائف ، فكان يُبْضِعُهَا لهما ، فما رزقهنَّ
اللهُ من شيءٍ أتاهنَّ به .

قال : وبعثَ يوماً ابنه ، وكان فتًى جميلاً مُسْرِفاً على نفسه ، إليهنَّ
ببعضِ حوائجِهينَّ ، ففقرَعَ البابَ ، فقالت أمُّها : مَنْ هذا ؟ قال : أنا
ابنُ فلان . قالت : ادخل ! فدَخَلَ وابتثها في بيتٍ ، ولم تعلم بدخول الفتى ،
فلما قعدَ معها خرجت ابتثها ، وهي تظُنُّ أنها بعضُ نِسائِهينَّ حتى جلستُ
بين يديه ، فلما نظرت إليه قامت مبادرةً فخرجت ، ونظرت إليها فإذا هي من
أجملِ العربِ .

قال : ووقعَ حبُّها في قلبه . فخرجَ من عندها ، وما يدري أينَ يسلكُ ،
فأتى أباهُ ، فأخبره برِسالتِهينَّ ، وجعلَ الفتى ينشحلُ ويدُوبُ جسمه ،

وَتَغَيَّرَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَلَزِمَ الْوَحْدَةَ وَالْفِكْرَ ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَظُنُّونَ
 أَنَّ الَّذِي بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ قَدْ لَزِمَهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى فِرَاشِهِ .
 فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُوهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ دَعَا لَهُ الْأَطْبَاءَ وَالْمُعَالِجِينَ ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُونَ
 إِلَيْهِ ، فَكُلُّهُمْ يَصِفُ لَهُ دَوَاءً ، وَيَقُولُ : بِهِ دَاءٌ لَا يَقُولُهُ صَاحِبُهُ ، وَالْفَتَى
 مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، حَتَّى إِذَا طَالَتْ عِلَّتُهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ دَعَا أَبُوهُ
 فِتْيَانًا مِنَ الْحَيِّ ، وَإِخْوَانَهُ الَّذِينَ كَانُوا لَهُ أَنْسَاءً ، فَقَالَ لَهُمْ : اخْلُوا بِهِ وَسَلُّوهُ
 عَنْ عِلَّتِهِ لَعَلَّهُ يَخْبِرُكُمْ بِبَعْضِ مَا يَجِدُهُ ، فَأَتَوْهُ فَكَلَّمُوهُ وَسَلُّوهُ ، فَقَالَ :
 وَاللَّهِ مَا بِي عِلَّةٌ أَعْرِفُهَا فَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ ، وَأَخْبِرْكُمْ بِمَا أَجِدُ مِنْهَا ، فَأَقِلُّوا
 الْكَلَامَ .

وَكَانَ الْفَتَى فَطِنًا ذَا عَقْلٍ ، فَلَمَّا طَالَ بِهِ الْوَجْدُ دَعَا امْرَأَةً مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ
 فَخَلَا بِهَا ، وَقَالَ : إِنِّي مُلْقٍ إِلَيْكَ حَدِيثًا مَا أَلْقَيْتُهُ إِلَيْكَ إِلَّا عِنْدَ
 الْإِيَّاسِ مِنْ نَفْسِي ، فَإِنْ ضَمِنْتَ لِي كَيْفَمَاتِهِ أَخْبَرْتُكَ ، وَإِلَّا صَبَرْتُ حَتَّى
 يَحْكُمَ اللَّهُ فِي أَمْرِي مَا يُحِبُّ ، وَبَعْدُ ، فَوَاللَّهِ مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا قَبْلَكَ ،
 وَلَكِنْ كَتَمْتُ عَلَيَّ لَا أَخْبِرُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ ، وَإِنْ هَذَا الْبَلَاءُ الَّذِي أَرَى بِي
 لَا شَكَّ قَاتِلِي ، وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيَّ فِي مَحَبَّتِي لَهُ أَنْ أَكُونَ لِمَنْ أَحَبَّ صَائِنًا وَعَلَيْهِ
 مُشْفِقًا مِنْ تَزْيِيدِ النَّاسِ وَإِكْثَارِهِمْ حَتَّى يَصِيرَ الصَّغِيرُ كَبِيرًا ، وَالْكَبِيرُ عَنْدهُمْ
 الْبَاقِي ذِكْرُهُ أَبَدًا ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَمْرِي ، وَاجْعَلِيهِ مُحَرَّرًا فِي صَدْرِكَ فَإِنْ فَعَلْتَ
 فَلَكَ حُسْنُ الْمُكَافَأَةِ ، وَإِنْ أَبَيْتَ فَاللَّهُ يُحْسِنُ لَكَ الشُّكْرَ .

فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : قُلْ يَا بُنَيَّ مَا بَدَأَ لَكَ ، فَوَاللَّهِ مَا أَجِدُ فِي الدُّنْيَا أَحَدًا
 أَحَبَّ بَقَاءَهُ غَيْرَكَ ، وَكَيْفَ لِي أَنْ يَكُونَ عِنْدِي بَعْضُ دَوَائِكَ ، فَوَاللَّهِ
 لَا كُفْمَنَ أَمْرَكَ مَا بَقِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا . فَقَالَ لَهَا : إِنَّ مِنْ قِصَّتِي كَذَا وَكَذَا !
 فَقَالَتْ لَهُ : يَا بُنَيَّ أَفَلَا أَخْبَرْتَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَلِمَةً أَسْكَنَ بِمَجَامِعِ
 الْقَلْبِ فَلَا تُفَارِقُهُ أَبَدًا ، مِنْ كَلِمَةٍ : مُحِبٌّ عَاشِقٌ أَخْبَرَ مَنْ يُحِبُّهُ أَنَّهُ لَهُ وَاقٍ ،
 فَتِلْكَ الْكَلِمَةُ تَزْرَعُ فِي قُلُوبِ ذَوِي الْأَلْبَابِ شَجَرًا لَا تُدْرِكُ أَصُولُهُ . فَقَالَ

لها : ومن لي بها ، وكيف السبيلُ إليها وقد بَلَغَكَ حالُها وقصَّتُها وشدةُ
اجتهادِها وعبادَتُها ؟ قالت له : يا بُنيَّ عليَّ أن آتيكَ بما تُسرَّ به .

قال : فلبِستُ ثوبَها وأتتُ منزِلَ البخاريةِ ، فدخلتُ فسَلَّمْتُ على أمِّها
وحادثتُها ساعةً . فسألْتُها أمِّها عن حالِها وعن وجعِها ، فقالت : والله لقد
رأيتُ الأوجاعَ والآلامَ ، فما رأيتُ وجعاً قطَّ كوجعِها ، وإنَّ وجعَه يُزيدُ
في كلِّ يومٍ ، وألمُه يترقَّى ، وهو في ذلك صابرٌ غيرُ شاكٍ لا يفقدُ من
جوارِحِه شيئاً ، ولا من عقلِه . فقالت أمِّها : أفلا تدعون له الأطباءَ ؟
قالت : بلى ؛ والله فما وقعَ أحدٌ منهم على داءه ، ولا يفقه دواءه .

ثم قامتُ فدخلتُ على البخاريةِ في بيتِها الذي كانت تتعبَّدُ فيه ، فسَلَّمْتُ
عليها ، وحادثتها ساعةً ، وقد كان وقعَ إليَّ البخاريةِ خبرُه ، فعَلِمْتُ أن ذلك
من أجْلِها ، فقالت لها المرأةُ : يا بُنَيَّةُ أبلِيتِ شبَابَكَ وأفْنِيتِ أَيْامَكَ على
هذه الحال التي أنتِ عليها . قالت : يا عمتاه أيةُ حالٍ سوءٍ تُريني هذا ؟
قالت : لا يا بُنَيَّةُ ، ولكنَّ مثلكَ يفرحُ في الدنيا ويَلْذَّ فيها ببعض ما أحسَّ
الله عزَّ وجلَّ لك ، غيرَ تاركةٍ لِمِطَاعَةِ رَبِّكَ ولا مُفارقةٍ لِحِدْمَتِهِ ، فيتَّجَمعُ
الله لك بذلك الدارينِ جميعاً ، فوالله ما حرَّمَ اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، على عباده
ما أحلَّ لهم .

فقالت : يا عمتاه ، أوهذه الدارُ دارُ بقاءٍ لا انقِطاعَ لها ولا فناء فتكونُ
الجوارِحُ قد وثِّقتْ بذلك ، فتَجْعَلُ الله تعالى مَنظَرَ هِمَمِها ، وللدنيا شطراً ،
فتعدُّ الجوارِحُ إذا التعبَ راحةً والكُدَّ سلامةً ، أم هذه الدارُ دارُ فناءٍ وتلكَ
دارُ بقاءٍ ومكافأةٍ ، والعمل على حسب ذلك .

قالت : يا بُنَيَّةُ لا ! ولكنَّ الدنيا دارُ فناءٍ وانقطاعٍ وليست بباقية على أحدٍ ،
ولا دائمةً له ، ولكن قد جعلَ الله تعالى لِعِبَادِهِ فيها ساعاتٍ صدقةً منه على
النفوسِ ، تنالُ فيها ما أحلَّ لها من مخافةِ الشدةِ عليها .

فقالت البخاريةُ : صدقتِ يا عمتاه ، ولكنَّ لله عِبَادٌ قد علِموا وصحَّ في

هَيْمَتِهِمْ شَيْءٌ مِنْ ذُخْرٍ دُخِرَ عَنْدهُ ، فَجَعَلُوا هَذَا الشُّكْرَ الَّذِي جَعَلَهُ ذَخِيرَةً عَنْدهُ ، إِذْ لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا كَامِلَةً لَهُمْ ، وَلَا هُمْ مُتَنَقِّصُونَ شَيْئاً قَدْ مَوْهَ لَأَنْفُسِهِمْ ، وَسَكَنْتْ نَفُوسُهُمْ وَرَضِيَتْ مِنْهُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الطَّاعَةِ لِتَنَالِ جُمْلَةَ الْكَرَامَةِ . وَإِنْ كَلَامُكَ لَيْدُ لَتِي عَلَى أَنْ تَحْتَهُ عِلَّةٌ ، وَهُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى مَنَظَرَتِكَ لِي عَلَى مِثْلِ هَذَا ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ قَبْلَ الْيَوْمِ فِيكَ أَنْتَكَ تَأْمُرِينَ بِالْحِرْصِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْخِدْمَةِ لَهُ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ رِضَاهُ وَتَرْفَعُ عَنْدهُ ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ مُتَغَيِّرَةً عَنْ ذَلِكَ الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُكَ عَلَيْهِ ، فَأَخْبِرْنِي بِمَا عِنْدَكَ وَأَوْضِحِي لِي مَا فِي نَفْسِكَ ، فَإِنْ يَكُنْ لَكَ جَوَابٌ أَعْتَبْتُكَ^١ ، وَإِنْ يَكُنْ فِيهِ حَظٌّ تَابَعْتُكَ ، وَإِنْ يَكُنْ أَمْرًا بَعِيدًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظْمَتِكَ .

قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ فَأَنَا مَخْبِرْتُكَ بِهِ ، وَالَّذِي مَنَعَنِي مِنْ إِلْقَائِهِ إِلَيْكَ هَيْبَتُكَ ، إِذْ بَسَطْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنَّ عِنْدِي خَيْرًا وَأَمْرَتَنِي بِإِلْقَائِهِ ، فَإِنْ مِنْ قِصَّةٍ مِلَانٍ كَذَا وَكَذَا .

قَالَتْ : قَدْ ظَنَنْتُ ذَلِكَ فَأَبْلَغِيهِ مِنِّي السَّلَامَ ، وَقُولِي : أَيُّ أَخَاهُ ! إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لِمَلِكٍ يَكْفِيءُ مَنْ أَقْرَضَهُ بِالْعَطَايَا الْجَزِيلَةَ ، وَيُعِينُ مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَخَدَمَهُ بِالْهِمَمِ الرَّفِيعَةِ ، وَلَيْسَ إِلَى الرَّجْوِ بَعْدَ الْهِبَةِ سَبِيلٌ ، فَتَوَسَّلْ إِلَى مَوْلَاكَ وَمَوْلَايَ بِمَحَابَّتِهِ ، وَاضْرَعْ إِلَيْهِ فِي غُفْرَانٍ مَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ مِنْ عَمَلٍ لَمْ يَتَهَبْهُ فِيهِ ، وَلَمْ يَرْضَهُ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَعْظِيكَ بِهِ ، فَإِذَا خَدَمْتَهُ بِقَدْرِ مَا عَصِيَّتَهُ طَابَ لَكَ الْفَرَاغُ مِنْ سُؤَالِ شَهَوَاتِ الْقُلُوبِ وَخَطَرَاتِ الصُّدُورِ ، فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِعَبْدٍ كَانَ لِمَوْلَاهُ عَاصِيًا وَعَنْ أَمْرِهِ مَوْلِيًا نَاسِيًا أَنْ يَنْسِيَ ذُنُوبَهُ وَالْإِعْتِدَارَ مِنْهَا ، وَيُلْزِمَ نَفْسَهُ مُسْأَلَةَ الْخَوَائِجِ لَعَلَّهَا دَاعِيَةٌ لَهُ إِلَى الْفِتْنَةِ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَرَمِهِ ، فَاسْتَنْقِذْ نَفْسَكَ يَا أَخِي مِنْ مُهْلِكَاتِ الذُّنُوبِ ، فَإِنْ لَهُ

١ أَعْتَبْتُكَ : أَزَلْتُ عَتَبَكَ .

فَضْلاً وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَلَسْتُ مُؤَيِّسَتِكَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ رَأَاكَ مُتَبَتِّلاً
إِلَيْهِ ، وَمِمَّا قَدَّمْتَ يَدَاكَ مُعْتَذِراً أَنْ يَمُنَّ بِي عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي
يَجُودُ عَلَى مَنْ وَلَّى عَنْهُ بِكَرَمِهِ ، فَكَيْفَ مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ ، فَلَا يُشْكُ أَنْهُ إِذَا
جَادَ عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ ، يَكُونُ لِمَنْ أَطَاعَهُ مُكْرِماً وَإِلَيْهِ وَقْتَ النَّدَامَةِ مُسْرِعاً ،
وَمَا أَبْقَيْتُ لَكَ حُجَّةً تَحْتَجُّ بِهَا ، فَلْيَكُنْ مَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ نُصَبَ عَيْنِكَ وَلَا
تُرَادَّنِي فِي الْمَسْأَلَةِ ، فَلَا أَجِيبُكَ وَالسَّلَامُ .

قال : فقامت المرأة من عندها ، فأثته ، فأخبرته بمقالتها . قال : فبكى
بكاءً شديداً ، فقالت له العجوز : والله يا بني ما رأيت امرأةً خوفُ الله ، عزَّ
وجلَّ ، في صدرها ، مثلَ هذه المرأة ، فاعملُ بما أَمَرْتُكَ بِهِ ، فَقَدْ ، والله ،
بَالِغَتْ فِي النَّصِيحَةِ ، وَأَحْسَنْتِ الْمَوْعِظَةَ ، فَلَا تُلْقِ نَفْسَكَ فِي مُهْلِكَاتِ
الْأُمُورِ ، فَتَنْدَمَ حَيْثُ لَا تُغْنِي النَّدَامَةُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ يَا بَنِي أَنَّ حِيلَةَ تَنْفُذِ
غَيْرِ الَّذِي دَعْتُكَ إِلَيْهِ لاحتلتُها ، وَلَكِنْ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَرْجُو أَنْ
مُحْتَالَةً ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، قَدْ جَعَلَتْهُ نُصَبَ عَيْنَيْهَا ، فَهِيَ بِ
إِلَيْهِ نَازِلَةٌ ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، نُصَبَ عَيْنَيْهِ ، لَهَا عَنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ، وَرَفَعَتْهَا ، وَاشْتَغَلَ بِمَا قَدْ جَعَلَهُ نُصَبَ عَيْنَيْهِ .

وجعل يبكي ويقول : كيف لي بالبلوغ إلى ما دَعَتْ إِلَيْهِ ، وَمَتَى يَكُونُ
آخِرُ الْمَدَّةِ الَّتِي نَلْتَقِي فِيهَا ؟ قال : فاشتدَّ وجعُه ذلك ، وَحَالَ عَنْ ذَوِي الْعُقُولِ ،
فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ ، وَجَعَلَ لَا يَقْرَهُ قَرَارٌ ، حَبَسُوهُ فِي بَيْتٍ ،
وَأَوْثَقُوهُ ، وَتَوَهَّمُ الْقَوْمُ أَنَّ الَّذِي بِهِ مِنْ عَشْقٍ ، فَكَانَ رَبِّمَا أَفْلَتْ ، فَيَخْرُجُ مِنْ
مَنْزِلِهِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الصَّبِيَّانِ ، فَيَقُولُونَ لَهُ : مُتَّ عَشْقًا ، مُتَّ عَشْقًا ! فَكَانَ يَقُولُ :

أَفْشِي إِلَيْكُمْ بَعْضَ مَا قَدْ يَهْجِيَنِي أُمُّ الصَّبْرِ أُولَى بِالْفَتَى عِنْدَ مَا يَلْقَى
أَوْعَدُ وَعْدًا مَا لَهُ ، الدَّهْرُ ، آخِرٌ وَأُومَرُ بِالتَّقْوَى ، وَمَنْ لِيَ بِالتَّقْوَى
سَلَامٌ عَلَى مَنْ لَا أَسْمِيَهُ بِاسْمِهِ وَلَوْ صُرْتُ مِثْلَ الطَّيْرِ فِي قَفْصٍ يُلْقَى

ألا أيها الصبيانُ لو ذُقتُمُ الهوى لأينقتُمُ أني مُحدَثُكُمُ حقًا
أحبَّكُم من حُبِّها ، وأراكُم تقولون لي : مُتْ يا شجاعُ بها عِشقا
فلَم تُنصِفوني ، لا ، ولا هي أنصفت فرِقا رُويداً ، ويحكم بالفتى رِفقا
فلَمّا صَحَّ ذلكَ عندَ أهلهِ وعَلِموا أَنه عاشقٌ جعلوا يسألونه عن أمره ،
فكان لا يجيبُهُم ، وكتَمَتِ العجوزُ قصَّتَه ، فأخذوه فحبسوه في بيت فلم يزل
فيه حتى مات ، رحمه الله .

جفني كأس ودمعي الراح

ولي من أبياتٍ من أثناء قصيدة :

صرَعَتْنَا الحَاظُ غَزْلَانِ يَبْرِي نَ كَانَ اللِّحَاطَ مِنْهَا رِمَاحُ
من ظِبَاءٍ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مَنَ ا لِّلْحَاطِهِينَ يُلْقِي جِرَاحُ
اسْتَحَلُّوا مِنْ قَتْلِنَا كُلَّ مُحْظُو رٍ وَمَا قَتَلُ عَاشِقَيْنِ مُبَاحُ
يَا نَدِيمِي إِلَيْكَ بِالكَاسِ عَنِي ، إِنَّ جَفَنِي كَاسِي وَدَمْعِي الرَّاحُ

رأي سقراط في العشق

أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي علي قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر
ابن المرزبان قال :

قال سقراطُ : العشقُ جنونٌ ، وهو ألوانٌ ، كما أن الجنونَ ألوان .

لا أنت تدري بي ولا أدري

أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي قال : أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس قال :
أنشدنا أبو عبد الله بن عرفة لبعضهم :

يُنْظَرُ في عمري فإن كان في عُمْرِكَ نقصٌ زيدَ من عمري
حتى نوافي البعثَ في ساعةٍ لا أنت تدري بي ولا أدري
أخافُ أن أظفأ ، فيدعوك مَنْ يهْوَكَ من بعدي إلى غدري

شكوى المحبين

ولي ابتداءُ قصيدة كتبتُ بها من دمشق إلى الشيخ الفقير أبي الحسن مروان
ابن عثمان النحوي الإسكندراني ، وهو بصور :

وَحَقٌّ مِصْرَاعِ أَهْلِ الْهَوَى لِرُوعَةٍ صَوْتِ غُرَابِ النَّوَى
وَشَكْوَى الْمُحِبِّينَ يَوْمَ الْفِرَا قِ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ جَوَى
وَقَدْ لَفَّ أَعْنَاقَهُمْ مَوْقِفٌ وَقَدْ رَفَعَ الْبَيْنُ فِيهِمْ لِسَوَا
عَشِيَّةَ أَجْرُوا عِيُونَ الْعُيُودِ نِ بَيْنَ الْعَقِيقِ وَبَيْنَ اللَّوَى^١
دُمُوعاً كَثُرْنَ فَلَوْ أَنَّهُ أَتَاهُنَّ وَقَدْ مَنَى لَارْتَوَى^٢
لَقَدْ أَتَمَنَى زَمَاناً يُضَمُّ بِكَ الشَّمْلُ وَهُوَ لِقَابِي هَوَى

١ العقيق واللوى : موضعان .

٢ منى : موضع بمكة ، ويشير بقوله ارتوى : إلى يوم تروية الحجاج بالماء .

مجنون المربد

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : حدثنا أبو بكر بن خلف قال : حدثني محمد بن الفضل قال : حدثني بعض أهل الأدب عن محمد بن أبي نصر الأزدي قال : رَأَيْتُ بِالْبَصْرَةِ مَجْنُونًا قَاعِدًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ بِالْمِرْبَدِّ ، فَكَلَّمَا مَرَّ بِهِ رَكْبٌ قَالَ :
أَلَا أَتَيْهَا الرِّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيْنَا ، فَقَدْ أَمْسَى هَوَانَا يَمَانِيَا
نُسَائِلُكُمْ : هَلْ سَالَ نَعْمَانُ بَعْدَنَا فَحَبَّ إِلَيْنَا بَطْنُ نَعْمَانَ وَادِيَا
قال : فسألتُ عنه فقيل : هذا رجلٌ من أهلِ البصرة ، كانت له ابنةٌ عمٌ ،
وكان يحبُّها فتزوجها رجلٌ من أهل الطائف فنقلها ، فتولاه عليها .

إبراهيم بن المهدي والشعر

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط قال : أخبرنا ابن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال : حدثني الحسين بن اسحاق قال : حدثني خالد قال :

لَمَّا بُويعَ لإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ بِالْخِلَافَةِ طَلَبْتَنِي ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفَنِي ،
وَقَدْ كُنْتُ مُتَّصِلًا بِبَعْضِ أَسْبَابِهِ ، فَأَدْخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنْشِدْنِي يَا خَالِدُ شَيْئًا
مِنْ شِعْرِكَ ! فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَيُّسَ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا ، وَإِنَّمَا أَمْرُحُ وَأَهْزِلُ . قَالَ :
لَا تَقُلْ هَذَا ! هَاتِ أَنْشِدْنِي ، فَأَنْشَدْتُهُ :

عِشْ فَحُبُّبُكَ سَرِيعًا قَاتِلِي وَالضُّتَّى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفِيرَ الشَّوْقِ بِقَلْبٍ دَنِفٍ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمٍ نَاحِلِ
فَهُمَا بَيْنَ اكْتِثَابٍ وَضَنْئِي تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ

قال : فاستملح ذلك ووصلني .

راكب القصبة

أخبرنا أبو غالب بن بشران في ما كتب به إلينا قال: أخبرنا ابن دينار قال: أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال: حدثني حمزة بن أبي سلافة الشاعر قال:

دخلتُ بغداد في بعض السنين ، فبينما أنا مارٌّ في البخينة إذا أنا برجلٍ عليه
مُبَطَّنَةٌ نظيفةٌ ، وعلى رأسه قَلَنْسُوءٌ سوداءُ ، وهو راكبٌ قَصْبَةً
والصبيان يصيحونَ خلفَه : يا خالد ، يا بارد ! فإذا أذوه حمل بالقصبة عليهم ،
فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرَّقوا وأدخلته بُستاناً هُناك ، فجلّست واستراح ،
واشريتُ له رُطباً فأكلَ . واستنشدته فأنشدني :

قد حازَ قلبي فَصَارَ يَمْلِكُهُ فكيفَ أسلُو وكيفَ أتركُهُ
رَطيبُ جِسْمٍ كالماءِ تحسِبُهُ يخطرُ في القلبِ منه مسلَكُهُ
يكادُ يجري من القميص من النّع مةٍ لولا القميصُ يُمْسِكُهُ
فاستزدته ، فقال : ولا حرف .

الأمين وحبّه للشعر

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي ، رحمه الله ، في ما أذن لنا في روايته قال : أخبرنا
محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا العباس بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أبو نصر محمد
ابن موسى الطوسي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد أبو هفان قال : حدثني أبو نواس قال :

دخلتُ على الأمين أمير المؤمنين ، وهو قاعد في قبة له ، ومعه جارية لم أرَ
قطّ أحسنَ منها . قال : وإذا على جبينِ البخاريةِ مكتوبٌ بالغاليةِ ممّا

.....
١ الغالية : أخلاط من الطيب .

عَمِلَ فِي طِرَازٍ : الله ، وعلى رأسها إكليلٌ وفي حِجْرِهَا عودٌ ، وإذا على
الإكليلِ مكتوبٌ :

والله يا طرفي الجاني على كَبِيدِي لأُطْفِئَنَّ بدمعي لَوُوعَةَ الحَزَنِ
بالله تطمَعُ أن أبلى هَوَى وَجَوَى وأنتَ تلتذُّ طيبَ العيشِ والوَسَنِ
وإذا على العودِ مكتوبٌ :

يا أيُّها الزاعمُ الذي زَعَمَا أنَّ الهَوَى ليسَ يورِثُ السَقَمَا
لو أنَّ ما بي بك الغداةَ لما لُمتَ محبِّتاً إذا شكا المَـ
قال : وبينَ أيديهما صينيَّةٌ ذهبٌ . قال : وإذا على الصينيَّةِ مكتوبٌ :
لاشيءَ أحسنُ مِنُ أيامِ مَجْلِسِنَا إذ نجعلُ الرُّسُلَ في ما بيننا الحدَّقا
وإذا حَوَاجِبُنَا تقضي حَوَائِجِنَا وشكلُنَا في الهوى نلقاهُ متفِقَا
ليتَ الوُشَاةَ بِنَا والحاسِدينَ لنا في لُجَّةِ البَـحْرِ ماتوا كلَّهم غرقَا
أو ليتَ مَنْ عابَنَا أو ذمَّ مَجْلِسِنَا شُبَّتْ عليه ضِرَامُ النارِ فاحترَقَا
وإذا على المتغسلِ مكتوبٌ :

لو كانَ يدري مالكَ ما الذي ألقى مِن الأَحْزَانِ والكَرْبِ^١
ومَا أَلَاقي مِن أَلِيمِ الهَوَى عَذَّبَ أَهْلَ النَّارِ بالحُبِّ^٢
قالَ فملاً الكأسَ وأعطاني ، وإذا على الكأسِ مكتوبٌ :

الحمدُ لله على ما قَضَى قد كانَ ذا في القَدَرِ السابقِ
ما تحملُ الأَرْضُ على ظهْرِهَا أشقى ولا أوثَقَ مِن عاشِقِ

١ الضرام : دقيق الخطب ، أنت الفعل قبله مجازاة للمعنى .

٢ مالك : هو الذي يعذب أهل الإثم بالنار .

فَبَيْنَمَا يَمْشِي عَلَى مَرْمَرٍ إِذَا بِهِ يَسْقُطُ مِنْ حَالِقٍ
قال : فَشَرِبْتُ الْكَأْسَ وَنَاوَلْتُهُ ، فَحَيَّانِي بِتُفَاحَةٍ وَأُتْرُجَّةٍ^١ ، وَإِذَا
عَلَى التُّفَاحَةِ مَكْتُوبٌ بِالذَّهَبِ :

تُفَاحَةٌ تَأْكُلُ تُفَاحَةً ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ الَّتِي تُؤْكَلُ
فَأَلْتَمُ الثَّغَرَ ، إِذَا عَضَّتْ بَعْلَةَ الْأَكْلِ ، وَلَا أُؤْكَلُ
قال وَإِذَا عَلَى الْأُتْرُجَّةِ مَكْتُوبٌ :

يَا لَكَ أُتْرُجَّةٌ مُطَيَّبَةٌ تُوقِدُ نَارَ الْهَوَى عَلَى كَبِدِي
لَوْ أَنَّ أُتْرُجَّةً بَكَتْ لَبَكَتْ لِرَحْمَتِي هَذِهِ الَّتِي بِيَدِي

هوى الملاح بلاء

ولي من غزل قصيدة مدحت بها أحد بني منقذ :

أَيُّهَا الرَّاحِلُونَ مِنْ بَطْنِ نَخْبٍ ، فِرْكَابُ النَّوَى بِهِمْ تَتَرَامَى
إِنْ أَتَيْتُمْ وَادِيَ الْأَرَاكِ فَأَهْدُوا لِسَلِيمِي نَحِيَّتِي وَالسَّلَامَا
وَاطْلُبُوا لِي قَلْبِي وَآيَتُهُ أَنْ تَجِدُوا فِيهِ مِنْ هَوَاهَا سِهَامَا
وَرِدُّوا مَاءَ نَاطِرِي عِيَوْضَ الْغَدِ رَانَ وَارْعَوْا بَيْنَ الْحِشَا لَا الْخُزَامَا

ولي أيضاً ابتداء قصيدة :

كُفِّي مَلَامَكَ عَنْهُ وَالْعَدَلَا ، قَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِالَّذِي حَمَلَا
وَدَعِي مَدَامِعَهُ تَسِيحُ وَإِنْ لَمْ تُطْفِ مِنْ نَارِ الْهَوَى شُعَلَا

١ الأترجة : ما تسميها العامة ليمونة كباد .

وَذَرِيهِ بِرْفُلٌ فِي غَلَائِلَ مِنْ نَسَجِ الْغَلِيلِ يَجْرُهَا وَمُسْلَا
يَا أُخْتَ كِنْدَةَ ! رَفَّهِ كِيداً شَرِبْتَ مَقَاصِلُهُ الْهَوَى نَهَلَا
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَةً مَوَاقِفَنَا ، وَالْبَيْنُ يَضْحَكُ بَيْنَنَا جَدَلَا
وَالدَّمْعُ قَدْ سَالَ الْكَثِيبُ بِهِ حَتَّى لَكَادَ يُسِيلُ الْمُقْلَا
لَرَثَيْتِ لِلْعُشَّاقِ رَاحِمَةً ؛ وَعَلِمْتَ أَنَّ هَوَى الْمِلَاحِ بَلَا

حجر من أرض لوط

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل الأزجي قراءة عليه قال : أخبرنا
علي بن جعفر السيرواني الصوفي بمكة قال : سمعت المواريني يقول ، قال لي رجل
من الحاج :

مررتُ بديار قوم لوطٍ وأخذتُ حَجَرًا مِمَّا رُجِمُوا بِهِ ، وَطَرَحْتُهُ
فِي مَخْلَاةٍ ، وَدَخَلْتُ مِصْرَ ، فَتَزَلْتُ فِي بَعْضِ الدُّوَرِ فِي الطَّبَقَةِ الْوُسْطَى ، وَكَانَ
فِي أَسْفَلِ الدَّارِ حَدَثٌ ، فَأَخْرَجْتُ الْحَجَرَ مِنْ خُرْجِي ، وَوَضَعْتُهُ فِي رَوْزَنَةٍ^٢
فِي الْبَيْتِ ، فَدَعَا الْحَدَثُ الَّذِي كَانَ فِي أَسْفَلِ الدَّارِ صَبِيًّا إِلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ مَعَهُ
فَسَقَطَ الْحَجَرُ عَلَى الْحَدَثِ مِنَ الرَّوْزَنَةِ فَقَتَلَهُ .

١ الملاسهل ملاء ، الواحدة ملالة : ثوب يلبس على الفخذين ، وريطة ذات لفقين .

٢ الروزنة : الكوة في السقف .

فاسق لم يغفر له

أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكي بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا جدي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زريق قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرئ قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول :
خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ عُرْفَاتٍ رَأَى الْإِمَامُ الَّذِي حَجَّ بِنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِيَمِينِي مَنْسَمًا ، فَلَمَّا صِرْنَا بَعْدَ الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ ، بَعْدَ انْقِضَاءِ الْحَجِّ ، بَيْنَنَا تِلْكَ اللَّيَالِي فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْخَلَائِقُ جُلُوسٌ ، إِذْ سَمِعْنَا مَنَادِيًّا يُنَادِي فَوْقَ الْحَجَرِ : أَنْصِتُوا ، يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ ، فَأَنْصَتُوا ، ثُمَّ قَالَ :
يَا مَعْشَرَ أَهْلِ الْحَجِيجِ : إِنَّ إِمَامَكُمْ رَأَى أَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، قَدْ غَفَرَ لِكُلِّ مَنْ وَافَى الْعَامَ الْبَيْتَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا فَإِنَّهُ فَسَقَ بِغُلَامٍ .

امرأة صاحب المسحاة والمملك

أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في ذي القعدة ، سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ١ ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور البشكري قال : حدثنا أبو عبد الله بن عرفة قال : حدثني محمد بن موسى السامي قال : حدثنا روح بن أسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي البختري عن سلمان قال :
كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ ، وَكَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ^٢ ، فَكَانَ إِذَا جَاءَ بِاللَّيْلِ قَدَمَتْ لَهُ طَعَامُهُ ، وَفَرَشَتْ لَهُ فِرَاشَهُ ، فَبَلَغَ خَبَرُهَا مَلِكَ ذَلِكَ الْعَصْرِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا عَجُوزًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَتْ لَهَا : مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا الَّذِي يَعْمَلُ بِالمِسْحَاةِ ! لَوْ كُنْتَ عِنْدَ الْمَلِكِ لَكَسَاكَ

١ ١٠٤٦ م .

٢ المسحاة : كالمجرفة .

الحرير ، وفرشك الديباج ، فلما وقع الكلام في مسامعها جاء زوجها بالليل ، فلم تقدم له طعامه ، ولم تفرش له فراشه ، فقال لها : ما هذا الخلق يا هتاه^١ ! فقالت : هو ما ترى . فقال : أطلتْك؟ قالت : نعم ، فطلتها . فتزوجها ذلك الملك ، فلما زفت إليه نظر إليها فعسى ، ومدَّ يده إليها فجفت . فرفع نبي ذلك العصر خبرهما إلى الله ، عز وجل ، فأوحى الله تعالى إليه : أعلمهما أني غير غافر لهما ؛ أما عليهما أن يعينني ما عملا بصاحب المسحاة ؟

يقتل جاريته بريية

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سعيد بن سويد قال : حدثنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا عبيد الله بن خرداذبة قال : أخبرني موسى بن المأمون قال :

كان فروحُ الزَّناء يعشق جاريةً بالمدينة يقال لها رَهبةٌ ثم اشترأها فقال : يا رَهبةُ لم يبقَ لي شيءٌ أُسرَّ بهِ غيرَ الجلوسِ ، فتسقينني وأسقينكِ وتمزجينَ بريقِ منكِ لي قدحاً ، وتشتفيني بكم نفسي وأشفيكِ يا رَهبةُ ما مستي شيءٌ أُغمُّ بهِ إلا تفرَّجَ عني حينَ آتيكِ قال ثم عثر على ربيبةٍ بينها وبين جاريةٍ له ، فقَتَلها ، فقال ابن الحيات المديني :

تَنَجَّدَ واستشَرى على قتلِ كاعِبٍ ، كأنَّ قُضاضَ المِسكِ منها التنفسُ^٢
فمالتُ على الكَفَّينِ خُودٌ غريرةٌ ، كما باتَ بينَ الرَّاحِ والصُّهبِ نَرَجِسٌ^٣

١ يا هتاه : أي يا فلانة .

٢ تنجد : ارتفع . استشرى : لج في الأمر . القضاض : ما تفرق من الشيء عند كسره .

٣ الراح : الحمرة . الصهب ، الواحد أصهب : الذي يخالط بياضه حمرة ، ولا نعلم ما المراد به هنا .

قتيل لا يودی

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
أخبرنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال :
حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري قال : حدثنا عبي قال : حدثني أبي عن صالح بن كيسان قال :
حدثني ابن شهاب أن القاسم بن محمد أخبره أن رجلاً ضاف ناساً من
هذيل ، فخرّجت لهم جارية ، واتّبعتها ذلك الرجل ، فأرادها على نفسها
فتعافساً في الرمل ، فرمته بحجر ، فقضت كبده ، فبلغ ذلك عمره ، رحمه
الله ، فقال : ذاك قتيل الله لا يودی^١ أبداً .

يقتلها ويكي عليها

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز
قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف القاضي قال : حدثني أبو عبد الله اليمامي عن العتبي عن
أبيه قال :

كان رجل من العرب تحته ابنة عم له ، وكان لها عاشقاً ، وكانت امرأة
جميلة ، وكان من عشقه لها أنه كان يقعد في دهليزه مع ندمائه ، ثم
يدخل ساعة بعد ساعة ينظر إليها ، ثم يرجع إلى أصحابه عشقاً لها ، فطبن
لها ابن عم لها ، فاكثرى داراً إلى جنبه ، ثم لم يزل يرأسلها حتى أجابته
إلى ما أراد ، فاحتالت ، فترلت إليه ، ودخل الزوج كعادته لينظر إليها ،
فلَم يَرها ، فقال لامرأة : أين فلانة ؟ قالت : تقضي حاجة ، فطلبها في

١ تعافس : تصارعا .

٢ يودی : تدفع ديته أي بدل دمه .

٣ طبن لها : فطن لها .

الموضع ، فلم يجدها ، فإذا هي قد نزلت ، وهو ينظرُ إليها ، فقال لها : ما وراءك ؟ فوالله لتصدقني . قالت : والله لأصدقنك ، من الأمر كيت وكيت ، فأقرت له ، فسلّ السيفَ فضرَبَ عنقَها ، وقتل أمها ، وهرب ، وأنشأ يقول ١ :

يا طلعةً طلَعَ الحِمامُ عليها فجئني لها ثَمَرَ الرّدى بيديها

رويتُ من دمِها الثرى ، ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها

حكمتُ سيفي في مجال خناقِها ، ومدامعي تجري على خدّيها

ما كان قتلِها لأني لم أكنُ أخشى إذا سقطَ الغبارُ عليها

لكن بخلتُ على العيونِ بحُسنِها ، وأنفتُ من نظيرِ العيونِ إليها

قال : وزادني غيرُ أبي عبد الله : وكان لها أختٌ شاعرةٌ فقالت تُجيبهُ :

لو كنتُ تُشفقُ أو ترقّ عليها لرفعتُ حدّ السيفِ عن ودّجِها ٢

ورحمتُ عبرتَها وطولَ حنينِها ، وجزعتُ من سوءِ بصيرُ إليها

مَن كان يفعلُ ما فعلتُ بِمثلِها ، إذ طاوَعْتَكَ ، وخالفتُ أبويها

فتركتُها في خديرِها مقتولةً ، ظلماً ، وتبكي ، يا شقي ، عليها

١ هذه الأبيات لديك الجن .

٢ تشفق : تخاف وتحاذر . ودجها مثني ودج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب .

ظبيات لهن أسرى وقتلى

ولي ابتداء قصيدة :

بينَ بابِ ابرزوا ونهرِ المُعلّى ظبيّاتٌ لهنَّ أسرى وقتلى
فاتِكَاتٌ حَلَلْنَ ، يومَ التَّقِينَا ، من دمي بالإعراضِ ما ليسَ حلاً
هَجَرُوا مع تصاقُبِ الدارِ ، واستلَّ هَوَاهُم من جِسمي الرّوحَ سَلَاً
وَأَبَوْا أَنْ يُسَامِحُوا بِحُبَالٍ رُبَّمَا نَفَسَ الهُمومَ وَسَلَاً
فَعَلَيْهِمْ ، مع الصبي والتصابي من سلامي ، مَا دَقَّ مِنْهُ وَجَلَاً

إهدار دم الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال :
حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي قال : حدثنا
أحمد بن زهير قال : حدثنا داود بن رشيد قال : حدثنا أبو المليح عن الزهري قال :

كان رجلٌ يهوى امرأةً ، فأرادها ، فأغلقتِ البابَ دونه ، فأدخلَ الرجلُ
رأسه من إسكفة الباب^١ ، فأخذتِ المرأةُ حجراً أو خشبةً^٢ ، فضربتْ رأسه
فدَمَعَتْهُ ، فَرُفِعَ ذلكَ إلى عبد الملك بن مروان فقال : به لا بظبي^٣ ،
وأهدرَ دمه .

١ الحبال : الامتلاء ، يقال به حبال من الشرب أي امتلاء . ولعل هذه اللفظة محرفة .

٢ إسكفة الباب : خشبته .

٣ دمغته : أصابت دماغه . به لا بظبي : مثل يقال عند نعي العدر .

عمر وابنة الشيخ الأنصاري

أخبرنا أبو طاهر بن السواق قال : حدثنا محمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا أحمد بن منصور الرمادي قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث قال :

قال عمر بن الخطاب : لا أهدر دم أحد من المسلمين . وإنه أتني يوماً بفتى أمرّد قد وجد قتيلاً ملقى على وجه الطريق . فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر ، ولم يعرف له قاتل . فشق ذلك عليه ، وقال : اللهم أظفرتي بقاتله ، حتى إذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك وجد صبي مولود ملقى بموضع القتل ، فأني به عمر ، رحمة الله عليه ، فقال : ظفرتي بدم المقتول ، إن شاء الله ، فدفع الصبي إلى امرأة وقال لها : قومي بشأنه ، وخذي منا نفقتته ، وانظري من يأخذه منك ، فإذا وجدت امرأة تقبله وتنضمه إلى صدرها ، فأعلميني بمكانها .

فلما شب الصبي ، وطاب ، جاءت جارية فقالت للمرأة : إن سيدي بعثني إليك ، لتبعني بالصبي لترآه وتردّه إليك . قالت : نعم اذهبي به إليها ، وأنا معك ، فذهبت بالصبي ، والمرأة معها ، حتى دخلت على سيدها ، فلما رآه أخذته فقبلته وضمته إليها ، وإذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فأخبرت عمر خبر المرأة ، فاشتمل عمر على سيفه ، ثم أقبل إلى منزلها ، فوجد أباها متكئاً على باب داره فقال : يا أبا فلان ! ما فعلت ابنتك فلانة ؟ قال : يا أمير المؤمنين جزأها الله خيراً ، هي من أعرف الناس بحق الله تعالى ، وحق أبيها ، مع حسن صلاتها وصيامها ، والقيام بدينها . فقال عمر : قد أحسبت أن أدخل عليها فأزیدها رغبة في الخير وأحسها على ذلك . فقال الشيخ : جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين ! فقال له : امكث مكانك حتى أرجع إليك .

فاستأذنَ عمرُ عليها، فلما دخلَ أمرَ عمرُ كلَّ مَنْ كانَ عندها بالخروج، فخرجوا عنها، وبقيت هي وعمرُ في البيتِ ليسَ معَهما أحدٌ، فكشَفَ عمرُ عن السيفِ فقال: لَتَصْدُقَنِي، وكانَ عمرُ لا يكذبُ، فقالت: على رِسْلِكَ يا أميرَ المؤمنين، على الخيرِ وقعت، فواللهِ لأُصدُقَنَّ: إنَّ عجوزاً كانت تدخلُ عليَّ، فاتخذتها أمّاً، وكانت تقوم من أمري بما تقوم به الوالدة، وكنتُ لها بمنزلة البنت، فأُضِيتُ بذلكَ حيناً، ثمَّ إنها قالت: يا بُنَيَّةُ إنَّه قد عَرَضَ لي سَفَرٌ، ولي بنتٌ في موضعٍ أتخوَّفُ عليها فيه أن تضيعَ، وقد أُحببتُ أن أضُمَّها إليك، حتى أرجعَ من سَفَرِي، فعمدَت إلى ابن، كان لها، شابَّ أمرَدَ فَبَهِتَاتُهُ كَهَيَاةِ الجاريةِ، وأتني به، وأنا لا أشكُّ أنَّه جاريةٌ، فكان يري مني ما ترى الجاريةُ من الجاريةِ، حتى اغتفلي يوماً وأنا نائمةٌ، فما شعرتُ حتى علاني وخالطني، فمَدَدَتْ يدي إلى شَفَرَةٍ كانتُ إلى جنبِي فقتلته، ثمَّ أمرتُ بهِ فَأَلْقَيْتُ حَيْثُ رَأَيْتُ، فاشتَمَلْتُ منه على هذا الصبيِّ، فلما وَضَعْتُهُ أَلْقَيْتُهُ في موضعِ أبيه، فهذا واللهِ خبرُهما على ما أعلمتك. فقال لها عمرُ، رحمة الله عليه: صَدَقْتَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ ائِمَّ أَوْصَاها وَوَعَظَها، ودعا لها، وخرجَ من عندها، وقال لأبيها: بَارَكَ اللهُ في ابْنَتِكَ، فَنِعِمَّ الابْنَةُ ابْتُئِكَ، وقد وعظتها وأمرتها. فقال له الشيخ: وَصَلَّتْكَ اللهُ يا أميرَ المؤمنين، وَجَزَاكَ خيراً عن رَعِيَّتِكَ!

سوسنُ العابدة ومراوداها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا ابن فارس قال : حدثنا الزبيبي قال :
حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أحمد بن زهير قال : قال غيلان : حدثنا أبو عوانة عن
إسماعيل بن سالم عن أبي إدريس الأودي قال :

كان رجُلان في بني إسرائيل عابدان وكانت جارية يُقالُ لها سوسن^١ ،
عابدة^٢ ، وكانوا يأتون بُستاناً فيَتَقَرَّبون فيه بقربانٍ لهم ، فهوي العابدان
سوسنَ فكتَم كل واحدٍ منهما عن صاحبه ، واختبأ كل واحدٍ منهما
خلفَ شجرةٍ ينظران إليها ، فبصر كل واحدٍ منهما بصاحبه ، فقال
كل واحدٍ منهما لصاحبه : ما يُقيمُك ههنا ؟ فأفشى كل واحدٍ منهما إلى
صاحبه حبَّ سوسن ، فاتفقا على أن يُراوداها عن نفسها ، فلما جاءت
لتقربَ قالا لها : قد عرفتِ طواعيةَ بني إسرائيل لنا ، فإن لم تُؤاتينا قلنا ،
أصبحنا : إنا أصبنا معك رجلاً ، وإنَّ الرجلَ فاتنا ، وإنا أخذناك ،
مالت لهما : ما كنتُ لأُطيعكما ، فأخذاها ، وأخرجاها ، وقالا : أخذنا
سوسنَ معَ رجلٍ ، وإنَّ الرجلَ سبقنا وذهب ، فأقاموا سوسنَ على
المصطبة ، فكانوا يُقيمون المذنبَ ثلاثةَ أيامٍ ، فتزلُّ نارٌ من السماء ،
فتأخذه ، فأقاموا سوسنَ ، فلما كانَ اليومُ الثالثُ جاء دانيال ، وهو
ابن ثلاثِ عشرةَ سنةً ، فوضَعوا له كُرسيّاً ، فجلسَ عليه ، وقال :
قدَموهما إليَّ ! فجاءا كالمُستهزئين ، فقال : فرقوا بينَ الشاهدين ! فقال
لأحدهما : خلفَ أيّ شجرةٍ رأيتها ؟ فقال : ورأى تَفَاحَةً ، وقال للآخر :
خلفَ أيّ شجرةٍ رأيتها ؟ فاختلفا ، فنزلت نارٌ من السماء ، فأحرقتهُما ،
وأفليت سوسن .

قال أبو بكر : وفي خبرٍ آخرٍ أنَّها وقفت لترجمَ فنزل الوحيُّ على
دانيالَ وهو ابنُ سبعِ سنين .

١ هي سوسنة المذكورة قصتها في نبوة دانيال في التوراة .

يخون الغازي فيقتل

أخبرنا أبو علي زيد بن أبي حيويه القاضي بمدينة تقيس في سنة خمس وخمسين وأربعمائة قال :
حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن نصر قال : حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن أحمد
السرقتي بتقيس قال : حدثنا أحمد بن شيان الموصلي قال : حدثنا مؤمل عن حماد بن سلمة
وحماد بن زيد عن أيوب :

أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ غَازِيًا ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْ جِيرَانِهِ فَأَبْصَرَ فِي بَيْتِهِ ذَاتَ
لَيْلَةٍ مِصْبَاحًا ، فَقَامَ قَرِيبًا مِنْ مَتْرَلِهِ ، فَسَمِعَ :

وَأَشْعَثَ غُرَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْي خَلَوْتُ بِعِرْسِهِ لَيْلَ التَّامِّ ٢

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَيُضْحِي عَلَى جَرْدَاءٍ لَاحِقَةِ الْحِزَامِ ٣

كَأَنَّ مَوَاضِعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا فِثَامٌ يَنْتَمِينَ إِلَى فِثَامِ ٤

قال : فدخل عليه فقتله ، ثم رمى به ، فلما أصبح أخبر عمر
فقام يخطب الناس فقال : أنشد الله رجلاً ، وأعزم على من علم من هذا
الرجل علماً إلا أخبرنا به . فقام الرجل فأخبره بما رأى وبما سمع ، فقال
عمر : اقتل ! قال : فعلت يا أمير المؤمنين .

١ ١٠٦٣ م .

٢ الأشعث : المفبر الشعر . ليل التمام : ليلة البدر .

٣ الترائب ، الواحدة تريبة : أعلى الصدر . الجرداء : الفرس القليلة الشعر . اللاحقة الحزام : الضامة .

٤ الربلات ، الواحدة ربل : أصول الأقفاذ . الفثام : الجماعة من الناس .

ما أذنبت إلا ذنب صحر

أبنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ولقيته بمدينة الرسول ، صل الله عليه وآله وسلم ، في سنة ست وأربعين وأربعمائة ١ قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا المكي عن ابن أبي خالده عن الهيثم عن مجالد عن الشعبي قال :

كان لقمان بن عاد بن عاديا ، الذي عُمِّرَ عمرَ سبعةِ أنسُرٍ ، مُبْتَلًى بالنساء ، وكان يتزوّجُ المرأةَ فتخونهُ ، حتّى تزوّجَ جاريةً صغيرةً لم تعرفِ الرجال ، ثمّ نقرَ لها بيتاً في صَفْحٍ ٢ جبل ، وجعلَ له درجةً بسلاسلٍ يُنزَلُ بها ويصعدُ ، فإذا خرَجَ رُفِعَتِ السلاسلُ ، حتّى عرَضَ لها فتى من العماليقِ فوقعت في نفسه ، فأتى بني أبيه ، فقال : والله لأجنيّن عليكم حرباً لا تقومونَ لها ! قالوا : وما ذاك ؟ قال : امرأة لقمان بن عاد هي أحبُّ إليّ . قالوا : فكيف نحتالُ لها ؟ قال : اجمعوا سيوفكم ثمّ اجعلوني بينها ، وشُدّوها حِزْمةً عظيمةً ، ثمّ اثموا لقمانَ ، فقولوا : إنا أردنا أن نساقرَ ، ونحنُ نستودِعُكَ سيوفنا حتّى نرجعَ ، وسَمّوا له يوماً ! ففعلوا وأقبلوا بالسيوفِ فدفعوها إلى لقمان ، فوضَعَهَا في ناحيةِ بيته .

وخرَجَ لقمانُ وتحركَ الرجلُ فخلَّتِ الجاريةُ عنه ، فكان يأتيها ، فإذا أحسَّتْ بلقمان جعلته بين السيوفِ حتّى انقضتِ الأيامُ ؛ ثمّ جاؤوا إلى لقمان فاسترجعوا سيوفهم ، فرَفَعَ لقمانُ رأسه بعدَ ذلك فإذا نُخامة تنوس^٣ في سقفِ البيتِ ، فقال لامرأته : من نخمَ هذه ؟ قالت : أنا ، قال : فتنخمي ! ففعلتْ ، فلم تَصْنَعْ شيئاً ، فقال : يا ويلتاه ! والسيوفُ دَهَتْنِي ؛ ثمّ رمى

١ ١٠٥٤ م .

٢ صفح : جانب .

٣ النخامة : ما يدفعه الانسان من صدره أو أنفه . تنوس : تتحرك .

بها من ذُرْوَةِ الْجَبَلِ فَتَقَطَّعَتْ قِطْعاً ، وَانْحَدَرَ مُغَضَباً ، فَإِذَا ابْنَةٌ لَهُ يُقَالُ
لَهَا صَحْرٌ فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَتَاهُ ! مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : وَأَنْتِ أَيْضاً مِنَ النِّسَاءِ ،
فَضْرَبَ رَأْسَهَا بِصَخْرَةٍ فَقَتَلَهَا ، فَقَالَتِ الْعَرَبُ : مَا أَذْنَبْتُ إِلَّا ذَنْبَ
صَحْرٍ ، فَصَارَتْ مِثْلًا^١ .

الحسنة المهجورة

٥

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال :
حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان المحولي قال : حدثني عبد الله بن عمرو قال : حدثني علي بن
عبد الله بن سليمان النوفلي قال : ذكر أبو المختار عن محمد بن قيس العبدي قال :

إِنِّي لِبِالْمُزْدَلِفَةِ^٢ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ بُكَاءً مُتَابِعاً وَنَفْساً
عَالِياً ، فَاتَّبَعْتُ الصَّوْتَ ، فَإِذَا أَنَا بِبِجَارِيَةِ كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حَسناً ، وَمَعَهَا
عَجُوزٌ ، فَلَطِشْتُ بِالْأَرْضِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهَا وَأَمْتَعَ عَيْنِي بِحُسْنِهَا ، فَسَمِعْتُهَا
تَقُولُ :

دَعَوْتُكَ يَا مَوْلَايَ سِرّاً وَجَهْرَةً دَعَاءَ ضَعِيفِ الْقَلْبِ عَنْ مُحْمَلِ الْحَبِّ
بُلِيَّتُ بَقْبَاسِي الْقَلْبِ لَا يَعْرِفُ الْهَوَى وَأَقْتَلَ خَلْقَ اللَّهِ لِلْهَائِمِ الصَّبِّ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ تَقْضِ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا فَلَا تُخْلِ مِنْ حُبِّ لَهُ أَبَدًا قَلْبِي
رَضِيتُ بِهِدَا فِي الْحَيَاةِ ، فَإِنْ أُمْتُ فَحَسْبِي ثَوَاباً فِي الْمَعَادِ بِهِ حَسْبِي
وَجَعَلْتُ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، وَتَبْكِي ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَقُلْتُ : بِنَفْسِي
أَنْتِ ، مَعَ هَذَا الْوَجْهِ يَتَمَتَّعُ عَلَيْكَ مِنْ تُرِيدِينَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ ، وَفِي
قَلْبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا فِي قَلْبِي ، فَقُلْتُ : إِلَى كَمْ هَذَا الْبُكَاءُ ؟ قَالَتْ : أَبَدًا أَوْ بِصِيرٍ

١ أي جوزيت ولم تذب .

٢ المزدلفة : من مناسك الحج .

الدَّمْعُ دَمًا وَتَتَلَفُ نَفْسِي غَمًّا . فَقُلْتُ لَهَا : إِنَّ هَذِهِ لَأَخْرُ لَيْلَةً مِنْ لِيَالِي الْحَجِّ ، فَلَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ التَّوْبَةَ مِمَّا أَنْتِ فِيهِ ، رَجَوْتُ أَنْ يُذْهِبَ حَبَّةَ مِنْ قَلْبِكَ . فَقَالَتْ : يَا هَذَا ! عَلَيْكَ بِنَفْسِكَ فِي طَلَبِ رَغْبَتِكَ ، فَإِنِّي قَدْ قَدَّمْتُ رَغْبَتِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ بُغْيَتِي . وَحَوَّلْتُ وَجْهَهَا عَنِّي ، وَأَقْبَلْتُ عَلَى بُكَائِهَا وَشَعْرِهَا ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهَا قَوْلِي وَعِظَتِي .

إنما يرحم الصحيح السقيما

أنشدنا أبو محمد الجوهري قال : أنشدنا ابن حيويه قال : أنشدنا عبيد الله بن أحمد قال :
أنشدني أبي لخالد الكاتب :

عِشْتُ مُسْتَهْتَرًا وَعِشْتُ سَلِيمًا ، حَيْثُ مَا كُنْتُ لَا عَدِمْتُ النَّعِيمَا
عَجَبٌ أَنْ تَسْكُونَا يَا حَسَنَا ۖ وَجْهَ رَوْفًا بِعَاشِقِيكَ رَحِيمَا
بَدَنِي نَاحِلٌ ، وَأَنْتَ صَحِيحٌ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ الصَّحِيحُ السَّقِيمَا
عَلِمَ الْخَلْقُ أَنَّ رُوحِي وَجِسْمِي لَقِيمَا فِي هَوَاكَ أَمْرًا عَظِيمَا

يخفي المغني

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ثابت الحافظ قال : حدثنا أبو نعيم الحافظ الأصبهاني بها قال :
حدثنا سليمان الطبراني قال : حدثنا محمد بن جعفر بن أعين قال : حدثنا علي بن حرب
المؤملي عن عامر بن الكلبي عن حماد الراوية قال : حدثني بعض خدم سليمان بن عبد الرحمن
قال :

خَرَجَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ يَرِيدُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَكَانَ أَغْيَرَ قُرَيْشٍ
وَأَسْرَعَهَا طَيْرَةً ، فَتَزَلَ مَتَزِلًا مِنْ غَوْرِ الْبَلْقَاءِ بِدَيْرٍ لِبَعْضِ الرِّهْبَانِ ،

فَحَفَّ بِالْدِيرِ أَهْلُ الْعَسْكَرِ ، وَكَانَ فِي مَنْ خَرَجَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْبٍ ، يُقَالُ
لَهُ سِنَانٌ ، وَكَانَ فَارِسًا وَمُغْنِيًا مُحْسِنًا ، وَشُجَاعًا ، وَبَغِيرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ عَارِفًا ، وَلَمْ يَكُ يُسْمَعُ لَهُ صَوْتُ فِي عَسْكَرِهِ ، فَزَارَهُ فِي تِلْكَ
الَّيْلَةِ فَتَيَّةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَعَشَّاهُمْ ، وَسَقَاهُمْ ، فَأَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ ، فَقَالُوا :
يَا سِنَانُ ! مَا أَكْرَمْتَنَا بِشَيْءٍ إِنْ لَمْ تُسْمِعْنَا صَوْتَكَ . فَتَرْتَمَ فَعَنَّاهُمْ ، فَقَالَ :
مَحْجُوبَةٌ سَمِعَتْ صَوْتِي فَأَرْقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا بَلَغَهَا السَّحَرُ
تَشَنَّى عَلَى فَخْذِهَا مُشْنَى مُعْصَفَرَةٌ وَالْحَلْيُ مِنْهَا عَلَى لَبَاتِهَا حَصِيرٌ^١
لَمْ يَحْجُبِ الصَّوْتَ أَحْرَاسٌ وَلَا غَلَقٌ فَدَمَعُهَا لَطْرُوقُ الصَّوْتِ مُنْهَدِرٌ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجَنُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرِ^٢
لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لِلْمَشْيِ تَنْفَطِرُ^٣
فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانُ الصَّوْتَ قَامَ فَرِعًا يَتَفَهَّمُ مَا سَمِعَ ، وَكَانَ مَعَهُ
جَارِيَتُهُ عَوَّانٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَظِيرٌ فِي زَمَانِهَا فِي الْجَمَالِ وَالتَّمَامِ وَالْحَذَقِ بِالْغَنَاءِ ،
وَكَانَ يَحِبُّهَا ، فَلَمَّا فَهَمَ الصَّوْتَ ارْتَعَدَتْ فَرَأَتْهُ غَيْرَةً ، ثُمَّ أَقْبَلَ نَحْوَ
عَوَّانٍ ، وَهِيَ خَلْفَ سِتْرٍ ، فَكَشَفَ السِّتْرَ رُؤَيْدًا لِيَنْظُرَ أَنَاثَةً هِيَ أَمُ
مُسْتَيْقِظَةٌ ، فَوَجَدَهَا مُسْتَيْقِظَةً ، وَهِيَ صِفَةُ الْأَيَّاتِ : عَلَيْهَا مُعْصَفَرَةٌ ،
وَحَلْيُهَا عَلَى لَبَاتِهَا ، فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِهِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّهَا قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا مُسْتَيْقِظَةٌ
قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَاتِلَ اللَّهِ الشَّاعِرَ حَيْثُ يَقُولُ :

أَلَا رَبُّ صَوْتٍ جَاءَنِي مِنْ مُشْوَةٍ قَبِيحِ الْمُحْيَا وَاضِعِ الْأَبِ وَالْجَدِّ
قَصِيرِ نِجَادِ السِّيفِ جَعْدٍ بَنَانُهُ إِلَى أُمَةٍ يُعْزَى مَعًا وَإِلَى عَبْدِ

١ الحصر : الضيق .

٢ النصف : أي نصف الشهر ، ليلة الإبدار .

٣ تنفطر : تنشق .

فسكنَ من غضبه قليلاً ، ثمَّ قالَ لها : فقد رَاعَكَ صَوْتُهُ على ذلك ؟
 فقالت : يا أميرَ المؤمنينَ صَادَفَ مِنِّي استيقاظاً ، فقال : وَيَحْكُ يا عَوَّان !
 كأنه ، وَالله ، يَرَاكَ وَيَسْمَعُكَ في غنائه في هذه الآيلة ، وَالله لَا تُقَطِّعَنَّ أَطْبَاقاً
 كائناً ما كان . ثمَّ بعثَ في طلبه فبعثت عَوَّانُ خادِماً إليه سرّاً ، وقالت له :
 إن أدركتهُ فحذِّرتهُ ، فأنتَ حرٌّ ، ولكَ ديتُهُ . فخرجَ سليمانُ حتى وَقَفَ
 على بابِ الدَّيرِ ، فسَبَقَتْ رُسُلُ سليمانَ ، فأتوا به إلى سليمانَ مَرْبُوطاً حتى
 وَقَفُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا سنانُ الكلبيُّ فَارِسُكَ يا أميرَ
 المؤمنينَ . فأنشأ سليمانُ يقول :

تَشَكَّلُ في الشَّكْلِ سِنَاناً أُمُّهُ كَانَتْ لَهَا رِيحَانَةً تَشُمُّهُ
 وَخَالَهُ بِشَكْلِهِ وَعَمُّهُ ذُو سَفَةٍ هَنَاتُهُ تَعُمُّهُ^١
 فقال سِنَانُ : يا أميرَ المؤمنينَ :

إِسْتَبَقْنِي إلى الصَّبَاحِ أَعْتَدِرُ إنَّ لِسَانِي بِالشَّرَابِ مُنْكَسِرُ
 فَارِسُكَ الْكَلْبِيُّ في يَوْمٍ نَكِيرُ فإنَّ يَكُنْ أَذْنَبَ ذَنْباً أَوْ عَشَرَ
 فَالسَّيِّدُ الْعَافِي أَحَقُّ مَنْ غَفَرَ

فقال سليمانُ : أعليَّ تَجَرَّيْ يا سِنَان ! أما إني لَا أَقْتُلُكَ ، وَلَكِنِّي سَأُنْكَلُّ^٢
 بِكَ نَكَالاً يُوْتِبُكَ مِنْ تَفْحَلِكِ . فَأَمَرَ بِهِ فَخُصِيَ ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الدَّيْرُ
 دَيْرَ الْحِصْيَانِ .

١ السفه : الجهل . أراد بهناته سيئاته .

٢ نكل به : صنع به صنيعاً يحذر به غيره ويجعله عبرة له .

تقتل حفاظاً على عرضها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيني قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني اسحق بن محمد قال : حدثنا محمد بن زياد الاعرابي قال :

نَزَلَ رَجُلٌ^١ مِنَ الْعَرَبِ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَاهِلَةٍ ، وَلَيْسَ عِنْدَهَا زَوْجُهَا ،
فَأَكْرَمَتْهُ وَفَرَشَتْهُ ، فَلَمَّا لَمْ يَرَ عِنْدَهَا أَحَدًا سَأَمَهَا نَفْسَهَا ، فَلَمَّا خَشِيَئَتْهُ
قَالَتْ لَهُ : امْكُثْ ، أَسْتَصْلِحُ لَكَ ، ثُمَّ رَاحَتْ فَأَخَذَتْ مِدْيَةً^٢ ،
فَأَخْفَتْهَا ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا ثَارَ إِلَيْهَا فَضْرَبَتْ بِهَا فِي نَحْرِهِ ، فَلَمَّا
رَأَتْ الدَّمَ سَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، وَسَقَطَ هُوَ مَيِّتًا ، فَأَتَاهَا آتٍ مِنْ أَهْلِهَا ،
فَوَجَدَهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَأَجْلَسَهَا حَتَّى أَفَاقَتْ ؛ فَقَالَ أَعْشَى بِبَاهِلَةٍ فِي ذَلِكَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَفَّتْ مَعَاذَةً^٣ ضَيْفَهَا وَسَوَتْ عَلَيْهِ مَهْدَةً^٤ ثُمَّ بَرَّتْ^٥
فَلَمَّا بَغَاهَا نَفْسَهَا غَضِبَتْ لَهَا عُرُوقٌ^٦ نَمَتْ وَسَطَ الثَّرَى فَاسْتَقَرَّتْ^٧
وَشَدَّتْ عَلَى ذِي مَدْيَةِ الْكَفِّ مِعْصَمًا^٨ وَضَيْفًا وَعَرَّتْ نَفْسَهَا فَاسْتَمَرَّتْ^٩
فَأَمَتْ^{١٠} بِهَا فِي نَحْرِهِ وَهُوَ يَبْتَغِي الْـ نِكَاحَ فَمَرَّتْ فِي حَشَاهُ وَجَرَّتْ^{١١}
فَشَجَّ كَأَنَّ النِّيلَ فِي جَوْفِ صَدْرِهِ ، وَأَدْرَكَهَا ضَعْفُ النِّسَاءِ فَخَرَّتْ^{١٢}

١ حفت ضيفها : أحاطته بالأكرام . معاذة : اسم المرأة . برت : أطاعت ، أحسنت المعاملة .
٢ بغاها نفسها : أراد راودها عن نفسها . العروق : أراد بها الأصل الكريم والشرف . استقرت :
ثبتت .

٣ ذي مدية الكف : أي السكين الذي يمسك باليد . استمرت : ثبتت على حالة واحدة .
٤ أمت : قصدت . جرت : جذبت ، يريد أنها طعنته في نحره ، وأخرجت السكين منه .
٥ شج : أراد تدفق الدم . خرت : أي سقطت مغشياً عليها .

هل يأتيكم نفسي؟

وأُشَدُّ لخالِد الكاتب :

إني إذا لم أُجِدْ شَخْصاً لأُرْسِلَهُ وَضَاقَ بي منتهى أمري ومُلْتَمَسِي
لِمُرْسِلٍ زَفَرَةٍ من بعدِها نفسٌ، يا لَيْتَ شِعْرِي هل يَأْتِيكُمْ نَفْسِي؟

المرأة الفاجرة والحية

أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن سهل بن بشران في كتابه إلينا من واسط العراق قال :
أخبرنا محمد بن عبد الرحيم بن دينار قال : أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال : أخبرنا الحسين
ابن أحمد عن حماد عن أبيه عن المدايني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال :

حَجَجْتُ فَإِنِّي لَفِي رَفْقَةٍ مَعَ قَوْمٍ إِذْ نَزَلْتُ مَتَرِيلاً وَمَعَنَا امْرَأَةٌ ، فَنَامَتْ ،
وَانْتَبَهَتْ ، وَحَيَّةٌ مَنْطُويَةٌ عَلَيْهَا قَدْ جَمَعَتْ رَأْسَهَا وَذَنْبَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهَا ،
فَهَلَّلْنَا ذَلِكَ وَارْتَحَلْنَا ، فَلَمْ تَزَلْ مَنْطُويَةٌ عَلَيْهَا لَا تَضُرُّهَا ، حَتَّى دَخَلْنَا أَنْصَابَ
الْحَرَمِ فَانْسَابَتْ ، فَدَخَلْنَا مَكَّةَ فَقَضَيْنَا نُسُكَنَا . فَرَأَاهَا الْغَرِيضُ^١ فَقَالَ : أَيُّ
شَقِيَّةٍ مَا فَعَلْتَ حَيَّتُكَ ؟ قَالَتْ : فِي النَّارِ ! فَقَالَ : سَتَعْلَمِينَ مَنْ فِي النَّارِ ،
وَلَمْ أَفْهَمَ مَا أَرَادَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَارَحَهَا ، وَاشْتَقْتُ إِلَى غِنَائِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ مَا يَوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَاتَّيْتُ بَعْضَ أَهْلِهِ ، فَسَأَلْتُهُ ذَلِكَ فَقَالَ : نَعَمْ ،
فَوَجَّهَ إِلَيْهِ أَنْ أَخْرَجَ بَنَا إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ قَالَ لِي : ارْكَبْ بَنَا ، فَرَكَبْنَا
حَتَّى سِيرْنَا قَدْرَ مِيلٍ ، فَإِذَا الْغَرِيضُ هُنَاكَ ، فَتَزَلْنَا ، فَإِذَا طَعَامٌ مُعَدٌّ ،
وَمَوْضِعٌ حَسَنٌ ، فَأَكَلْنَا وَشَرِبْنَا ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ هَاتِ بَعْضَ طَرَائِفِكَ !
فَانْدَفَعَ يُغَنِّي ، وَيُوَقِّعُ بِقَضِيبٍ :

مَرَضْتُ فَلَمْ تَحْفِلْ عَلَيَّ جُنُوبُ ، وَأَدْنَقْتُ ، وَالْمَشْيُ إِلَيَّ قَرِيبُ

١ الغريض : مفن مشهور .

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ وَقَوْلُنَا إِذَا مَا صَبَوْنَا صَبَوَةً سَنَتُوبُ
فَلَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً ظَنَنْتُ أَنَّ الْجِبَالَ الَّتِي حَوْلَنَا تَنْطِقُ مَعَهُ شَجَا صَوْتٍ
وَطِيبَ غِنَاءٍ ، وَقَالَ لِي : أَتُحِبُّ أَنْ تَزِيدَكَ ؟ فَقُلْتُ : إِي وَاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ :
هَذَا ضَيْفُكَ وَضَيْفُنَا ، وَقَدْ رَغِبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْنَا ، فَأَسْعِفْهُ بِمَا يُرِيدُ .
فَانْدَفَعَ يُغْنِي بِشَعْرِ مَجْنُونٍ بَنِي عَامِر :

عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْغَدَاةَ ، فَلَمَّا نَهَا إِذَا وَلِيَتْ حُكْماً عَلَيَّ تَجُورُ
أَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمَا سِوَى لَيْلَةٍ ؟ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
فَمَا عَقَلْتُ بِمَا غَنَى مِنْ حُسْنِهِ ، إِلَّا بِقَوْلِ صَاحِبِي : نَجُورُ عَلَيْكَ
يَا أَبَا يَزِيدَ ، عَرَّضَ بَأْتِي لِمَا وَلِيْتُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ ، جُرْتُ فِي سُؤَالِي إِيَّاهُ أَكْثَرَ مِنْ
صَوْتٍ . فَقُلْتُ لَهُ ، بَعْدَ سَاعَةٍ ، سَرّاً : جُعَلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أُرِيدُ الْمَضِيَّ فِي
أَصْحَابِي ، تُرِيدُ الرِّحْلَةَ ، وَقَدْ أَبْطَأْتُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْأَلَهُ ،
حَاطَهُ اللَّهُ مِنَ السَّوِّ وَالْمَكْرُوهِ ، أَنْ يَزِيدَ لِي لِحْناً وَاحِداً ، فَقَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ !
أَتَعْلَمُ مَا هُوَ أَشْهَى إِلَى ضَيْفِنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَرَادَكَ عَلَى أَنْ تُكَلِّمَنِي فِي
أَنْ أُغْنِيَهُ . قُلْتُ : فَهُوَ وَاللَّهِ ذَاكَ ، فَانْدَفَعَ يُغْنِي :

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي ، وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا ، لَمْ يَلْبِثِ الْحُبُّ يَذْهَبُ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخَذْنَا الْعَفْوَ مِنْكَ ، وَاسْتَدَمْنَا مَوَدَّتَكَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا
فَقَالَ : أَلَا أَحَدْتُكُمْ بِحَدِيثِ حَسَنِ ؟ قُلْنَا : بَلَى ! فَقَالَ : قَالَ شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ
الْعِلْمِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ وَصَاحِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَخَلِيفَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ
عَلَى الْبَصْرَةِ ، أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤْلِيُّ لَا بَنْتِيهِ لَيْلَةُ الْبِنَاءِ : أَيُّ بُنْيَةٍ ! النِّسَاءُ كُنَّ
بَوَصِيَّتِكَ وَتَأْدِيكِ أَحَقَّ مِنِّي ، وَلَكِنْ لَا بَدْءَ مِمَّا لَا بَدْءَ مِنْهُ . يَا بُنْيَّةُ : إِنْ
أَطِيبَ الطَّيِّبُ الْمَاءُ ، وَأَحْسَنَ الْحُسْنُ الدُّهْنُ ، وَأَحْلَى الْحَلَاوَةُ الْكُحْلُ .
يَا بُنْيَّةُ لَا تُكْثِرِي مَبَاشِرَةَ زَوْجِكَ فَيَمْلِكُ ، وَلَا تَتَّبَاعِدِي عَنْهُ

فیتجفؤک ، وبعثلّ علیک . وکونی کما قلت لأمتک :
 خذی العفو منی تستدیمی مودّتی ولا تنطیقي في سورّتی حين أغضبُ
 فإني رأيتُ الحبّ في الصدر والأذى إذا اجتمعاً لم يلبث الحبُّ يذهبُ
 فقلت له : فديتُك ما أدري غناؤك أحسنُ أم حديثُك ، والسلامُ عليك ،
 ونهضتُ وركبتُ ، وتخلّف الغريضُ وصاحبُهُ في موضعيهما ، وأتيتُ أصحابي
 وقد أبطأتُ ، فرحلتنا منصرفين ، حتى إذا كنّا في المكان الذي رأيتُ فيه الحيّة
 منطويةً على صدرِ المرأة ، ونحن ذاهبون ، رأيتُ الحيّةَ والمرأةَ وهي منطويةٌ
 عليهما فلم ألبث أن صفّرتِ الحيّةُ فإذا الوادي يسيلُ علينا حياتٌ ،
 فنهشناها حتى بقيت عظاماً ، فطال تعجبنا من ذلك ، ورأينا ما لم نر مثله قطّ ،
 فقلتُ لجاريتي كانت معنّا : ويحك أخبرينا عن هذه المرأة ! قالت : علقتُ
 ثلاث مرّات ، وكلّ مرّةً تلبدُ ولداً ، فإذا وضعتُ سجرتِ التنور ، ثم
 ألقتهُ فيه ، فذكرتُ قول الغريض ، حين سألتها عن الحيّة فقالت في النار :
 ستعلمين من في النار .

أبو نواس والغلام عند الحجر الأسود

وجدت بخط محمد بن نصر بن أحمد بن مالك يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن الفضل بن قديد
 ابن أفلح البزاز قال : حدثنا أبو الحسن بكر بن أحمد بن الفرج بن عبد الرحيم بكازرون
 قال : حدثنا عباد قال :

قال الأصمعي : كنتُ مع أبي نواسٍ بمكّة ، فإذا أنا بغلامٍ أمرّدٍ
 يستلیمُ الحجرَ ، فقال لي أبو نواس : والله لا أبرحُ حتى أقبلّته عند الحجرِ .
 فقلتُ : ويلّك ! اتق الله ، عزّ وجلّ ، فإنّك في بلدٍ الله الحرامِ ،

١ سجرت التنور : ملأته وقوداً وأحسته .

وعندَ بيته . فقال : ما مِنهُ بدٌ . ثمّ دنا من الحَجَرِ، وجاءَ الغلامُ يستلِمه،
فبادَرَ أبو نُواسٍ ، فوَضَعَ خَدَه على خَدِ الغُلامِ ، وقَبَّلَه ، والله ، وأنا أرى
فقلتُ : ويلكَ لَقد ارتكَبْتَ أَمراً عَظيماً في حَرَمِ الله تعالى . فقال : دع ذا
عنكَ فإنَّ ربي رحيمٌ ، ثمّ أنشأ يقول :

وعاشِقَتَانِ التَّفَّ خَدَاهُمَا عندَ استِلامِ الحَجَرِ الأسودِ
فاشتَقِيَا مِنِّ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَا كأنَّما كانَا على مَوْعِدِ

الزاعِ الشاعرُ العاشقُ

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا
الحريري قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال :، حدثني أبو علي محرز بن أحمد الكاتب
قال : حدثني محمد بن مسلم السعدي قال :

وَجَّهَ لِي يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ يَوْماً ، فَصِرْتُ إِلَيْهِ ، وَإِذَا عَنِ يَمِينِهِ قِمَطَرَةٌ^١
مَجْلَدَةٌ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : افْتَحْ هَذِهِ الْقِمَطَرَةَ ، فَفَتَحْتُهَا ، فَإِذَا شَيْءٌ قَدْ
خَرَجَ مِنْهَا ، رَأْسُهُ رَأْسُ إِنْسَانٍ ، وَهُوَ مِنْ سُرَّتِهِ إِلَى أَسْفَلِهِ خَلْقَةُ زَاغٍ^٢ ،
وَفِي صَدْرِهِ وَظَهْرِهِ سَلْعَتَانِ^٣ ، فَكَبَّرْتُ وَهَلَلْتُ ، وَفَزَعْتُ ، وَيَحْيَى
يَضْحَكُ ، فَقَالَ لِي بَلِيسَانٍ فَصِيحٍ طُلُقِ ذَلِكُ :

أنا الزَّاعُ أَبُو عَجْوَه أنا ابنُ اللَّيْثِ وَاللَّبْوَه
أَحِبَّ الرَّاحَ وَالرَّيْحَانِ والنَّشْوَةَ وَالْقَهْوَه
فلا عَدُوَّ يَدِي يُخْشِي ولا يُحْذِرُ لِي سَطْوَه^٤

١ القمطرة : ما تصان فيها الكتب .

٢ الزاغ : غراب صغير ريش ظهره وبطنه أبيض .

٣ سلعتان : شجتان ، أو غدتان .

٤ العدو : الظلم والاعتداء .

ولي أشياء تُستَظَرُّ رَفُّ يَوْمِ الْعَرَسِ والدَّعْوَةُ
فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لا تَسْرُهَا الْفَرَوَةُ
وَأَمَّا السِّلْعَةُ الْآخَرَى فَلَوْ كَانَتْ طَا عُرْوَهُ
لَمَا شَاكَ جَمِيعُ النَّاسِ فِيهَا أَنْتَهَا رَكْوَهُ

ثم قال : يا كهل أنشدني شعراً غزلاً ! فقال لي يحيى : قد أنشدك
الزَّاعُ ، فأنشده ، فأنشده :

أغرّك أن أذنبت ثم تتابعته ذنوبٌ ، فلم أهجرُك ، ثم ذنوبٌ
وأكثر حتى قلت ليس بصارمي وقد يصرم الإنسان وهو حبيبٌ
فصاح : زاع زاع زاع ، وطار ، ثم سقط في القِمَطرَةِ . فقلت ليحيى :
أعزّ الله القاضي ، وعاشقٌ أيضاً ! فضحك . قلت : أيها القاضي ! ما هذا ؟
قال : هو ما تراه ، وجهه به صاحبُ اليمينِ إلى أمير المؤمنين ، وما رآه بعد ،
وكتبَ كتاباً لم أفضضهُ ، وأظن أنه ذكر في الكتاب شأنه وحاله .

الزاع في رواية أخرى

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن
محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا جحظة قال : أخبرني بعض بني الرضا قال :

قال علي بن محمد : دخلتُ على أحمد بن أبي دؤاد ، وعن يمينه قِمَطرٌ
مجلّدٌ ، فقال لي : اكشف وانظر العجب ! فكشفتُ ، فخرج عليّ رجلٌ
طوله شبرٌ ، من وسطه إلى أعلاه رجلٌ ، ومن وسطه إلى أسفل صورة
الزاعِ ذنباً ورجلاً ، فقال لي : من أنت ؟ فانتسبتُ له ، فسألته عن اسمه فقال :
أنا الزَّاعُ أبو عَجْوَه حليفُ الحمرِ والقَهْوَه

ولي أشياء تُسْتَطَ رَفُ يَوْمَ الْعِرْسِ والدَّعْوَه
فَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الظَّهْرِ لَا تَسْتُرُهَا الْفَرَوَه
وَمِنْهَا سِلْعَةٌ فِي الصَّدْرِ لَوْ كَانَ لَهَا عُرْوَه
لَمَا شَكَّ جَمِيعُ النَّاسِ حَقَّ أَنَّهَا رَكْوَه

ثمَّ قال : أَنشِدْنِي شَيْئاً فِي الْغَزَلِ ، فَأَنشَدْتُهُ :

وَلَيْلٍ فِي جَوَانِبِهِ فُضُولٌ مِّنَ الْإِظْلَامِ أَطْلَسَ غِيَهَبَانِي^١
كَأَنَّ نَجْمَتَهُ دَمْعٌ حَبِيسٌ تَرَقَّرَقَ بَيْنَ أَجْفَانِ الْغَوَانِي

فصاح : وأبي ، وأُمِّي ! وَرَجَعَ إِلَى الْقِمَاطِرِ ، وَاسْتَرَ نَفْسَهُ . فقال ابن
أبي دُوَاد : وعاشقٌ أيضاً !

الببل الناطق

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه بتنينس سنة خمس وخمسين وأربعمائة ٢ بقراءتي عليه
قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي بن زريق الجلباني قال : حدثنا أبو الفرج
محمد بن سعيد بن عمران قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عليل بن محمد المطيري الحافظ قال :
حدثنا سليمان بن عبد الملك قال : حدثنا مروان بن دُوَالَة قال :

حدثنا الحارث بن عطية عن موسى بن عبيدة عن عطاء في قوله : ولقد
همتُّ به وهمٌّ بها . قال : كان لها بُلبُلٌ في قَفَصٍ ، إذا نظَرَ إِلَيْهَا صَفَرَ
لَهَا ، فلمَّا رآها قد دَعَتْ يَوْسُفَ ، عليه السَّلَامُ ، إلى نفسها ، ناداه بالعبرانية : يا
يوسف لا تزنِ ، فإنَّ الطيرَ فينَا إذا زنى تنأثرَ ريشُهُ .

١ أطلس : أغبر إلى السواد . الغيهباني : المظلم .

٢ سنة ١٠٦٣ م .

عزة وكثير

أَبَانَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَبِيْرِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي يُزَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمْعِيُّ قَالَ :

أَرَادَتْ عَزَّةٌ أَنْ تَعْرِفَ مَا لَهَا عِنْدَ كُثَيْبٍ فَتَنَكَّرَتْ لَهُ ، وَقَامَتْ بِهِ مُتَعَرِّضَةً ، فَقَامَ فَاتَّبَعَهَا ، فَكَلَّمَهَا ، فَقَالَتْ لَهُ : فَأَيْنَ حُبُّكَ عَزَّةَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الْفِدَاءُ لَكَ ، لَوْ أَنَّ عَزَّةَ أَمَةٌ لِي لَوَهَبْتُهَا لَكَ . قَالَتْ : وَيَحْكُ ! لَا تَفْعَلْ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ فِي صِدْقِ الْمَوَدَّةِ ، وَمَحْضِ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى عَلَى حَسَبِ الَّذِي كُنْتَ تُبْدِي لَهَا مِنْ ذَلِكَ وَأَكْثَرُ ، وَبَعْدُ ، فَأَيْنَ قَوْلُكَ :

إِذَا وَصَلْتَنَا خِلَّةً كِي نُزِيلَهَا أَبِينَا ، وَقُلْنَا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ فَقَالَ كُثَيْبٌ : يَا أَبِي أَنْتِ وَأُمِّي ! أَقْصِرِي عَنْ ذِكْرِهَا ، وَاسْمِعِي مَا أَقُولُ ، ثُمَّ قَالَ :

مَا وَصَلُ عَزَّةَ إِلَّا وَصَلُ غَانِيَةٍ فِي وَصَلٍ غَانِيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا خَلَفُ ثُمَّ قَالَ : هَلْ لَكَ فِي الْمُخَالَاتَةِ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : كَيْفَ بَمَا قُلْتَ فِي عَزَّةَ وَسَيَّرْتَهُ لَهَا ؟ فَقَالَ : أَقْلِبُهُ فَيَتَحَوَّلُ إِلَيْكَ ، وَيَصِيرُ لَكَ . قَالَ : فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا ، عِنْدَ ذَلِكَ ، وَقَالَتْ : أَغْدَرًا وَانْتِكَائًا يَا فَاسِقَ ؟ وَإِنَّكَ لَهَا هُنَا ، يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! فَبُهِتَ وَأَبْلَسَ^٢ وَلَمْ يَنْطِقْ ، وَتَحَيَّرَ وَخَسَجِلَ ، ثُمَّ لَمَّا عَرَفَتْهُ أَمْرَهَا وَنَكَشَهُ وَغَدَرَهُ بِهَا ، وَأَعْلَمَتْهُ سُوءَ فِعَالِهِ ، وَقَلَّةَ حِفَازِهِ ، وَنَقْضَهُ لِلْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ ، ثُمَّ قَالَتْ : قَاتَلَ اللَّهُ جَمِيلًا حَيْثُ يَقُولُ :

لَحَى اللَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُ الْوَدَّ عِنْدَهُ ، وَمَنْ حَبَلُهُ إِنْ مَدَّ غَيْرُ مَتْنٍ

١ المخالة : المصادقة .

٢ أبلس : تحير .

وَمَنْ هُوَ ذُو وَجْهَيْنِ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَى الْعَهْدِ حَلَّافٌ بِكُلِّ يَمِينٍ
قال : فَأَنْشَأَ كَثِيرٌ يَقُولُ بِانْخِزَالٍ وَحَصَرٍ وَانْكِسَارٍ ، يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا ،
وَيَتَنَصَّلُ مِمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَيَحْتَالُ فِي دَفْعِ زَلَّتِهِ ، مُتَمَثِّلًا بِقَوْلِ جَمِيلٍ ،
وَيُقَالُ : بَلْ سَرَقَهُ مِنْ جَمِيلٍ وَانْتَحَلَهُ لِنَفْسِهِ فَقَالَ :

أَلَا لَيْتَنِي قَبْلَ الَّذِي قُلْتُ شَيْبًا لِي مِنْ الْمُدْعِفِ الْقَاضِي سِمَامُ الدَّرَارِحِ^١
فَمُتَّ وَلَمْ تَعْلَمْ عَلَيَّ خِيَانَةً ، أَلَا رُبَّ بَاغِي الرُّبْحِ لَيْسَ بِرَابِحٍ
فَلَا تَحْمِلِيهَا وَاجْعَلِيهَا خِيَانَةً ، تَرَوَّحْتُ مِنْهَا فِي مِيَاحَةٍ مَائِعٍ^٢
أَبْوًى بِذَنْبِي أَنْتِي قَدْ ظَلَمْتُمَهَا ، وَإِنِّي بِبَاقِي سِرِّهَا غَيْرُ بَائِسٍ^٣

يرى الدم حلالاً

ولي ، وهما يبتان لا غير :

إِنَّ فِي الْجَحِيرَةِ الدِّينَ اسْتَقْلَوْا^٤ مِنْ زَرُودٍ ، وَبَطْنَ وَجَرَةٍ حَلَّوْا^٥
لَغَزَالًا يَرَى دِمَاءَ مُحِبِّهِ حَلَالًا لَهُ ، وَمَا الدَّمُ حِيلٌ

١ شيب : مزج وخطط . المدحف : القاتل بسرعة . القاضي ، من قضى عليه : قتله . سم : جمع

سم . الدرارح : ضرب من السموم .

٢ مياحة : شفاعة . مائع : شافع .

٣ ابوء : أرجع .

٤ استقلوا : رحلوا . زرود وبطن وجرة : موضعان .

هني لا أبوح

أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي قال :
أخبرنا أبو بكر بن شاذان قال : أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال :
أنشدني بعض أصحابنا :

جَعَلْتُ مَحَلَّةَ الْبَلَوَى فُؤَادِي ، وَسَلَّطْتُ السُّهَادَ عَلَى رُقَادِي
وَنِمْتُ مُودِّعًا وَسَهَرْتُ لَيْلًا ، أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سُهَادِي؟^١
فَهَبْنِي لَا أَبُوحُ بِمَا أَلَانِي ، أَلَيْسَ الشَّوْقُ مِنْ كَبِيدِي يُنَادِي؟

ما كان قلبي حاضراً

أنشدنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أنشدني قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر بن ماكولا لأبي
بكر الخوارزمي الطبري من طَبَرِيَّةَ الشَّامِ مِنْ تَشْيِيبِ قَصِيدَةٍ فِي الصَّاحِبِ أَبِي
القاسم بن عباد :

يَفُلُّ غَدَاً جَيْشُ النَّوَى عَسْكَرَ اللَّغَا فَرَأَيْكَ فِي سَحِّ الدَّمُوعِ مُوَفَّقَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْإِلْفَ يَعْزِمُ لِلنَّوَى عَزَمْتُ عَلَى الْأَجْفَانِ أَنْ تَتَرَقَّرَقَا
وَنَحْدُ حَجَّتِي فِي تَرْكِ جِيسِمِي سَالِمًا وَقَلْبِي ، وَمِنْ حَقِّيهِمَا أَنْ يُخَرَّقَا
يَدِي ضَعُفْتُ عَنْ أَنْ تُخَرَّقَ جَيْبِيهَا ، وَمَا كَانَ قَلْبِي حَاضِرًا فَيُزَمَّرَقَا

١ المودع : أراد في خفض عيش ، مطبئاً .

لم يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي السوري الحافظ، رحمه الله، سنة أربع وأربعمئة ١ بقراءتي عليه، قلت له: قرأت على أبي علي الحسن بن حفص بن الحسن البهراني ببيت المقدس قلت: أخبركم أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي قال: حدثنا عبد الله بن موسى قال: سمعت الحسن الصوفي الأذربيجاني يقول:

حَضِرْنَا بِيَسْغَدَادَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفُقَرَاءِ مَجْلِسَ سَمَاعٍ، فَتَوَاجَدَ^٢ بَعْضُ الْمَشَايِخِ، قَالَ: فَقُحْنَا إِلَيْهِ وَقُلْنَا: كَيْفَ تَجِدُكَ، أَيْدِكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ، وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ
ذَابَ فَمَا فِي الْجِسْمِ مِنْ مَفْصِلٍ، إِلَّا وَفِيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
عَدُوٌّ يُبْكِي لَهُ رَحْمَةً، وَحَسْبُكُمْ، مِنْ رَاحِمٍ، شَامِتٌ
فَعَيْنُهُ تَبْكِي، وَأَحْشَاؤُهُ تَضْحَكُ، إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ

ثَغْرٌ يَقْرَعُ ثَغْرًا

أخبرني أبو عبد الله السوري قال: قرأت على أبي القاسم علي بن عمر بن جعفر الشيخ الصالح، رحمه الله، بالرملة قلت له:

أَنْشَدَكُمْ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى الْفَقِيهَ لِبَعْضِهِمْ:
إِذَا نَحْنُ خِفْنَا الْكَاشِحِينَ، فَلَمْ نُنْطِقْ^٣ كَلَامًا، تَكَلَّمْنَا بِأَعْيُنِنَا شَرًّا^٤

١ سنة ١٠١٣ م .

٢ تواجد: أرى من نفسه المحبة والحزن .

٣ الكاشحين، الواحد كاشح: العدو الباطن العداوة. الشر: النظر بجانب العين مع إعراض . وغضب .

نَصُدُّ، إِذَا مَا كَاشِحٌ مَالَ طَرْفَهُ ۖ إِلَيْنَا، وَنُبْدِي ظَاهِرًا بَيْنَنَا هَجْرًا
فَإِنْ غَفَلُوا عَنَّا رَأَيْتَ خُدُودَنَا تَصَافِحُ، أَوْ تُغْرَأُ قَرَعَنَا بِهِ تُغْرَأُ
وَلَوْ قَدَفَتْ أَجْسَادُنَا مَا تَضَمَّنَتْ ۖ مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلَوَى إِذَا قَذَفَتْ جَمْرًا

ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر

أَخْبَرَنَا أَبُو طَاهِرٍ بْنُ السَّوَّاقِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ قَالَ : حَدَّثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الزُّبَيْبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفٍ قَالَ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ
عَلِيلٍ الْعَمَزِيُّ ، ثُمَّ لَقِيْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَحَدَّثَنِي بِهِ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو شَرَاةَ الْقَيْسِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا
شَيْبَانُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ :

قَالَ حَمَّادُ الرَّائِيَّةِ : أَتَيْتُ مَسَكَّةً فَجَلَسْتُ فِي حَلَقَةٍ فِيهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي
رَدَّاعَةَ ، فَتَذَاكَرُوا الْعُدْرَتَيْنِ وَعَشَقَهُنَّ وَصَبَّابَتَهُنَّ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَحْبَبْتُكُمْ
مِنْ بَعْضِ ذَلِكَ : إِنَّهُ كَانَ لِي خَلِيلٌ مِنْ عُدْرَةٍ ، وَكَانَ مُسْتَهْرَأً بِخَدِيثِ النِّسَاءِ ،
يُسَبِّبُ بِهِنَّ ، وَيُنْشِدُ فِيهِنَّ عَلَى أَنَّهُ لَا عَاهِرُ الْحَلَاةِ وَلَا سَرِيعُ السَّلَاةِ ،
وَكَانَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ كُلَّ سَنَةٍ ، فَلِذَا أَبْطَأَ تُرْجِمَتْ لَهُ الْأَخْبَارُ ، وَتَوَكَّفْتُ^٢
لَهُ السُّفَارُ ، حَتَّى يَقْدَمَ ، وَإِنَّهُ رَأَتْ عَنِّي ذَاتَ سَنَةٍ خَبْرَهُ ، وَقَدِيمَ وَفْدُ
عُدْرَةٍ ، فَأَتَيْتُ الْقَوْمَ أَنْشِدُ عَنْ صَاحِبِي ، فَلِذَا غُلَامٌ قَدْ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ
ثُمَّ قَالَ : عَنْ أَبِي الْمُسَهِّرِ تَسْأَلُ ؟ قُلْتُ : عَنْهُ نَشَدْتُ وَإِيَّاهُ أَرَدْتُ . قَالَ :
هِيَ هَاتِ أَصْبَحَ ، وَاللَّهِ ، أَبُو مُسَهَّرٍ لَا مُؤَيَّسًا مِنْهُ فَيُهْمَلُ ، وَلَا مَرْجُوًّا
فَيُعْلَلُ ، أَصْبَحَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ :

لَعَمْرُكَ مَا حَبَّتِي لِأَسْمَاءَ تَارِكِي صَحِيحًا ، وَلَا أَقْضِي بِهِ فَأَمُوتُ

١ المستهتر بالشبه : المولع به ولما شديداً .

٢ توكفت الأخبار : تتبعتها ، وانظرت ظهورها .

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : به مثلُ الذي بك من طول تهكمكما^١ في الضلال ، وجرككما أذيالَ الحسار ، كأن لم تسمعا بجنة ولا نار . قال قلت : من أنت منه يا ابن أخي ؟ قال : أنا أخوه . قال قلت : والله ما يمنعك من أن تركبَ طريقَ أخيك التي ركبها ، وتسلكَ مسلكه الذي سلك ، إلا أنك وأخاك كالوشي والبجاد^٢ ، لا يرقعُك ولا ترقعُه ، ثم انطلقت وأنا أقول :

أرائجة حجاج عذرة روحة ، ولما يروح في القوم جعد بن سهجع
 خيلين نشكو ما نلاقي من الهوى ، فني ما أقبل يسمع وإن قال أسمع
 فلا يبعدنك الله خيلاً ، فإنني سألقى كما لاقيت في الحب مصرعي
 فلما حججت وقفت في الموضع الذي كنت أنا وهو نقف فيه بعرفات ،
 وإذا أنا براكب قد أقبل حتى وقف ، وقد تغيّر لونه وساءت هيئته ،
 فما عرفته إلا بناقته ، فأقبل حتى خالف بين عنق ناقي وناقته ، ثم
 اعتنقني وجعل يبكي . فقلت : ما الذي دهاك وما غالك ؟ فقال : برح^٣
 العذل وطول المطلب ، ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عذلة ذات بثٍ لقد علمت بأن الحب داء
 ألم تنظر إلى تغير جسمي ، وأني لا يزاييني البكاء
 وأني لو تكلفت الذي بي لعفى الكلام وانكشف الغطاء
 وإن معاشري ورجال قومي حشوفهم الصبابة واللقاء

١ تهكمكما : تجاوزكما الحد .

٢ الوشي : الثياب الموشية المنقشة . البجاد : الثوب المخطط .

٣ برح به : جهده واذاه أذى شديداً .

٤ عفى : أهلك .

إذا العُدريّ ماتَ بحَتَفِ أنفٍ ، فذاك العبدُ يَبْكِيهِ الرِّشاءُ^١ .
 فقلتُ : يا أبا مسهر ! إنَّها ساعةٌ عظيمةٌ ، وإنَّكَ في جَمْعٍ من أقطارِ
 الأرضِ ، ولو دَعَوْتَ كُنْتَ قَمِيناً أن تظفَرَ بِحاجَتِكَ ، وأن تُنصَرَ على
 عَدُوِّكَ . قال : فَجَعَلَ يدعُو حتى إذا تَدَلَّتِ الشمسُ للغُرُوبِ وهمَّ الناسُ
 بأن يُفِيضُوا سَمِيعَتَهُ يَهْمَهُمْ^٢ ، فأصَحْتُ لَهُ مُسْتَمِيعاً ، فإذا هو يقولُ :
 يا رَبَّ كُلُّ غَدَوَةٍ وَرَوَحَةٍ ، من مُحَرِّمٍ يشكو الضَّحَى ولُوحَةٍ
 أنتَ حَسِيبُ الحَظِّ بِيَوْمِ الدَّوْحَةِ^٣

فقلتُ له : وما يومُ الدَّوْحَةِ ؟ قال : سأخبرُكَ إن شاءَ الله ! إنِّي امرؤُ
 ذو مالٍ كثيرٍ من نَعَمٍ وشاء ، وإنِّي خَشِيتُ على مالي التَّلَفَ ، فَأَتَيْتُ أَخْوَالي
 من كَلْبٍ ، فَأَوْسَعُوا لي عن صَدْرِ المَجْلِسِ وَسَقَوْنِي بِجَمَّةٍ البِشْرِ^٤ ، فكانوا
 خَيْرَ أَخْوَالي حتى هَمَمْتُ بِمِواقِعَةٍ^٥ لِإِبْلِ لي بِمَاءٍ يُقالُ لَهُ الخِرَزَاتُ ،
 فَرَكِبْتُ وَتَعَلَّقْتُ مَعِيَ شَرَاباً كانَ أَهداهُ إليَّ بَعْضُ الكَلْبِيِّينَ ، وانطَلَقْتُ ،
 حتى إذا كُنْتُ بَيْنَ الحَيِّ وَمَرْعَى النَّعَمِ ، رُفِعَتْ لي دَوْحَةٌ عظيمةٌ ، فقلتُ :
 لو نَزَلْتُ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَتَرَوَّحْتُ مُبرِداً^٦ ؟ فَتَزَلْتُ فَشَدَدْتُ فَرَسِي
 بِيَغْضُنٍ من أَغْصَانِهَا ثُمَّ جَلَسْتُ تَحْتَهَا ، فإذا بِغِيارٍ قد سَطَعَ ، فَتَبَيَّنَتْ
 فَبَدَدْتُ لي شُخُوصٌ ثلاثةٌ^٧ ، فإذا رَجُلٌ يَطْرُدُ مِسْحَلاً وَأَتَاناً^٧ ، فلما قُرِبَ

١ مات حتف أنفه : أي على فراشه . الرشاء : حبل الدلو .

٢ يفيضوا ، من أفاض الناس من عرفات : دفعوا ورجعوا وتفرقوا ، أو اسرعوا منها إلى مكان آخر .

٣ اللوح : العطش . الدوحة : الشجرة العظيمة .

٤ جمّة البثر : الماء الكثير .

٥ مِواقِعَةٍ : مدانة ، مقاربة .

٦ تروحت : ذهبت عند الرواح ، أي المساء . مبرداً : أي داخلاً في البرد ، أي حينما يكون قد برد الهواء .

٧ المسحل : الحمار الوحشي . الأتان : أنثاء .

مني إذا عليه درعٌ أصفرٌ وِعِمَامَةٌ خُزٌّ سوداءُ ، وإذا هو تَنَالٌ فُرُوعٌ شعره
كَتَفِيهِ ، فقلتُ في نفسي : غُلَامٌ حَدِيثُ عَهْدٍ بِعِرسٍ ، فَأَعَجَلَتْهُ لَذَّةُ
الصَّيْدِ فَنَسِيَ ثَوْبَهُ وَأَخَذَ ثَوْبَ امْرَأَتِهِ . فما لَبِثَ أَنْ لَحِقَ بِالمِسْحَلِ فَصَرَعه
ثُمَّ ثَنَّى طَعْنَةَ الأَتَانِ فَصَرَعهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ ، وهو يقول :

نَطَعْنُهُمْ سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لِأَمِينٍ عَلَى نَابِلٍ^١

قال فقلتُ : إِنَّكَ قَدْ تَعَبَيْتَ وَأَتَعَبَيْتَ . فَلَوْ نَزَلْتَ . فثَنَى رِجْلَهُ فَتَنَزَلَ
فَشَدَّ فَرَسَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى جَلَسَ قَرِيباً مِنِّي ،
فَجَعَلَ يَحْدِثُنِي حَدِيثاً ذَكَرْتُ بِهِ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

وَأَنَّ حَدِيثاً مِنْكَ ، لَوْ تَبَدَّلْنِيهِ ، جَنَى النَّحْلِ فِي أَلْبَانِ عَوْدٍ مَطَافِلٍ^٢

قال : فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ حَكَّ بِالسُّوطِ عَلَى ثَنِيَّتَيْهِ ، فَرَأَيْتُ ، وَاللَّهِ ،
يَا ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ظِلَّ السُّوطِ بَيْنَهُمَا ، فَمَا مَلَكَتُ نَفْسِي أَنْ قَبَضْتُ عَلَى السُّوطِ
فَقُلْتُ : مَهْ ! فَقَالَ : وَلَمْ ؟ قُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكْسِرَهُمَا ، فَإِنَّهُمَا
رَقِيقَتَانِ . قَالَ : هُمَا عَذْبَتَانِ ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ^٣ فَجَعَلَ يُغْنِي :

إِذَا قَبَّلَ الْإِنْسَانُ آخِرَ يَشْتَهِي ثَنَائِيهِ لَمْ يَبَأْثُمْ وَكَانَ لَهُ أَجْرًا
فَإِنْ زَادَ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ مَثَاقِيلَ يَمْحُو اللَّهُ عَنْهُ بِهَا الْوِزْرَا
ثُمَّ قَالَ لِي : مَا هَذَا الَّذِي تَعَلَّقْتَ فِي سَرِّجِكَ ؟ قُلْتُ : شَرَابٌ أَهْدَاهُ إِلَيَّ
بَعْضُ أَهْلِكَ ، فَهَلْ لَكَ فِيهِ ؟ قَالَ : وَمَا أَكْرَهُهُ . فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنِي

١ السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة إلى جانب . كرك : دفعك بسرعة .
الأمين ، الواحد لأم : ما يوضع من الريش على السهام . النابل : صانع النبال ، وصف قومه
بسرعة الطعن وشبههم بمن يدفع الريشة إلى النبال في السرعة، وإنما يحتاج إليه في السرعة لأن الغراء
إذا برد لم يلزق ، فيستعمل حاراً .

٢ العود من النياق : المسنة . المطافل : ذوات الأظفار .

٣ عقيرته : صوته .

وبينه ، فلما شرب منه شيئاً نظرتُ إلى عَيْنَيْهِ كأنهما عينا مَهَاة ، قد أَضَلَّتْ ولداً ، أو ذَعَرَهَا قَانِصٌ ، فَتَعَلَّمَ أَيْنَ نَظَرِي ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يُغَنِّي :
 إِنَّ الْعُيُونََ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ . قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَانَا
 بِصَرَغِنَا ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَاحَرَّكَ بِهِ ، وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا
 فَقُلْتُ لَهُ : مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ : وَقَعَ رَجُلٌ مِنَّا بِالْيَمَامَةِ
 وَأَنْشَدْنِيهِ ، ثُمَّ قُمْتُ لِأُصْلِحَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ فَرَسِي ، فَرَجَعْتُ وَقَدْ جَرَّ
 الْعِمَامَةَ عَنْ رَأْسِهِ ، وَإِذَا غَلَامٌ كَأَنَّهُ الدِّينَارُ الْمَنْقُوشُ ، فَقُلْتُ : سُبْحَانَكَ
 اللَّهُمَّ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَكَ وَأَحْسَنَ صُنْعَتَكَ ! قَالَ : كَيْفَ قُلْتَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ :
 مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ نُورِكَ وَبَهْرَتِي مِنْ جَمَالِكَ . قَالَ : وَمَا الَّذِي يَرُوعُكَ مِنْ
 زَرْقِ الدَّوَابِّ وَحَبِيسِ التَّرَابِ ، ثُمَّ لَا تَدْرِي أَيْتَنَعُمُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ يَأْسُ .
 ثُمَّ قَامَ إِلَى فَرَسِهِ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ بَرَقَتْ لِي بَارِقَةُ الدَّرْعِ ، فَلِذَا ثَلَاثُ
 كَأَنَّهُ حَقٌّ . قُلْتُ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَمْرَأَةً ؟ قَالَ : لِي ، وَاللَّهِ ، أَمْرَأَةٌ تَكْرَهُ
 الْعَهَرَ ، وَتُحِبُّ الْغَزَلَ . قُلْتُ : وَاللَّهِ وَإِنَّا كَذَلِكَ . قَالَ : فَجَلَسْتُ
 تَحْدَثُنِي ، مَا أَفْقِدُ مِنْ أُنْسِهَا حَتَّى مَالَتْ عَلَى الدَّوْحَةِ سَكْرًا ، وَاسْتَحَسَنْتُ ،
 وَاللَّهِ ، يَا ابْنَ أَبِي رَيْعَةَ الْغَدَرِ ، وَزَيْتَنَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَصَمَنِي
 بِمَنَّتِهِ ، فَجَلَسْتُ مِنْهَا حَتَجْرَةً ، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ انْتَبَهَتْ مَدْعُورَةٌ ، فَلَاثَتْ^١
 عِمَامَتَهَا بِرَأْسِهَا ، وَأَخَذَتِ الرَّمْحَ ، وَجَالَتْ فِي مَتْنِ فَرَسِهَا ، فَقُلْتُ : أَمَا
 تُزَوِّدُنِي مِنْكَ زَادًا ؟ فَأَعْطَنِي ثِيَابَهَا ، فَشَمِمْتُ مِنْهَا كَالنَّبَاتِ الْمَطُورِ ،
 ثُمَّ قُلْتُ : أَيْنَ الْمَوْعِدُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ لِي إِخْوَةً شَرِيسِينَ ، وَأَبَا غَيُورًا ، وَوَاللَّهِ
 لِأَن أَسْرَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَن أَضُرَّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَضَتْ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَا
 إِلَى يَوْمِي هَذَا فَهِيَ ، وَاللَّهِ ، الَّتِي بَلَغَتْ بِي مَا تَرَاهُ مِنْ هَذَا الْمُبْلَغِ ،

١ الزرق : التحجيل .

٢ حجرة : ناحية . لاثت عمامتها : لفتها وعصبتها .

وأحلّتي هذا المحلّ .

قال قلتُ : وأنتَ والله يا أبا مُسهرٍ ما استُحسِنَ الغدرُ إلّا بكَ ، فإذا قد اخضَلتُ لحيتَه بدموعه . قال قلتُ : والله ما قلتُ لكَ ذلكَ إلّا مازحاً ، ودَاحَلتني له رِقّة ، فلمّا انقضى الموسمُ ، شَدَدتُ على ناقي ، وشَدَدَ على ناقيته ، وحمَلتُ غُلاماً لي على بعيرٍ ، وحمَلتُ عليه قُبّةَ آدمٍ خضراءَ كانتُ لأبي ربيعةَ ، وأخذتُ معي ألفَ دينارٍ ومُطَرَفًا خَزّاً ، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتّى أَتينا كلباً ، فإذا الشيخُ في نادي قومهِ ، فَأَتيتُهُ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فقال : وعليكَ السَّلَامُ ، مَن أنتَ ؟ قلتُ : عُمَرُ بنُ أبي ربيعةَ بنِ المُغيرةِ المخزومي . قال : المعروفُ غيرُ المَجهولِ ، فما الذي جاءَ بكَ ؟ فقلتُ : جئتُ خاطباً . قال : أنتَ الكفوُّ لا يُرغَبُ عن حَسَبِهِ ، والرجُلُ لا يُردُّ عن حاجتِهِ .

قال قلتُ : إني لم آتِكَ في نفسي ، وإن كنتُ موضعَ الرّغبةِ ، ولكن أتيتُكم لابنِ أُختِكُم العُندري .

قال : والله إنّه لكفي ، الحَسَبِ كريمُ المنصبِ ، غيرَ أنّ بَنائي لم يَمَعَنَ إلّا في هذا الحيِّ من قُرَيش .

قال : فعَرَفَ الحَزَعُ من ذلكَ في وجهي ، فقال : أما إني لم أَصنَعْ بكَ شيئاً لم أَصنَعه بغيرِكَ ، أَخَيَّرُها ما اختارتُ .

قال قلتُ له : والله ما أنصفتني . قال : وكيفَ ذاكَ ؟

قال : كنتَ تَخْتارُ لغيري ، وَوَلَّيتَ الخيَارَ لي غيرَكَ .

فأومأ إليّ صاحبي أن دَعَه يُخَيِّرُها . قلتُ : خَيَّرُها .

فأرسلَ إليّها أنّ من الأمرِ كذا وكذا ، فارتلّي رأيكَ . قال : فأرسلتُ

إليّ : ما كنتُ لأستبِدَّ برأيٍ دون القُرَشِيِّ ، أمّا الخيَارُ فمَخيارِي ما اختارَ .

قال : قد صَيَّرتِ الأمرَ إِلَيْكَ . فحَمِدَتُ اللهَ تعالى وصَلَّيتُ على نبيّهِ ،

١ المطرف : رداء غز ذو أعلام .

وقلتُ : قد زوّجتها الجعد بن مَهْجَع ، وأصدقتُها هذه الألفَ دينار وجعلتُ
تكرمتها العبدَ والقُبّةَ ، وكسوتُ الشيخَ المطرَفَ ، فقَبِلَهُ وسُرَّ به ،
وسأله أن يني بها من ليلته ، فأجابني إلى ذلك ، وضربتُ القُبّةَ وسطَ الحيِّ
وأهديتُ إليه ليلاً وبيتاً عند الشيخِ خيرَ مَبِيتٍ . فلما أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ ،
فَقُمْتُ بِبَابِ القُبّةِ ، فخرجَ إليّ وقد تَبَيَّنَ الجَدَلُ في وجهه . قال :
فقلتُ له : كيفَ كنتَ بعدي ، وكيفَ هي بعدك ؟ فقال : أبدتُ لي كثيراً
مما أخفتَ يومَ رأيتها . فقلتُ : ما حملَكَ على ذلك ؟ فأنشأ يقولُ :

كَتَمْتُ الهَوَى إني رأيتُكَ جازِعاً فقلتُ فتى بعضَ الصديقِ يُريدُ
وإنْ تطرَحَنِّي أوْ تقولُ : فتيةٌ يُضِرُّ بها بَرَحُ الهَوَى فتعودُ
فَوَرَّيتُ عما بي وفي الكَبِيدِ الحشا منَ الوجْدِ بَرَحٌ ، فاعلمَنَّ ، شديداً
قال فقلتُ : أقيمُ على أهليكَ ، بَارَكَ اللهُ لَكَ ! وانطلقتُ إلى أهلي ،
وأنا أقولُ :

كَفَيْتُ أخِي العُدْرِيَّ ما كانَ نَابَهُ وَمِثْلِي لِاثْقَالِ النَّوَائِبِ أَحْمَلُ
أما استَحَسَنْتَ مِنِّي المكارِمُ والعُلَى ، إذا اطَّرِحْتَ ، أني أقولُ وَأَفْعَلُ

ماني الموسوس وعائداه

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال : حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن
حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف إجازة قال :

أنشدت لماني :

سلي عائِداتي كيفَ أَبْصَرَنَ كُرْبَيَّ ، فإن قلتِ قد حابِني ، فاسألي النَّاسا
فإن لم يقولوا مات ، أوْ هوَ مَيِّتٌ ، فزيدي إذا قلبي جُنُوناً ووسواساً

من أشعار ماني

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال : أخبرني المظفر بن يحيى قال : أخبرنا علي بن محمد قال :

أنشدني ابن عروس لماني :

لم يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقْلَةٌ إِنْسَانُهَا بَاهَتْ
بلى ، وما في جسمه مَفْصِلٌ إِلَّا وفيهِ سَقَمٌ ثَابِتٌ
فَدَمَعُهُ يَجْرِي وَأَحْشَاؤُهُ تُوقَدُ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتٌ
وله ، أعني ماني :

مُعَذِّبُ الْقَلْبِ بِالْفِرَاقِ قَدْ بَلَغَتْ نَفْسُهُ التَّرَاقِي^١
وَذَابَ شَوْقًا إِلَى غَزَالٍ أَوْضَعَ لِلْبَيْنِ بَانْطِلَاقِ^٢
لم يُبْقِ مِنْهُ السَّقَامُ إِلَّا جِلْدًا عَلَى أَعْظَمِ رِقَاقِ
لَوْلَا تَسْلِيهِ بِالتَّبَكِّيِ أَذْنَتْ النَّفْسُ بِالْفِرَاقِ

لحي الله يوم الدين

ولي من أثناء قصيدة :

لحي الله يومَ البَيْنِ كم دمٍ عاشِقٍ أَرَاقُوا بِهِ لَا يَطْلُبُونَ بِشَارِهِ

١ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الخلق في أهل الصدر حيث يترقى النفس .

٢ أوضع : أسرع .

وَعَاذِلَةً أَضَحَّتْ تَلُومٌ عَلَى الْهَوَىٰ أَخَا لَوْعَةٍ لَّمَّا يُفْقُ مِنْ خُمَارِهِ
ومنها :

وَأُغِيدَ فِي جَيْشٍ مِنَ الْحُسْنِ أَفْتَدَى لِمَاءُ وَعَيْنِيهِ وَخَطَّ عِذَارِهِ
حَكَى الظِّي ظِي الرَّمْلِ جِيداً وَمُقْلَةً ، فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَحْكِهِ فِي نِفَارِهِ

لروعات الحب نيران

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الآبنوسي ونقلته من خطه قال : حدثنا علي بن عبد الله بن
الغيرة أبو محمد الجوهري قال : حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد
الرحمن قال : حدثنا عمي عن أبيه قال :

سمعت أعرابياً يقول : اشرحوا الرأي عند الهوى ، وافطموا النفوس عند
الصبي ، ولقد تصدعت كبدي للعاشقين من لوم العاذلين ؛ ولروعات
الحب نيران على أكبادهم مع دموع على الغواني كغروب السواني^١.

ذو الرمة ومي

أخبرنا أبو طالب محمد بن علي البيضاوي بقراة علي بن بكر بن شاذان ، وفيه سماعه ،
قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : قرأ على أبي عبد الله إبراهيم
ابن محمد بن عرفة نبطويه .

قال ذو الرمة :

عَدَتْنِي الْعَوَادِي عَنْكَ يَا مَيُّ بُرْهَةً وَقَدْ يَلْتَوِي دُونَ الْحَبِيبِ فَيَهْجُرُ^٢
عَلَى أَنْتِي فِي كُفْلٍ سَيْرٍ أَسِيرُهُ ، وَفِي نَظَرِي مِنْ نَحْوِ أَرْضِكَ أَصْدُرُ^٣
فَمَا تُحَدِّثُ الْآيَامُ يَا مَيُّ بَيْنَنَا فَلَا نَأْثُرُنُ سِرّاً وَلَا نَتَغَيَّرُ^٣

١ الغروب ، الواحد غرب : الماء غير المنقطع . السواني ، الواحدة سانية : الناعورة .

٢ عدتني : صرفتني . العوادي : عوائق الدهر . يلتوي ، أراد يلتوي الأمر : يعسر .

٣ نأثرن سراً : ننقله .

اقرأ السلام

وَأَنْشَدَ نَفْطَوِيهِ لآخر :

إقرأ السلامَ على مَنْ كُنْتَ تَأْلِفُهُ ، وَقُلْ لَهُ : قَدْ أَذَقْتَ الْقَلْبَ مَا خَافَا
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى إلفٍ فُجِعْتُ بِهِ وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلْفَا

أيهما أصدق عشقاً

أَبَانَا الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطُّبْرِي قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو الْفَرَجِ الْمَعَالِي
ابْنُ زَكْرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عَائِشَةَ
قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤْيٍ مَا رَأَيْتُ بِالْحِجَازِ أَعْلَمَ مِنْهُ قَالَ :

حَدَّثَنِي كَثِيرٌ أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَمَاعَةٍ يُفِيضُونَ^١ فِيهِ وَفِي جَمِيلٍ ، وَفِي
أَيْهَمَا أَصْدَقُ عَشْقًا ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ بِوَجْهِهِ ، فَفَضَّلُوا جَمِيلًا فِي عَشْقِهِ ،
فَقُلْتُ لَهُمْ : ظَلَمْتُمْ كَثِيرًا ، كَيْفَ يَكُونُ جَمِيلٌ أَصْدَقَ عَشْقًا مِنْ كَثِيرٍ ،
وَلَمَّا أَتَاهُ عَنْ بُشَيْنَةَ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ قَالَ :

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُشَيْنَةَ بِالْقَلْدَى ، وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ^٢
وَالْقَوَادِحُ مَا يَنْقُبُهَا وَيَعْيِيهَا ، وَكَثِيرٌ أَتَاهُ عَنْ عِزَّةٍ مَا يَكْرَهُ فَقَالَ :

هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَاءٍ مَخَامِيرٍ^٣ لِعِزَّةٍ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ^٤
قَالَ : فَمَا أَنْصَرَفُوا إِلَّا عَلَى تَفْضِيلِي .

١ يفيضون : أي يفيضون بالحديث ، يكثرونه .

٢ القلدى : ما يقع في العين من قُبْنَةٍ ونحوها . القوادح ، الواحد قادح : أكال يقع في الأسنان .

٣ مخامر : داخل في الجوف .

يزيد بن عبد الملك وحبابة

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراقي عليه بمكة في المسجد الحرام قال : حدثنا أبو عبد الرحمن البجلي قال : حدثنا العباس بن الحسين الفارسي ببغداد قال : حدثنا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد الشيعي من شيعة بني العباس قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي اسحاق قال :

بَلَغَتْنِي أَنْ جَارِيَةً غَنَّتْ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَلَا نِي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَبَاءِهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ الْمُرْدَا
فَرَأَسَلْتُهَا سَلَامَةً فَنَنَّتْ :

عَلَاقَةُ حُبِّ كَانَ فِي سِنِّ الصَّبَا ، فَأَبْلَى ، وَمَا يَزْدَادُ إِلَّا تَجْدُّدًا
فَنَنَّتْ حَبَابَةً :

كَرِيمٌ قُرَيْشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ ، كَهَنَلًا وَأَمْرَدًا
فَرَأَسَلْتُهَا سَلَامَةً فَنَنَّتْ :

تُرْوَى بِمَجْدٍ مِنْ أَبِيهِ وَجَدُّهُ وَقَدْ أَوْرَثَنَا بُنْيَانُ مَجْدٍ مُشَبَّدًا
فَطَرِبَ يَزِيدُ وَشَقَّ حُلَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ :
أَفْتَاذَنَانِ لِي فِي أَنْ أَطِيرَ ؟ قَالَتْ لَهُ حَبَابَةُ : عَلَى مَنْ تَدْعُ الْأُمَّةَ ؟ قَالَ : عَلَيْكَ .

أبو السائب وشعر جرير

وربما سنده قال علي بن عمر بن أبي الأضر قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن حسن قال :

أَنْشَدَ إِنْسَانٌ أَبَا السَّائِبِ الْقَاضِي قَوْلَ جَرِيرٍ :

غَيْفُنَ مِنْ عَبْرَاتِيهِنَّ ، وَقُلْنَ لِي : مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا ؟
وَهُوَ عَلَى بَثْرٍ فَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي الْبَثْرِ بِشَابِهِ .

١ سنن الصبا : نهجه وطريقه .

عمر الوادي والراعي

أخبرنا أبو بكر الاردستاني بمكة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا يوسف ابن عمر الزاهد قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نصير قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا مؤمل بن طالوت قال : حدثنا مكي بن المديني قال :

سمعتُ عُمرَ الوادي قال : بينا أنا أسيرُ بينَ العَرَجِ والسُّقيا إذ سمِعتُ رجُلًا يَتَغَنَّى بيتهنِ لم أسمعُ بمِثْلِهِما قطَّ ، وهما :
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ سَعْدِي بِأَرْضِهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدُهَا
مِنَ الْحَقِيرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا إِذَا مَا انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لَوْ تَعِيدُهَا
قال : فكِدْتُ أُسْقِطُ عَنْ رَاحِلَتِي طَرَبًا ، فَسَمَتُ^١ سَمْتَهُ ، فإذا هو
راعي غَنَمٍ ، فَسَأَلْتُهُ إِعَادَتَهُ ، فقال : والله لو حَضَرَنِي قِرْنَى أَقْرَبِكُهُ مَا أَعَدَّتُهُ ،
ولكني أَجْعَلُهُ قِرَاكَ اللَّيْلَةِ ، فإني رُبَّمَا تَغَنَّيْتُ بِهِمَا وَأَنَا غَرِثَانُ فَأُشْبِعُ ،
وظَمَانُ فَأَرْوِي ، وَمُسْتَوْحِشٌ فَأَنْسُ ، وكِسلَانُ فَأَنْشِطُ ، فاستعدتُهُ إِيَّاهُما ،
فَأَعَادَهُمَا حَتَّى أَخَذْتُهُمَا ، فما كان زادي حتى وردتُ المَدِينَةَ غَيْرَهُمَا .

من عشق فعفّ دخل الجنة

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم بن بيان قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا زكريا ابن يحيى الكوفي قال : قال محمد بن حريث الشيباني عن أبيه عن أبي سعد البقال عن مكرمة عن ابن عباس قال :

مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ .

١ سمّت سمته : قصدت قصده .

قتل العاشقين

ولي قطعة مفردة :

قُلْ لِلطَّبَاءِ بِذِي الْأَرَا لَكِ، إِذَا مَرَرْتَ بِهِنَّ جَائِزُ
الْكُنَّ قَتْلُ الْعَاشِقِيهِ نَ حَلَّلُ فِي الشَّرْعِ جَائِزُ
أَوْعَدْتُمْ فَوَفَيْتُمْ ، وَالْوَعْدُ مِنْكُمْ غَيْرُ نَاجِزُ
إِنَّ الَّذِي رَحَلَ الْحَلِي طُ بِقَلْبِهِ وَأَقَامَ عَاجِزُ
أَلَّا تَجَشَّمَ فِي هَوَاهُ لَأَتْرَهُمْ قَطَعَ الْمَقَاوِزُ
حَتَّى يَظْلَ يُجِيبِهِ قَلْقًا، وَيُشْمِي الطَّرْفُ غَامِزُ
أَتَرَى مَنِي أَنَا مِنْكُمْ بِوَصَالِكُمْ يَا فَوْزُ فَائِزُ
وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِهَا وَأَب حَدْتُ الْعَذَارَى وَالْعَجَائِزُ
لَيْلًا ، فَكَانَ عَفَافُنَا مَا بَيْنَنَا وَالصَّوْنُ حَاجِزُ
حَاشَا صَحِيحَ الْحُبِّ يَوْ مَا أَنْ يَقَامَ مَقَامَ مَا عِزُ

يريد ماعز بن مالك الذي أقرَّ على نفسه بالزَّنا ورجمه النبي ، صلى الله عليه وسلم .

سنان الصوفي والغلام

أخبرنا إبراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كنتُ معَ سِنان بن إبراهيم الصوفي فنظر إلى غُلامٍ فقال : الحمدُ لله على كلِّ حال ! كنَّا أحراراً بطاعته ، فصرُّنا عبيداً بِمَعْصِيَتِهِ لَاحَظٍ قد بَلَغَتْ بنا جهدَ البلاءِ ، وأَسَلَمَتْنَا إلى طولِ الضَّناءِ ، فَلَبِثْنَا معَ بلائِنَا وطولِ ضَنائِنَا لا نَحْسِرُ الآخرةَ ، كما تَوَلَّيْنَا الدُّنيا ، ثمَّ بكى ، فقلتُ له : ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : كيفَ لا أبكي ، وأنا مُقيمٌ على غُرُورٍ ومتخوِّفٌ من نزولِ محذورٍ من نظيرِ شاغِلٍ أو بلاءٍ شاملٍ أو سَخَطٍ نازلٍ ، ثمَّ شَهِقَ وسَقَطَ إلى الأرضِ .

قتيل القيان

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي إجازة قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل ابن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا أبو حفص عمر بن بنان الأنماطي قال :

حدثني الحُسامُ بن قُدّامة المكي باليمن :

لا تَلُومَا فُلانَ حينَ مَلامَهِ أَقَلِّقَ الحُبُّ نَفْسَهُ المُسْتَهَامَهِ
قَتَلْتَنِي بِشَكْلِهِنَّ الجَواري ، والجواري في شَكْلِهِنَّ عَرامَهُ
فإذا مَتَّ فاجمَعُوا الحَرَمِيَّ اتِ وَصُفُّوا مَوْلِداتِ اليَمَامِهِ
وَذَوَاتِ الحَقائِبِ المَدَنِيَّ اتِ ذَوَاتِ المِضاحِكِ البِسامِهِ
ثمَّ قُومُوا على الحِجونِ ، فقولوا : يا قَتيلَ القِيانِ ، يا ابنَ قُدّامِهِ

١ المرامه : الاشتداد والخروج عن الحد . الفساد .

لا سبيل إلى وصله

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن روح قال : حدثنا
القاضي أبو الفرج النهرواني قال : حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال :

أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حيان الدارمي البصري في أبي تمام الهاشمي ،
وكان الدارمي يتهم به :

سباك من هاشم سليلٌ ليسَ إلى وصلهِ سبيلٌ
من يتعاطى الصفات فيه ، فالقول من وصفه فضولٌ
للحسن في وجهه هلالٌ لأعين الخلق ما تزولٌ
وطرّة لا يزال فيها لنور بدر الدجى مقيلٌ^١
ولاحظته العيون حتى تشقى به الكاعب البتول^٢
فإن يقف ، فالعيون نصبٌ وإن تولّى ، فهن حول^٣

الواثق وشعر الدارمي

وبإسناده قال : أخبرنا المعاني قال : حدثنا عبد الله بن منصور الحارثي قال : حدثنا محمد بن
زكريا الغلابي قال : حدثني الفضل ابن بنت أبي الهذيل قال :

كنت مع جدي عند الواثق قبل أن يلي الخلافة ، فتذاكرُوا الشعراء إلى
أن أنشده أبو الهذيل :

برزن ، فلا ذو اللب وفرن عقله عليه ، ولم يفصح بهن مريبٌ

١ الطرة : الجبهة والناصية .

٢ الكاعب : البكر الناهد .

٣ نصب : أي ناظرة إلى الأمام .

يقولُ : استوى الناسُ في النظرِ إليهنَّ . فقال : يا أبا الهُدَيل ، شعر
وقع إليّ لا أدري لمن هو ، يقول فيه :

مَا مَرَّ فِي صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ ، إِلَّا تَسَجَّتْ لَهُ قَتِيلُ
فَإِنْ يَتَّقِ ، فَالْعُيُونُ نُصَبٌ ، وَإِنْ تَوَلَّى ، فَهَنْ حَوْلُ
مَا سَمِعْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى بِأَجُودِ مِنْهُ . فقال له : أصلحَ الله الأميرَ ، هذا الشعر
لرجلٍ بالبصرة يُكنى بأبي حيان الدارمي ، عمارة بن حيان ، فقال : يحمل
إلينا ، فورد الكتابُ وقد مات .

الغلام وجارية المهدي

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
ابن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا جحظة قال : حدثني ابن اخت الحاركي

أنَّ خادماً ممنَ خدمَ أباه جاءهُ يُخبرُهُ أنَّ عندَ جاريةٍ في بعضِ قصوره
رجلاً ، فلبسَ حلةً وسارَ إلى القصرِ ، فألقى عندهما غُلاماً شاباً ، له ذؤابنان ،
كانت قضيبةً فيضةً ، فسأله عن دخوله وكيفَ كانَ ، وما شأنه . فقال :
إنَّ هذه الجاريةَ كانتَ لوالدتي ، وكانَ بيني وبينها ألفَةٌ ، فلما بيعتُ لأَميرِ
المؤمنينَ ، صِرتُ إلى البابِ مشعّراً لها ، فأذِنْتُ في الدخولِ ، فدخلتُ على
أحدِ أمرينَ : إمّا أن أظفرَ بما أريدُ أو أقتلَ فأستريح .

فأمرَ المهدي بإحضارِ سياطٍ ، ونصّبتهَ بينها ، ثمَّ ضربتهُ عشرينَ سوطاً ،
ورفعَ عنه الضربَ وقال : ما أصنعُ بتعذيبِكَ ، ولستُ بتاركِكَ حيّاً ،
ولا تاركها ، يا غُلام ، سيفٌ ونِطعٌ ! فلما أتى بذلك ، وأجلسَ الغُلامُ في
النِطعِ قال : يا أميرَ المؤمنين ! قبلَ أن يُتزلَّ بي القتلُ ، وهو دونَ حقّي ،
اسمعَ مِنّي ما أقول ! قال : هاتِ ، فأنشأ يقول :

ولقد ذكرتكِ والسيّاطُ تنوشني عندَ الإمامِ وساعدي مغلُولُ
ولقد ذكرتكِ والذي أنا عبدهُ والسيفُ بينَ ذُؤابتي مسلُولُ
فأطرقَ المَهديّ وتغرّغرَت عيناها بالدموع . ثم قال : يا غلام ، ائني
بإزارِ أفاتي به ، فقال : الففهما به جميعاً ، بعد أن تترعَ ثيابَهُما ، وأخرجهُما
عن قصري ، ففعل ذلك .

سيد العشاق

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني
أبو بكر العامري قال : حدثني أبو عبد الله القرشي وحدثنا الدمشقي عن الزبير قال : حدثني
مصعب بن عبد الله الزبيري قال :

عَشِيقَ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ جَارِيَةً مُغْنِيَةً بِالْمَدِينَةِ ، فَهَامَ بِهَا
أَ ، وَهُوَ لَا يُعْلِمُهَا بِذَلِكَ ، ثُمَّ إِنَّهُ ضَجِرَ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا بُوحَنَ لَهَا ،
فَاتَاهَا عَشِيَّةً ، فَلَمَّا خَرَجَتْ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : يَا ابْنِي أَنْتِ أَتَغْنِينَ :
أَتُجْزُونَ بِالْوَدِّ الْمُضَاعَفِ مِثْلَهُ ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ جَزَى الْوَدَّ بِالْوَدِّ
قَالَتْ : نَعَمْ ، وَأَغْنِي أَحْسَنَ مِنْهُ ، ثُمَّ غَنَّتْ :
لَلَّذِي وَدَّنا المودَّةُ بالضعفِ ، وَقَضَّلُ البادي بِهِ لا يُجَازِي
لَوْ بَدَا ما بِنَا لَكُمْ مَلَأَ الْأَرْضَ ضَ وَأَقْطَارَ شامِهَا وَالْحِجَازَا
فَاتَّصَلَ ما بَيْنَهُمَا ، فَبَلَغَ الْخَبْرُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ ،
فَابْتاعَهَا لَهُ وَأَهْدَاهَا إِلَيْهِ ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ سَنَةً ثُمَّ مَاتَتْ ، فَبَقِيَ مَوْلَاهَا شَهْرًا
أَوْ أَقَلَّ ثُمَّ مَاتَ كَدًّا عَلَيْهَا ، فَقَالَ أَبُو السَّائِبِ السَّكْنَوَيْي : حَمَزَةُ سَيِّدُ
الشُّهَدَاءِ ، وَهَذَا سَيِّدُ الْعُشَّاقِ ، فَاْمضُوا بِنَا حَتَّى نُنْحَرَ عَلَى قَبْرِهِ سَبْعِينَ نَحْرَةً ،
كَمَا كَبَّرَ النَّبِيَّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى قَبْرِ حَمَزَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَبْعِينَ
تَكْبِيرَةً . قَالَ : وَبَلَغَ أَبَا حَازِمٍ الْخَبْرَ ، فَقَالَ : مَا مِنْ حَبِيبٍ فِي اللَّهِ يَبْلُغُ هَذَا إِلَّا وَلِيَ .

قتيل الهجران

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بمكة قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران قال : سمعت أبا بكر الرازي قال : سمعت عبد الرحمن الصوفي يقول :

كنت ببغداد في سوق النخاسين ، فرأيت قوماً مجتمعين ، فدنوت منهم ، فرأيت شاباً مصروعاً مغشياً عليه ، فقلت لواحد منهم : ما الذي أصابه ؟ فقال : سمع آية من كتاب الله ، عز وجل ، فقلت : آية آية كانت ؟ فقال : قوله ، عز وجل : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ؟ قال : فلمّا سمع أفاق ، وأنشأ يقول :

ألم يأن للهجران أن يتصرّما وللغصن غصن البان ، أن يتبسّما
وللعاشق العنب الذي ذاب وانحنى ، أما أن أن يبكي عليه ويرحمما
كتبت بماء الشوق ، بين جوانحي ، كتاباً حكى نقش الوشاة منمنما
ثم صاح صيحة خرم مغشياً عليه ، فحرّ كناه فإذا هو ميت .

ولما شكوت الحب

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان قال : أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني في المسجد الحرام قال : حدثني الجنيد قال :

أرسلني سري في حاجة يوماً فمضيت فقضيتها ، فرجعت ، فدفع إليّ رجل رقعة ، وقال : ما في هذه الرقعة أجرتك لقضاء حاجتي ، ففتحتّها ، فإذا فيها مكتوب :

ولما شكوت الحب قالت كذبتني ألسنتُ أرى منك العظام كواسياً

وَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْكَيْدُ بِالْحَشَا ، وَتَخْمُدَ حَتَّى لَا تَجِيبَ الْمُنَادِيَا
وَتَضْعُفُ حَتَّى لَا يُبْقِيَ لَكَ الْهَوَى سِوَى مُقْلَةٍ تَبْكِي بِهَا وَتُنَاجِيَا

دماء أهل الهوى هدر

ولي من أثناء قصيدة :

لَا تَطْلُبُوا بَدَمَ الْعِشَاقِ طَائِلَةً ، دِمَاءُ أَهْلِ الْهَوَى مَطْلُولَةٌ هَدَرٌ

مواقع الأنفس

أَبَانَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقُمِيُّ قَالَ :
حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ عُرْفَةَ النَّحْوِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدٍ قَالَ :

قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ :

يَا نَظْرَةً سَاقَتْ إِلَى نَظِيرٍ أَسْبَابَ مَا يَدْعُو إِلَى حَتْفِهِ
مَنْ حُبُّ ظَبْيٍ حَسَنٍ دَلَّهُ يُقْصِرُ الْوَاصِفُ عَنْ وَصْفِهِ
فِي الْبَدْرِ مَنْ صَفَحَتْهُ لَمَحَةٌ وَلَمَحَةٌ فِي الظُّبْيِ مِنْ طَرَفِهِ
مَوَاقِعُ الْأَنْفُسِ فِي ثَغْرِهِ ، وَفِي ثَنَائِيهِ وَفِي كَفِّهِ

يجتمعان في القبر

ذَكَرَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ حَيَوِيٍّ وَنَقَلَتْهُ مِنْ خَطِّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمَرْزَبَانِ قَالَ : حَدَّثَنَا
إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِيسَى الْمَقْرِي قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْعَتَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُنْبَهِّ قَالَ :

سَمِعْتُ أَبَا الْخَطَّابِ الْأَخْفَشَ يَقُولُ : خَرَجْتُ فِي سَفَرٍ فَتَزَلَّنَا عَلَى مَاءٍ
لَطِيٍّ فَبَصُرْتُ بِخَيْمَةٍ مِنْ بَعِيدٍ فَقَصَدْتُ نَحْوَهَا فَإِذَا فِيهَا شَابٌّ عَلَى فِرَاشٍ

كأنه الخيال ، فأنشأ يقول :

ألا ما للحبيبة لا تعودُ ؛ أبخلُ بالحبيبة أم صُدودُ
مرضتُ فعادني عوادُ قومي ، فما لك لم تُري في من يعودُ
فلو كنت المريضَ ، ولا تكوني ، لعُدْتُكم ، ولو كثر الوعيدُ
ولا استبطأتُ غيرك ، فاعليهِ ، وحوالي من ذوي رَحيمي عديدُ

قال : ثمَّ أغمي عليه ، فمات . فوقعت الصيحةُ في الحيِّ ، فخرجَ من آخر
الماءِ جاريةٌ كأنها فليقةٌ قمرٌ ، فتخطتْ رقابَ الناسِ حتى وقفتْ عليه
فقبَلته ، وأنشأت تقولُ :

عداني أن أعودَكَ ، يا حبيبي ، متعاشِرُ فيهِمُ الواشي الحسودُ
أذاعُوا ما علِمْتَ مِنَ الدَّواهي ، وعابُونَا وما فيهِمُ رشيدُ
فأما إذ حلَلْتَ ببطنِ أرضٍ وقصرُ الناسِ كُلِّهِمُ الأُحودُ^١
فلا بقيتْ لي الدنيا فُواقًا ، ولا لهم ، ولا أثرى ، عديدُ^٢

قال : ثمَّ شهقتْ شهقةً فخرتْ مَيِّتةً منها ، فخرجَ من بعض الأخبية
شيخٌ فوقَفَ عليهما ، فراحَمَ عليهما ، وقال : والله لئن كنتُ لم أجمعَ بينكما
حينَ لأجمعَنَّ بينكما ميتين ! فدفنهما في قبر واحد احتفَرَهُ لهما ، فسأله ،
فقال : هذه ابنتي وهذا ابن أخي .

١ قصر الناس : غايتهم .

٢ الفواق : ما بين الحلبتين من الوقت ، وأرادت زمنًا قليلًا .

ردّ فؤادي

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي في ما أجاز لنا قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
أنشدنا أبو عبد الله النوبختي :

قلتُ له : ردّ فؤادي ، فقد أبلّيت بالهجر نواحيه
فقال لي مبتسماً ضاحكاً : قد غلق الرهنُ بما فيه^١

حديث عاشقين

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد المرزباني
قال : حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال :
رأيتُ عاشقين اجتماعاً ، فجعلوا يتحدّثان من أوّل الليل إلى الغداة .

أموت بدائي

أخبرنا عبد العزيز بن علي الأزجي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الحمذاني
بمكة قال :

أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أموتُ بدائي لا أصيبُ مداوياً ولا فَرَجاً ممّا أرى من بَلَاثِيَا
إذا كانَ هذا العَبْدُ رِقّاً مَلِيكِهِ ، فمَنْ دونه يرجو طبيباً مداوياً
معَ اللهِ يمضي دهرُهُ مُتَلَدّاً^٢ ، مطيعاً له ما عاش أم كان عاصياً^٣

١ غلق الرهن : لم يستطع الراهن أن يفكه .

٢ متلداً : متحيراً .

مصارع العشاق

أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ بالشام قال : حدثنا علي بن أيوب قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني محمد بن يحيى قال :

قال علي بن الجهم :

نُوبُ الزَّمانِ كَثِيرَةٌ ، وَأَشَدُّها شَمْلٌ تَحَكَّمْ فِيهِ يَوْمُ فِرَاقِ
يا قلبِ لِمَ عَرَضْتَ نَفْسَكَ لِلهُوى ، أَوْما رَأَيْتَ مِصْارِعَ العُشَّاقِ ؟

غريقا الهوى

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراءتي عليه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال : حدثني عبد الرحمن بن اسحاق القاضي قال :

انحدرتُ من سُرٍّ مَنْ رَأى مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق ، ودجلة
تَزَخَّرُ من كَثرةِ مائِها . فلَمَّا أن سَرَّنا ساعة قال : ارفِقْ بِنّا ، ثمّ دعا
بِطعامه ، فأكلنا ، ثمّ قال : ما تَرى في النَّبِيذِ ؟ قلتُ له : أَعزَّكَ اللهُ أَيْها
الأميرُ ، هذه دجلةُ قد جاءَتْ بِمَدٍّ عَظيمٍ يُرْعِبُ مثله ، وبَيْنَكَ وبينَ
مِثْلِكَ مَبِيتُ لَيْلَةٍ ، فلو شِئتَ أَخَرْتَهُ . قال : لا بدَّ لي من الشُّرْبِ ،
فَضْرِبْتُ ستارة ، واندَفَعْتُ مُغَنِّيَةً تَغني ، واندَفَعْتُ أُخْرى فَغَنَّتْ :

يَسَا رَحِمَتَا للعاشِقَيْنَا ما إن أرى لهم مُعِينَا
كَمْ يُشْتَمُونَ وَيُضْرَبُونَ وَيُهَجَرُونَ فَيَصْبِرُونَ

١ سنة ١٠٤٩ م .

فَقَالَتْ لَهَا الْمُغَنِّيَّةُ الْأُولَى : فَيَصْنَعُونَ مَاذَا ؟ قَالَتْ : يَصْنَعُونَ هَكَذَا ،
فَرَفَعَتِ السُّتَارَةَ ، وَقَذَفَتْ بِنَفْسِهَا فِي دِجْلَةٍ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْ مُحَمَّدٍ غُلَامٌ^١
ذُكِرَ أَنَّهُ شَرَاهُ بِالْفِ دِينَارٍ ، وَبِيَدِهِ مِذْبََّةٌ^٢ ، لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ ، فَوَضَعَ
الْمِذْبََّةَ ، وَقَذَفَ بِنَفْسِهِ فِي دِجْلَةٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا
فَأَرَادَ الْمَلَاحُونَ أَنْ يَطْرَحُوا أَنْفُسَهُمْ خَلْفَهُمَا ، فَصَاحَ بِهِمْ مُحَمَّدٌ : دَعُوهُمَا
يَغْرَقَا إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! قَالَ : فَرَأَيْتُهُمَا ، وَقَدْ خَرَجَا مِنَ الْمَاءِ مُتَعَانِقَيْنِ ثُمَّ غَرَّقَا .

التطير من البكاء

أَنشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ قَالَ : أَنشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مُوسَى قَالَ :

أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ قَالَ :

أَنشَدَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ لَقِيطٍ :

يَا شَوْقَ الْفَيْنِ حَالِ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا فَعَافَصَاهُ^١ عَلَى التَّوْدِيعِ فَاغْتَنَقَا^٢
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيتُ بِهَا تَطْيِيرًا مِنْ بُكَائِي بَعْدَهُمْ شَفَقًا

ما لقتيل الحب قود

وَلِي مِنْ أَثْنَاءِ قَصِيدَةٍ :

وَطَالِبِ بَدْمِي ثَارًا ، فَقُلْتُ لَهُ : هِيَاتَ مَا لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوَدٍ^٣
لِلَّهِ قَلْبِي لَقَدْ أَضْحَى ، غَدَاةَ غَدَتِ حُمُولُهُمْ ، لِلْجَوَى حِلْفًا وَلِلْكَمَدِ

١ المذبة : ما يطرد به الذباب .

٢ عافصاه : صارعاه .

٣ القود : القصاص ، قتل القاتل بالقتيل .

الحب حلو ومر

أنبأنا الشيخ أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة أن أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزبان أخبرهم
اجازة قال : أخبرنا عبيد الله بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال :

أنشدني إبراهيم بن عبد الله الوراق لمحمد بن أبي أمية :

وَصَاحِكَ مِنْ بُكَائِي حِينَ أَبْصِرُهُ لَوْ كَانَ جَرَّبَ مَا جَرَّبْتُ أَبْكَاهُ
لَا يُرْحَمُ الْمُبْتَلَى مِمَّا تَضَمَّنَهُ إِلَّا فِي مُبْتَلَى قَدْ ذَاقَ بَلَوَاهُ
مَا أَسْرَعَ الْمَوْتَ إِنْ تَمَّتْ عَزِيمَتُهُمْ عَلَى الْقَطِيعَةِ إِنْ لَمْ يُرْحَمِ اللَّهُ
الْحُبُّ حَلْوٌ وَمُرٌّ فِي مَذَاقَتِهِ ، أَمْرُهُ هَجْرُكُمْ وَالْوَصْلُ أَحْلَاهُ

لم يفتها جواره ميتاً

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقراءتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
أحمد بن محمد المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن
هشام عن أبيه عن جده قال : حدثني مصدع بن غلاب الحميري وكان مخضرمًا ، وادركته وهو
ابن ثمانين عشرة ومائة سنة وما في وفرة ولحيته بيضاء ، قال : حدثني أبي غلاب قال :

كَانَ بِلْدَمَارَ^١ فَتًى مِنْ حِمِيرٍ ، مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ شَرَفٌ يُقَالُ لَهُ : زَرْعَةُ
ابْنِ رَقِيمٍ ، وَكَانَ جَمِيلًا شَاعِرًا لَا تَرَاهُ امْرَأَةً إِلَّا صَبَّتْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِي
ظَهْرِ ذِمَارِ رَجُلٍ^٢ شَيْخٌ كَثِيرُ الْمَالِ ، وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تُسَمَّى مُفَدَّاةً ، بَارِعَةٌ
الْجَمَالِ ، حَصِيفَةُ اللَّبِّ ، ذَاتُ لِسَانٍ مِصْلَقٍ^٣ ، تُفْحِمُ الْبَلِيغَ ، وَتُخْرِسُ
الْمِنْطِيقَ ، وَكَانَ زَرْعَةُ يُتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فِي فِتْيَةٍ مِنَ الْحَيِّ ، وَكَانَ مَعَهُ

١ ذمار : بلدة على مرحلتين من صنعاء .

٢ المصلق : البليغ .

يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا فَتَى مِنْ قَوْمِهَا يُقَالُ لَهُ حَيِّيٌّ ، ذُو جَمَالٍ وَعَتَافٍ وَحَيَاءٍ ،
فَكَانَتْ تَرْكُنُ إِلَى حَدِيثِهِ ، وَتَشْمِيزُ مِنْ زُرْعَةِ لِرَهْقِهِ^١ ، فَسَاءَ ذَلِكَ زُرْعَةً
وَأَحْزَنَةً ، فَاجْتَمَعَا ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَهَا فَرَأَى إِعْرَاضَهَا عَنْهُ وَإِقْبَالَهَا عَلَى حَيِّيٍّ ،
فَقَالَ :

صُدُودٌ وَإِعْرَاضٌ وَإِظْهَارٌ بِغَضَةٍ ، عَلَامٌ وَلَيْمٌ يَا بِنْتَ آلِ الْعُدَافِرِ ؟
فَقَالَتْ :

عَلَى غَيْرِ مَا شَرٍّ ، وَلَكِنَّكَ أَمْرٌ عُرِفْتَ بِغِلِّ الْمَوَاسَاتِ الْعَوَهِرِ^٢
فَقَالَ حَيِّيٌّ :

جَمَالُكَ يَا زَرْعَ بَنِ أَرْقَمَ إِنَّمَا تُنَاجِي الْقُلُوبَ بِالْعَيُونِ النَّوَظِرِ
فَقَالَ زَرْعٌ :

فَإِنْ يَكُ مِمَّا خَسَّ حَظِي لِأَنِّي أَصَابِي فَتُصْبِي عَيُونُ الْقَصَائِرِ^٣
وَأَنْي كَرِيمٌ لَا أَزَنَ بَرِيَّةٍ وَلَا يَبْعَثِي ثَوْبِي رَيْنُ الْمَعَايِرِ^٤
فَقَالَتِ الْمُفْدَاةُ :

كَذَاكَ فَكُنْ ، بِسَلَمٍ لَكَ الْعِرْضُ ، إِنَّهُ جَمَالُ أَمْرٍ أَنْ يَرْتَدِي عِرْضَ طَاهِرٍ
فَقَالَ حَيِّيٌّ :

حَيَاءٌ كَمَا لَا تَعْصِيَاهُ ، فَإِنَّمَا يَكُونُ الْحَيَاءُ مِنْ تَوَقِّي الْمَعَايِرِ

١ رهقه : خفة عقله وجهله .

٢ أرادت بغل المومسات : أنه يدخل على المومسات ويعاشرهن .

٣ خس حظي : صار خسيساً . القصائر ، الواحدة قصيرة : المحبوسة التي لا يسمح لها أن تخرج من بيتها .

٤ أزن : أوسم . الرين . الدنس .

فانصرفَ زَرْعُهُ وقد خامرهُ من حبّهما ما غلبَ على عقله ، فغَبِرَ^١
أياماً عنها ، وامتنعَ من الطعام والشراب والقرار ، وأنشأ يقولُ :

يا بُغِيَّةُ أهدتِ إلى القلبِ لوعةً^٢ لقد خُبِثتِ لي منك إحدى الدهارسِ^٣
وما كنتُ أدري والبلايا مُظِلَّةٌ بأنّ حِمامي تحتَ لحظِ مُخالِسِ
جلستُ على مكتوبةِ القلبِ طائِعاً ، فيأ طَوْعَ مَحْبُوسٍ لأَعْنَفِ حَابِسِ
فشاعَ هذا الشعرُ في الحيّ وبلغَ المُفدّاةَ ، فاحتجبتُ عنه ، وامتنعتُ
من مُحادثَةِ الرّجالِ ، فامتنعَ من الحركة والطعام ، فغَبِرَ على ذلكَ حَوَلُ^٤ ،
وماتَ عَظِيمٌ من عَظَمَاءِ القَبَائِلِ فبرزَ مأتمُ النساءِ ، فبلغَ زَرْعَهُ أن
المُفدّاةَ في المأتمِ ، فاحتملَ حتى تناءى نَشْرًا ، واجتمعَ إليه لِدَانُهُ^٥
يُفَنِّدُونَ رأيه وَيَعْدُلُونَهُ ، فأنشأ يقولُ :

لمْ يُلَمِّمْ في الوفاءِ مَنْ كَتَمَ الذِّمَّ حُبٌّ وأغضى على فُؤَادٍ لَهِيدٍ^٣
صَابَنَا ذاكَ لَأَمَمٍ من جلبِ السِّمِّ مَ عَلَيْهِ ونَفْسُهُ في الْوَرِيدِ^٤
ثمَّ شَهَقَ ، فماتَ ، وتَصَيَّحَ أصحابُهُ ونساؤه ، وبلغَ المُفدّاةَ
خبرُهُ ، فقامتْ نحوهُ حتى وقفتْ عليه ، وقد تَعَفَّرَ وجهُهُ ، وأهلُهُ يَنْضَحُونَهُ
بالماءِ ، فنهمتْ أن تُلقِي نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، ثمَّ تَمَاسَكَتْ ، وبَادَرَتْ خِباءَهَا ،
فَسَقَطَتْ تَائِهَةً الْعَقْلِ ، تُكَلِّمُ فَلَاحُجِيْبُ ، سَحَابَةً يَوْمِيهَا ، فلما جَنَّ
عليها الليلُ رَفَعَتْ عَقِيرَتَهَا فَقَالَتْ :

بِنَفْسِي يَا زَرَعَ بَنٍ أَرْقَمَ لَوْعَةً^٢ طَوَيْتُ عَلَيْهَا الْقَلْبَ وَالسِّرَّ كَاتِمٌ^٥

١ غبر : امتنع .

٢ الدهارس : الدواهي .

٣ الهيد : الحسير .

٤ الوريد : عرق في العنق .

٥ كاتم : أي مكتوم ، مجاز عقلي .

لَتَيْنِ لَمْ أُمْتُ حُزْنًا عَلَيْهِ فَمَاتَتِي لِأَلَامٍ مَنِ نِيْطَتُ عَلَيْهِ التَّمَائِمُ^١
لَتَيْنِ فُتْنِي حَيًّا فَلَيْسَ بِفَتْنَتِي جَوَارُكُ مَيِّتًا حَيْثُ تَبْلَى الرَّمَائِمُ^٢
ثُمَّ تَنَفَّسَتْ نَفْسًا نَبَّهَ مَنْ حَوْلَهَا فَإِذَا هِيَ مَيِّتَةٌ فَدُفِنَتْ إِلَى جَنْبِهِ .
وَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ حِمِيرٍ أَشْبَلَتْ^٣ عَلَى وَلَدِهَا بَعْدَ زَوْجِهَا :
وَفَيْتُ لَابْنَ مَالِكِ بْنِ أَرْطَاهُ كَمَا وَفَّتُ لَزُرْعَةِ الْمُفْدَاهِ
وَاللَّهِ لَا خِشْتُ بِهِ أَوْ أَلْقَاهُ حَيْثُ يُلَاقِي وَامِقٌ^٤ مِنْ يَهْوَاهُ
مِنْ مَمْتَطٍ ، نَاحِيَةٍ ، شَمَرْدَاهُ وَعَائِرٍ قَدْ خَذَلَتْهُ رِجْلَاهُ^٥
تَرِيدُ قَوْلَ الْجَاهِلِيَّةِ : إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ رَكْبَانًا عَلَى الْبَلَايَا ، وَمُشَاةً
إِنْ لَمْ تُعْقَرَ^٦ مَطَايَاهُمْ عَلَى قُبُورِهِمْ ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ مِنْ فِعْلِ الْجَاهِلِيَّةِ .

تفارق قومها بأكية

حدث شيخنا أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو
عبد الله أحمد بن سليمان بن داود بن محمد الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا
هارون بن موسى قال : حدثني عبد الله بن عمرو الفهري عن عمه الحارث بن محمد عن عيسى
ابن عبد الأعلى قال :

كَانَتْ بِالْمَدِينَةِ جَارِيَةٌ لَالٌ أَبِي رُمَاثَةٍ ، أَوْ لَالٌ أَبِي تَفَّاحَةٍ ، يُقَالُ لَهَا :
سَلَامَةٌ . قَالَ : فَكَتَبَ فِيهَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَتَشْتَرِيَ لَهُ ، فَاشْتَرَيْتُ

١ نيطت : ربطت . التمايم : التعاويد ، الواحدة تميمة .

٢ الرمايم : العظام البالية .

٣ أشبلت المرأة على أولادها : قامت عليهم بعد وفاة زوجها .

٤ خست به : أنقصت من حقه . الوميق : المحب .

٥ شمرداة : لم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها تصحيف شمردلة : الناقة الحسنة الخلق .

٦ البلايا ، الواحدة بلية : الناقة التي كانت تعقل في الجاهلية عند قبر صاحبها فلا تعلق ولا تسقى
حتى تموت . تعقر : تقطع قوائمها بالسيف .

بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقَالَ أَهْلُهَا : لَا تَخْرُجْ حَتَّى تُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهَا ، فَقَالَتْ
الرَّسُلُ : لَا حَاجَةَ لَكُمْ بِذَاكَ ! مَعَنَا مَا يُصْلِحُهَا . قَالَ : فَخَرُجْ بِهَا حَتَّى
أَتِيَ بِهَا سِقَايَةَ سُلَيْمَانَ ، قَالَ : فَأَنْزَلْنَا رَسُولَهُ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ لَا أَخْرُجُ
حَتَّى يَأْتِيَنِي قَوْمٌ كَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَيَّ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَاْمْتَلَأْ ذَلِكَ
الْمَوْضِعَ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَتْ فَوَقَّفَتْ بَيْنَ النَّاسِ ، وَهِيَ تَقُولُ :

فَارْقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَتَمِينًا مَا لِمَنْ ذَاقَ فُرْقَةً مِنْ إِيَابِ
إِنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ قَدْ تَرَكَونِي فِي وَلُوعٍ يَذْكُو بِأَهْلِ الْحِصَابِ
سَكَنُوا الْجَزْعَ وَهُوَ جَزْعُ أَبِي مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صَفِيِّ الشَّبَابِ
أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَآيَا ، مَا عَلَى الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
قَالَ : فَمَا زَالَتْ عَلَى ذَلِكَ تَبْكِي وَيَكُونُ حَتَّى رَاحَتْ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ
بِثَلَاثَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

يزيد يموت حزناً على حَبَابَةِ

حدث أبو علي بن شاذان قال : حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو عبد
الله أحمد بن سليمان الطوسي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني هارون بن موسى قال :
حدثني موسى بن جعفر بن أبي كثير وعبد الملك بن الماجشون قال :
لَمَّا مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ يَزِيدُ ١ : وَاللَّهِ مَا عَسِرَ بِأَحْوَجَ إِلَى اللَّهِ مِنِّي .
قَالَ : فَأَقَامَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً يَسِيرُ بِسِرَةٍ عُمَرَ ، فَقَالَتْ حَبَابَةُ لِحَصِيٍّ لَهُ
كَانَ صَاحِبَ أَمْرِهِ : وَيَحْكُ قُمْ بِي حَيْثُ يَسْمَعُ كَلَامِي وَلَكَ عَلَى عَشْرَةِ
آلَافٍ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا مَرَّ يَزِيدُ بِهَا قَالَتْ :

بَكَيْتُ الصَّبِيَّ جَهْلًا فَمَنْ شَاءَ لَامَنِي وَمَنْ شَاءَ آسَى فِي الْبُكَاءِ وَأَسْعَدَا
أَلَا لَا تَلُئِمُهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا فَقَدْ مَنَعَ الْمَحْزُونُ أَنْ يَتَجَلَّدَا

١ هو يزيد بن عبد الملك .

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّئَانِ وَفَنَدًا^١
 إِذَا كُنْتَ عِزُّهَاةً عَنِ اللّٰهُوِ وَالصَّبِي فَكُنْ حَجْرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا^٢
 قَالَ أَبُو مُوسَى : وَهَذَا الشَّعْرُ لِلْأَحْوَصِ ، فَلَمَّا سَمِعَهَا قَالَ لِلْخَصِي :
 وَيَحْكُ ! قُلْ لِصَاحِبِ الشَّرْطِ يُصَلِّتِي بِالنَّاسِ . وَقَالَ يَوْمًا : وَاللَّهِ إِنِّي
 لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَخْلُوَ بِهَا ، وَلَا أَرَى أَحَدًا غَيْرَهَا ، وَأَمَرَ بِبُسْتَانٍ ، وَأَمَرَ بِحَاجِبِهِ
 أَنْ لَا يُعْلِمَهُ بِأَحَدٍ .

قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ مَعَها أَسَرَ النَّاسَ بِهَا ، إِذْ حَذَفَهَا بِحَبَّةِ رُمَّانٍ ، أَوْ
 بِعَيْنَبَةٍ ، وَهِيَ تَضْحَكُ ، فَوَقَعَتْ فِي فِيهَا فَشَرَقَتْ فَمَاتَتْ ، فَأَقَامَتْ
 عَنْده فِي الْبَيْتِ حَتَّى جِيفَتْ ، أَوْ كَادَتْ تَجِيفُ ، ثُمَّ خَرَجَ فَدَفَنَهَا ، وَأَقَامَ
 أَيَّامًا ، ثُمَّ خَرَجَ ، وَعَلَيْهِ الْهَمُّ بَادِيًا ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ :
 فَإِنْ نَسِلُ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعَ الصَّبِي فَبِالْبَاسِ أَسْلُو عَنْكَ لَا بِالتَّجَلُّدِ
 وَكُلُّ خَلِيلٍ لَامَتِي فَهُوَ قَائِلٌ مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةً الْيَوْمِ أَوْ غَدًا^٣
 ثُمَّ رَجَعَ فَمَا خَرَجَ مِنْ مَنَزَلِهِ حَتَّى خَرَجَ بِنَعْشِهِ .

الصوفي المتعفف

أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ بِقِرَائَتِي عَلَيْهِ بِبَصْرَةَ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِي
 السَّرْقَنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ أَلِيسَعٍ بِالْقِرَافَةِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو
 بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرٍو الدِّينَوْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصُّوفِيُّ الْحَافِظُ
 قَالَ : قَالَ أَبُو حَنِزَةَ الصُّوفِيُّ :

رَأَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَتَى مِنَ الصُّوفِيَّةِ يَصْحَبُ غُلَامًا مُدَّةً طَوِيلَةً ،
 فَمَاتَ الْفَتَى ، وَطَالَ حَزْنُ الْغُلَامِ عَلَيْهِ ، حَتَّى صَارَ جُلْدًا وَعَظْمًا مِنَ الْفَتَى

١ ذُو الشَّئَانِ : الْمُبْغِضُ . فَتَد : لَام .

٢ الْعِزَّةُ : الزَّاهِدُ فِي اللَّهِ وَالنَّسَاءِ . الْجَلَمَدُ : الصَّلْبُ الْقَاسِي .

٣ الْهَامَةُ : الْجُثَّةُ .

والكَمَدِ . فقلتُ له يوماً : لقد طالَ حزنُكَ على صديقِكَ حتَّى أَظُنُّ أنَّكَ
لا تسلو بَعْدَهُ أبداً . فقال : وكيفَ أسلو عن رجلٍ أَجلَّ اللهُ تعالى أنْ يعصِيَه
معي طرفَةً عينٍ وصانِي عن نجاسةِ الفسوقِ في طولٍ صُحْبِي له وخَلَّتْواي
مَعَه في الليل والنهار .

هَوَيْتُ شَادِنًا

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إجازة قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه
قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف قال :

قال عُمر بن أبي ربيعة :

طَبِيبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوِّي بَاطِنًا
فَعُوجًا عَلَى مَخْرَلٍ بِالْغَمِّ مِ ، فَلَيْ هَوَيْتُ بِهِ شَادِنًا

دَهْرٌ يُشْتِ وَيَجْمَعُ

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد الترمي قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن أحمد الرازي قال :
أَنشَدَنِي أَبُو مُضَرَّرٍ رِبِيعَةُ بْنُ مَيْسَرَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْبَزَارِيُّ بِقَزَوِينَ لِبَعْضِهِمْ :
فَلَا تَحْسَبْنِي أَنِّي تَبَدَّلْتُ خِلَةً سَوَاكِ وَلَا أَنِّي بِغَيْرِكَ أَقْنَعُ
وَلَا عَن قِلِّي كَانَ الْقَطِيعَةُ بَيْنَنَا ، وَلَكِنَّهُ دَهْرٌ يُشْتِ وَيَجْمَعُ

١ الشادن : الغزال الصغير .

لو بدلت مساكنها

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد
الجرادي الكاتب قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثني المكي عن المدايني قال :
أنشد الحارث بن خالد المخزومي عبیدَ الله بن عمر :

إني وما نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يُوْودُهَا الْعَقْلُ^١
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سُفْلًا ، وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

الفرزدق والبدوية الحسنة

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن
المكثفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي ، يرفعه عن الفرزدق ، قال :

أَبِيقَ غُلَامٌ لِرَجُلٍ مِنْ نَهْشَلٍ فَخَرَجْتُ فِي طَلْبِهِ أُرِيدُ الْيَمَامَةَ ، وَأَنَا
عَلَى نَاقَةٍ لِي عَيْسَاءُ^٢ ، فَلَمَّا صِرْتُ عَلَى مَاءٍ لَبِيتُ حَنِيفَةً ارْتَفَعَتْ سَحَابَةٌ
فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ وَأَرَخَتْ عِزَالِيَّهَا ، فَعَدَلْتُ إِلَى بَعْضِ دِيَارِهِمْ ، فَسَأَلْتُهُمْ
الْقِرَى ، فَأَجَابُوا ، فَأَنْحَتُ نَاقَتِي ، وَجَلَسْتُ تَحْتَ بَيْتٍ لَهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ ،
وَفِي الدَّارِ جُؤَيْرِيَّةٌ سَوْدَاءُ ، وَفَتَاةٌ كَأَنَّهَا فِلَقَةٌ قَمَرٍ ، فَسَأَلْتُ السَّوْدَاءَ :
لِمَنْ هَذِهِ الْعَيْسَاءُ ؟ فَأَشَارَتْ إِلَيَّ وَقَالَتْ : لِضَيْفِكُمْ هَذَا . فَعَدَلْتُ إِلَيَّ
فَسَلَّمْتُ ، وَقَالَتْ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي تَمِيمٍ . قَالَتْ : مِنْ أَيُّهُمْ ؟
قُلْتُ : مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ . قَالَتْ : فَأَنْتُمْ الَّذِينَ يَقُولُ لَكُمْ الْفَرَزْدَقُ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

١ منى : من مناسك الحج . الجمار : الحصى التي يرميها الحجاج .

٢ العيساء : الناقة الكريمة .

بَيْتُ زَرَّارَةٍ مُخْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْقَوَارِسِ نَهْشَلُ
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَضَحِكْتُ ، وَقَالَتْ : فَإِنَّ جَرِيرًا هَدَمَ عَلَيْهِ
بَيْتَهُ حَيْثُ يَقُولُ :

أَخْزَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَأَحْلَى بَيْنَكَ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
قَالَ : فَأَعْجَبَتْنِي ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ فِي عَيْنِي قَالَتْ : أَيْنَ تَوْمٌ ؟ قُلْتُ :
الْيَمَامَةُ . فَتَنَفَّسَتْ الصُّعْدَاءُ ثُمَّ قَالَتْ :

تَذَكَّرْتُ الْيَمَامَةَ ، إِنَّ ذِكْرِي بِهَا أَهْلَ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ
أَلَا فَسَقَى الْمَلِكُ أَجَشَّ جَوْنًا يَجُودُ بِسَحَةِ تِلْكَ الْيَمَامَةِ
أَحْيَى بِالسَّلَامِ أَبَا نَجِيدٍ ، وَأَهْلًا لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
قَالَ : فَأَنْسَتْ بِهَا ، فَقُلْتُ : أَذَاتُ خَدِيدٍ أَنْتِ أَمْ ذَاتُ بَعْلٍ ؟ فَقَالَتْ :
إِذَا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا هُوَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الْمُسْتَنِيرُ
وَمَا لِي فِي التَّبَعْلِ مِنْ مِرَاحٍ وَلَوْ رُدَّ التَّبَعْلُ لِي أُسِيرُ^٢
ثُمَّ سَكَتَتْ كَأَنَّمَا تَسْمَعُ كَلَامِي فَانْشَأَتْ تَقُولُ :

تَخِيلَ لِي ، أَبَا كَعْبِ بْنِ عَمْرٍو ، بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرٍ
فَإِنْ يَكُ هَكَذَا ، يَا عَمْرٍو ، إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقُبُورِ
ثُمَّ شَهَقَتْ شَهَقَةً فَمَاتَتْ . فَقِيلَ لِي : هِيَ عَقِيلَةُ بِنْتُ النِّجَادِ بْنِ النُّعْمَانِ
ابْنِ الْمُنْدَرِ ، وَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو فَقِيلَ لِي : ابْنُ عَمَّتِهَا ، وَكَانَ مُغْرَمًا بِهَا ،
وَهِيَ كَذَلِكَ ، فَدَخَلْتُ الْيَمَامَةَ ، فَسَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو ، فَإِذَا بِهِ قَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ
الْيَوْمِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .

١ أجش جون : سحاب راعد ، مسود .

٢ المراح : الفرح ، والسرور . التبعل : الزواج . معنى العجز غامض .

العشق شغل قلب فارغ

أبنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرني أحمد بن يحيى قال : حدثنا أبو العيناء قال : حدثنا ابن عائشة قال :

قلت لطبيب كان موصوفاً بالحِذْقِ : ما العِشْقُ ؟ قال : شُغْلُ قَلْبٍ فارغٍ .
وَأَنْشِدَ لِبَعْضِهِمْ :

وَقَائِلَةٌ جَدُّدَ لِعَيْنَيْكَ نَظْرَةً تُسَكِّنُ مَا بِالْقَلْبِ مِنَ أَلَمِ الْوَجْدِ
فَقُلْتُ لَهَا : يَكْفِيكَ مَا بِي مِنَ الْهَوَى ، تُرِيدِينَ أَنْ أَزْدَادَ جُهْدًا عَلَى جُهْدِ

يتهدد بالهجر

أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أنشدنا طلحة الشاهد قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال :

أنشدني إسحق بن عمار لسكلم الحاسر :

وَلَمَّا رَأَى شَوْقِي إِلَيْهِ وَحَسَرَّتِي عَلَيْهِ وَأَنِّي لَسْتُ أَقْوَى عَلَى الْهَجْرِ
تَهْدِدَنِي بِالْهَجْرِ حَتَّى كَأَنَّمَا رَأَيْتُ مُدِلًّا بِالْعَزَاءِ وَبِالصَّبْرِ

لا جسم ولا قلب

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بدمشق قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن علي ابن حمويه بن ابرك الهمداني بها قال : أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بكثير ازي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي التميمي قال : حدثنا أحمد بن علي الناقد قال : حدثنا أحمد بن محمد ابن يحيى بن جرير قال : قال أبو بكر محمد بن فرخان :

لَقِيتُ غَوْرَكَ الْمَجْنُونَ ، وَفِي عُنُقِهِ حَبْلٌ قَصِيرٌ ، وَالصَّبَّيَانُ يَقُودُونَهُ ،
فَقَالَ لِي : يَا أَبَا بَكْرٍ ! بِمَ يُعَذِّبُ اللَّهُ أَهْلَ جَهَنَّمَ ؟ قُلْتُ : بِأَشَدِّ الْعَذَابِ .
قَالَ : صِفْ لِي ، قُلْتُ : وَمَنْ يَصِفُ عَذَابَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَنَا فِي أَشَدِّ مِنْ
عَذَابِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ ثَوْبَهُ عَنْ جَسَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ نَاحِلٌ الْجَسْمِ دَقِيقَ الْعَظْمِ ،
فَقَالَ لِي :

انْظُرْ إِلَى مَا فَعَلَ الْحُبُّ ، لَمْ يَبْقَ لِي جِسْمٌ وَلَا قَلْبٌ
أَنْحَلَ جِسْمِي حُبٌّ مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ شَأْنِهَا الْهَجْرَانُ وَالْعَتَبُ
مَا كَانَ أَغْنَانِي عَنْ حُبٍّ مَنْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ وَالْحُجُبُ

الحب أعظم من الجنون

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا زكريا بن موسى قال : حدثني شعيب بن السكن عن يونس النحوي قال :

لَمَّا خُولِطَ قَيْسُ بْنُ الْمُلَوَّحِ وَزَالَ عَقْلُهُ وَامْتَنَعَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ
صَارَتْ أُمُّهُ إِلَى لَيْلٍ فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ ابْنِي جُنُنٌ مِنْ أَجْلِكَ ، وَذَهَبَ حُبُّكَ
بِعَقْلِهِ ، وَقَدْ امْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنْ رَأَيْتِ أَنْ تُصِيرِي مَعِيَ إِلَيْهِ
فَلْتَعَلِّهِ ، إِذَا رَأَتْهُ ، يَسْكُنُ بَعْضُ مَا يَجِدُ . فَقَالَتْ لَهَا : أَمَا نَهَاراً فَمَا يُمْكِنُنِي

ذلكَ ، وإن عَلِمَ أَهْلُ الْمَاءِ لَمْ آمَنَهُمْ عَلَى نَفْسِي ، وَلَكِنْ سَأَصِيرُ إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مُطَرِّقٌ يَهْذِي ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا قَيْسُ ! إِنْ أَمَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ جُنِنْتَ عَلَى رَأْسِي ، وَأَصَابَكَ مَا أَصَابَكَ ؟ قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَتَنَظَرَ إِلَيْهَا وَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قَالَتْ جُنِنْتَ عَلَى رَأْسِي ، فَقُلْتُ لَهَا : الْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يُفَنِّقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ ، وَإِنَّمَا يُضْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحَيْنِ

كثِيرٌ عَلَى قَبْرِ عَزَّةَ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْمُحَسِّنِ التَّنُوخِيُّ بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَمِيصٍ
الرَّمَانِيُّ النَّحْوِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْأُولَى بْنُ مَرْبَدٍ قَالَ :
أَخْبَرَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :

خَرَجَ كُثَيْبُ بْنُ يَزِيدَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ فَأَكْرَمَهُ ، وَرَفَعَ مَنَزِلَتَهُ ،
وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ ، وَقَالَ : سَلْنِي مَا شِئْتَ مِنَ الْخَوَائِجِ ! قَالَ : نَعَمْ ، أَحِبُّ
أَنْ تَنْظُرَ لِي مَنْ يَعْرِفُ قَبْرَ عَزَّةَ ، فَيُوقِفَنِي عَلَيْهِ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ :
إِنِّي لَعَارِفٌ بِهِ . فَوَثَبَ كُثَيْبٌ فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : هِيَ حَاجَتِي أَصْلَحَكَ اللَّهُ .
فَانْطَلَقَ بِهِ الرَّجُلُ حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى مَوْضِعِ قَبْرِهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، وَدَمَعَهُ
يَجْرِي ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِعَزَّةَ نَاقَتِي ، وَفِي الْبُرْدِ رَشَاشٌ مِنَ الدَّمْعِ يَسْفَحُ
فَيَا عَزَّ أَنْتِ الْبَدْرُ قَدْ حَالَ دُونَهُ رَجِيعُ التَّرَابِ وَالصَّفِيحُ الْمَضْرَحُ^١
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَقِيبَةً ، فَأَنْتِ لَعَمْرِي الْيَوْمَ أَنْأَى وَأَنْزَحُ

١ الصفيح : الحجارة العريضة . المضرح : أراد المبنى ضريحاً ، قبراً .

فَهَلَّا فِدَاكَ الْمَوْتُ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ ، وَمَنْ هُوَ أَسْبَا مِنْكَ حَالًا وَأَقْبَحُ
أَلَا لَا أَرَى بَعْدَ ابْنَةِ النَّضْرِ لَذَّةً لِشَيْءٍ ، وَلَا مِلْحًا لِمَنْ يَتَمَلَّحُ
فَلَا زَالَ وَادِي رَمْسٍ عَزَّةً سَائِلًا بِهِ نِعْمَةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَسْفَحُ
فَإِنَّ الَّتِي أَحْبَبْتُ قَدْ حَالَ دُونَهَا طَوَالَ اللَّيَالِي وَالضَّرِيحُ الْمَصْفَحُ
أَرْبَ بَعَيْنِي الْبُكَاءُ ، كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَقَدْ كَادَ مَجْرَى دَمْعٍ عَيْنِي يَقْرَحُ^١
إِذَا لَمْ يَكُنْ مَاءٌ تَحْلِبَتَا دَمًا ، وَشَرُّ الْبُكَاءِ الْمُسْتَعَادُ الْمُنَحَّ^٢

الموت أيسرُ محملاً

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله
ابن محمد بن علي الجراذي الكاتب قال :

أنشدني بعضُ أصحابنا لأبي تمام :

إِلَوْ شَهِدْتَ مَوَاقِفَ الْعُشَّاقِ وَمَدَامِعًا تَجْرِي مِنَ الْآمَاقِ^٣
تَسْتَنُّ مِنْ سَيْلِ الْجَفُونَ مَعَ الدَّمَا ، حَتَّى تَكَادُ تَسِيلُ بِالْأَحْدَاقِ^٤
لَمَّا تَقَارَبَتِ النُّفُوسُ لِفُرْقَةٍ وَالتَفَّتِ الْأَعْنَاقُ بِالْأَعْنَاقِ
وَرَأَيْتُ كُلًّا سَائِلًا لِحَبِيبِهِ : أَزِفَ النَّوَى فَمَتَى يَكُونُ تَلَاقٍ ؟
لَحَلَفْتُ أَنَّ الْمَوْتَ أَيْسَرُ مُحْمَلًا مِنْ يَوْمٍ تَوَدَّعَ وَيَوْمٍ فِرَاقٍ^٥

١ أرب بالمكان : أقام فيه ولزمه ، أراد لزم البكاء عينيه .

٢ المنح : أراد غير المتقطع .

٣ إلو : مؤلفة من ادغام إن في لو .

٤ تستن : تنصب .

٥ لحلفت : جواب لو في البيت الأول .

العينان القاتلتان

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد الحرادي قال :
أنشدنا أبو العباس أحمد بن سهل لبعض المحدثين :

يا ذا الذي في الحبّ يلحى أما والله لو حُمِلتَ مني كُما ،
حُمِلتُ من حُبِّ بديعٍ لما لُمتَ على الحبِّ فدعني وما ،
ألقى فلاني لستُ أدري بِمَا قُتِلتُ ، إلاّ أنّي بينَما ،
أنا بِبَابِ الدارِ في بعضِ ما أطلُبُ من دارِهِم إذ رَمَى ،
ظبيّ فؤادي بِسِهامٍ ، فما أخطأ سَهْمَاهُ وَلَكِنَّمَا ،
سَهْمَاهُ عَيْنَاهُ الّتي كُلَّمَا أرادَ قَتلي بهما سَلَّمَا

مات على قبر حبيبته

أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر اللقاق بقراعتي عليه قال : أخبرنا الأمير أبو الحسن
أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرني الرياشي عن الأصمعي عن
جبر بن حبيب قال :

أقبلتُ من مَكَّةَ أريدُ اليَمَامَةَ فنَزَلْتُ بِحَيٍّ من عامِرٍ ، فأكرموا مَثْوَاي ،
فلَذا فَتَّي حَسَنُ الهَيْئَةِ قد جاءني ، فَسَلَّمْ عَلَيَّ ، فقال : أينَ يُريدُ الراكِبُ ؟
قُلْتُ : اليَمَامَةُ . قال : ومن أينَ أقبلتَ ؟ قلتُ : من مَكَّةَ . فجلَسَ إليّ ،
فَحَادَثَنِي أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ثمَّ قال لي : أَتَأْذَنُ في صُحْبَتِكَ إلى اليَمَامَةِ ؟
قلتُ : أَحِبُّ خَيْرَ مَصْحُوبٍ ، فقام ، فما لَبِثَ أن جاء بِنَاقَةٍ كأنَّها قَلْعَةٌ
بَيْضَاءُ ، وَعَلَيْهَا أَدَاةٌ حَسَنَةٌ ، فَأَنَاخَهَا قَرِيباً من مَبِيتِي ، وتَوَسَّدَ ذِرَاعَهَا ،

١ قوله الّتي : وصف المثنى بالمفرد . وفي الأبيات المتقدمة كلها تفسين ، وهو تعلق قافية البيت
بالبيت الذي بعده .

فلَمَّا هَمَّمتُ بِالرَّحِيلِ أَيْقَظْتُهُ فكَأَنَّهُ لَمْ يَكُن نَائِمًا ، فقام فأصْلَحَ رَحْلَهُ
فركِبَ وركِبْتُ ، فَقَصَّرَ عَلَيَّ يَوْمِي بِصَحْبَتِهِ ، وسَهَّلْتَ عَلَيَّ وَعُوثُ^١
سَفَرِي ، فلَمَّا رأينا بَيَاضَ قُصورِ الِيمَامَةِ تَمَثَّلَ :

وَأَعْرَضَتِ الِيمَامَةُ واشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّتِينَا^٢

وهوَ في ذلكَ كُلِّهِ لا يُنْشِدُنِي إِلَّا بَيْتًا مُعْجَبًا في الهَوَى ، فلَمَّا قَرَبْنَا
من الِيمَامَةِ مالَ عن الطريقِ إلى أبياتِ قَرِيبةٍ مِنَّا ، فَقُلْتُ لَهُ : لَعَلَّكَ تَحاولُ
حَاجَةً في هَذِهِ الأَبْيَاتِ ؟ قالَ : أَجَلُ ! قُلْتُ : انْطَلِقِ رَاشِدًا . فقالَ : هَلْ أَنْتَ
مُوفٍ حَقَّ الصُّحْبَةِ ؟ قُلْتُ : أَفْعَلُ . قالَ : مِيلٌ مَعِيَ ! فَمِلْتُ مَعَهُ ، فلَمَّا
رَأاهُ أَهْلُ الصَّرَمِ^٣ ابْتَدَرُوهُ ، وَإِذَا فِتْيَانٌ لَهُمْ شَارَةٌ ، فَأَنَاخُوا بَيْنًا وَعَقَلُوا
نَاقَتَيْنَا ، وَأظهَرُوا السُرورَ ، وَأَكثَرُوا البِرَّ ، ورَأَيْتُهُمْ أَشَدَّ شَيْءَ لَهُ تَعْظِيمًا ،
ثُمَّ قالَ : قومُوا إِنْ شِئْتُمْ ، فقامَ ، وَقُمْتُ لِيقِيَامِهِ ، حَتَّى إِذَا صِرْنَا إلى قَبْرِ
حَدِيثِ التَّطْيِينِ ألقى نَفْسَهُ عَلَيَّهِ ، وَأَنشَأَ يَقولُ :

لَئِنْ مَنَعُونِي في حَيَاتِي زِيَارَةَ أَحامِي بِهَا نَفْسًا تَمَلَّكَهَا الحُبُّ
فَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَجاورَ لَحْدَهَا فيَجْمَعَ جِسمَيْنَا التَّجاورُ والتُّرْبُ
ثُمَّ أَنَّ أَنْاتَ ، فماتَ . فَأَقَمْتُ مَعَ الفِتْيَانِ حَتَّى احْتَفَرُوا لَهُ وَدَفَنَاهُ .
فَسأَلْتُ عَنْهُ ، فقالوا : ابنُ سَيِّدِ هَذَا الحَيِّ ، وَهَذِهِ ابْنَةُ عَمَّتِهِ ، وَهِيَ إِحدى
نِساءِ قَوْمِهِ ، وَكانَ بِها مُغْرَمًا ، فماتَتْ مِنْذُ ثَلَاثِ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا وَقَدْ رَأَيْتَ
ما آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ . فركِبْتُ وَكَأَنَّنِي وَاللهُ قد ثَكَلْتُ حَمِيمًا .

١ وعوث ، الواحد وعث : السفر الشاق .

٢ أعرضت : ظهرت . اشمخرت : ظهرت مستطيلة .

٣ الصرم : جماعة البيوت .

قبور العشاق

وجدت في مجموع سمّاه جامعُه زهرَ الربيع قال : أنشدتُ عبدَ الله بن المعتز :

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ ، حَتَّى قُبُورُهُمْ عَلَيْهَا تُرَابُ الدَّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ
فَقَالَ لِي : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَ هَذَا الشَّعْرِ ، لَا وَاللَّهِ مَا أَذَلَّ اللَّهُ تُرَابَ قَبْرِ
عَاشِقٍ قَطُّ ، بَلْ أَجَلَّهُ وَشَرَّفَهُ وَنَضَّرَهُ وَحَسَّنَهُ .

قال ابن المعتز : ولي في هذا المعنى أملحُ من قول هذا البارد ، وأنشدني
لنفسه :

مَرَرْتُ بِقَبْرِ مُشْرِقٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الشَّقَائِقِ^١
فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ لِي الثَّرَى : تَرَحَّمْ عَلَيْهِ إِنَّهُ قَبْرُ عَاشِقٍ

ما ضرَّهم

ولي وهي قطعةٌ مفردةٌ :

بَانَ الْخَلِيطُ فَأَادَمُعِي وَجَدْنَا عَلَيْهِمُ تَسْهِيلُ
وَحَدَا بِهِمْ حَادِي الْفَرَا قِ عَنِ الْمَنَازِلِ فَاسْتَقَلُّوا
قُلُ لِلْسَّذِينَ تَرَحَّلُوا عَنْ نَاطِرِي وَالْقَلْبَ حَلَّوْا ،
وَدَمِي بَلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ غَدَاةَ بَيْنِهِمْ اسْتَحَلُّوا ،
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ أَنَّهُلُوا مِنْ مَاءٍ وَصَلَّيْهِمْ وَعَلَّوْا

١ الأنوار ، الواحد نور : الزهر .

تعلل ساعة

وجدت بخط أحمد بن محمد الأبنوسي حدثنا أبو محمد بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن اسحاق الفطافاني قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثني سليمان بن عياش السعدي قال : حدثني أبي قال :

سِرْتُ فِي بِلَادِ بَنِي عَقِيلٍ أَطْلُبُ ضَالَّةً لِي ، فَرَأَيْتُ فَتَاةً تَدَافِعُ فِي مِشْيَتِهَا كَتَدَافِعِ الْفَرَسِ السَّابِقِ الْمُخْتَالِ . قَالَ : فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ فِي لَثَرِهَا ، حَتَّى أَدْرَكْتُهَا ، وَقَدْ كَادَتْ تَلِجُ خِيَاءَهَا ، فَاسْتَوْقَفْتُهَا ، فَوَقَفْتُ ، فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهَا ، وَأَكَلِمُهَا ، وَاللَّهِ مَا يَقَعُ بَصْرِي عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا أَهْلَانِي عَنْ غَيْرِهِ . قَالَ : فَصَاحَتْ بِي عَجُوزٌ : مَا يُوقِفُكَ عَلَى هَذَا الْغَزَالِ النَّجْدِي ، فَوَاللَّهِ مَا تَنَالُ مِنْهُ طَائِلًا . فَقَالَتْ لَهَا الْفَتَاةُ : دَعِيهِ يَا أُمَّتَاهُ يَكُونُ كَمَا قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَعَلَّلُ سَاعَةً قَلِيلٌ فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا

فتاة مراد وخطيبها البكري

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي الروذباري بقراءتي عليه بمصر قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : أخبرنا أبو عبيدة قال :

خَطَبَ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى رَجُلٍ مِنْ مُرَادِ ابْنَتِهِ فَهَمَّ أَنْ يُزَوِّجَهُ ، فَبَيْنَمَا الْجَارِيَةُ يَوْمًا تَلْعَبُ مَعَ الْجَوَارِي ، إِذْ جَاءَ الْخَاطِبُ فَقُلْنَ لَهَا : هَذَا خَاطِبُكَ ؟ فَقَالَتْ : مَا رَجُلٌ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ رَأَيْتُهُ مِنْهُ . فَلَمَّا رَأَتْهُ رَأَتْ رَجُلًا كَبِيرَ السِّنِّ قَبِيحَ الْوَجْهِ ، فَقَالَتْ : أَوْقَدْ رَضِيَ أَبِي بِهِ ؟ قُلْنَ : نَعَمْ ! فَدَخَلَتْ الْبَيْتَ ، فَاشْتَمَلَتْ عَلَى السِّيفِ وَشَدَّتْ عَلَيْهِ ،

فَسَبَقَهَا عَدَوًا ، وَنَالَتَهُ بُضْرُبَةً ، فَقَالَ هَمَّامُ السُّلُولِي ، وَهُوَ يَشْتَبُّ بِامْرَأَةٍ :
 أَخَافُ بِأَنْ تَجْزِيَ الْمُحِبَّ كَمَا جَزَتْ فَتَاةٌ مُرَادٍ شَيْخَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
 فَلَوْ لَمْ يَرُغْ رَوْغَ الْحَيَارَى تَفْتَحَتْ ذَوَائِبُهُ مِنْهَا بِأَبْيَضٍ قَاصِلٍ^١
 وَلَا ذَنْبَ لِلْحَسَنَاءِ لَمَّا بَدَا لَهَا ضَعِيفٌ كَخِيطِ الصَّوْفِ رِخْوَ الْمَفَاصِلِ

التبسمُ النمام

أخبرني أبو عبد الله بن أبي نصر الأندلسي بدمشق قال :

أُنشِدَ بِحَضْرَةِ بَعْضِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ قِطْعَةً لِبَعْضِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَهِيَ :
 وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَثَابُوا فَسَلَّمُوا ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنِي الْمَشُوقُ الْمُتَيْمُّ^٢
 سَرَوْا وَنَجُومُ اللَّيْلِ زُهْرٌ طَوَّالِعٌ عَلَى أَنْتَهُمْ بِاللَّيْلِ لِلنَّاسِ أَنْجُمٌ
 وَأَخَفُوا عَلَى تِلْكَ الْمَطَايَا مَسِيرَهُمْ ، فَتَمَّ عَلَيْهِمْ فِي الظَّلَامِ التَّبَسُّمُ^٣
 فَأَفْرَطَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فِي اسْتِحْسَانِهَا ، وَقَالَ : هَذَا مَا لَا يَقْدِرُ أَنْدَلُسِي
 عَلَى مِثْلِهِ ، وَبِالْحَضْرَةِ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ هَذِيلٍ فَقَالَ بَدِيهًا :

عَرَفْتُ بِعَرَفِ الرِّيحِ أَيْنَ تَيْسَمُّوا ، وَأَيْنَ اسْتَقَلَّ الظَّاعِنُونَ وَخَيَّمُوا^٤
 خَلِيلِي رَدَّانِي إِلَى جَانِبِ الْحِمَى ، فَلَسْتُ إِلَى غَيْرِ الْحِمَى أَتَيْمٌ^٥
 أَيْتَ سَمِيرَ الْفَرْقَدَيْنِ كَأَنَّمَا وَسَادِي قَتَادٌ ، أَوْ ضَجِيعِي أَرْقَمٌ^٥

١ يرغ ، مضارع راغ : حاد ، ذهب ههنا وههنا .

٢ أثابوا : جازوا وكافأوا ، وربما أراد هنا : عادوا .

٣ العرف : الرائحة الطيبة .

٤ أتيم : أقصد .

٥ القتاد : الشوك . الأرقم : الحية .

وأحورَ وسنانِ الجفونِ كأنه قضيبٌ من الرِّيحانِ لدنٌ مُنعمٌ
نظرتُ إلى أجفانهِ أولَ الهوى فأيقنتُ أني لستُ منهنَّ أسلمٌ
كما أن إبراهيمَ أولَ مرّةٍ رأى في الدّراري أنه سوفَ يسقمُ

مي الغادرة

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري في ما أذن لنا أن نرويه عنه قال : أخبرنا أبو
عمر بن حيويه محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن شداد قال :
حدثنا عبد الله بن أبي كريمة قال : أخبرنا ميسرة بن عبد الله بن الجارث قال : أخبرني أبي
قال :

كان رجلٌ من بني سليمٍ يقال له عمرو بن مسلمٍ ، وكانت له امرأة
يُقال لها مَيّ ، وكانت تُبغِضُهُ ، ولم يكن يعلمُ ذاك ، وكان من أشدّ الناس
حُبّاً لها ، فدخلَ عليها ذاتَ يومٍ ، وهي تقرأ في المصحفِ . فقال : يا مَيّ
أسألكِ بِمَا أنزلَ اللهُ تعالى في هذا المصحفِ أتجيبيني أو تُبغِضيني ؟ فقالت :
لا والله لا أخبرُكَ إلا أن تُعطيني سُؤالاً أسألكِها . فقال : وأي شيءٍ
سُؤلتُكِ ؟ قالت : تجعلُ أمري في يدي . قال : نعم ، وظنّ أنها مازحةٌ ،
قالت : فلا والله وما أنزلَ فيه ما أحبتُكَ ساعةً قطّ . فلما جعلَ أمرها
بيدها اختارتُ نفسها ، فكادَ يموتُ أسفاً عليها ، وأنشأ يقول :

هيا ربّ أدعوكِ العشيّةَ مُخلصاً ، دُعاءَ امرئٍ عمّتْ بلبله الصّدرا
فإنّك إن تجمعَ بِمَيّ لُبّانتي مع الناسِ قبل الموتِ أحدثُ لك الشُّكراً
فتجمعُ بها شملَ امرئٍ لم تدعْ له فؤاداً ، ولم يُرزقْ على نأيها صبراً
إلى الله أشكو أن مَيّاً تحكّمتْ بعقلي مظلوماً وولّيتها الأمراً

١ الدراري : الكواكب العظام .

خطاءٌ من الرأى الضعيف، ولم يخف
وباتت تجذّ الحبْلَ بيني وبينها؛
وخانت خليلاً لم يخنها ولم يرد
عشيّة ألوي بالرداءِ على الحشا
عشيّة أبكي، والبكى هوَنُ ما أرى،
فريحتُ بها لولا كتابٌ ومُدّةٌ
تَحَسَّنَتِ الدنيا بِمَيِّ لِيَالِيَا
مَرَارَاتُ صابٍ حينَ ولّتْ وعَلَقَمُ،
لميّةٌ غدراً، واستخارتُ بي الغدرا
هنيئاً لها إذ حملتْ نفسها الإصراً^١
بها بدلاً في الناسِ شفعاً ولا وترأ
كأنّ قميصي مُشعلٌ تحتَه جُمراً
وداعي الفتى عمراً، وهيهات لا عمراً
مؤجلةٌ ما عشتُ خمساً ولا عشرأ
قلائلَ ثمّ استبدلتُ جرّعاً كُدراً
تَحَسَّيتُ من غصّاتها جرّعاً حُمراً

الصرّ والمرأة التي أحبها

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال :
حدثنا أبو الحسين بن بيان الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن زهير
قال : حدثنا أبو سعيد الأشج قال : حدثنا ابن ادريس عن الأصمّش قال :

كان في بني إسرائيلَ رجلٌ لَصٌ يُقالُ له برزين المناقيب ، فتاب ،
وكان يُحدّثُ الناسَ عما كان فيه ، فقال : أعجبتني امرأةٌ في ناحيةٍ من
نواحي الكوفة ، فأخذتُ سيفي وخرجتُ في السّحر ، فلقيتُ بعيرَ سقاء ،
فَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، ثمّ توجّهتُ نحوها فتسوّرتُ عليها ، فعالجتُها ، فلم
أقدِرْ عليها ، وامتنعتُ أن تدخلَ معي في الحرام ، فجَمَعْتُ يدي في السيف
ثمّ ضربتُ به وسطَ رأسِها ثمّ انصرفتُ ، فقلتُ : لأنظرَنَّ إلى أثرِ سيفي .

١ تجذ : تقطع . الإصر : الذنب .

فَعُدْتُ إِلَى مَوْضِعِ الْبَعِيرِ فَإِذَا الْبَعِيرُ مُلْقَى وَرَأْسُهُ نَاحِيَةً ، ثُمَّ أَتَيْتُهَا بَعْدُ لِأَعْلَمَ الْخَبَرَ ، فَإِذَا هِيَ وَسَطُ النِّسَاءِ تَحْدُثُ وَتَقُولُ : وَاللَّهِ لَضَرْبَ وَسَطِ رَأْسِي ، فَمَا أَخْطَأَ مِنْهُ شَعْرَةٌ .

أبو دهبِل والمرأة الشامية

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى قال : حدثنا الزبير بن أبي بكر قال : حدثني صبي مصعب بن عبد الله قال : حدثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال :

خَرَجَ أَبُو دَهْبِلِ الْجُمَحِيِّ يُرِيدُ الْغَزْوَ وَكَانَ رَجُلًا جَمِيلًا صَالِحًا ، فَلَمَّا كَانَ بِحَيْرُونَ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَتْهُ كِتَابًا ، فَقَالَتْ لَهُ : اقْرَأْ هَذَا ! فَقَرَأَهَا لَهَا ، ثُمَّ ذَهَبَتْ ، فَدَخَلَتْ قَصْرًا ، ثُمَّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ بَلَغْتَ مَعِيَ إِلَى هَذَا الْقَصْرِ فَقَرَأْتَ الْكِتَابَ عَلَى امْرَأَةٍ فِيهِ كَانَ لَكَ أَجْرٌ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَبَلَغَ مَعَهَا الْقَصْرَ ، فَلَمَّا دَخَلَ ، إِذَا فِيهِ جَوَارٍ كَثِيرَةٌ ، فَأَغْلَقْنَ عَلَيْهِ بَابَ الْقَصْرِ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ قَدْ أَتَتْهُ فَدَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَأَبَى ، فَأَمَرَتْ بِهِ فَحُبِسَ فِي بَيْتٍ مِنَ الْقَصْرِ ، وَأُطْعِمَ وَسُقِيَ قَلِيلًا حَتَّى ضَعُفَ وَكَادَ يَمُوتُ ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى نَفْسِهَا ، فَقَالَ : أَمَا فِي الْحَرَامِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، وَلَكِنْ أَنْزَوْجُكَ . قَالَتْ : نَعَمْ ! فَتَزَوَّجَهَا ، وَأَمَرَتْ بِهِ فَأَحْسِنَ إِلَيْهِ حَتَّى رَجَعَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ، فَأَقَامَ مَعَهَا زَمَانًا طَوِيلًا لَمْ تَدَّعِهِ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ ، حَتَّى يَتَسَّ مِنْهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ ، وَزَوْجَ أَوْلَادِهِ بَنَاتِهِ وَاقْتَسَمُوا مِيرَاثَهُ .

وَأَقَامَتْ زَوْجَتُهُ تَبْكِي ، وَلَمْ تُقَاسِمَهُمْ مَالَهُ ، وَلَا أَخَذَتْ مِنْ مِيرَاثِهِ شَيْئًا ، وَجَاءَهَا الْخُطَّابُ ، فَأَبَتْ وَأَقَامَتْ عَلَى الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَقَالَ أَبُو دَهْبِلٍ لَامِرَاتِهِ يَوْمًا : إِنَّكَ قَدْ أَثِمْتَ فِيَّ وَفِي وَلَدِي ، فَأَذْنِي لِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ، وَأَرْجِعَ إِلَيْكَ . فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ أَيْمَانًا أَلَّا يُقِيمَ إِلَّا سَنَةً

حتى يعودَ إليها ، وأعطته مالا كثيراً ، فخرجَ من عندها بذلك المال حتى
قَدِمَ على أهله ، فرأى زوجته ، وما صارتَ إليه من الحزن ، ونظَرَ إلى
ولده ممَّن اقتَسَمَ ماله ، وجاؤوه فقال : ما بيني وبينكم عمل ! أنتم
ورثتموني وأنا حيّ ، فهو حظكم ، والله لا يشركُ زوجتي أحدٌ في ما قدِمتُ
به . وقال لزوجته : شأنك بهذا المال فهو كله لك ، ولستُ أجهلُ ما كان
من وفائكِ ، وأقامَ معها وقال في الشاميّة :

صاح ! حيّ الإلهُ حيّاً ودوداً عندَ أصلِ القنّاةِ من جيرون^١
فبتلكَ اغتربتُ بالشّامِ حتى ظنّ أهلي مرجماتِ الظّنون^٢
وهيَ زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّ اصـ مـيزتُ من لؤلؤِ مكنونِ
وفي هذه القصيدة يقولُ أبو دَهبل :

ثمّ فارقتُها على خيرٍ ما كا نَ قرينٌ مقارناً لقرينِ
وبكتُ خشيّةَ التفرّقِ والبـيـ نِ بكاءَ الحزينِ نحوَ الحزينِ
فأسألي عنْ تذكّري واكتثابي جلّ أهلي إذا همُ عدلوني
وقد رويَ هذا الشعرَ لعبدِ الرّحمن بنِ حسان ، وليسَ بصحيحٍ . قال :
فلما جاءَ الأجلُ أرادَ الخروجَ إليها ففاجأهُ موتُها ، فأقام .

١ جيرون : دمشق ، أو بابها الذي بقرب الجامع .

٢ المرجمات : ما لا يوقف على حقيقتها .

الصوفي و غلامه

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال بمصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي حنبل السمرقندي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو بكر احمد ابن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الحياطي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

رأيتُ معَ أحمد بن علي الصوفي ببَيْتِ المقدس غلاماً جميلاً ، فقلتُ : مُدَّ كم صَحْبِكَ هذا الغُلام ؟ فقال : مُنذُ سنين ، فقلتُ : لَوْ صِرْتُما إلى بعضِ المنازلِ فكُنتُما فيه بحيثُ لا يراكمُ الناسُ كان أجملَ بِكما من الجلوسِ في المساجِدِ والحديثِ فيها . فقال : أخافُ احتيَالَ الشيطانِ عليَّ فيه في وقتِ خلوتي به ، وإني لأكره أن يراني الله معهُ على مَعْصِيَةٍ فيُفَرِّقَ بيني وبينه يومَ يَظْفَرُ المحبُّونَ بأحبابِهِم .

يكره الخلو بالغلام

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت بالشام قال : حدثنا ابن أيوب القمي قال : أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال : حدثنا أحمد بن ابراهيم قال : حدثنا أبو اسامة قال :

كُنَّا عندَ شَيْخٍ يُقْرَأُ ، فبَقِيَ عنده غُلامٌ يقرأُ عليه ، وأردتُ القيامَ فأخذ بشوْبي وقال : اصبر حتى يَفرغَ هذا الغُلامُ ، وكرهَ أن يخلو هو والغلام .

على طريقة ابن مدرك الشيباني

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال :

كنتُ في الحداثة أنشأتُ كَلِمَةً مَسْمُوتَةً^١ على نحو قصيدة مُدرك الشيباني في عمرو النصراني ، فكان ممّا ذكرته في كَلِمَتِي هذه عند صِفَةِ عَيْنِ إنسان ونَسِيتُ الكَلِمَةَ به :

سُقْمٌ أَوْى أحسنَ عَيْنٍ تَطَرَفُ تقوى به وللقلوبِ تُضْعِفُ
كالسم في الأفعى بفي من يحصِفُ ، يحيا به ، وللنفوسِ يُتْلِفُ^٢
ثم قلتُ :

دواءٌ مَنْ أَقْصَدَهُ بِسَهْمِهِ تَكَرَّارُهُ نَحْوَ مَرَامِي سَهْمِهِ
كالإفْعُوَانِ يُشْتَفَى مِنْ سَمِّهِ بِشَرْبِ دِرْيَاقِ كَرِيهِ لَحْمِهِ
قال المعافى بن زكريا ولنا أيضاً في كلمة :

وسقاني بسُقْمٍ مُقْلَةٍ ظَبِيٍّ قدّ قلبي منه بأحسنِ قَدِّ
سُقْمُهَا لي شفاءٌ دائي ، إذا جا دتْ وداءٌ إذا تصدّتْ لصدّ

وأنا أستغفرُ الله تعالى من مساكنةٍ ما يشغلُ عن عِبَادَتِهِ ، ومما يُضَارِعُ ما وصفنا في هذا الفصل من وجه قول ابن الرومي :

عَيْنِي لِعَيْنِكَ حِينَ تُبْصِرُ مَقْتَلُ لَكِنَّ عَيْنَكَ سَهْمٌ حَتَفٍ مُرْسَلُ
ومن العجائبِ أَنَّ مَعْنَى واحدًا هوَ مِنْكَ سَهْمٌ ، وهوَ مِنِّي مَقْتَلُ

١ المسمطة : هي التي يتفرد كل يثنين منها بقافية وحرف روي يكرفان في صدر البيت وعجزه .

٢ يحصف : يصيبه جرب يابس ، ولا ندري ماذا أراد .

عناية الله بخائفه

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : أخبرني أحمد بن جرب قال : حدثني عبد الله بن محمد قال : حدثني أبو عبد الله البلخي :

أنّ شاباً كان في بني إسرائيل لم ير شاباً قط أحسن منه ، قال : وكان يبيع القفاف ، قال : فبينما هو ذات يوم يطوف بقفاهه ، إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بني إسرائيل ، فلما رآته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك : يا فلانة ، إني رأيتُ شاباً بالباب يبيع القفاف لم أر شاباً قط أحسن منه . قالت : أدخله ! فدخله ! فخرجت إليه ، فقالت : يا فتى ادخل نشتر منك ! فدخل ، فأغلقت الباب دونه ثم قالت : ادخل ، فدخل فأغلقت باباً آخر دونه .

ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها ، فقال لها : اشتر عافاك الله ، فقالت : إنّا لم ندعك لهذا ، إنّما دعوناك لكذا ، تعني تراوده عن نفسه ، فقال لها : اتقي الله ! قالت له : إنك إن لم تطاوعني على ما أريد أخبرتك الملك أنك إنما دخلت عليّ تكابريني على نفسي . قال : فأبى ، ووعظها ، فأبت ، فقال : ضعوا لي وضوءاً ! فقالت : أعليّ تعلل ؟ يا جارية ! ضعي له وضوءاً فوق الجوسق^١ ، مكان لا يستطيع أن يفر منه ، ومن الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً .

قال : فلما صار في أعلى الجوسق قال : اللهم إني دُعيتُ إلى معصيتك وإني أختار أن أصبر نفسي ، فألقيها من هذا الجوسق ، ولا أركب المعصية ، ثم قال : بسم الله ، وألقى نفسه من أعلى الجوسق فأهبط الله ، عز وجل ، ملكاً من الملائكة ، فأخذ بضبعيه ، فوقع قائماً على رجليه ،

١ الجوسق : القصر .

فلما صارَ في الأرض قال : اللهمَّ إِنَّكَ إِن شِئْتَ رَزَقْتَنِي رِزْقًا يَغْنِينِي عَنْ بَيْعِ
هَذِهِ الْقِفَافِ . قال : فَأَرْسَلَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ جَرَّادًا مِنْ ذَهَبٍ ،
فَأَخَذَ مِنْهُ حَتَّى مَلَأَ ثَوْبَهُ ، فلما صارَ في ثوبه قال : اللهمَّ إِن كَانَ هَذَا رِزْقًا
رَزَقْتَنِيهِ فِي الدُّنْيَا فَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِن كَانَ يُنْقِصُنِي مِمَّا لِي عِنْدَكَ فِي الْآخِرَةِ
فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِ . قال : فَبَنُودِي : إِن هَذَا الَّذِي أُعْطَيْتَاكَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةِ
وَعِشْرِينَ جُزْءًا لَصَبْرِكَ عَلَى إِقَائِكَ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْجَوْسَقِ ، قال : فَقَالَ :
اللَّهُمَّ لَا حَاجَةَ لِي فِي مَا يُنْقِصُنِي مِمَّا لِي عِنْدَكَ فِي الْآخِرَةِ . قال : فَرُفِعَ .

المجنون الأديب

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني في المسجد الحرام بباب الندوة قال : حدثنا أبو القاسم
الحسن بن محمد بن حبيب قال : سمعت أبا سعيد أحمد بن محمد بن ربيع الزبلي يقول : سمعت
محمد بن إبراهيم الأرجاني يقول : سمعت محمد بن يعقوب الأزدي عن أبيه قال :

دَخَلْتُ دِيرَ هِرَاقِلَ ، فَرَأَيْتُ مُجْنُونًا مُكَبَّلًا ، فَكَلَّمْتُهُ ، فَوَجَدْتُهُ أَدِيبًا ،
فَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي صَيَّرَكَ إِلَى مَا أَرَى ؟ فَقَالَ :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا فَاسْتَحَلَّتْ بِنَظَرَتِي دَمِي ، وَدَمِي غَالٍ ، فَأَرْخَصَهُ الْحُبُّ
وَعَالَيْتُ فِي حُبِّي لَهَا ، وَرَأْتُ دَمِي رَخِيصًا ، فَمِنْ هَذَيْنِ دَاخَلَهَا الْعُجْبُ

أربع نسوة وأربعة غربان

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني محمد بن عبد الله الأهوازي قال : أخبرني بعض أهل الأدب أن بعض البصريين أخبره قال :

كُنَّا لُئْمَةً نَجْتَمِعُ وَلَا يَفَارِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا ، وَكُنَّا عَلَى عَدَدِ أَيَّامٍ عِنْدَ أَحَدِنَا ، فَضَجِرْنَا مِنَ الْمَقَامِ فِي الْمَنَازِلِ ، فَقَالَ بَعْضُنَا : لَوْ عَزَمْتُمْ فَخَرَجْنَا إِلَى بَعْضِ الْبَسَاتِينِ ، فَخَرَجْنَا إِلَى بُسْتَانٍ قَرِيبٍ مِنَّا ، فَبَيَّنَّا نَحْنُ فِيهِ إِذْ سَمِعْنَا ضَجَّةً رَاعَتُنَا ، فَقُلْتُ لِلْبُسْتَانِيِّ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ نِسْوَةٌ لَهُنَّ قِصَّةٌ ، فَقُلْتُ لَهُ أَنَا دُونَ أَصْحَابِي : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : الْعِيَانُ أَكْبَرُ مِنَ الْخَبَرِ ، فَقَسَمْتُ حَتَّى أُرِيكَ وَحْدَكَ . فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي : أَقَسَمْتُ إِلَّا يَبْرَحَ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى أَعُودَ . فَنَهَضْتُ وَحْدِي ، فَصَعِدْتُ إِلَى مَوْضِعٍ أَشْرَفُ عَلَيْهِنَّ ، وَأَرَاهُنَّ ، وَلَا يَرَيْنَنِي ، فَرَأَيْتُ نِسْوَةً أَرْبَعًا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ وَأَشْكَلِيهِنَّ ، وَمَعَهُنَّ خَدَمٌ لَهُنَّ وَأَشْيَاءٌ قَدْ أُصْلِحَتْ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَآلَةٍ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِهِنَّ الْمَجْلِسُ ، جَاءَ خَادِمٌ لَهُنَّ ، وَمَعَهُ خَمْسَةُ أَجْزَاءٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، فَدَفَعَ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا وَوَضَعَ الْجُزْءَ الْخَامِسَ بَيْنَهُنَّ ، فَقَرَأْنَ أَحْسَنَ قِرَاءَةٍ ، ثُمَّ أَخَذْنَ الْجُزْءَ الْخَامِسَ فَقَرَأَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُبْعَ الْجُزْءِ ، ثُمَّ أَخْرَجْنَ صُورَةَ مَعَهُنَّ فِي ثَوْبٍ دِيقِي فَبَسَطْنَهَا بَيْنَهُنَّ فَبَكَيْنَ عَلَيْهَا وَدَعَوْنَ لَهَا ، ثُمَّ أَخَذْنَ فِي النَّوْحِ ، فَقَالَتِ الْأُولَى :

خَلَسَ الزَّمَانُ أَعَزَّ مُخْتَلَسٍ ، وَيَدُ الزَّمَانِ كَثِيرَةُ الْخَلَسِ

لِلَّهِ هَالِكَةٌ فُجِعَتْ بِهَا ، مَا كَانَ أَبْعَدَهَا مِنَ الدَّنَسِ

أَتَتْ الْبِشَارَةَ وَالنَّعْيُ بِهَا ، يَا قُرْبَ مَا تَمِيهَا مِنَ الْعُرْسِ

ثم قالت الثانية :

ذَهَبَ الزَّمَانُ بِأَنْسِ نَفْسِي عَنَوَةً ،
أودى بِمَلِكٍ وَلَوْ تُفَادَى نَفْسُهَا ،
ظَلَّتْ تُكَلِّمُنِي كَلَاماً مُطْمِعاً ،
حتى إِذَا فَرَ اللِّسَانُ وَأَصْبَحَتْ
وَتَسَهَّلَتْ مِنْهَا مَحَاسِنُ وَجْهِهَا ،
جَعَلَ الرَّجَاءُ مَطَامِعِي يَأْساً كَمَا
وَبَقِيْتُ فَرْداً لَيْسَ لِي مِنْ مُؤْنِسٍ
لَقَدَّيْتُهَا مِنْ أُعِزَّ بِأَنْفُسٍ ١
لم أَتَرِبْ فِيهِ شَيْءٌ مُؤْنِسٍ
لِلْمَوْتِ قَدْ ذَبُلْتُ ذُبُولَ النَّرْجِسِ
وَعَلَا الْأَيْنُ تَحْتَهُ بِتَنْفَسٍ
قَطَعَ الرَّجَاءُ صَحِيفَةَ الْمُتَلَمَّسِ

ثم قالت الثالثة :

جَرَّتْ عَلَى عَهْدِهَا اللَّيَالِي ،
فَاعْتَضْتُ بِالْيَأْسِ مِنْكَ صَبْرًا ،
فَلَسْتُ أَرْجُو ، وَلَسْتُ أَخْشَى
فَلْيُلْغِ الدَّهْرُ فِي مَسَاقِي ،
وَأُحْدِثْتُ بَعْدَهَا أُمُورُ
فَاعْتَدَلِ الْيَأْسُ وَالسُّرُورُ
مَا أُحْدِثْتُ بَعْدَكَ الدَّهْرُ
فَمَا عَسَى جُهْدُهُ يَضِيرُ ٢

ثم قالت الرابعة :

عَلِقْتُ نَفْسِي مِنْ الدُّنْيَا فُجِعْتُ بِهِ ،
وَيَحَ الْمَنَايَا أَمَا تَنْفُكُ أَسْهُمُهَا
يَبْلَى الْجَدِيدَانِ ، وَالْأَيَّامُ بِالْيَةِ ،
ثُمَّ قُمْنَ فَقُلْنِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ :
أَفْضَى إِلَيْهِ الرَّدَى فِي حَوْمَةِ الْقَدَرِ
مَعَلَّقَاتِ بِصَدْرِ الْقَوْسِ وَالْوَتَرِ
وَالدَّهْرُ يَبْلَى ، وَتَبْلَى جِدَّةُ الْحَجَرِ ٣

١ ملك : يجب أن يكون اسم الميتة .

٢ مساتي : مسهل مساهتي . يضير : يضر .

٣ الجديدان : الليل والنهار .

كُنَّا مِنَ الْمُسَاعِدَةِ ، نَحْيَا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ^١
فَمَاتَ نِصْفُ نَفْسِي حِينَ ثَوَى فِي الرَّمْسِ
فَمَا بَقَائِي بَعْدَهُ وَشَطْرُ نَفْسِي عِنْدَهُ
فَهَلْ سَمِعْتُمْ قَبْلِي فِي مَنْ مَضَى بِمِثْلِي
عَاشَ بِنِصْفِ رُوحٍ فِي بَدَنٍ صَحِيحٍ

ثُمَّ تَنَحَّيْنَا وَقُلْنَا لِبَعْضِ الْخَدَمِ : كَمْ عِنْدَكَ مِنْهُنَّ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةٌ .
قُلْنَا : اثْنَتَا بَيِّنَاتٍ ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَ بِقَفْصٍ فِيهِ أَرْبَعَةُ غُرَبَانٍ
مُكْتَفَّةً ، فَوَضَعَ الْقَفْصَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ، فَدَعَا بِعِيدَانِ ، فَأَخَذَتْ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عِودًا فَغَنَّتْ :

لَعَمْرِي ! لَقَدْ صَاحَ الْغُرَابُ بِبَيْنِهِم ، فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي يُبْدِي
فَقُلْتُ لَهُ : أَفْصَحْتَ لَا طَرِثَ بَعْدَهَا ، بِرِيشٍ ، فَهَلْ لِلْقَلْبِ وَيْحَكَ مِنْ رَدٍّ !
ثُمَّ أَخَذْنَا وَاحِدًا مِنَ الْغُرَبَانِ فَتَنَقَّنَ رِيْشَهُ حَتَّى تَرَكْنَاهُ كَأَن لَمْ يَكُنْ
عَلَيْهِ رِيشٌ قَطُّ ، ثُمَّ ضَرَبْنَاهُ بِقُضْبَانٍ مَعَهُنَّ لَا أُدْرِي مَا هِيَ حَتَّى قَتَلْنَاهُ ،
ثُمَّ غَنَّتْ :

أَشَاقَكَ ، وَاللَّيْلُ مُلْقِي الْجِرَانِ ، غُرَابٌ يَنْوَحُ عَلَى غُصْنِ بَانٍ^٢
أَحْصَى الْجَنَاحَ ، شَدِيدُ الصِّيَاحِ ، يَبْكِي بِعَيْنَيْنِ مَا تَهْمَلَانِ
وَفِي نَعَبَاتِ الْغُرَابِ اغْتَرَابٌ ، وَفِي الْبَانِ بَيْنٌ بَعِيدُ التَّدَانِ
ثُمَّ أَخَذْنَا الثَّانِي فَشَدَدْنَا فِي رِجْلَيْهِ خَيْطَيْنِ وَبَاعَدْنَا بَيْنَهُمَا وَجَعَلْنَا
يَقْلُنَ لَهُ : أَتَبْكِي بِلَا دَمْعٍ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْأُلَافِ ، فَمَنْ أَحَقُّ بِالْقَتْلِ مِنْكَ ؟

١ المساعدة : قوم النسوة .

٢ ألقى الليل جرائه : أقبل .

ثمّ فَعَلَنَ بِهِ ما فَعَلَنَ بِصاحِبِهِ . ثمّ غَنَّتِ الثَّالِثَةُ :

أَلَا يَا غُرَّابَ الْبَيْنِ لَوْنُكَ شاحِبٌ ، وَأَنْتَ بِلَوَاعَاتِ الْفِرَاقِ جَدِيرٌ
فَبَيِّنْ لَنَا ما قُلْتَ ، إِذْ أَنْتَ واقِعٌ ؛ وَبَيِّنْ لَنَا ما قُلْتَ حِينَ تَطِيرُ
فإنَّ يَكُ حَقًّا ما تَقُولُ ، فَأَصْبَحْتَ هُمُومُكَ شَتَّى ، وَالْجَنَاحُ كَسِيرٌ
وَلَا زِلْتَ مَكْسُوراً عَدِيماً لِنَاصِرٍ ، كَمَا لَيْسَ لِي مِنْ ظالِمٍ نَصِيرُ
ثمّ قَالَتْ لَهُ : أَمَّا الدَّعْوَةُ فَقَدْ اسْتُجِيبَتْ ، ثمّ كَسَرَتْ جَنَاحَيْهِ ،
وَأَمَرَتْ ففَعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، ثمّ غَنَّتِ الرَّابِعَةُ :

عَشِيَّةَ ما لِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنْتِي بِلَقْطِ الْحَصَى ، وَالْخَطُّ فِي الدَّارِ مَوْلَعٌ
أَخْطُ وَأَهْوُ كُلَّ ما قَدْ خَطَطْتَهُ بَدْمَعِي وَالْغُرَّابُ فِي الدَّارِ وَقَعٌ
ثمّ قَالَتْ لِأَخَوَاتِهَا : أَيَّ قَتْلَةٍ أَقْتُلُهُ ؟ فَقُلْنَ لَهَا : عَلَقِيهِ بِرِجْلَيْهِ وَشَدِّي
فِي رَأْسِهِ شَيْئاً ثَقِيلاً حَتَّى يَمُوتَ ، فَفَعَلَتْ بِهِ ذَلِكَ ، ثمّ وَضَعْنَ
عِيدَانَهُنَّ ، وَدَعَوْنَ بِالْغَدَاءِ ، فَأَكَلْنَ ، وَدَعَوْنَ بِالشَّرَابِ ، فَشَرِبْنَ ،
وَجَعَلْنَ كُلُّمَا شَرِبْنَ قَدْحاً شَرِبْنَ لِلصُّورَةِ مِثْلَهُ ، وَأَخَذْنَ عِيدَانَهُنَّ ،
فَغَنَّيْنَ ، فَغَنَّتِ الْأُولَى كَأَنَّهَا تودِّعُ بِهِ :

أَبْكَى فِرَاقُكُمْ عَيْنِي فَأَرْقِهَا ، إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْأَحْبَابِ بَكَاءُ
ما زالَ يَدْعُو عَلَيْهِمُ رَيْبُ دَهْرِهِمْ حَتَّى تَفَانُوا ، وَرَيْبُ الدَّهْرِ عَدَاءُ
ثمّ غَنَّتِ الثَّانِيَّةُ :

أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ ، وَالَّذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا ، وَالَّذِي أَمَرُهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكَتْنِي أَحْسَدُ الْوَحْشِ أَنْ أَرَى أَلِيفَيْنِ مِنْهَا لَا يَرُوعُهُمَا الدَّعْرُ

ثم غنّت الثالثة :

سأبكي على ما فات منك صبايةً وأندبُ أيامَ الأمانِ الذّواهِبِ
أحينَ دنا من كنتُ أرجو دنوّه رمّني عيونُ الناسِ من كلِّ جانبِ
فأصبحتُ مَرَحوماً، وكنتُ مُحَسَّداً؛ فصبراً على مَكْرُوهِ مرّ العَوَاقِبِ

ثم غنّت الرابعة :

سأفني بكَ الأيامَ حتى يسُرّني بكَ الدهرُ، أو تنفَى حياتي معَ الدهرِ
عزاءً وصبراً! أسعِداني على الهوى، وأحمدُ ما جرّبتُ عاقبةَ الصّبرِ
ثم أخذت الصورة فعانقَتهَا ، وبكّت ، وبكى ، ثم شكّونَ إليها
جميعَ ما كنّ فيه، ثم أمرنَ بالصورة، فطُوِيَتْ، ففرقتُ أن يتفرّقنَ قبل
أن أكلّمهُنَّ ، فرفعتُ رأسي إليهنّ فقلتُ : لقد ظلّمتُنَّ الغِرْبَانِ .
فقلتُ ١ : لو قضيتَ حقَّ السّلام ، وجعلته سبباً للكلام ، لأخبرناكَ بقِصّةِ
الغِرْبَانِ . قال قلتُ : إنّما أخبرتكُنَّ بالحقّ . قلن : وما الحقّ في هذا ،
وكيف ظلّمتناهُنَّ ؟ قلتُ : إنّ الشاعرَ يقول :

نَعَبَ الغُرَابُ بِرُؤْيَا الأَحْبَابِ ، فلذلك صيرتُ أحِبَّ كُلِّ غُرَابٍ
قالتُ : صحّفتَ وأحلتَ المعنى ، إنّما قال : بِفُرْقَةِ الأَحْبَابِ ،
فلذلك صيرتُ عدوّ كُلِّ غُرَابٍ . فقلتُ لهنّ : فبالَّذي خَصّكُنَّ بهذا
المجلس ، وبحقّ صاحبةِ الصورة ، لما خبرتني بخبركُنَّ ؟ قلن : لولا أنّك
أقسمتَ عليّنا بحقّ من يجبُ عليّنا حقّه ما أخبرناكَ .

كنّا صَوَاحِبَ مجتمعاتٍ على الأُلُفّة ، لا تشربُ منّا واحدةُ الباردةِ دونَ
صاحبتِها ، فاخترمتُ صاحبةَ الصورة من بيننا ، فنحنُ نصنّعُ في كلّ
موضعٍ نجتمعُ فيه مثل الذي رأيتَ ، وأقسمنا أن نقتلَ في كلّ يومٍ نجتمعُ

١ قالت : يريد إحداهن .

فيه ما وجدنا من الغربان لعلّة كانت . قلت : وما تلك العلّة؟ قلن : فرق بينها وبين أنسٍ كان لها ، ففارقَت الحياة ، فكانت تدمّهنّ عندنا ، وتأمُرُ بقتلِهِنَّ ، فأقلّ ما لها عندنا أن نمتثل ما أمرت به ، ولو كان فيك شيء من السواد لفعلنا بك فعلنا بالغربان .

ثم نهضنّ فمضينّ ، ورجعتُ إلى أصحابي فأخبرتهم بما رأيتُ ، ثم طلبتُهنّ بعد ذلك ، فما وقعتُ لهنّ على خبر ، ولا رأيتُ لهنّ أثراً .

أبو السائب والغراب

أخبرنا أبو الحسن علي وأبو منصور أحمد ابنا الحسن بن الفضل الكاتب في ما أجازاه لي قالا : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله بن خالد الكاتب من لفظه قال : أخبرنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : قال الخليل بن سعيد :

مررتُ بسوق الطير ، فإذا الناس قد اجتمعوا يركبُ بعضهم بعضاً ، فإذا أبو السائب قائماً على غرابٍ يُباعُ قد أخذ طرفَ رِدايه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غرابَ البين ، قد طِرتَ بالذي أحاذرُ من لُبني ، فهل أنتَ واقعٌ ؟ ثم لا تتقّع ، ويضربه بردائه والغراب يصيح .

لبنى صاحبة قيس بن ذريح والغربان

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الجبار بن عبد الأعلى قال : قال خندف بن سليم : حدثني أحمد بن هود أن لبني أمّرت غلاماً لها فاشتري لها أربعةَ غربان ، فلما رأتُهنّ بكّت وصرخت ، وكتفتُهنّ ، وجعلت تضربُهنّ بالسوط

حتى مُتَنَ جميعاً ، وجَعَلْتَ تقول بأعلى صوتها :

لقد نادى الغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى فطارَ القلبُ من حَذَرِ الغُرَابِ
فَقُلْتُ : غَدَاً تَبَاعِدُ دَارُ لُبْنَى وَتَنَائِي بَعْدَ وَدِّ وَاقْتِرَابِ
فَقُلْتُ : تَعِيسَتْ وَيَحْمَكَ مِنْ غُرَابٍ أَكُلَ الدهرِ سَعْيُكَ فِي تَبَابِ
لَقَدْ أُولِعْتَ ، لَا لَاقِيَتَ خَيْرًا ، بِتَفْرِيقِ المحِبِّ عن الحِبَابِ
فدخل زوجها ، فرآها على تلك الحال ، فقال : ما دَعَاكِ إلى ما أرى ؟
قالت : دَعَانِي أَنْ ابن عمِّي وَحِيبِي قَيْسًا أَمْرَهُنَّ بالوقوعِ فَلَمْ يَقَعْنَ
حيثُ يقول :

ألا يا غُرَابَ البَيْنِ ، قد طَرِثَ بالذي أَحَازِرُ مِنْ لُبْنَى ، فَهَلْ أَنْتَ وَاقِعُ ؟
فَأَلَيْتُ أَنْ لَا أَظْفَرَ بِغُرَابٍ إِلَّا قَتَلْتُهُ ، قال : فَغَضِبَ ، وقال : لقد
هَمَمْتُ بِتَخْلِيَةِ سَبِيلِكَ ، فقالت : لَوَدِدْتُ أَنَّكَ فَعَلْتَ ، واني عَمِيَاءُ ،
فوالله ما تَزَوَّجْتُكَ رَغْبَةً فِيكَ ، ولقد كنتُ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ بَعْدَ قَيْسٍ
أبدًا ، ولكني غَلَبَتْنِي أَبِي على أمري .

قلبي بالكـ

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني إجازة قال :

أنشدنا نَفْطَوِيَه :

أَعَادُ مِنْ حُبِّكَ لَا مِنْ ضَنْئِي وَأَكْثَرُ العُودِ أَشْرَاكِي^١
وَلَسْتُ أَشْكُوكَ إِلَى عَائِدٍ ، أَخَافُ أَنْ أَشْكُوَ إِلَى شَاكِي
إِنْ كُنْتُ لَا أَبْكِي حِذَارَ العِدَى ، فَإِنَّ قَلْبِي أَبَدًا بَاكِي

١ أشراكي : شركائي .

قاتل الله الرقيب

ولي من قصيدة أولها :

إذا كنتُ من أسْرِ الهوى غيرَ مُنفكٍّ ، فدعْ جسدي يضئ ودعْ مقلتي تبكي
وفيها :

ألا قاتَلَ اللهُ الرقيبَ وموقِفاً بكيناً به ، والبينَ يفتّر بالضحكِ
وغربَ غربانِ النوى ، حينَ بشرتْ ، نعيّاً من البينِ المفرّقِ بالوشكِ
فيا ويحَ للعُشاقِ أمست دماؤهم تُطلّ غراماً وهي هيّنةُ السفكِ

معبد المغني وغلّامه

أخبرنا أبو الفتح عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن شيطا وأبو الحسين أحمد بن علي التوزي
قالا : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل قال : أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي
قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني حماد بن اسحاق عن أبيه قال :

كانَ لمعبده مملوكٌ ربّاه وأحسنَ أدبه ، فمرّ به فتى ، فاستظرفَ الغلامَ ،
فاشتراه منه ، فلمّا رحل سمعَ الفتى الغلامَ يبكي ، ويقول :

وما كُنتُ أخشى مَعبدًا أن يبيّعتني بشيءٍ ولو أضحتُ أنا مِلَهُ صِفراً
أخوكُم ومولاكُم ، وصاحبُ سرّكُم ، ومنّ قد نشأ فيكم ، وعاصرَكم دهرًا
فقال له مولاه : الحقُّ بأهلكَ ، فهُم في حِلٍّ من ثَمَنِكَ .

الفضل بن الربيع يهوى غلاماً

وبالاسناد قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر الوراق قال :
أخبرني دوست انطراساني قال :

اشترى خُزَامُ صاحبُ دوابِّ المعتصم خادماً نظيفاً ، وكان عبدُ الله بن العباس
ابن الفضل بن الربيع يتعشقه ، وقد نشب^١ في ابتياعه ، فسأله هبته له ،
أو بئعه منه ، فلم يفعل ، فصنعَ أبياتاً ، وعمل فيها لحناً ، واتصلَ خبرُها
بخُزَامَ ، وخافَ أن يتصلَ الخبرُ بالمعتصم فيأتِي عليه ، فوجهَ به إليه ،
وهذه هي الأبيات :

يَوْمُ سَبْتٍ فَصَرَفًا لِي الْمُدَامَا واسْقِيَانِي لَعَلَّتِي أَنْ أَنَامَا
شَرَّدَ النَّوْمَ حُبُّ ظَبْيِي غَرِيرٍ ، مَا أَرَاهُ يَرَى الْحَرَامَ حَرَامَا
اشْتَرَاهُ فَتَى بِقَضْمَةٍ يَوْمٍ أَصْبَحْتُ غِيَّةُ الدَّوَابِّ صِيَامَا

دمعة هطلت في ساعة البين

وبالاسناد أيضاً قال : أخبرنا الحسين بن القاسم قال : حدثني محمد بن عجلان قال :
أخبرني ابنُ السكيت أنَّ عبدَ الله بنَ طاهر عزمَ على الحجِّ ، فخرَّجت
إليه جاريةٌ شاعرة ، فَبَكَتْ لما رأتْ آلةَ السفر ، فقال محمد بن عبد الله :

دَمْعَةٌ كَاللَّوْلُو الرُّط بِ عَلَى الْخَدِّ الْأَسِيلِ
هَطَلَتْ فِي سَاعَةِ الْبَيْنِ نِ مِنَ الطَّرْفِ الْكَحِيلِ

١ نشب في ابتياعه : اشتراه .

ثمّ قال لها : أجيّزي ، فقالت :

حينَ همّ القَمَرُ الزّاهِرُ عَنّا بالأفول^١
إنّما يفتضحُ العشاقُ في يومِ الرّحيلِ

حنّ شوقاً وأنّ

ولي من نسب قصيدة :

وأخي لَوعةٍ لقيتُ فما زِلَ بِماءِ الحُفونِ يُبكي الحَفَنّا
يشتكي وجدهُ إليّ وأشكو ما يقاسي قلبي المشوقُ المعنى
ثمّ لما كفت دموعُ مآقي هِـ وَمَلَّ المَكَانُ ممّا وقَفنّا
قال لي، والعُدّالُ قد يثِسوا مِنّي هُـ ومني ، وَحَنّ شوقاً وأنا:
قد أفاقَ العشاقُ من سكرةِ البَيِّ نِـ جَميعاً ، فما لنا ما أفقنّا ؟
قلتُ: جارَ الهوى عَلَيْنّا، فلو كُنّا غداةَ الفِرّاقِ مُتَنّا استرحنّا

إياس وابنة عمه صفوة

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي في ما أجاز لنا قال : أخبرنا أبو عمر محمد
ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه قال : أخبرنا محمد بن خلف أجازة قال : حدثنا قاسم
ابن الحسن قال : حدثنا العمري قال :

أخبرني الهيثم بن عديّ أن إياسَ بن مُرّةَ بنِ مُصعبِ القيسي كان
له أخٌ يقال له فيهر ، وكانا يتزِلان الحيرة ، وأن فيهرأ ارتحل بأهله وولده ،

١ الأفول : الغياب .

فَنَزَلَ بِأَرْضِ السَّرَاقَةِ ، وَأَقَامَ مُرَّةً بِالْحَيْرَةِ ، وَكَانَتْ عِنْدَ مُرَّةٍ امْرَأَةٌ مِنْ
بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَلَبِثَتْ مَعَهُ زَمَانًا لَمْ يُرْزَقْ مِنْهَا وَلَدًا ، حَتَّى أَيَّسَّ
مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَى فِي مَنَامِهِ ، لَيْلَةً مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّكَ إِنْ بَاشَرْتَ
زَوْجَتَكَ مِنْ لَيْلَتِكَ هَذِهِ رَأَيْتَ سُرُورًا وَغِيبَةً ، فَاتَّبَعَهُ ، فَبَاشَرَهَا فَحَمَلَتْ ،
فَلَمْ يَزَلْ مَسْرُورًا إِلَى أَنْ تَمَّتْ أَيَّامُهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا ، فَسَمَّاهُ إِيَّاسًا ،
لَأَنَّهُ كَانَ إِيَّاسًا مِنْهُ ، فَتَنَشَأُ الْغُلَامُ مَنَشَأً حَسَنًا .

فَلَمَّا تَرَعَرَخَ ضَمَمَهُ أَبُوهُ إِلَيْهِ ، وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَكَانَ إِذَا سَافَرَ
أَخْرَجَهُ مَعَهُ لِقَلِيلَةٍ صَبْرِهِ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ يَوْمًا : يَا بُنَيَّ ، قَدْ كَبِرْتَ سِنِي ،
وَكُنْتُ أَرْجُوكَ لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَلِي إِلَى عَمِّكَ حَاجَةٌ ، فَأَحِبَّ أَنْ تَشْخَصَ
فِيهَا . فَقَالَ لَهُ إِيَّاسُ : نَعَمْ يَا أَبُي ، وَنِعِمَّ عَيْنٌ وَكَرَامَةٌ ، فَلَإِذَا شِئْتَ فَأَنَا لِحَاجَتِكَ .
فَاعْلَمْتَهُ الْحَاجَةَ ، فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا حَتَّى أَتَى عَمَّهُ ، فَعَظُمَ سُرُورُهُ بِهِ وَسَأَلَهُ
عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ ، وَمَا الْحَاجَةُ فَأَخْبَرَهُ بِهَا ، وَوَعَدَهُ بِقَضَائِهَا ، فَأَقَامَ
عِنْدَ عَمِّهِ أَيَّامًا ، يَتَنَظَّرُ فِيهَا قَضَاءَ الْحَاجَةِ .

وَكَانَ لِعَمِّهِ بِنْتُ يُقَالُ لَهَا صَفْوَةٌ ، ذَاتُ جَمَالٍ وَعَقْلٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ بِفِنَاءِ دَارِهِمْ ، إِذْ بَدَتْ لَهُ صَفْوَةٌ زَائِرَةٌ بَعْضَ أَخَوَاتِهَا
وَهِيَ تَهَادَى بَيْنَ جَوَارِيهَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا إِيَّاسُ نَظْرَةً أَوْرَثَتْ قَلْبَهُ حَسْرَةً ،
وَوَضَعَ نَهَارَهُ سَاهِيًا ، وَبَاتَ وَقَدْ اعْتَكَرَتْ عَلَيْهِ الْأَحْزَانُ ، يَتَنَظَّرُ الصَّبَاحَ ،
يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ النَّجَاحُ ، فَلَمَّا بَدَأَ لَهُ الصَّبَاحُ خَرَجَ فِي طَلَبِهَا يَتَنَظَّرُ
رُجُوعَهَا ، فَلَمَّ يَلْبِثُ أَنْ بَدَتْ لَهُ ، فَلَمَّا نَظَرَتْ إِلَيْهِ تَنَكَّرَتْ ثُمَّ مَضَتْ
فَاسْرَعَتْ ، فَمَرَّ يَسْعَى خَلْفَهَا ، يَأْمُلُ مِنْهَا نَظْرَةً ، فَلَمَّ يَصِلُ إِلَيْهَا ،
وَفَاتَتْهُ فَانصَرَفَ إِلَى مَنَزِلِهِ ، وَقَدْ تَضَاعَفَ عَلَيْهِ الْحُزْنُ وَاشْتَدَّ الْوَجْدُ ،
فَلَبِثَ أَيَّامًا ، وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، إِلَى أَنْ أَعْقَبَهُ ذَلِكَ مَرَضًا أَضْنَاهُ وَأَنْحَلَّ
جِسْمُهُ ، وَظَلَّ صَرِيحًا عَلَى الْفِرَاشِ .

فَلَمَّا طَالَ بِهِ سُقْمُهُ وَتَخَوَّفَ عَلَى نَفْسِهِ بَعَثَ إِلَى عَمِّهِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ

ويوصيه بما يُريد ، فلَمَّا رآهُ عَمَّهُ ونَظَرَ إلى ما بِهِ سَبَقَتُهُ العَبْرَةُ إشفافاً
عَلَيْهِ ، فقال له إياس : كَفَّ ، جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا عَمَّ ، فَقَدِ أَقْرَحْتَ قَلْبِي .
فَكَفَّ عَنْ بَعْضِ بُكَائِهِ ، فَشَكَاَ إِلَيْهِ إِيَّاسُ مَا يَجِدُ مِنَ العِلَّةِ . فقال له :
عَزَّ ، وَاللَّهِ ، عَلِيٌّ يَا ابْنَ أَخِي ، وَلَنْ أَدْعَ حِيلَةً فِي طَلَبِ الشِّفَاءِ لَكَ .
فانصَرَفَ إلى مَنْزِلِهِ ، وأرسلَ إلى مَوْلَاةٍ لَهُ كَانَتْ ذاتَ عَقْلِ فأوصاها بِهِ ،
وبالتعاهدِ لَهُ ، والقيَامِ عَلَيْهِ .

فَلَمَّا دَخَلَتِ المَوْلَاةُ عَلَيْهِ فتَأَمَّلَتَهُ عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي بِهِ عِشْقٌ ،
فَقَعَدَتِ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَجَرَتْ ذَكَرَ صَفْوَةَ لِتَسْتَيِقِينَ مَا عِنْدَهُ ، فَلَمَّا سَمِعَ
ذِكْرَهَا زَفَرَ زَفْرَةً ، فَقَالَتِ المَرْأَةُ : وَاللَّهِ مَا زَفَرَ إِلَّا مِنْ هَوًى دَاخِلِهِ وَلَا أَظُنُّهُ
إِلَّا عَاشِقًا . فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ كَالْمَازِحَةِ لَهُ فَقَالَتْ لَهُ : حَتَّى مَتَى تُبْلِي جِسْمَكَ ،
فَوَاللَّهِ مَا أَظُنُّ الَّذِي بِكَ إِلَّا هَوًى . فقال لها إِيَّاسُ : يَا أُمَّةَ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ بِي
ظَنٌّ سَوْءٌ ، فَكُفِّي عَنْ مُزَاحِكَ . فَقَالَتْ : إِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تُبْدِيَهُ إِلَى أَحَدٍ
هُوَ أَكْتَمُ لَهُ مِنْ قَلْبِي . فَلَمْ تَزَلْ تُعْطِيهِ المَوَاقِيقَ وَتُقَسِّمُ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَتْ
لَهُ : بِحَقِّ صَفْوَةَ ! فقال لها : لَقَدْ أَقْسَمْتُ عَلَيَّ بِحَقِّ عَظِيمٍ لَوْ سَأَلْتَنِي بِهِ
رُوحِي لَدَفَعْتُهَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أُمَّةَ مَا أَعْظِمَ دَائِي إِلَّا بِالاسْمِ الَّذِي
أَقْسَمْتُ عَلَيَّ بِحَقِّهِ ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كَيْتَمَانِهِ وَطَلَبِ وَجْهِ الحِيلَةِ فِيهِ .

فَقَالَتْ : أَمَّا إِذَا أَطْلَعْتَنِي عَلَيْهِ ، فَسَأَبْلُغُ فِيهِ رِضَاكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَسُرَّ بِذَلِكَ ، وَأرسلَ مَعَهَا بِالسَّلَامِ إِلَى صَفْوَةَ . فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهَا
ابْتَدَأَتْهَا صَفْوَةُ بِالسَّأَلِ عَنِ الَّذِي بَلَغَهَا مِنْ مَرَضِهِ وَشِدَّةِ حَالِهِ ، فَاسْتَبَشَّرَتْ
المَوْلَاةُ بِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا صَفْوَةُ مَا حَالَةُ مَنْ يَبِيتُ اللَّيْلَ سَاهِرًا
مُحْزُونًا يَرْعَى النُّجُومَ وَيَتَمَتَّى المَوْتَ ؟ فَقَالَتْ صَفْوَةُ : مَا أَظُنُّ هَذَا عَلَى
مَا ذَكَرْتَ بِبَيَاقٍ ، وَمَا أَسْرَعَ مِنْهُ الفِرَاقُ .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى المَوْلَاةِ فَقَالَتْ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فِيحَقِّي
عَلَيْكَ لَمَّا أَوْضَحْتَهُ . فَقَالَتْ : وَحَقِّكَ إِنْ عَرَفْتَهُ لَا كَتَمْتُكَ مِنْهُ شَيْئًا .

قَالَتْ : فَهَلْ أَرْسَلَكِ إِيَّاسَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ وَدَّهِ فِي حَاجَةٍ ؟ فَقَالَتْ الْمَوْلَاةُ :
وَاللَّهِ لَأُصَدِّقَنَّكَ ، وَاللَّهِ مَا جُلُّ دَائِهِ وَعِظَمُ بَلَاءِهِ إِلَّا بِكَ ، وَمَا أَرْسَلَنِي
بِالسَّلَامِ إِلَّا إِلَيْكَ ، فَأَجِيبِيهِ إِنْ شِئْتَ ، أَوْ دَعِي . فَقَالَتْ : لَا شِفَاهُ اللَّهُ ،
وَاللَّهِ لَوْ لَا مَا أُوجِبَ مِنْ حَقِّكَ لَأَسَأْتُ إِلَيْكَ ، وَزَجَرْتُهَا ، فَخَرَجَتْ مِنْ
عِنْدِهَا كَثِيبَةً ، فَأَتَتْهُ فَأَعْلَمَتْهُ فَازْدَادَ عَلَى مَا كَانَ بِهِ مِنْ مَرَضِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
كُتِمْتُ الْهُوَى حَتَّى إِذَا شَبَّ وَاسْتَوَتْ قُوَاهُ ، أَشَاعَ الدَّمْعُ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّمْعَ قَدْ أَعْلَنَ الْهُوَى خَلَعْتُ عِذَارِي فِيهِ ، وَالْخَلْعُ أَسْلَمُ
فِيَا وَيْحَ نَفْسِي كَيْفَ صَبَرِي عَلَى الْهُوَى وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَرْحُمُ
قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عَمَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ خَبْرَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَمُّ ،
إِنِّي مُخْبِرُكَ بِشَيْءٍ لَمْ أَخْبِرْكَ بِهِ حَتَّى بَرَحَ الْخَفَاءُ وَلَمْ أُطِيقْ لَهُ مُحَمَّلًا ، فَأَخْبَرَهُ
الْخَبَرَ ، فَزَوَّجَهُ فَأَفَاقَ وَبَرَأَ مِنْ عِلَّتِهِ .

إِبْلِيسُ يَغْنِي

أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ فِي مَا أَجَازَ لَنَا قَالَ : أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو
الْفَرَجِ الْمَعَانِيُّ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي الرَّيْمِيُّ قَالَ :
قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْقَارِي :

رَأَيْتُ إِبْلِيسَ فِي النَّوْمِ شَيْخًا أَيْبَضَ الرَّأْسَ وَاللَّحْيَةَ ، وَهُوَ يُغْنِي
بِصَوْتِ شَجَرٍ :

أَسْهَرْتَ لَيْلَ الْمُسْتَهَامِ ، وَتَقَيَّتَ عَنْ عَيْنِي الْمَنَامُ
وَهَجَرْتَنِي مُتَعَمِّدًا ، مَا هَكَذَا فِعْلُ الْكِرَامِ

محنة العاشق

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران قال : أخبرني الصولي قال :

قال أبو تمام :

أنتَ في حلٍّ فزِدني سَقَمًا ، أفنِ صَبْرِي واجعلِ الدمعَ دَمًا
وارضَ لي الموتَ بهَجْرِكَ فإنَّ أَلِمْتَ نَفْسِي، فزِدْني أَلَمًا
مُحَنَّةُ العَاشِقِ ذلٌّ في الهَوَى ، فلماذا استودِعَ سِرًّا كَتَمًا
ليسَ مِنَّا مَنْ شكا عِلَّتَهُ ، مَنْ شكا ظَلَمَ حَبِيبٍ ظَلَمًا

المأمون والعباس بن الأحنف

أخبرنا أبو الحسين محمد بن علي بن الجاز القرشي بالكوفة بقراءتي عليه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، وأنا متوجه إلى مكة، قال : حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد ابن اسحاق البزاز في ما كتب به إلينا قال : حدثنا أبو هريرة أحمد بن عبد الله قال : حدثنا الحسن بن محمد بن اسماعيل بن موسى قال :

رَأَيْتُ في كِتَابِ الأَخْبَارِ لأبي أنَّ المَأمونَ لما خَرَجَ إلى خُرَّاسانَ كانَ في
بَعْضِ اللَّيْلِ جالِسًا في لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ إذ سَمِعَ مُغَنِّيًا يَغني من خِيَمَةٍ له :
قالوا : خُرَّاسانَ أَقصى ما تَحاولُهُ ، ودونَ ذاكَ ، فَقَدَ جُرْنَا خُرَّاسانا
ما أَقدَرَ اللهُ أنْ يُدْني بَعِزَّتِهِ سُكَّانَ دِجْلَةٍ من سُكَّانِ جَيْحانَ^١
عَيْنًا أَظُنُّ أَصَابَتَنَا ، فلا نَظَرَتْ ، وَعُذِّبَتْ بِصُوفِ الهَجْرِ ألوانا
مَتى يَكُونُ الذي أَرْجو وَأَملُهُ ، أمَّا الذي كُنْتُ أَخشاهُ فَقَدَ كانا

١ جيجان : نهر في المواسم .

فخرج المأمونُ من موضِعِهِ حتى وقفَ على الحَيَمَةِ ، وَعَلِمَهَا ، فلمّا كان من الغد وجهه فأحضرَ صاحبَ الحَيَمَةِ ، وهو شابٌّ ، فسأله عن اسمِهِ ، فقال : العباسُ بن الأحنف . قال : أنتَ الذي كنتَ تقول : متى يكونُ الذي أرجو وآملُهُ ، أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا قال : نَعَمْ . قال : ما شأنُكَ ؟ قال : يا أمير المؤمنين تزوّجتُ ابنةَ عَمِّ لي ، فنّادى مُناديكَ يومَ أسبوعي في الرّحيل إلى خُرّاسان ، فخرّجتُ ، فأعطاه رزقَ سنّة ، وردّه إلى بغداد ، وقال : أقيمُ إلى أن تُنفِقَها ، فإذا نفِدت رجعتُ .

مهجور لا مسحور

أنبأنا أبو سعيد مسعود بن ناصر السخري ، وقد قدم علينا بغداد ، قال : أنبأنا أبو القاسم منه ابن عمر ببغداد قال :

أنشدنا أبو علي الحسن بن عبد الله الزنجاني لبعضهم :
قال الطّبيبُ لأهلي حينَ أبصرتني : هذا فتاكُم ، وحقُّ الله ، مسحورُ
فقلتُ : ويحك ! قد قاربتَ في صفتي عينَ البصّابِ ، فهلاً قلتُ : مهجورُ

صيرت لحظها سلاحاً

أخبرنا أبو سعيد أيضاً قال : حدثني أبو غانم حميد بن مأمون همداني قال : حدثنا أبو بكر أحمد ابن عبد الرحمن الشيرازي قال : أخبرني أبو العباس الوليد بن بكر اللدلي قال :

أنشدنا أبو عمر يوسف بن عبد الله المُلقَّب بأبي رمال ، على البديهة ،
إذ عبَرَ عليه حَبِيبُهُ :

بُحْتُ بَوَجْدِي، وَلَوْ غَرَّامِي يَكُونُ فِي جَلْمَدٍ لَبَاحَا
أَضَعْتُمُ الرُّشْدَ فِي مُحِيبٍ لَيْسَ يَرَى فِي الْهَوَى جُنَاحَا
لَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلَ مَا يَلَاقِي، فَشَقَّ أَثْوَابَهُ وَنَاحَا
مُحَيَّرَ الْمُقْلَتَيْنِ قُلُّ لِي: هَلْ شَرِبْتَ مُقْلَتَاكَ رَاحَا؟
نَفْسِي فِدَا لِمَّةٍ وَوَجْهِ قَدْ كَمَلَا اللَّيْلَ وَالصَّبَاحَا
وَمُقْلَةٌ أُولِعَتْ بِقَتْلِي، قَدْ صَيَّرَتْ لِحْظَهَا سِلَاحَا
وَعَقْرَبٍ سُلْطَتْ عَلَيْنَا، تَمَلُّ أَكْبَادَنَا جِرَاحَا

جمال يلبي الناس

حدثنا إبراهيم بن سعيد بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة بقراي عليه قال : حدثنا
أبو صالح السمرقندي الصوفي قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو بكر
أحمد بن محمد بن عمر الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال
أبو حمزة :

كان كامل بن المخارق الصوفي من أحسن ما رأيته من أحداث الصوفية
وجهاً، وكان قد لزم مَترَلَه، وأقبلَ على العِبَادَةِ، فكان لا يخرجُ إلا من جمعة
إلى جمعة ، فإذا خرجَ يُريدُ المَسْجِدَ ، وقف له الناس ، ورَمَوْه بأبصارهم
ينظرونَ إليه ، فقَدِمَ به عَلَيْنَا حَجَّارُ بن قيس المكي دمشقي ، وكان أحد
الفصحاء العقلاء ، وكان لي صديقاً ، فكَلَّمَنِي جماعة من أصحابه أسأله أن
يجلسَ لهم مَجْلِساً يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِم فيه ، ويسألونه ، فكَلَّمْتُهُ فَوَعَدَهُمْ
يوماً ، فاتَّعَدْنَا لذلك اليوم ، ودعا الناسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً .

فلما أن كان يوم الجمعة وصَلَّى الناسُ الغَدَاةَ ، أَقْبَلُوا من كلِّ نَاحِيَةٍ ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فَوَقَفَ يَتَكَلَّمُ عَلَيْنَا ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَقْبَلَ كَامِلُ بْنُ الْمُخَارِقِ ،
فَلَمَّا رَأَتْهُ النَّاسُ رَمَوْهُ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَشَغِلُوا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ مِنْهُ ،
وَفُطِنَ بِهِمْ حِجَارٌ ، فَقَطَعَ كَلَامَهُ ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ! مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ
فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ، فَوَاللَّهِ لَمَّا تَنْظُرُونَ مِنْهُمَا عَلَى بُعْدِهِمَا
أَعْجَبُ إِلَيَّ مَنْ نَظَرَ كُمْ إِلَى هَذَا ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَعُودَ عَلَيْكُمْ النُّفُوسُ بِعَوَائِدِ
حُكْمِهَا ، إِذَا حَالَتْ الْقُلُوبُ فِي غَامِضٍ فِكْرِهَا ، أَتَنْظُرُونَ إِلَى جَمَالِ
تَحْوِيلٍ عَنْهُ نُضْرَتِهِ ، وَوَجْهِ تَتَخَرَّمُهُ الْحَادِثَاتُ بَعْدَ خُبْرَتِهِ ؟ مَا هَذَا نَظَرَ
الْمُشْتَاقِينَ ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الشَّهَوَاتُ ؟ لَقَدْ عَرَضَتْكُمْ لِحَنَةِ عَظِيمَةٍ
عَلَى أَنْتُمْ لَا تَبْلُغُونَ مِنْهَا مَحْبُوبَ نَفْسِكُمْ وَمُطَالَبَةَ قُلُوبِكُمْ إِلَّا بِإِحْدَى
ثَلَاثٍ : إِمَّا بِتَوْبَةٍ يَتَلَفَّاهُمْ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِهَا ، أَوْ عِصْمَةٍ يَتَغَمَّدُكُمْ
بِرَحْمَتِهِ فِيهَا ، أَوْ يُطْلِقَكُمْ وَمَا تَطْلُبُونَ ، فَلَمَّا أَنْ تَحُولَ أَقْدَارُهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
شَهْوَا تِكُمْ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْلُغُوا مِنْهَا إِرَادَتَكُمْ فَتُسَخِّطُوهُ عَلَيْكُمْ ، أَمَا سَمِعْتُمُوهُ ،
تَعَالَى ذِكْرُهُ ، يَقُولُ : ذَلِكَ بِأَنْتُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ،
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ؟ ثُمَّ أَخَذَ فِي كَلَامِهِ ، فَأَحْصَيْتُ مِنْ أَحْرَمٍ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ
الْيَوْمَ نَيِّْفَ عَلَى سَبْعِينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَغُلَامٍ .

مجنون مصفد بالحديد

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام سنة ست وأربعين وأربعمائة
قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حكى لي عن حبيب بن محمد بن خالد
الواسطي قال :

دخلت يوماً على علي بن عثام ، فوجدته باكياً حزيناً ذاهباً النفس ،
فأنكرته ، فسألته عما دهاه ، فقال : أعلم أنني مررتُ بالخرابة فرأيتُ مجنوناً

١ سنة ١٠٥٤ م .

مصَفِّدًا في الحديد يَتَمَرَّغُ في التراب ويقول :

أَلَا لَيْتَ أَنَّ الْحَبَّ يَعِشُقُ مَرَّةً ، فَيَعْرِفَ مَاذَا كَانَ بِالنَّاسِ يَصْنَعُ
يَقُولُونَ فَزُ بِالصَّبْرِ إِنَّكَ هَالِكٌ ، وَلِلصَّبْرِ مِنِّي ، إِنْ أَحَاوِلْهُ ، أَجْزَعُ

إِذَا مَوْتَ أَوْ حَيَاةَ

أَنبَأَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ : حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ :

أَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّيْبَانِيُّ لِقَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

لَقَدْ عَنَيْتَنِي يَا حُبَّ لُبْنَى ، فَفَقَعَ إِذَا بِمَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
فَإِنَّ الْمَوْتَ أَيْسَرُ مِنْ حَيَاةٍ مِنْغَصَّةٍ لَهَا طَعْمُ الشَّتَاتِ
وَقَالَ الْأَمِيرُونَ : تَعَزَّزْ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : نَعَمْ ، إِذَا حَانَتْ وَفَاتِي !

عَاشِقَانِ يَصْلِيَانِ

أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ ثَابِتٌ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَنْزِيُّ قَالَ :
رَأَيْتُ عَاشِقَيْنِ اجْتَمَعَا ، فَجَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى الْغَدَاةِ ،
ثُمَّ قَامَا إِلَى الصَّلَاةِ .

الحياء المانع

قال محمد بن عمران وأخبرنا الصولي قال :

أنشدنا محمد بن القاسم :

كم قد خلّوتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ ، وقد أودى بِمَعْقُولِي
يأبى الحياءُ وشيبي أن أَلِمَّ بهِ ، وخشيّةٌ بعدُ من قالٍ ومن قيلٍ

العشاق الأعفاء

قال وأنشدنا إبراهيم بن محمد بن عرفة لنفسه :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعني منه الحياءُ وخوفُ الله والحدَرُ
وكم خلّوتُ بمن أهوى فيقنعني منه الفُكاهةُ والتّحديثُ والنّظرُ
كذلكَ الحبُّ لا إتيانَ معصيةٍ ، لا خيرَ في لذّةٍ من بعدها سقرُ
وللعطوي من أبيات :

إن أكنّ عاشقاً فإني عفيفُ الله حظي واللفظِ عن ركوبِ الحرامِ
كنتُ ماراً بين تيماء ووادي القيرى ، وأظنه في سنة اثنتين وأربعين
وأربعمئة^١ ، صادراً من مكّة ، فرأيتُ صخرةً عظيمةً ملساءَ فيها تربعُ
بقدر ما يجلسُ عليها النّفَرُ كالدّكة^٢ ، فقال بعضُ من كان معنا من
العرب ، وأظنه جهنيّاً : هذا مجلسُ جميلٍ وبُشينةٍ فاعرفه .

١ سنة ١٠٥٠ م .

٢ الدّكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس .

سيوف البين

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : أخبرنا محمد بن القاسم الأنباري قال : أنبأني أبي قال :
أنشدنا أحمد بن عبيد :

ضَعُفْتُ عن التسليمِ يومَ فِرَاقِها ، فَوَدَّعْتُها بالطَّرْفِ والعَيْنُ تَدَمَعُ
وَأَمْسَكْتُ عن رَدِّ السَّلامِ ، فمن رَأَى حَبِّاً بطَرْفِ العَيْنِ قَبْلِي يُودِّعُ
رَأَيْتُ سِوْفَ البينِ عندَ فِرَاقِها ، بأيدي جنودِ الشَّوقِ ، بالمَوْتِ تَدْفَعُ
عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ مِنِّي مُضَاعَفاً ، إلى أن تَغِيبَ الشَّمْسُ من حيثُ تَطْلُعُ

لقاء في الجنة

أخبرنا أحمد بن علي بن محمد السواق قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس قال : حدثنا عبد الله ابن إبراهيم الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا عبد الله بن عبيد قال : حدثني محمد بن الحسين في اسناد لا أحفظه قال :

علق فتى من الحي بنت عمّ له ، فخطبها إلى أبيها ، فرغب بها عنه ،
فبلغ ذلك الجارية ، فأرسلت إليه : قد بلغني حبك إيتاي ، وقد أحببتك
لذلك لا لغيره ، فإن شئت خرجت إليك بغير علم أهلي ، وإن شئت سهلت
لك المجيء . فأرسل إليها : كل ذلك لا حاجة لي فيه ، إني أخاف أن يُلْقِيَنِي
حُبُّكَ في نارٍ لا تُطْفَأُ وعذابٍ لا يَنْقَطِعُ أبداً . فلما جاءها الرسولُ بكّت ،
ثم قالت : لا أراك راهباً ، والله ، ما أحدٌ أولى بهذا الأمر من أحدٍ ، إن
الخلق في الوعد والوعيد مشتركون .

قال : فتدرّعت الشعر^١ وأقبلت على العبادة ، فكبر ذلك على أهلها

١ تدرعت الشعر : لبست درعاً من الشعر ، والدرع : ثوب تلبسه المرأة في بيتها .

وعلى أبيها، فلم تزل تتعبد حتى ماتت . فكان الفتي يأتي قبرها كل ليلة، فيدعو لها ويستغفر وينصرف . فأخبرنا أنه رآها في المنام فقال لها : فلانة ؟ قالت : نعم ، ثم قالت :

نعم المحبة، يا سؤلي، محبتكم، حب يجر إلى خير وإحسان
إلى نعيم وعيش لا زوال له، في جنة الخلد خلد ليس بالفاني
قال : فقلت لها : أيتها الحبيبة ، أفتذكريني هناك ؟ قال : فقالت :
والله إني لأتمنأك على مولاي ومولاك ، فأعني على نفسك بطاعته ، فلعله
يجمع بيني وبينك في داره ، ثم ولت ، فقلت لها : متى أراك ؟ قالت :
تراني قريباً إن شاء الله . قال : فلم يكتب الفتي بعد هذه الرؤيا إلا قليلاً
حتى مات فدُفن إلى جانبها .

صخر بن الشريد وزوجته

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراي عليه قال : حدثنا المعافى بن زكريا قال : حدثنا
محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعي قال :

التقى صخر بن عمرو بن الشريد السلمي ورجل من بني أسد، فطعن
الرجل صخرًا، فقبل لصخر : كيف طعنك ؟ قال : كان رُمح أطول
من رُمحي بأنبوب، فضمن^١ صخر منها ، وطال مرضه ، وكانت أمه إذا
سئلت عنه ، قالت : نحن بخير ما رأينا سواده بيننا ، وكانت امرأته ،
إذا سئلت عنه ، قالت : لا هو حي فيرجى ، ولا ميت فيُنعى ، فقال صخر :
أرى أم صخر لا تمل عيادتي ، ومكت سلمي مضجعي ومكاني

١ ضمن منها : مرض .

إذا ما امرؤ سَوَى بأم حَلِيلَةٍ ، فلا عاشَ إلا في شَقَا وهَوَانٍ
 لعمري لقد أبْقَظتِ من كان نائماً ، وأسمعتِ مَنْ كانتْ له أذُنَانِ
 بصيراً بوجهِ الحَزْمِ لوِ استطيعُهُ ، وقد حِيلَ بينَ العيرِ والنزَوَانِ^١
 قال المُعافى بن زكريّا ويروى : أهُمَّ بأمِ الحَزْمِ لوِ أُسْتَطِيعُهُ . وقول
 أم صَخْر : ما رأينا سَوَادَه أي شَخْصَه . قال الشاعر : بَيْنَ المَخَازِمِ^٢ يَرْتَقِبُنَّ
 سَوَادِي ، أي شَخْصِي .

نوم الفهد

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح الروذباري بقراعتي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين وأربعمائة^٣ ،
 قال : أخبرنا أبو مسلم الكاتب إجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن
 عمه قال :

مرضَ أعرابي من بني نمير يقال له : حنيف بن مُساور ، وكانت له
 امرأة من قومه يقال لها زُرْعَة بنت الأسود ، وكان لها حَبَّاءٌ . فلما اشتدَّ وجعُهُ
 جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَأَنشَأَ يَقُولُ :

يا زَرْعَ دومي واحفظي لي عَهْدِي ، كَمْ مِنْ مُنِيرٍ بَيْنَنَا مَسْدِي^٤
 وكاشِحٍ ، يا زَرْعَ ، بادي الحِقْدِ ، يا زَرْعَ إن وَسَدْتَنِي في الحَدِي
 وَجَاءَكَ الخَاطِبُ بَعْدَ الوَفْدِ ، وقلتِ : عَبْدٌ بَدَلٌ مِنْ عَبْدِ

١ حيل بين العير والنزوان : مثل يراد به انه صار عاجزاً عن الأمر الذي يريد .

٢ المخازم : الطرق في الجبال ، الواحد مخزم .

٣ سنة ١٠٦٣ م .

٤ قوله : منير بيننا مسدي ، هكذا في الأصل .

فَخَصَّكَ اللهُ بِفَدٍّ وَغَدٍ يَنَامُ فِي بَيْتِكَ نَوْمَ فَهْدٍ^١
 قال : فَمَاتَ ، فَوَاللهِ مَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا ، إِلَّا رِيْشًا تَزَوَّجْتَ ،
 فَكَأَنَّهُ كَانَ يَرَى زَوْجَهَا ، وَهُوَ كَمَا وَصَفَ .

لم يفوا ولم يرحموا

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الاستاذ أبو القاسم
 الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : سمعت أبا الفوارس بن حنيف بن أحمد بن حنيف
 الطبري قال : سمعت أبا الحسن العيشي المؤدب يقول :
 انحدرتُ من بالس^٢ أريد العراق ، فدخلتُ الموصل ، فأقمتُ بها أياماً ،
 فبينما أنا مارٌّ في بعض أزقتها ، إذا صياحٌ وجلبةٌ ، فسألتُ عنها فقيل :
 ههنا دار المجانين ، وهذا صوتُ بعضهم ، فدخلتُ ، فإذا شابٌ مشدودٌ
 متشحطٌ في الدم ، فسألته ، فردّ السلام ، وقال : من أين تجيء ؟ قلتُ :
 من بالس . قال : وأين تريد ؟ قلتُ : العراق . فقال : أتعرفُ بني فلان ؟ وأشار
 إلى أهل بيت . قلتُ : نعم . قال : لا صنعَ اللهُ لهم ولا خارَ لهم ، هم الذين
 أدهشوني وتيموني وأحلّوني هذا المحلّ . قلتُ : وما فعلوا ؟ قال :
 زَمُوا المطايا واستقلّوا ضحى ولم يُبالوا قلبَ مَنْ تيمّوا
 ما ضرَّهم ، واللهُ يرعاهم ، لو ودّعوا بالطرفِ أو سلّموا
 ما زلتُ أذري الدمعَ في إثرهم ، حتى جرى من بعدِ دمعي دمٌ
 ما أنصفوني ، يومَ بانوا ضحى ، ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

١ الفد : الفرد . وأراد بنوم الفهد : النوم الثقيل .

٢ بالس : بلد بشط الفرات .

ضجيج الكواكب

أنبأنا محمد بن أبي نصر بدمشق قال :

أنشدني علي بن أحمد ليحيى بن هذيل :

إذا حبستُ على قلبي يدي بيدي، وصيحتُ في الليلة الظلماءِ وا كيدي
ضججتُ كواكبُ ليلى في مطالعِها، وذابتِ الصخرةُ الصماءُ من كَمَدي

الهوى حلو ومرّ

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا المعافى بن زكريا الحريري
قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا ابن أبي الدنيا قال : حدثني أبو الوضاح
عن الواقدي عن أبي الجحاف قال :

إني لفي الطّوّافِ وقد مضى أكثرُ الليل وخفّ الحاجُّ إذا امرأة قد أقبلت
كأنّها شمسٌ على قضيبٍ غُرسَ في كَثيبٍ ، وهي تقول :
رأيتُ الهوى حلواً إذا اجتمع الوصلُ ، ومُرّاً علي الهجران ، لا بل هو القتلُ
ومن لم يذُقْ للهجر طعماً ، فلإنّه إذا ذاقَ طعمَ الحبّ لم يدْرِ ما الوصلُ
وقد ذُقتُ من هذين في القربِ والنّوى ، فأبعده قتلٌ وأقربه خبيلٌ^١

١ الخيل : فساد الأعضاء .

زليخا ويوسف

أخبرنا القاضي أبو علي زيد بن أبي حيويه قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن عمر بن علي الحلبي قال : حدثنا محمد بن سعيد قال : حدثنا ابن عليل المطيري قال : حدثنا ابن الدروقي قال : حدثنا سلمة بن شبيب قال : حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال :

لَمَّا خَلَّتْ زُلَيْخَا بِيُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ارْتَعَدَ يُوسُفُ . فَقَالَتْ زُلَيْخَا :
 مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تُرْعَدُ^١ ، إِنَّمَا جِئْتُ بِكَ لِتَأْكُلَ وَتَشْرَبَ وَتَشْتَمَ رَائِحَتِي ،
 وَأَشْتَمَ رَائِحَتَكَ . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ، لَسْتُ لِي بِحُرْمَةٍ . قَالَتْ : فَمِنْ أَيِّ
 شَيْءٍ تَفْزَعُ ؟ قَالَ : مِنْ سَيِّدِي . قَالَتْ : السَّاعَةَ ، إِذَا نَزَلَ مِنَ الرُّكُوبِ ،
 وَأَخَذْتُ بِيَدِي الْكَأْسَ الْمُدَّهَبَ وَالْإِبْرِيْقَ الْمُفَضَّضَ ، سَقَيْتُهُ شُرْبَةً مِنْ
 السَّمِّ ، وَأَلْقَيْتُ لَحْمَهُ عَنْ عَظْمِهِ . قَالَ لَهَا : لَا تَفْعَلِي ، فَلَسْتُ مِمَّنْ يَقْتُلُ
 الْمُلُوكَ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ مِنْ إِلَهِ السَّمَاءِ . قَالَتْ لَهُ : فَعِنْدِي مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعَقِيقِ مَا أَفْدِيكَ مِنْهُ . قَالَ : هُوَ لَا يَقْبَلُ الرُّشَا . قَالَتْ :
 دَعْ عَنْكَ هَذَا ! قُمْ اسْقِ أَرْضِي . قَالَ : لَا أَزْرَعُ أَرْضَ غَيْرِي . قَالَتْ :
 فَارْفَعْ رَأْسَكَ انْظُرْ إِلَيَّ ! قَالَ : أَخَافُ الْعَمَى فِي آخِرِ عَمْرِي . قَالَتْ :
 فَمَا زِحْتِي تُرْجِعُ إِلَيَّ نَفْسِي . قَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ! لَسْتُ لِي بِحُرْمَةٍ فَأَمَّا زِحْكُ .
 قَالَتْ : فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ هَذِهِ الذُّوَابَةِ الَّتِي بَلَغْتَ إِلَى قَدَمَيْكَ ، لَيْتَنِي وَسَمْتُهَا
 مَرَّةً وَاحِدَةً . قَالَ : أَخْشَى أَنْ تُحْشَى مِنْ قَطْرَانِ جَهَنَّمَ ، يَا هَذِهِ ، هُوَذَا
 الشَّيْطَانُ يُعِينُكَ عَلَى فِتْنَتِي ، لَا تَشْوَهِي بِخَلْقِي ذَا الْحَسَنِ الْحَمِيلِ ، فَأَدْعِي
 فِي الْخَلْقِ زَانِيًا ، وَفِي الْوَحُوشِ خَائِنًا ، وَفِي السَّمَاءِ عَبْدًا كَفُورًا .
 قَالَ وَهَبٌ : وَلَانَ مِنْ يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِقْدَارُ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ ،
 فَارْتَفَعَتِ الشَّهْوَةُ إِلَى وَجْهِهِ ، فَاسْتَنَارَتْ ، وَكَانَ سِرُّوَالَهُ مَعْقُودًا تِسْعَ عَشْرَةَ

١ ترعد : أي ترتعد خوفاً .

عقدة ، فَحَلَّ أَوَّلَ عَقْدَةٍ ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ مِنْ زَاوِيَةِ الْبَيْتِ : إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ! ثُمَّ حَلَّ الْعَقْدَةَ الثَّانِيَةَ ، فَلِذَا قَائِلٌ يَقُولُ : وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَى جِبْرِيلَ : الْحَقُّهُ ، فَإِنَّهُ الْمَعْصُومُ فِي دِيْوَانِ الْأَنْبِيَاءِ ! فَانْفَرَجَ السَّقْفُ فِي أَقْلٍ مِنَ اللَّحْمِ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً ، فَخَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَطْرَافِ أُنَامِلِهِ فَتَنَقَّصَ مِنْهُ وَلَدٌ ، فَوُلِدَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، اثْنَا عَشَرَ وَلَدًا ، مَا خَلَا يُوسُفَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّهُ وَلِدَ لَهُ أَحَدَ عَشَرَ . فَقَالَ : يَا رَبِّ مَاذَا خَبْرِي ؟ لَمْ أَلْحَقْ بِإِخْوَتِي فِي الْوَلَدِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : إِنَّ الشَّهْوَةَ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ أُنَامِلِكَ حَاسِبْنَاكَ بِهَا .

وَيَأْسِنَادُهُ قَالَ وَهَبٌ : لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِيُوسُفَ الْخَيْرَ قَامَتْ زُلَيْخَا إِلَى طَاقِهَا ، فَأَرْخَجَتْ عَلَيْهِ سِرًّا ، وَكَانَ لَهَا فِي الطَّاقِ صَنْمٌ مِنْ خَشَبٍ تَعْبُدُهُ ، فَقَالَ لَهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاذَا صَنَعْتَ ؟ قَالَتْ : اسْتَحْيَيْتُ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي أَصْنَعُ الْفَاحِشَةَ . قَالَ : فَأَنْتِ تَسْتَحْيِينَ مِنْ إلهٍ مِنْ خَشَبٍ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَخْلُقُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، فَأَنَا أَسْتَحْيِي مِمَّنْ أَكْرَمَ مَشَاوِي ، وَأَحْسَنَ مَأْوَايَ ، وَاسْتَبَقَا الْبَابَ . قَالَتْ زُلَيْخَا : يَا يُوسُفُ ، بُلِيتُ مِنْكَ بِخَصْلَتَيْنِ : مَا رَأَيْتُ بَشَرًا أَحْسَنَ مِنْكَ ، وَالثَّانِيَةَ زَوْجِي عَيْنِينَ ^١ . فَلَمَّا تَزَوَّجَهَا يُوسُفُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَبْصَرَ بَعَيْنَيْهَا حَوْلًا قَالَ : يَا زُلَيْخَا ! أَوْحَيَوْلَاءُ ؟ قَالَتْ لَهُ : مَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَتْ : مَا اسْتَحَلَلْتُ أَنْ أُمْلَأَ عَيْنِي مِنْكَ .

قَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبَهٍ : وَكَانَتْ زُلَيْخَا مَمْنُوعَةً مِنَ الشَّقَاءِ ، وَكَانَتْ أَجْمَلَ مِنْ بَطْشَابِعِ صَاحِبَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

انتظري الدهر

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال : حدثنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا عبد الله بن جعفر بن اسحاق الجابري الموصل بالبرسة قال : حدثنا محمد ابن ياسر الكاتب كاتب ابن طولون قال : حدثني أبي قال : حدثنا علي بن اسحاق قال : اشترى عبد الله بن طاهر جاريةً بخمسةٍ وعشرين ألفاً على ابنةٍ عمِّه ، فوجدت عليه ، وقعدت في بعض المقاصير ، فمكثت شهرين لا تكلمه ، فعمل هذين البيتين :

إلى كم يكون العتبُ في كل ساعةٍ ؛ وكم لا تملين القطيعةَ والهجرةَ
رؤيدك ! إن الدهرَ فيه كفايةٌ لتفريقِ ذاتِ البينِ ، فانتظري الدهرَ
قال : وقال للجارية : اجلسي على بابِ المقصورة فتغني به ! قال : فلما غنت البيتَ الأول لم تر شيئاً ، فلما غنت البيتَ الثاني ، إذا هي قد خرجت مشقوقة الثوب حتى أكبَّت على رجله فقبلتها .

هبوا ساعةً

أخبرني أبو عبد الله الحافظ الاندلسي بدمشق قال :

أنشدني أبو عبد الله بن حزم لنفسه :

صِلُوا راحِلًا عنكم بتأنيس ليلةٍ ، فسوفَ يَغيبُ المرءُ عنكم لياليًا
هبوا ساعةً يسترجع الطرفُ ضعفها ، فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وأهلي وماليًا
ولا تحسبوا عونَ الزمانِ ، فإنه لنا ولكم يُمسي ويَضْحَى مُعاديًا

الله يحب التوَّابين

أخبرنا أبو الحسن علي بن صالح بن علي بقراءتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب في ما أجاز لنا قال : حدثنا ابن دريد قال : أخبرنا الحسن بن خضر قال : أخبرني رجل من أهل بغداد عن أبي هاشم المذكر قال : أردتُ البصرة ، فجيئتُ إلى سَفِينَةٍ أَكْثَرِيهَا ، وفيها رَجُلٌ ومعه جاريةٌ . فقال الرجل : ليسَ ههنا موضعٌ ! فسألتُه الجاريةُ أن يَحْمِلَنِي ، فَحَمَلَنِي ، فلما سِرْنَا ، دعا الرجلُ بالغداء ، فَوَضِعَ ، فقال : انزلوا بذلك المسكين ليَتَغَدَّى ، فَأَنْزِلْتُ على أنْتِي مِسْكِينٌ ، فلما تَغَدَّيْنَا ، قال : يا جاريةُ هاتِي شَرَابَكَ ، فَشَرِبْتُ ، وأمرَها أن تَسْقِيَنِي ، فقلتُ : رَحِمَكَ اللهُ ، إنَّ للضَّيْفِ حقًّا ، وهذا يؤذيني . قال : فترَكَنِي ، فلما دَبَّ فيه النَّبِيدُ قال : يا جاريةُ هاتِي العودَ وهاتِي ما عندك ، فأخذتِ العودَ ، ثم غَنَّتْ :
وَكُنَّا كَغُصْنَيْنِي بَانَّةٍ لَيْسَ وَاحِدٌ يَزُولُ على الحَالَاتِ عن رأيٍ وَاحِدٍ
تَبَدَّلَ بي خِيلاً فَخَالَكْتُ غَيْرَهُ ، وَخَلَّيْتُهُ لَمَّا أَرَادَ تَبَاعُدِي
فَلَوْ أَنَّ كَفَيْ لَمْ تُرِدْنِي أَبْنَتْهَا ، وَلَمْ يَصْطَحِبْهَا ، بعدَ ذلك ، سَاعِدِي
ألا قَبَحَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مَذَاقٍ يَكُونُ أَخَا في الحَفْضِ لا في الشَّدَائِدِ
ثم التَفَتَ إليَّ فقال : أَتُحْسِنُ مثلَ هذا ؟ فقلتُ : أَحْسِنُ خيراً منه ، فقرأتُ : إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وإذا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وإذا الجِبَالُ سُيِّرَتْ . فَجَعَلَ يَبْكِي ، فلما انْتَهَيْتُ إلى قوله : وإذا الصُّحُفُ نُشِيرَتْ ، قال : يا جاريةُ اذهبي ، فَأَنْتِ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللهِ ، عزَّ وَحَلَّ ، وألقى ما مَعَهُ من الشَّرَابِ في الماء ، وكسَرَ العودَ ، ثم دنا إليَّ ، فاعتنقني وقال : يا أخي

١ الماذق : الذي لم يخلص الود . الحفص : سعة العيش .

أُتِرَى اللهُ يَقْبَلُ تَوْبَتِي؟ فَقُلْتُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ،
 قَالَ: فَأَخْبَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى مَاتَ قَبْلِي، فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ:
 إِيَّاهُ صِرْتُ بَعْدِي؟ فَقَالَ: إِلَى الْجَنَّةِ. فَقُلْتُ: يَا أَخِي بِمِ صِرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ؟
 قَالَ: بِقِرَاءَتِكَ عَلَيَّ: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ.

رجل لا يملك دمه

أخبرنا إبراهيم بن سعيد اجازة قال: حدثنا أبو صالح السمرقندي قال: حدثنا أبو عبد الله
 الحسين بن القاسم بن ألياس بالقرافة قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري
 قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال: قال أبو حمزة الصوفي، وحدثني أبو
 الفهر حسام بن الفضل المصري قال:

غَزَوْتُ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ فِي بَعْضِ الْمَرَاقِبِ فَلَسَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ،
 فَاكْتَسَرَ بَيْنَا فِي بَعْضِ جَزَائِرِ صِقْلِيَّةٍ، فَخَرَجَ مَنْ أَفَلَّتْ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ
 فَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْجَزَائِرِ رَجُلًا لَا يَمْلِكُ دَمَهُ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ، فَسَأَلْتُهُ
 عَنْ حَالِهِ، وَقُلْتُ لَهُ: أَرَفَقَ بِعَيْنَيْكَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ قَدْ أَضَرَّ بِهِمَا. قَالَ:
 إِلَّا ذَلِكَ. فَقُلْتُ: وَمَا جَنَابَتُهُمَا عَلَيْكَ حَتَّى تَتَمَنَّى لِهَمَا الْبَلَاءَ؟ فَقَالَ: جَنَابَةُ
 لَا أَزَالُ مُعْتَذِرًا مِنْهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَيَّامَ حَيَاتِي. قُلْتُ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: سُرْعَةُ
 نَظَرِيهِمَا إِلَى الْأُمُورِ الْمَحْظُورَةِ عَلَيْهِمَا، وَلَقَدْ أَوْقَعَتَانِي فِي ذَنْبٍ نَظَرْتُ إِلَيْهِ،
 لَوْلَا الرَّجَاءُ لِرَحْمَةِ اللَّهِ لَأَيْسْتُ أَنْ يَعْفُوَ لِي عَنْهُ. وَبِاللَّهِ لَوْ صَفَحَ اللَّهُ لِي عَنْهُ
 وَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ تَرَأَى لَأَسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْنِ عَصَتَاهُ، ثُمَّ
 صُعِقَ وَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

حنين المغنية الحسناء إلى بغداد

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الاندلسي بمصر ، وكتبه لي بخطه قال : أخبرني أبو محمد اليزيدي قال : حدثنا الزبير قال : حدثني أبو علي بن الأشكري المصري قال :

كنتُ من جُلّاسِ تَمِيمِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ، وَمِمَّنْ يَخْفَ عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ بِي إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَبْتَعْتُ لَهُ هُنَاكَ جَارِيَةً رَائِعَةً جَدًّا ، فَلَمَّا حَصَلَتْ عِنْدَهُ أَقَامَ دَعْوَةً لِلْجُلَسَاءِ ، قَالَ : وَأَنَا فِيهِمْ ، ثُمَّ وَضِعَتِ السَّتَارَةَ ، وَأَمَرَهَا بِالْغِنَاءِ لِيَسْمَعَ غِنَاءَهَا ، وَيُحَاسِنَ الْحَاضِرِينَ بِهَا ، فَغَنَتُ :

وَبَدَأَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا انْدَمَلَ الْهَوَى بَرْقٌ تَبَالَقَ مَوْهِنًا لِمَعَانِهِ
يَبْدُو كَحَاشِيَةِ الرُّدَاءِ ، وَدُونَهُ صَعْبُ الذُّرَى مَتَمَنِّعٌ أَرْكَانُهُ
فَالنَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ ، وَالْمَاءُ مَا سَمَحَتْ بِهِ أَجْفَانُهُ
قَالَ : فَأَحْسَنَتْ مَا شَاءَتْ ، وَطَرَبَ تَمِيمٌ وَكُلُّ مَنْ حَضَرَ ، ثُمَّ غَنَتْ :
سَيُّسَلِيكَ عَمَّافَاتٍ دَوْلَةٌ مُفْضِلٍ أَوَائِلُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَاخِرُهُ
ثَنَى اللَّهُ عِطْفِيهِ وَأَلْفَ شَخْصَهُ ، عَلَى الْبِرِّ ، مَذَّ شُدَّتْ عَلَيْهِ مَازِرُهُ
قَالَ : فَطَرَبَ تَمِيمٌ وَمَنْ حَضَرَ طَرَبًا شَدِيدًا ، ثُمَّ غَنَتْ :

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا بِالْكَرِّخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارِ مَطْلِعُهُ
قَالَ : فَاشْتَدَّ طَرَبُ تَمِيمٍ ، وَأَفْرَطَ جِدًّا ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَمَنِّي مَا شِئْتَ ،
فَلَكَ مُتَمَنَّاتُكَ . فَقَالَتْ : أَتَمَنِّي عَافِيَةَ الْأَمِيرِ وَبَقَاءَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا
بَدَّ لَكَ أَنْ تَتَمَنَّنِي . فَقَالَتْ : عَلَى الْوَفَاءِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ بِمَا أَتَمَنِّي ؟ فَقَالَ : نَعَمْ !
فَقَالَتْ لَهُ : أَتَمَنِّي أَنْ أُغْنِيَ بِهَذِهِ النُّوبَةِ بِبَغْدَادَ . قَالَ : فَاسْتَنْقَعَ لَوْنُ تَمِيمٍ ،
وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، وَتَكَدَّرَ الْمَجْلِسُ ، وَقَامَ وَقُمْنَا كُلُّنَا .
قَالَ ابْنُ الْأَشْكُرِيِّ : فَلَحِقَنِي بَعْضُ خَدَمِهِ ، وَقَالَ لِي : ارْجِعْ فَلَا أَمِيرُ

يدعوك، فرجعتُ ، فوجدته جالسا ينتظرنني ، فسلمتُ وجلستُ ، فقال :
 ويحك أرايت ما امتحننا به؟ قلتُ: نعم أيها الأمير . فقال : لا بد من الوفاء لها ،
 وما أثق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحميلها إلى بغداد ، فإذا غنت هناك
 فاصرفها . فقلتُ : سَمِعاً وطاعة . قال : ثم قم وتأهب وأمرها بالتأهب
 وأصحابها جارية سوداء تخدمها ، وأمر بِنَاقَةٍ ومحمل ، فأدخلت فيه ،
 وجعلها معي ، ثم دخلنا الطريق إلى مكة مع القافلة ، فقضينا حَجَّنا ،
 ثم دخلنا في قافلة العراق ، فلما وردنا القادسية ، أتتني السوداء عنها ،
 فقالت : تقول لك سيدي : أين نحن ؟ فقلتُ لها : نحن نزل بالقادسية .
 فانصرفت إليها وأخبرتها ، فلم أنشب أن سمعت صوتها قد اندفع
 بالغناء :

لما وردنا القادسيّة هـ حيثُ مجتمَعَ الرِّفاقِ
 وشممتُ من أرض الحجا ز نسيمَ أنفاسِ العراقِ
 أبقيتُ لي ولمن أح ب بجمعِ شملٍ واتفاقِ
 وضحكتُ من فرح اللقا هـ كما بكيتُ من الفراقِ

فتصايح الناس من أقطار القافلة: أعيدي بالله! أعيدي بالله! فما سَمِع
 لها كلمة . قال: ثم نزلنا بالياسريّة ، وبينها وبين بغداد قريب في بساتين
 متصلة من الناس فيبيتون ليلتهم ، ثم يبكرون لدخول بغداد ، فلما
 كان قرب الصباح ، إذا أنا بالسوداء قد أتتني ملهوفة . فقلتُ: ما لك؟ فقالت :
 إن سيدي ليست حاضرة! فقلتُ : وأين هي ؟ قالت : والله ما أدري .
 قال : فلم أحس لها أثراً ، فدخلت بغداد ، وقضيت حوائجي بها ، وانصرفت
 إلى تميم فأخبرته الخبر ، فعظم ذلك عليه ، ثم ما زال بعد ذلك ذاكرها
 واجماً عليها .

الأسود المتيم بالله

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الزوزني شيخ الرباط بقراءتي عليه قال : سمعت محمد بن محمد ابن ثوابة يقول :

حكى لي عن الشبلي أنه دخل إلى مارستان ، فإذا هو بأسود ، إحدى يديه مغلولة إلى عنقه ، والأخرى إلى سارية ، وهو مقيد بقيدين . قال : فلما رأيته قال لي : يا أبا بكر قل لربك أما كفالك أن تيمني بحبك حتى قيدني؟ ثم أنشأ يقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب
وعن قربك لا يصبر من تيمه الحب
فإن لم ترك العين فقد أبصرك القلب

قال : فزَعَقَ الشبلي ، وأغميَ عليه ، فلما أفاق رأى الغل مطروحاً والقيد والأسود مفقودين .

الشبلي وشعر المجنون

أخبرنا أبو الحسن الزوزني أيضاً على أثره قال :

قال لي علي بن المشتى : دخلت على أبي بكر جحدار بن جعفر الملقب بالشبلي في داره يوماً ، وهو يتهيج ويقول :

على بُعدك لا يصبر من عادته القرب
ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب
لئن لم ترك العين فقد يبصرك القلب

سأل الله أن يبتليه

حدثنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي العلاف الواعظ من حفظه قال : سمعت أبا الحسين محمد ابن أحمد بن سمعون الواعظ شيخنا يقول : سمعت أبا عبد الله الغلفي ، أو قال لي أبو عبد الله الغلفي بطرسوس صاحب أبي العباس بن عطاء يقول : سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : قرأت القرآن ، فما رأيت الله ، عز وجل ، ذكر عبداً فأنى عليه حتى ابتلاه ، فسألت الله تعالى أن يبتليتي ، فقلت : اللهم ابتليني واحفظني في ما تبتليني ، فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من داري نيف وعشرون ما رجع منهم أحد ، وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله . قال أبو عبد الله الغلفي : فمكثت بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها ، فما رأيت أحداً صحا بعد غلبته فنطق بالحكمة أحسن من أبي العباس بن عطاء ، فكان أول شيء قال بعد صحوه من غلبته :

حقاً أقولُ لقد كلفني شَطَطاً حملي هَوَاك وصبري ذانِ تعجيبُ
جمعتَ شيئينِ في قلبٍ له خَطَرٌ ، نوعينِ ضدينِ : تبريدٌ وتلهيبُ
نارٌ تُقَلِّقُنِي ، والشوقُ يضرُّمُها ، فكيفَ قد جُمِعَا ، والعقلُ مسلوبُ
لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ يُسلمني صبري إليك كما قد ضرَّ أيتوبُ
لما تطاولَ بَلَوَاهُ اقشَعَرَ لها ، فصاحَ ، من حملِها ، غرثانُ مكروبُ :
قد مسَّني الضرُّ والشیطانُ ينصبُ بي ، وأنتَ ذو رحمةٍ ، والعبدُ منكوبُ
قال لنا شيخنا أبو طاهر بن العلاف : قال لنا أبو الحسين بن سمعون ، رحمه الله :
أظنُّ كان بقي عليه من الغلبة شيء فقال : لقد كلفني شَطَطاً ، وأنا
أقول : لقد حملتني عَجَباً .

١ ينصب بي : يعاديني .

ريحانة ناطقة

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد المكي صاحب قوت القلوب بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر القواس إملاء قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل الواعظ قال : حدثنا محمد يعني ابن جعفر قال : حدثنا إبراهيم بن الجعيد قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا روح بن منصور قال : قال عباد المطار :

قُمتُ ذاتَ لَيْلَةٍ فقلتُ : اللّهُمَّ اكسُ وجهي منك حَياءً ، فصَرَخْتَ
ريحانةُ : ادعوك بإسقاط العرى ، أنتَ مُراءٍ ، وتدعو بالحياء ؟ الورعُ أولى
بك من ذا ، وأنشأت تقول :

تَعَوَّدُ سَهَرَ اللَّيْلِ ، فإنَّ النَّوْمَ خُسْرَانُ
وَلَا تَرْكُنْ إِلَى الذَّنْبِ ، فعُقْبَى الذَّنْبِ نِيرَانُ
وَكُنْ لِلْوَحْيِ دَرَّاساً ، فليَقْرَأَنَّ أَخْدَانُ
إِذَا مَا اللَّيْلُ فَاجَاهَهُمْ ، فهم في اللَّيْلِ رُهْبَانُ
يَمِيلُونَ كَمَا مَالَتْ ، من الأرواحِ ، أغصانُ

قال : فبكيت حتى اشتفيت .

عيسى بن مريم والأسد

أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد الشاهد قال : حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي قال : حدثنا أبو يوسف الضخم قال : حدثنا عبد الله بن مقوم التنوخي قال : أخبرنا عبد المنعم عن أبيه قال :

خَرَجَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فِي سِيَاحَتِهِ فَأَخَذَتْهُ
السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ وَالرَّيْحِ ، فَأَتَى كَهْفًا لِيَسْكُنَ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ بِسَبْعٍ قَدْ خَرَجَ
إِلَيْهِ يُبْصِصُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ عِيسَى رَجَعَ وَقَالَ : أَنْتَ أَحَقُّ بِمَوْضِعِكَ ،
وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَبُّ لَكَ ذِي رُوحٍ مُلْجَأٌ يَسْكُنُ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَ لِعِيسَى

مَسْكَن ، فَأَوْحَى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَيْهِ : اسْتَطَبَّأْتَنِي ، وَعِزَّتِي لِأَزْوَجَتِكَ ،
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حُورَاءَ ، وَلَأَوْلَمَنَّ عَلَيْكَ أَرْبَعَةَ آلَافِ سَنَةٍ .

كَمُونِ الْحَبِّ فِي الْحَشَا

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَكِيلُ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ حَكِمَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا
أَبُو الْفَتْحِ الْبَصْرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ عَطَاءٍ قَالَ :
حَكَى لَنَا عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ :

دَخَلْتُ بَعْضَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَإِذَا بِقَوْمٍ شُحِبِ الْوَأْنُهُمْ ، فَقُلْتُ فِي
نَفْسِي : إِنْ هَؤُلَاءِ قَدْ وَقَعُوا عَلَى دَاءٍ ، فَأَنَا أَخْرُجُ مِنْ بَيْنِهِمْ .
قَالَ : فَذَهَبْتُ لِأَخْرُجَ فَإِذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِي : إِلَى أَيْنَ ، يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
فَقُلْتُ : أَطْلُبُ لِدَائِكُمْ دَوَاءً . فَقَالَ : ارْجِعْ ، عَافَاكَ اللَّهُ ، فَإِنَّا قَوْمٌ لَيْسَ
لِدَائِنَا دَوَاءٌ ، نَحْنُ قَوْمٌ فَشَشْتُ فِي قُلُوبِنَا حُبَّةَ اللَّهِ ، فَتَغَيَّرَتِ الْوَأْنُنَا .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَأَعْجَبَنِي مَا سَمِعْتُ لِأَنِّي مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطَّ . قَالَ : فَرَجَعْتُ
إِلَى الْحَيِّ ، وَلَمْ أَزَلْ أَدُورُ فَرَأَيْتُ خَبَاءَ شَعْرٍ مُنْفَرِّدًا عَنِ الْبُيُوتِ ، فَقَصَدْتَهُ ،
فَاطْلَعْتُ فِيهِ ، فَإِذَا أَنَا بِفَتَى حَسَنِ الْوَجْهِ فِي عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ مُشْدُودَةٌ إِلَى
سِكَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : فَهَالَانِي مَا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا فَتَى مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ :
يَا ابْنَ عَمِّي ! يَقُولُونَ إِنِّي مُجْنُونٌ ! فَقُلْتُ : أَهْوُ كَمَا يَقُولُونَ ؟ فَقَالَ لِي : لَا وَاللَّهِ
مَا أَنَا بِمُجْنُونٍ ، وَلَكِنِّي بِحُبِّ اللَّهِ مَفْتُونٌ .

قَالَ : قُلْتُ فَصِيفُ لِي الْحَبِّ ! فَقَالَ : إِلَيْكَ عَنِّي ، يَا أَخَا الْعَرَبِ ، جَلَّ
عَنْ أَنْ يُحَدِّثَ ، وَخَفِيَ أَنْ يُرَى ، كَمَنَّ فِي الْحَشَا كَمُونُ النَّارِ فِي الْحَجَرِ ،
إِنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ تَوَارَى ، ثُمَّ صَفَّقَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَأَنْتَ الَّذِي أَصْفَيْتَ مِنْكَ مَوْدَّةً قَلَائِعُهَا فِي سَاحَةِ الْقَلْبِ تُغْرَسُ
وَأِنْ كَانَ لِي مِنْ فَقْدِ قَلْبِي مَوْحَشٌ ، فَقَدْ ظَلَّ لِي مِنْ فِكْرَتِي فِيكَ مَوْثَسٌ
أُنَاجِيكَ بِالْإِضْمَارِ حَتَّى كَأَنَّي أَرَاكَ بَعَيْنِي فِكْرَتِي ، حِينَ أَجْلِسُ

كل محبٍ عليل

أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن حسن بن النوسي بقراة علي عليه قال : حدثنا أبو حاتم محمد ابن عبد الواحد الرازي قال : أخبرني محمد بن هارون الثقفي قال : أنشدنا المسروقي قال :
أنشدنا بعضُ أصحابنا :

ونفسُ محبٍ الله نفسٌ عليلةٌ ، وأيُّ محبٍ لا تراه عيلاً ؟

المكفوف المجنوم

أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت الحافظ قال : حدثنا عبد الرحمن بن فضالة النيسابوري قال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن شاذان المزكي قال : سمعت طيباً المخلي بالبصرة يقول : سمعت علي بن سعيد العطار يقول :

مررتُ بعبادانٍ بمكفوفٍ مجنومٍ ، وإذا الزنبور يقَعُ عليه ، فيقطعُ لحمه . فقلتُ : الحمدُ لله الذي عافاني ممّا ابتلاه ، وفتحَ من عينيّ ما أغلقَ من عينيّ !

قال : فبينما أنا أردّد الحمد إذ صرّع ، فبينما هو يتخبطُ نظرتُ إليه ، فإذا هو مُقعّدٌ ، فقلتُ : مكفوفٌ يُصرّع ، ومُقعّدٌ مجنومٌ ؟ قال : فما استتممت كلامي حتى صاحَ : يا مُكلّفُ ! ما دخولك في ما بيني وبين ربّي ؟ دعه يعمل بي ما شاء . ثمّ قال : وعزّيتك وجلالك لو قطعتني إرباً إرباً ، وصببت عليّ العذابَ صبّاً ، ما ازددتُ لك إلاّ حبّاً .

زوجتان من الحور العين^١

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان قراءة عليه، غير مرة، في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة^٢ قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي إملاء قال : حدثنا إبراهيم الحربي قال : حدثنا الحسن بن عبد العزيز عن الحارث عن ابن وهب قال :

حدثني بكر بن مضر أن عبد الكريم بن الحارث حدثه عن رجل أنهم كانوا مرابطين في حصن ، فخرج رجلان إلى الجيش ، فقال أحدهما لصاحبه : هل لك أن تغتسل لعل الله أن يعرضنا للشهادة ؟ فقال صاحبه : ما أريد أن أغتسل ، فاغتسل صاحبه ، فلما فرغ سقط حَجَرٌ من الحصن فأصاب الرجل ، فمَرَّتْ بهم ، وهم يجرّونه إلى خيامهم ، فسألتهُم ما شأنه ؟ فأخبروني الخبر ، فانصرفت إلى أصحابي ، ثم رجعت إليهم ، فأقمت عندهم ، وهم يشكون هل مات أو عاد إليه الروح .

فبينما هو كذلك إذ ضحك فقلنا : إنه حي ، ثم مكث ملياً ، ثم ضحك ، ثم مكث ملياً ، ثم بكى ، ففتّح عينيه . قلنا : ابشِر يا فلان ، فلا بأس عليك ، لقد رأينا منك عجباً ، كنا نظن أنك قد مت إذ ضحكت ، ثم مكثت ملياً . قال : إني لما أصابني ما أصابني أتاني رجل فأخذ بيدي فمضى بي إلى قصر من ياقوته ، فوقف بي على الباب ، فخرج إلي غلمان مشمرين لم أر مثلهُم ، فقالوا : مرحباً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ، بارك الله فيكم ؟ قالوا : نحن خلقنا لك .

ثم مضى بي حتى أتى بي قصراً آخر ، وخرج إلي منه غلمان مشمرين هم أفضل من الأولين فقالوا : مرحباً وأهلاً بيسيدنا ! فقلت : من أنتم ،

١ الحور ، الواحدة حوراء : التي اشتد بياض بياض عيناها وسواد سوادها . العين ، الواحدة عينا : التي عظم سواد عيناها مع سعة ، وقيل للنساء الحور العين تشبيهاً لهن بالظباء أو ببقر الوحش في جمال أعينها .

٢ سنة ١٠٤٧ م .

بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ؟ فقالوا : نحنُ خُلِقْنَا لَكَ .

ثمّ مضى بي إلى بيتٍ لا أدري مِن ياقوتٍ أو زَبْرُجَدٍ أو لؤلؤٍ ، فخرَجَ إليّ غِلْمانٌ مشمّرين سوى الأولين فقالوا مثل ما قال الأولون ، وقلتُ لهم مثل ذلك ، فوقفَ بي على بابِ البيتِ ، فإذا بيتٌ مَبْسُوطٌ فيه فرُشٌ موضوعةٌ بعضها فوقَ بعضٍ ونمارقٌ مَبْسُوطَةٌ ، فأدخلتني البيتَ ، وفيه بابان ، فألقيتُ نفسي بين الوسادتين ، فقال : أقسمتُ عليكِ - إلاّ ألقىتُ نفسك فوقَ هذه الفرُشِ ، فإنّك قد نُصِبتَ في يومك هذا . فقُمتُ فاضطجعتُ على تلكَ الفرش على وِطاءٍ لم أضَعُ جنبِي على مثله قطّ .

فبينما أنا كذلك إذ سمِعتُ حسّاً من أحدِ البابين ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلَ جمالها ، وعليها حليٌّ وثيابٌ لم أرَ مثلَها ، وأقبلتُ حتى وقفتُ عليّ ، ولم تتخطَ تلكَ النّمارقَ ، ولكن أقبلتُ بين السّماطين حتى وقفتُ وسلّمت ، فردّدت عليها السلام . فقلتُ : مَنْ أنتِ ، بَارَكَ اللَّهُ فيكِ ؟ فقالت : أنا زوجتُكَ من الحور العين ، فضحكْتُ فرحاً بها ، فأقامتُ تحدّثني ، وتذكّرُني أمرَ نساءِ أهلِ الدنْيَا ، كأن ذلكَ معها في كتاب .

فبينما أنا كذلك إذ سمِعتُ حسّاً من الشقِّ الآخر ، فإذا أنا بامرأةٍ لم أرَ مثلَها ولا مثلَ حليِّها وجمالِها ، فأقبلتُ ، حتى وقفتُ كنحو ما صنّعتُ صاحبِبتها ، ثمّ مكثتُ تحدّثني ، فأقصرت الأخرى ، فأهويتُ بيدي إلى إحداهما ، فقالت : تأنّ لم يأنِ لكِ ، إنّ ذلكَ معَ صلاةِ الظّهر ، فما أدري أقالَت ذلكَ أم رُمِي بي إلى صحراءَ ، فلم أرَ منهم أحداً ، فبكيتُ عندَ ذلك .

فقال الرجل : فما صلّيتُ الظّهرَ أو عندَ الظّهرِ ، حتى قبَضَه الله ، عزّ وجلّ .

الشهداء في قباب ورياض

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان أيضاً قال : أخبرنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا محمد بن يونس بن موسى قال : حدثنا يعقوب بن اسحاق الحضرمي قال : حدثنا يزيد بن ابراهيم التستري عن أبي هارون الفنوي عن مسلم بن شداد عن عبيد الله بن عمير عن أبي بن كعب قال : الشهداء يوم القيامة بفناء العرش ، في قبَابٍ ورياضٍ بين يدي الله ، عز وجل .

عيناء الجنة

أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن غيلان قال : حدثنا أبو بكر الشافعي قال : حدثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار قال : حدثنا الحسن بن الصباح البزاز قال : حدثنا اسحاق ابن بنت داود ابن أبي هند قال : أخبرنا عباد بن راشد البصري عن ثابت البناني قال :

كنتُ عند أنس بن مالك ، إذ قدمَ عليه ابنٌ له من غزاة ، يقال له أبو بكر ، فسأله ، فقال : ألا أخبرُكَ عن صاحِبِينَا فلان ؟ بيننا نحنُ قائلون في غزَاتِنَا إذ ثار ، وهو يقول : وأهلَاه ، وأهلَاه ، فشرُّنا إليه ، وظننَّا أن عارضاً عرضَ له ، فقلنا : مالك ؟ فقال : إني كنتُ أحدثُ نفسي ألا أتزوَّجَ حتى أستشهدَ ، فيزوَّجني الله تعالى من الحور العين ، فلمَّا طالت عليَّ الشهادة قلتُ في سفرتي هذه : إن أنا رجعتُ ، هذه المرَّة ، تزوَّجتُ ، فأتاني آتٍ في المنام قال : أنتَ القائلُ إن رجعتُ تزوَّجتُ ؟ قم ، فقد زوَّجَكَ الله العيناء ، فانطلقَ بي إلى روضة خضراء مُعشبة ، فيها عشرُ جوارٍ .

(وذكر الحديث وقطع الحديث ، بسبب ما وقع في الجامع ، وذلك أنه تكلم رجلٌ في المذهب ، فعاونهُ رجلٌ فضوليٌّ في رواق الجامع ، وأخرجوه فقتلوا واندقطع عَنَّا الحديث ، وقبرَ في غد في قبر معروف ، فسُئِل الشافعي

أن يُعْملَ تمامَ هذا الحديث ، في يوم الجمعة لسبعِ خَلَوْنَ من جمادى الأولى ،
فأَمْلَاهُ عَلَيْنَا (وبِيَدِ كُلِّ واحدةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا ، لم أرَ مِثْلَهُنَّ في الحسنِ
والجمال . فقلتُ : أَفِيكُنَّ العَيْنَاءُ ؟ فقلنَ : نحنُ مِن خَدَمِهَا ، وهي أَمَامُكَ .
فمَضَيْتُ ، فإذا رَوْضَةٌ أَعْشَبُ من الأولى ، وأَحْسَنُ ، فيها عِشْرُونَ جارية
في يدِ كُلِّ واحدةٍ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا ، وليس العِشْرَ إليها بشيءٍ في الحسنِ
والجمال ؛ قلتُ : أَفِيكُنَّ العَيْنَاءُ ؟ قلنَ : نحنُ مِن خَدَمِهَا ، وهي
أَمَامُكَ .

فمَضَيْتُ ، فإذا بَرَوْضَةٍ وهي أَعْشَبُ من الأولى والثانية في الحسنِ والجمال ،
فيها أربعون جاريةً في يدِ كُلِّ واحدةٍ منهنَّ صَنْعَةٌ تَصْنَعُهَا وليس العِشْرَ
والعشرون إليهنَّ بشيءٍ في الحسنِ والجمال ، قلتُ : أَفِيكُنَّ العَيْنَاءُ ؟ قلنَ :
نحنُ مِن خَدَمِهَا ، وهي أَمَامُكَ .

فمَضَيْتُ فإذا أَنَا بِبِياقُوتَةٍ مُجَوِّفَةٍ فيها سريرٌ عليه امرأةٌ قد فَضَّلَ جَنَابُهَا
عن السرير ، فقلتُ : أَأَنْتِ العَيْنَاءُ ؟ قالتُ : نَعَمْ ! مرحباً بك ، فأردتُ أن
أَضَعَ يدي عَلَيْهَا ، قالتُ : مَهْ ، إنَّ فيكَ شيئاً من الروح بعد ، ولكن تُفْطِرُ
عندنا الليلة ، قال : فانتَبَهَتْ .

قال : فما فَرَّغَ الرَّجُلُ من حديثه ، حتَّى نادى المَنَادِي : يا خَيْلَ اللَّهِ اركَبِي ؛
قال : فركبنا فصافَ الرَّجُلُ العدوَّ ؛ وقال : فإني لَأَنْظُرُ الرَّجُلَ ، وأنْظُرُ إلى
الشمس ، وأذكرُ حديثه ، فما أدري أَرَأْسَهُ سَقَطَ أم الشمسُ سَقَطَتْ .

جارية تزور في المنام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراءتي عليه، في سنة أربعين وأربعمائة ١، قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال : أخبرنا عبد الله بن خلف قال : حدثنا أبو بكر محمد بن سماعة قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز القرشي قال : حدثني اسماعيل بن أبي خالد قال :

كان عندنا فتى باليمن بطالٌ مسرفٌ على نفسه . وكان مع ذلك ذا مال وجمال ، فرأى ليلةً ، في نومه ، جاريةً ، قد أقبلت إليه ، وعليها ثوبٌ من اللؤلؤ تتششنى أطرافه ، وببيدها كتابٌ من حريرٍ أخضرٍ مكتوبٌ بالذهب ، فقالت له : بأبي أنت اقرأ لي هذا الكتاب ، فقرأه فإذا هو :

مِنْ الَّتِي صَاغَهَا الرَّحْمَنُ فِي غُرْفٍ ، مِنْ مِسْكَةٍ عُجِنَتْ فِي مَاءِ نِسْرِينَ
إِلَى الَّذِي حَبَّه فِي الْقَلْبِ مُحْتَبَسٌ ، وَقَلْبُهُ عَنْهُ فِي لَهْوٍ وَتَفْتِينٍ
يَا سَهْلُ بَادِرٍ ، فَقَدْ أَوْرَثْتَنِي حَزَنًا ، كَمْ عَنْكَ مَا لَا أُحِبُّ ، الدَّهْرَ ، بِأَتِينِي
أَلَسْتَ تَشْتَاقُ أَنْ تَلْهُو عَلَى فُرْشٍ مَوْضُونَةٍ مَعَ جَوَارٍ خُرْدٍ عَيْنٍ ؟
قال : فَأَصْبَحَ الْفَتَى تَارِكًا لِكُلِّ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَطَالَةِ وَالصَّبِيِّ ، وَلَمْ يَزَلْ مُتَنَسِّكًا أَحْسَنَ تَنَسُّكَ حَتَّى مَاتَ . قال : وكان اسمه سهلاً . قال أبو بكر بن الأنباري : الخُرْدُ الحسان . والموضونة : المنسوجة بالذهب . والعَيْنُ : الحسانُ الأعين .

خود في قصر زبرجد

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد البزاز قال : حدثنا عثمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال : حدثنا أبو الطيب بن الشهورى قال : حدثني زريق الصوفي قال : أخبرني محمد بن الحسين عن حبيب الفارسي قال :

دخلت يوماً إلى الرّجّان^١ ، فإذا بمجنون يقال له أبنا . قال : فهاج على قلبي آية من كتاب الله ، عز وجل ، فقرأت : حور مقصورات في الخيام ، لم يطمثنّ إنس قبلهم ولا جان . قال : فهاج ثم أنشأ يقول :

مِنْ حُبِّ سَيِّدَةٍ تَبَوَّأَ جَنَّةً قَدْ حَفَفَتْ أَنْهَارُهَا بِخِيَامِ
مَعَ خَوْدَةٍ فِي جَوْفِ قَصْرِ زَبَرْجَدٍ مَكْنُونَةٍ فِي خِدْرِهَا كَغَلَامِ
وَرَصَانَةٍ فِي قَوْلِهَا وَحَدِيثِهَا ، لَا تَأْيِسَنَّ بِرَأْقِدٍ نَوَامِ

الجارية المجنونة والزرع

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي بهذا الإسناد عن زريق الصوفي عن عبد الواحد قال : قال عتبة الغلام :

خَرَجْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْأُبُلَّةِ ، فَإِذَا أَنَا بِخَبَاءِ أَعْرَابٍ قَدْ زَرَعُوا ، وَإِذَا
أَنَا بِخِيْمَةٍ ، وَفِي الْخِيْمَةِ جَارِيَةٌ مَجْنُونَةٌ عَلَيْهَا جِبَّةٌ صُوفٍ لَا تُبَاعُ وَلَا تُشْتَرَى ،
فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ ، فَلَمْ تَرُدِّ السَّلَامَ ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ :

زَهْدَ الزَّاهِدُونَ وَالْعَابِدُونَ ، إِذْ لَمَوْا لَهُمْ أَجَاعُوا الْبَطُونَا
أَسْهَرُوا الْأَعْيْنَ الْقَرِيحَةَ فِيهِ ، فَتَمَضَى لَيْلُهُمْ ، وَهُمْ سَاهِرُونَ
حَيَّرَتْهُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ حَتَّى عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ فِيهِمْ جُنُونَا

١ الرّجّان : لعلها تعني المارستان .

هم ألبا ذوو عقول، ولكن قد شجاهم جميع ما يعرفونا^١
 قال : فدنوتُ إليها فقلتُ : لمن الزرع ؟ فقالت : لنا إن سليم ، فركتها
 وأنبتُ بعضَ الأخبِيَّةِ ، فأرختِ السماء كأفواه القُرَبِ فقلتُ : والله لا تينها
 فأنظرَ قصتها في هذا المطر ، فإذا أنا بالزّرع قد غرق ، وإذا هي قائمةٌ نحوه
 وهي تقول : والذي أسكنَ قلبي من طرف سحرٍ بصفى محبةٍ اشتياقك ، إنَّ
 قلبي ليوقن منك بالرضا ، ثمَّ التفتتُ إليَّ فقالت : يا هذا ! إنّه زَرعه ،
 فأنبته ، وأقامه ، فسنبله ، وركبته ، وأرسلَ عليه غيثاً فسقاه ، واطلعَ
 عليه فحفظه ، فلمّا دنا حصّاده ، أهلكه ، ثمَّ رفعتُ رأسها نحو السماء
 فقالت : العبادُ عبادُك ، وأرزاقهم عليك ، فاصنعْ ما شئتَ ! فقلتُ لها :
 كيف صبرك ؟ فقالت : اسكُتْ يا عتبة .

إنَّ إلهي لغنيٌ حميدٌ ، في كل يومٍ منه رِزقٌ جديد
 الحمدُ لله الذي لم يزلْ يفعل بي أكثر مما أريد
 قال عتبةُ : فوالله ما ذكرتُ كلامها إلاّ هتجّيتي .

دعاء ربحان المجنون

وحكى الصّقرُ بن عبد الرّحمن الزّاهد قال : كان ربحانُ المجنونُ يقول في
 دعائه : اللهمَّ قصّدْ تَكْ آمالي ، الطمعُ رَغْبتي فيكَ ، ووَلّيتْ بك جوارحي
 لمواصلات الوداد إليك . ثمَّ يقول :

كَتَبَ النَّاسُكَ بِالْدمِّ عِلى الحُورِ كِتَاباً
 لا بِأَقْسَامٍ وَلَكِنْ خَطَّ بِالْدمِّ سَحَاباً
 مِنْ فَتَى أَقْلَقَهُ الشَّوْ قُ وَأَضْنَى وَأَذَاباً

١ ألبا ، الواحد لبيب : العاقل .

لا تمرض ولا تهرم ولا تموت

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال بقراءتي عليه بمصر ، في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ١ ، قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن أليسع بن عاصم البزاز الصوفي قراءة عليه بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الحياطي قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع محمد بن الفرَج السائح ، فنظرَ إلى جاريةٍ جميلةٍ تُعرَضُ على رجلٍ ليشتريها، فقال : بكم تُبَاعُ هذه الجارية ؟ فقيلَ له : بألف دينار ، فرفعَ رأسه إلى السماء وقال : اللهم ! إنك تعلمُ أني لا أملكُها ، ولا تنالُها يدي، وإني لأعلمُ من كرمِكَ أني لو سألتُك إيَّاهَا لم تُردَّني عنها ولم تمنعني منها ، تفضلاً منك عليّ وإحساناً إليّ، وإني أسألكَ ما هوَ أنفَسُ عندي منها ، بادنةً ٢ لا تمرضُ ولا تهرمُ ولا تموتُ ، ومهرُها أن لا تراني نائماً بليل ، ولا طاعِماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحد من خلقِكَ أبداً ، وأنا أجدُ في المهرِ من وقي هذا ، فأنجِزْ لي ، إذا لقيتُك، ما سألتُك يا كريم . قال : فما رأيناه نائماً بليل ، ولا طاعِماً بنهار ، ولا ضاحكاً إلى أحد من الناس حتى لحقَ بالله ، عزَّ وجلَّ .

الغلام الشهيد

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراءتي عليه بمصر بإسناده قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي :

كنتُ مع عبيد الله بن محمد الاسكندراني ببلاد الروم فنظرَ إلى غُلامٍ جميلٍ يحملُ على عِلجٍ من الروم، ويرجع عنه أحياناً، فدنا منه، وقال : فدتك

١ سنة ١٠٦٣ م .

٢ البادنة : الكثيرة اللحم ، وأراد بها إحدى حور الجنة .

النفسُ أما تَشْتاقُ إلى أن تَرى وجهاً هوَ أحسنُ من وجهِكَ وأبهجُ من شخصِكَ ؟ فقال : بلى ، والله يا عم . فقال : والله ما بينَكَ وبين أن تَرى الله ، عزَّ وجلَّ ، إلا أن يَقتُلَكَ هذا العِلجُ ، فصاحَ الغُلامُ ، وحَمَلَ عَليهِ ، ففَقَتَلَهُ العِلجُ ، فكان عُبيد الله بن محمد يقول بعد ذلك إذا ذكره : رحمة الله عَلَيْنَا وَعَليهِ ، إني لأرجو أن يكونَ الله ، عزَّ وجلَّ ، قد ضَحِكَ إلى وجهِهِ الحسن الجميل بما بَدَلَ له من مُهَجَّةِ نفسه .

ابن جويرية والغلام الجميل

وياسناده قال : قال أبو حمزة وحديثي اسماعيل بن هرثمة الوقاص قال : حدثنا الأسود بن مالك الفزاري قال : حدثني أبي قال :

حَضَرْتُ أبا مسلم سعيد بن جُويرية الخشوعي ، وقد نَظَرَ إلى غُـ جَمِيل فاطالَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ، ثمَّ قرأ : إنَّ في خَلْقِ السَّموات والأَرْضِ واختلافِ اللَّيل والنَّهارِ آياتٍ لِأولي الألباب ، سُبْحانَ الله ، ما أَهْجَمَ طَرَفِي على مَكْرِهِ نفسه ، وأَقْدَمَهُ على سَخَطِ سَيِّدِهِ ، وأَغْرَاه بما قد نَهَى عَنْهُ ، وأَلْهَجَهُ بِالْأَمْرِ الذي حَذَّرَ مِنْهُ ، لقد نَظَرْتُ إلى هذا نَظَرًا لا أَحسِبُهُ إِلَّا أَنَّهُ سَيُفْضَحُنِي عندَ جَمِيعِ مَنْ عَرَفَنِي في عَرِصَةِ القِيامة ، ولقد تَرَكْنِي نظري هذا ، وأنا أَسْتَحْيِي من الله ، عزَّ وجلَّ ، وإنْ غَفَرَ لي ، وأَرَانِي وَجْهَهُ ، ثمَّ صُعِقَ .

يُحْن بِالْجِنَانِ

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بقراءتي عليه في المسجد الحرام بباب الندوة قال :
أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار
ابن محمد بن هزار الخطيب بمرو الروذ قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
قال : حدثنا علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة قال :

بَلَغَنِي عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّخْعِيِّ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي
فِي مَسْجِدٍ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ فَقَرَأَ الْإِمَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ : وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ ، فَقَطَعَ صَلَاتَهُ وَجُنَّ ، وَهَامَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَوْقِفْ لَهُ عَلَى أَثَرٍ .

العظة القاتلة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بقراءتي عليه بمصر ، سنة خمس وخمسين^١ ، قال : أخبرنا
أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع قال : حدثنا أبو
بكر أحمد بن محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو
حمزة الصوفي : حدثني محمد بن مصعب بن الزبير المكي قال : حدثني أبي قال :

حدثني رجلٌ من أهل المدينة ، ونحن ببلاد الروم في سرية^٢ عليهما محمد
ابن مُصْنَعِب الطرطوسي قال :

كان بالمدينة غُلامٌ من بني مخزوم موصوف ببراءة الجمال ، فإذا كان في
أيام الحج حَجَّجَهُ أبوه عن الخروج إلى المسجد حتى يصدُرَ آخرُ الحاجِّ
إشفاقاً عليه من أعين الناس وحذرأً عليه منهم ، فاشتَهَرَ بِجَمَالِهِ وَوُصِفَ
بِكَمَالِهِ ، فَكَانَتِ الرَّفَاقُ تَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ من
الصَّوْفِيَّةِ عِنْدَ انْقِضَاءِ عُمْرَتِهِمْ ، وَقَدْ رَجَعُوا مِنَ الْحَجِّ لزيارة قبر النبي ، صَلَّى

١ يريد ٤٥٥ أي سنة ١٠٦٣ م .

٢ السرية : القطعة من الجيش .

الله عليه وآله وسلم ، وما بالمدينة يومئذ أحدٌ من الحاج غيرهم ، فخرج
المخزومي في ذلك اليوم ، فأقْبَرَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فسَلَّمَ عليه ،
ثمّ قَعَدَ في الرّوضةِ ينتظِرُ الصّلاة ، فوَقَفَ عليه طلحةٌ ينظُرُ إليه مليّاً ،
فرأى شيئاً لم ير مثله قطّ ، ثمّ قال : يا فتى اسمع عني مقالتي واعرض على
قلبك كلامي ، وافهم مني عظمتي ، فإنني قد بدأتُك بالنصيحة لِمَا أملتُ
لك من الله ، عزّ وجلّ ، فيها من حسن الجزاء ، وجميل الثناء .
يا حبيبِي أتدري مَنْ يراك ، وَمَنْ يشهدُ عليك ؟ قال : وَمَنْ هُما
يا عمّ ؟ قال : الله تعالى يراك ، ونبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، يشهدُ عليك ،
فإيّاك واقترافَ المعاصي بحضرةِ نبيّك ، صلى الله عليه وسلم ، فإنّك
لا تأتي أمراً في هذه البلدة يكونُ عليك فيه تبعّة ، إلّا والله تعالى له حفيظٌ ،
والنبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، عليك به شهيدٌ ، وأصحابه لك خصومٌ ،
وكفى خصماً أن يكونَ القاضي عليه خالقه ، والشاهدُ عليه نبيّه .
ما
الله عليه وسلم ، والخصوم له خيرةُ الله من خلقه الصالحون من عباده .
فانشقّض الغلامُ وسقطَ مغشياً عليه ، واجتمعَ الناسُ فاحتملوه إلى
منزله ، فما أتى عليه ثلاثةُ أيّامٍ حتّى مات .

خيلان في الجنة

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراة عليه قال : حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي
قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بالقراة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن
عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثنا أبو حمزة
الصوفي قال : حدثنا محمد بن الاحوص الثقفى قال : حدثني أبي قال : حدثني رجل من
أصحابنا قال :

كان محمد بن الحسين الضبّيّ وعبدُ العزيز بن الشاه التيمي كأنهما
هيلان أو درّتان من حُسْنيهما وجمالهما ، فسَمِعَا كلامَ أبي عبد الله

الديلمي ، وكان من أحسن الناس كلاماً وأظهرهم خُشوعاً وأكثرهم صلاة واجتهاداً ، فصحباه ، وكانا معه لا يأمن عليهما أبواهما أحداً غيره ، فكان يحجّ بهما في كلّ عام ، ويرابطُ معَهُما في السواحل سائرَ سِنِيهِ ، حتى أخذَا منه ، ووَاعِيَا عنه ، وتَأَسَّيَا بِأَخْلَاقِهِ ، واحتذيا على طَرِيقَتِهِ ، وكانا مُقْبِلِينَ على طَلَبِ الْخَيْرِ وَالْجِهَادِ ، فَخَرَجَ بِهِمَا فَرَاَهُمَا رَجُلٌ مِنَ الْجُنْدِ ، فرأى شيئاً لم ير مثله ، فأراد أخذهما منه ، فحالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا ، وأعانهُ الناس على ذلك ، وكان مشهوراً بالنسك والعفاف ، فاغتاله الجندي فقتله ، وقبضَ على الغلامين ، فامتنعَا عليه ، واستغاثا بالناس ، فجاءوا فنظروا إلى أبي عبد الله الديلمي مقتولاً ، فأخذوا الجندي ، وأتوا به السلطان فقتله .

قال أبي : فحدثني هذا الرجل قال : كنتُ حاضراً لهما ، وقد دفنَاهُ ورجعا عن قبره ، يُعرَفُ الْحُزْنُ عَلَيْهِمَا ، وَالْكَأَبُ فِيهِمَا ، فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : مَا تَرَى ، يَا أَخِي ؟ قال : أرى أن يكون على عَزِيمَتِنَا بَرٌّ يَمْضِي على ما عقدناه من نِيَّتِنَا حتى نَقْضِي رِبَاطَتَنَا ، ونرجع إلى بلادنا ، فقال له الآخر : لستُ أرى رأيك ولا ما أشرتَ به ، ولكنْ مُصِيبَتُنَا بهذا الرَّجُلِ لَيْسَتْ بِصَغِيرَةٍ وَلَا حَقُّهُ عَلَيْنَا بَيَّسِيرٌ ؛ لَهُ عَلَيْنَا حَقٌّ الْوَالِدِ بِالْشَفَقَةِ ، وَحَقُّ التَّعْلِيمِ وَطُولِ الصُّحْبَةِ ، وَطَهَارَةِ الْعِشْرَةِ ، وَحَسَنِ الْمِرَافَقَةِ ، قال : فما تَرَى ؟ قال : أرى أن نَقِيمَ على قبرِهِ مِقْدَارَ رِبَاطَتِنَا نَسْتَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ نَنْصَرِفَ ، فَإِنْ عَزَمْتَ أَنْ تُرَاطِبَ بَعْدُ فَعَلْنَا ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ نَرْجِعَ صَدَرْنَا . قال : قد قلتُ قولاً لَنْ أَخَالِفَكَ عَلَيْهِ ، فسألاني الإِسْعَادَ لهُمَا على ذلك ، فَأَقَمْتُ مَعَهُمَا نِيْفًا على عشرين يوماً ، فاعتَلَّ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ، فاشتدَّتْ علَّتُهُ ، ففلقَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَلْبًا شَدِيدًا ، وَجَزَعَ جَزَعًا لَمْ أَرَهُ مِنْ أَحَدٍ قَطُّ ، فقلتُ : ما هذا الْجَزَعُ يَا أَخِي ؟

قال : أَفَلَا يَحِقُّ لِي أَنْ أَجْزَعَ على أَخٍ شَقِيقٍ وَحَبِيبٍ شَفِيقٍ ؟ فَسَمِعْنَا مُحَمَّدًا فَقَالَ : يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ لَا تَجْزَعْ فَإِنَّ الْجَزَعَ لَا يُغْنِي عَنِي

شيئاً مما نزلَ بي من الموت ، واعلم يا أخي أنك أرفعُ عندَ الله ، عزَّ وجلَّ ، درجةً مني .

فقال : وبِمَ ذاكَ ؟

قال : بِمُصَابِكَ بي ، فَبَكَى عبدُ العزيز حتى ألصقَ خَدَّهُ بالأرض وأبكى مَنْ حَضَرَ من النَّسَاك وغيرِهِمْ ، فقال له محمد : يا أخي لا تَبْكُ فَإني في أمرٍ عَظِيمٍ ، وعلى خَطَرٍ جَسِيمٍ هوَ أَكْبَرُ عِنْدِي وَأَجَلٌ في قَلْبِي من بُكَائِكَ ، وقد شَغَلَتِي الفِكْرُ فِيكَ وفي وَحْدَتِكَ بعدي عن بعض ما أنا فيه من أَلَمِ الْعِلَّةِ ، وقد تَزَايَدَت عِلَّتِي لِمَا أَرَاهُ في وَجْهِكَ من الحزن والغَمِّ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَسِبَنِي عِنْدَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فافْعَلَنَّ ، وَلَا تُطْلِقَنَّ عَلَيَّ عِبْرَةً وَلَا تُذَرِّينَ بعدي دَمْعَةً ، فَإني مَنقُولٌ إلى رَحْمَةٍ وَصَائِرٍ إلى نِعْمَةٍ ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَحَقَّ بِالْبُكَاءِ مِنْ أَحَدٍ لَكُنْتُ أَحَقُّ بِهِ لِمَا نَزَلَ بي مِنَ الْمَوْتِ وَشِدَّةِ كَرْبِهِ وَحَيَاءِ مَا حَضَرَني مِنَ مَلَائِكَةِ رَبِّي .

فَصَبَقَ عبدُ العَزِيزِ ، وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَدَنَوْتُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، فَقُلْتُ : أَلَاكَ حَاجَةٌ أَوْ أَمْرٌ تَوْصِيَنِي بِهِ ؟

فقال : أَوْصِيكَ بِإِثَارِ تَقْوَى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، عَلَى جَمِيعِ الْأُمُورِ ، وَحَاجَتِي أَنْ تَحْفَظَنِي فِي أَخِي هَذَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَهَمِّ مَنْ أَتْرُكُ بَعْدِي .

فقال له أبو المغلِّس الصوفي ، وَكَانَ يُشَبِّهُ خُشُوعَهُ بِخُشُوعِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِيِّ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَدْ عِشْتُمَا مُصْطَحِبَيْنِ مِنْذُ كُنْتُمَا صَغِيرَيْنِ ، لَا نَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنْكُمَا خِزْيَةً وَلَا نَحْفَظُ عَلَيْكُمَا زَلَّةً ، فَنَشَأْتُمَا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَمْ تَتَهَاجَرَا ، وَلَمْ تَخْتَصِمَا ، وَلَمْ تَتَفَرَّقَا ، وَقَدْ تَكَلَّمَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِيكُمَا بِكَلَامٍ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ أَقْدَارَكُمَا عَنْهُ لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى الْيَوْمَ مِنْ أُمُورِكُمَا ، وَنَشَرَ مِنْ حُسْنِ طَوِيَّتِكُمَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاكُمَا مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّ أَعْلَامَ الْمَوْتِ إِلَيْكَ قَدْ أَقْبَلَتْ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْكَ قَدْ اقْتَرَبَتْ ، وَإِنِّي أَثِقُ بِفَهْمِكَ ، لِمَا أَعْلَمُ مِنْ حُسْنِ عَقْلِكَ ، فَهَلْ تَرَى أَحَدًا مِنْهُمْ ؟

فقال : إني أرى صُوراً تُقبِلُ ولا أثبتُها على حقيقة النظر .

قال : فما تجد ؟

قال : أجيدُ ألماً لو قُسمَ على جميع الحلائق لكانوا في مثل حالي .

قال : صفه لي .

قال : وما عسى أن أصِفَ لك منه ؟ أجيدُ نفسي كأنها بين جبَلَيْن قد اصْطَكَا عليّ ، وكأنَّ أسِنَّةً تُوخِزُني بَدَنِي ، وكأنَّ ناراً توقَدُ في عيني ، وأجيدُ لَهَاتِي قد يَبِسَتْ ، فما أجيدُ فيها شيئاً من ربي .

فقال له أبو المغلس : إني قرأتُ في بعض الأخبار ، وما رُوي في الآثار : حتى يرى مقعده من النار ، أو الجنة . فهل رأيت شيئاً من ذلك ؟

قال : أمّا في وقي هذا فلا .

فلما اشتدَّ به الأمر وكاد أن يغلبه الكربُ أوماً بيده إلى أبي المغلس ، فأصغى بأذنيه إليه ، فقال : إنك سألتني عن مقعدي ، وهذه الروح قد خرجت من بعض جسدي ، وارتفعت إلى حقوي ، وقد رأيت مقعدي .

قال : وأين رأيتَه ؟

قال : رأيتُه في جنةِ عبدٍ .

قال : فهل رأيتَ أبا عبد الله الديلمي ؟

قال : إنَّ روحه لتُرفرفُ عليّ ، وقد رأيتُ مقعده أفضلَ من مقعدي ، ودرَجته أفضلَ من درَجتي ، ولا أحسبُ أنَّهُ قال إلّا بالعلم الذي سبقَ إليه قبلي ، أو بالشهادة التي اختصَّه الله تعالى بها دوني ، وهذه روحه تُبشِّرُ رُوحِي بما أعدّه الله تعالى لي ممّا لم يبلُغْه عملي ، ولا أحاط به فهمي ، ولا استحققتَه بفعلي ممّا يعجزُ عن صِفَتِهِ قول ، ثمَّ مدَّ يده وغَمَضَ عَيْنَيْهِ ، وقضى ، رحمةُ الله عليه .

ثمَّ إنَّ عبد العزيز أفاقَ بعد طويل فحَضَرَ غسله وجهازه ، ودَفَنَه ، ورجع ، ورجعنا معه ، فَمَكَثَ أياماً لا يَطْعَمُ ولا يَتَكَلَّمُ ، وحضرتُ

صَلَاةَ الْغَدَاةِ ، فَقَامَ إِلَى جَانِبِي فِي الصَّفِّ ، فَسَمِعْتُهُ يَدْعُو بَعْدَمَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْمَعُ عَلَيَّ كَرْبَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ ، وَتَجْعَلَ خُرُوجِي مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا مِنْهَا إِلَى رِضَاكَ وَمَغْفِرَتِكَ ، وَارْحَمْ غُرْبِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحَبَّتِي فِيكَ ، وَأُحِبَّتُهُ لَكَ ، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَاجْعَلْ اجْتِمَاعَنَا فِي مَحَلِّ الْفَائِزِينَ .

ثُمَّ قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا فَعَلْتُ . ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ سَجَدَ وَأَطَالَ السُّجُودَ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ ، فَحَرَّكَتُهُ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى ، فَدَفَنْتُهُ إِلَى جَنْبِ صَاحِبِهِ ، فَكُنَّا حِينًا مِنَ الدَّهْرِ نَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِهِمْ ، وَبِمَا وَهَبَ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، لَهُمْ مِنَ الْاجْتِمَاعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَبِمَا أَفْضَوْا إِلَيْهِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالرَّحْمَةِ .

قَالَ : فَمَكَشْتُ سِنِينَ أَتَمْنَى أَنْ أَرَى وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي مَنَامٍ ، فَرَأَيْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ الشَّاهِ ، وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ خُضْرٌ ، وَهُوَ يَطِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَنَادَيْتُهُ ، فَوَقَفَ ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟

قَالَ : غَفَرَ لِي .

قُلْتُ : بِمَاذَا غَفَرَ لَكَ ؟

قَالَ : بِقَوْلِ النَّاسِ فِيَّ مَا لَا يَعْلَمُونَ وَبِرَمْيِهِمْ إِلَيَّ بِالْإِفْكِ وَالظُّنُونِ .
قُلْتُ : فَمَا فَعَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ؟

قَالَ : جَمَعَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَأَنَا وَهُوَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ .

قُلْتُ : فَمَا فَعَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدِّيلَمِيُّ ؟

قَالَ : هَيَّهَاتَ ! ذَاكَ رَجُلٌ أَبِيحٌ لَهُ الْجَنَّةُ ، فَهُوَ يَسْرَحُ فِيهَا ، وَيَتَحِيلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ .

قُلْتُ : وَبِمَ ذَاكَ ؟

قَالَ : بِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَبِفَضْلِ أَجْرِ الشَّهَادَةِ ، وَبِحِفْظِهِ لِفَرَجِهِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَطَرَفِهِ وَلِسَانِهِ عَنِ الْآثَامِ .

قُلْتُ : كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ ؟
 قَالَ : هَوَّنَهُ اللَّهُ عَلَيَّ لِمَا عَلِمَ مِنْ ضَعْفِي وَطُولِ حَزْني .
 قُلْتُ : هَلْ رَأَيْتَ جَهَنَّمَ ؟
 قَالَ : وَهَلِ الصُّرَاطُ إِلَّا عَلَيْهَا ، وَالْوُرُودُ إِلَّا إِلَيْهَا ؟ نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُهَا
 وَوَرَدْتُهَا ، فَمَا آلَمَنِي حَزُّهَا ، وَلَا أَفْزَعَنِي زَفِيرُهَا .
 قُلْتُ : فَكَيْفَ كَانَ مَسْرَكَ عَلَى الصُّرَاطِ ؟
 قَالَ : كَمَا يَجْرِي الْفَرَسُ الْجَوَادُ عَلَى الْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا
 حَجَرٌ يُخَافُ أَنْ يُعْثَرَ بِهِ .
 قُلْتُ : هَلْ رَأَيْتَ مُنْكَدِرًا الشَّعْرَانِي ؟
 قَالَ : رَأَيْتُهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا أَقْرَبَ دَرَجَتَهُ مِنْ دَرَجَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
 الدِّيلَمِيِّ .
 قُلْتُ : وَبِمَ أُعْطِيَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ : بِغَضَبِهِ لَطَرْفِهِ وَحِفْظِهِ لِفَرَجِهِ .
 قُلْتُ : فَهَلْ رَأَيْتَ مُغْتَلَسًا الصَّوْفِيَّ ؟
 قَالَ : نَعَمْ ، رَأَيْتُهُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ يَاقُوتٍ أَحْمَرَ ، يَطِيرُ بِهِ فِي الْجَنَّةِ .
 فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟
 فَقَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَسْتَقْبِلَ أَرْوَاحَ قَوْمٍ قُتِلُوا فِي الْبَحْرِ .
 قُلْتُ : وَكَيْفَ أُعْطِيَ ذَلِكَ ؟
 قَالَ : بِفَضْلِ رَحْمَةِ اللَّهِ .
 قُلْتُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ إِنَّمَا نَالَ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَحْمَتِهِ .
 قَالَ : بِكَثْرَةِ الْبُكَاءِ وَمُلَازِمَةِ الدَّعَاءِ وَطُولِ الظُّمَاءِ وَصَبْرِهِ عَلَى الْبَلَاءِ .

الهارب إلى ربه والّابق من ذنبه

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور الزاهد القواس ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو الفضل محمد بن أحمد ابن محمد بن سهل إملاء سمعته من لفظه قال : حدثنا سعيد بن عثمان بن عباس الحياطي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الاسكندراني واصله مصيصي قال : حدثني منصور بن عمار قال :

بَيْنَا أَنَا سَائِرٌ فِي بَعْضِ طُرُقَاتِ الْبَصْرَةِ ، إِذَا أَنَا بِقَتَصِرٍ مُشَيَّدٍ ، وَخَدَمٍ وَعَبِيدٍ ، وَبُسْمِرٍ الْقَنَّا مَنصُوبَةٍ وَقِيَابِ الْأَدَمِ مَضْرُوبَةٍ ، وَإِذَا حَاجِبٌ قَدْ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيٍّ مِنْ حَدِيدٍ ، وَثَنِي رِجْلًا عَلَى رِجْلٍ ، كَأَنَّهُ جَبَّارٌ عَنِيدٌ ، فَهَمَمْتُ بِأَنْ أَدْنُو مِنَ الْقَصْرِ ، فَصَاحَ بِي تَجَبُّرًا وَتَحَكُّمًا : وَيَحْكُ ! أَمَا كَانَ لَكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ إِلَى غَيْرِهِ ؟ قُلْتُ : هَذَا مَلِكٌ يَمُوتُ وَالْحَيُّ فِي السَّمَاءِ مَلِكٌ لَا يَمُوتُ ، وَاللَّهُ لَا دُنُونَ مِنَ الْقَصْرِ ، فَأَنْظِرْ لِمَنْ هُوَ .

فَدَنَوْتُ مِنْ وَرَائِهِ فَإِذَا أَنَا بِمِنَابِرٍ طَوَالَ مَشْبَكَةٍ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَإِذَا بَغْلَامٌ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ مَرَصَّعٍ بِأَنْوَاعِ الْجَوْهَرِ ، كَأَنَّهُ غُصْنٌ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، أَخْضَرَ الشَّارِبِ صَلَتِ الْجَبِينِ ، سَهْلِ الْخَدَّيْنِ مَقْرُونِ الْحَاجِبَيْنِ ، كَانَ لَبَّتَهُ صَفْحَةٌ فِضَّةٌ ، وَخَدَّهُ أَشْبَهُ بِخُدُودِ النِّسَاءِ مِنْ خُدُودِ الرِّجَالِ ، قَدْ حُزِقَ فِي الْفَتَكِ وَالسَّمُورِ^١ ، وَرَقِيقِ الْكَتَّانِ ، وَهُوَ يُنَادِي بِحَنِينٍ جَرَمِهِ : يَا نَشْوَانُ ! فَمَا لَبِثْتَ أَنْ خَرَجْتَ عَلَيَّ جَارِيَةً^٢ كَأَنَّهَا خُوطُ بَانٍ أَوْ مَشَقُّ قُضَيْبِ رِيحَانٍ ، عَلَيْهَا مِرْطُ^٣ حَرِيرٍ أَخْضَرَ ، قَدْ لَصِقَ عَلَى رُطُوبَةٍ جِسْمِهَا ، تَمْشِي عَلَى فَاضِلٍ شَعْرِهَا تَطْرُقُ بِنَعْلَيْهَا ، وَتَفْتَنُ^٤ ، وَاللَّهُ ، مَنْ رَأَاهَا ، فَلَا أُدْرِي ، وَاللَّهُ ، الْجَارِيَةُ كَانَتْ

١ حَزَقَ : عَصَبَ ، وَضَغَطَ . الْفَتَكِ : جَنَسٌ مِنَ الثَّمَالِبِ صَغِيرِ الْقَدِّ ، وَفُرُوتُهُ مِنْ أَحْسَنِ الْفَرَاءِ .
السَّمُورِ : حَيَوَانٌ يَشْبَهُ ابْنَ عَرَسٍ لَوْنُهُ أَحْمَرٌ مَائِلٌ إِلَى السَّوَادِ يَتَخَذُ مِنْ جِلْدِهِ فَرَاءً ثَمِيَّةً .
٢ الْجَارِيَةُ : الْفَتْنَةُ الطَّرِيقُ . الْمِرْطُ : كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيْطٍ .

أَحْسَنَ أُمَ الْغُلَامِ ، فَخَشِيتُ أَنْ تَغْشَانِي ، فَفَتَحَتِ الْأَبْوَابَ ، فَخَرَجَ
الْغِلْمَانُ فَتَلَبَّبُونِي^١ وَقَالُوا : وَيْحَكَ ! مَا كَانَ لَكَ قَصْدٌ غَيْرَ هَذَا الطَّرِيقِ
إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى نَظَرْتَ إِلَى حُرْمَةِ الْمَلِكِ .
فَقُلْتُ : لِمَنْ يَكُونُ هَذَا الْقَصْرُ ؟

فَقَالُوا : لِلْمَلِكِ الْبَصْرَةِ ، وَابْنِ سَيِّدِهَا .

فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَأَجَالَ حَمَالِيْقَ عَيْنَيْهِ ، كَأَنَّهُمَا عَيْنَا ظَبْيٍ
تَتَفَرَّسُ^٢ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : لَقَدْ اجْتَرَأْتَ عَلَيَّ إِذْ نَظَرْتَ إِلَى حُرْمَتِي .
فَقُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ! جَدُّ بَعْفُوكَ عَلَى ضُعْفِي ، وَبِحُلْمِكَ عَلَى جَهْلِي ،
فَلِمَ نِي رَجُلٌ طَبِيبٌ ، وَلَا يُرَى فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ قَتْلُ الطَّبِيبِ ، وَإِنِّي لَأَرَى
فِي جِسْمِكَ هَذَا مَدْخَلًا قَدْ التَوَتَ عَلَيْهِ الضَّلُوعُ وَالْأَعْضَاءُ ، وَهُوَ رَقِيقٌ^٣
فِي الضَّمِيرِ ، مَا بَيْنَ الْأَحْشَاءِ . يَا غُلَامُ قَدْ حُزِقْتَ فِي الْفَنِّ وَالسَّمُورِ ، هَلْ
لَكَ صَبْرٌ عَلَى مَقْطَعَاتِ النَّيْرَانِ ، وَسَرَائِلِ الْقَطْرِ^٤ ، وَصَوْتِ مَالِكٍ وَعَرَضِ
الرَّحْمَنِ ؟ أَمَا سَمِعْتَ أَنَّهُ يَنَادِي بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَصْوَاتٍ : يَا نَارُ
كُلِّي وَلَا تَقْتُلِي ، يَا نَارُ أَحْرِقِي ، يَا نَارُ أَنْضَجِي ، يَا نَارُ اشْتَفِي ، فَإِذَا سَمِعْتَ
النَّارُ يَا نَارُ كُلِّي ، أَكَلْتُ بَوَهْجِ اللَّهَبِ مِنْ بَيْنِ أَطْبَاقِهَا ، فَوَيْلٌ^٥ لِلطَّبِيقَةِ
السُّفْلَى مِنَ الطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمُ الصَّدِيدُ كَالزَّيْتِ الْمَغْلِيِّ ،
وَوَيْلٌ^٦ لِلطَّبِيقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الطَّبِيقَةِ السُّفْلَى كَيْفَ يَتْرَاكِبُ عَلَيْهِمُ الدِّخَانُ مِنْ
بَعْدِ مَهَاوِيهَا ، وَقَدْ شُدُّوا فِي سَلْسِلِهَا وَقُرْنُوا مَعَ شَيْطَانِهَا ، وَأُرْسِلَتْ
عَلَيْهِمْ حَيَاتُهَا وَعَقَارِبُهَا .

فَصَرَخَ الْغُلَامُ صَرْخَةً^٧ ، ثُمَّ قَالَ : يَا طَبِيبُ قَتَلْتَنِي ، وَبَأْسَهُمُ الْمَنَآيَا
رَشَقْتَنِي ، فَمَا أَخْطَأْتُ صَمِيمَ كَبِدِي ، وَيْحَكَ يَا طَبِيبُ ، مَا أَحْرَمَكَوَيْكَ ،

١ تَلْبِيهِ : أَخْذُهُ بِتَلْبِيهِهِ أَيْ بِطَوْقِهِ وَجَرِهِ .

٢ الْمَقْطَعَاتُ : الْقَصَارِ مِنْ الشَّيَابِ ، الْوَاحِدَةُ مَقْطَعَةٌ . الْمَرَايِلُ ، الْوَاحِدُ سَرِبَالٌ : الْقَمِيصُ .

وَأَرْشَقَ نَبْلَكَ .

فقلتُ له : حبيبي قد أعجبتك نشوانُ ، فلكو نظرتَ إليها بعد ثلثة من وفاتها ، وقد تمسّطَ شعرُها ، وسالَ صديدها ، وبليَ بدنُها ، إذن لمقتتها ، أفلا أصِفُ لكَ نشوانَ الجنانِ التي ذكرها الله تعالى في القرآن : إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَثَرَاباً لأصحابِ اليمينِ ، جاريةٌ إذا خطرتُ مالتِ الأشجارُ إلى حسنِ وجهِها ، وصفرتِ الطيرُ إلى جمالِها طرباً ؛ وإذا وقفت وقفَ جاري الماءِ لوقوفِها ، وإذا مشيت تبسمت الحضرةُ من تحتِ زمامِ نعلِها ، ويكادُ ينطوي من رطوبةِ جسمِها ، جاريةٌ خلقتُ من الزعفرانِ والمِسكِ الأذفر ، بلا تعبٍ ولا نصبٍ ، فترى مجرى الدمِ منها كما ترى الحمرةَ في الزجاجةِ البيضاء . قال لها باريء النسم : كوني فكانتُ .

قال : فصاحَ الغلامُ : يا طبيبُ قتلتني ، وبسهمِ المنايا رشقتني ، ثمَّ ضربَ بيدهِ إلى أقبيته فشققها ، ورمى بسيفه ومنطقته ، ووثبَ قائماً على قدميه يرتعدُ كالسَّعفةِ في يومِ ريحٍ عاصِفٍ ، ثمَّ قال : يا قصرُ ! عليكَ السلامُ قد هربني هذا الطبيبُ الشفيقُ الرفيقُ .

قال منصور : فصراختُ نشوانُ صرخةً من داخلِ القصر ، وقالت : يا مولاي والله ما تُنصِفُني ، نهْرُبُ وترُكُني ، رويداً مكانك ، فخرجتُ عليّ نشوانُ ، وقد قصرتُ من شعرِها ، ثمَّ قالت : يا مولاي ! مَنْ أرادَ السفرَ إلى بلدٍ قصرَ هيباً الزادَ ، ومن أرادَ التوبةَ شمرَ لها .

قال منصور : ثمَّ هرباً جميعاً ، فخرجتُ إلى بابِ القصر ، فإذا أنا بالقبابِ قد نُزِعَتْ ، وبالحيامِ قد رُفِعَتْ ، وبالحُجُبِ قد نُحِيتْ ، فوقفتُ فنَاديتُ بأعلى صوتي : يا أيُّها الهارب إلى ربِّه ، والآبقُ من ذنبِه ، لقد هربتَ إلى أكرمِ الأكرمين .

قال منصور : فلما كان بعدَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ حَجَجْتُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي الطَّوَافِ إِذْ سَمِعْتُ صَوْتَ مَحْزُونٍ مَكْرُوبٍ مَغْمُومٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : إِلَهِي وَسَيِّدِي ! نَحْلُ جِسْمِي وَدَقَّ عَظْمِي وَرَقَّ جِلْدِي وَخَرَجْتُ مِنْ مَالِي رَجَاءً أَنْ تُرِيَّتِي وَجْهَكَ الْكَرِيمَ الْجَمِيلَ ، وَتَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَشْوَانِ الْجِنَانِ .

قال منصور : فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : يَا غُلَامُ مَا أَقْلَّ حَيَاءَكَ ! بِأَيِّ حَقٍّ تَطْلُبُ مِنْ رَبِّكَ نَشْوَانَ الْجِنَانِ؟ فَتَنْظُرَ إِلَيَّ وَبُكِّي وَقَالَ لِي : رِفْقًا يَا طَيْبُ ! رِفْقًا ! هَكَذَا تَضْرِبُ بِسَوْطِكَ جِسْمًا عَلِيلاً ، ثُمَّ لَا تَعْرِفُهُ؟ أَنَا وَاللَّهِ مَلِكُ الْبَصْرَةِ وَابْنُ سَيِّدِهَا .

قال منصور : فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُهُ إِلَّا بِخَالِ كَانَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَدْ نَحَلَ وَذَابَ جِسْمُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : حَبِيبِي مَا فَعَلْتَ نَشْوَانُكَ؟ فَبُكِّي وَقَالَ : يَا ابْنَ عَمَّارٍ ، وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَهَا مَا عَرَفْتَهَا ، قَدْ ذَهَبَ الْبُكْيُ بِبَصَرِهَا ، وَخَتَّ الدَّمُوعُ مُحَاسِنَ وَجْهِهَا .

فَقُلْتُ لَهُ : حَبِيبِي ! مَا كَانَ أَحْوَجَنِي إِلَى رُؤْيَيْهَا ، فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَأَوْقَفَنِي إِلَى بَابِ خِيَمَةِ مِنَ الشَّعْرِ ، فَقُلْتُ : أَحْبَبْتِي ! بَعْدَ الْقُصُورِ صِرْتُمْ إِلَى خِيَامِ الشَّعْرِ ، لَقَدْ أْبْلَغْتُمْ فِي الْعِبَادَةِ .

فَخَرَجْتُ نَشْوَانُ مِنْ دَاخِلِ الْخِيَمَةِ فَقَالَتْ : بِاللَّهِ ! أَنْتَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ؟ فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ ! فَقَالَتْ لِي : يَا مَنْصُورُ أَتَرَى رَبِّي يُسَكِّنُنِي الْجِنَانِ وَيُرِينِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ؟ فَقُلْتُ لَهَا : جُدِّي فِي الطَّلَبِ، وَأَحْسِنِي الْمُعَامَلَةَ ، تَخْدُمُكَ الْوِلْدَانُ ، وَتَسْكُنُنِي الْجِنَانُ ، وَتُرِي نَشْوَانَ الْجِنَانِ ، وَتُزَوِّرِي اللَّهَ ، عِزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكَ الدِّيَّانَ .

قال منصورُ بْنُ عَمَّارٍ : فَشَهَقْتُ شَهَقَةً خَرَّتْ مِنْهَا مَيِّتَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَالَ : فَبُكِيَ الْغُلَامُ وَقَالَ : بِأَبِي وَاللَّهِ مَنْ كَانَتْ مُسَاعِدَتِي عَلَى الشَّدَّةِ وَالرَّخَاءِ!

ولم يتمالك الغلامُ أن شهقَ أيضاً شهقةً خَرَّ مِنْهَا مَيِّتاً .
قال منصور : فأخذنا في جهازِهِمَا ، وغَسَلْنَاهُمَا وكَفَّنَاهُمَا ، وصَلَّيْنَا
عَلَيْهِمَا ، ودفنَاهُمَا ، رحمهما الله .

الدب المنقطع إلى الله

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال : حدثنا أبو الحسن علي بن جهضم بمكة قال :
حدثنا أحمد بن محمد بن سالم قال : قال سهل يعني ابن عبد الله :

أولُ ما رأيتُ من العجائبِ والكراماتِ أني خرَّجتُ يوماً إلى موضعٍ خالٍ
وطابَ لي المقامُ ، وكأني وجدتُ من قلبي قُرْبَةً إلى الله ، عزَّ وجلَّ ، وحضرتُ
الصلاةَ ، وأردتُ الطَّهَّورَ ، وكانتُ عادتِي من صباي أن أجِدَّ الدُّبَّ الوضوءَ عندَ
كلِّ صلاةٍ ، وكأني اغْتَمَمْتُ لِفَقْدِ الماءِ ، فَبَيْنَا أَنَا كذلكُ إذا دُبٌّ يمشي
على رجليه ، كأنه إنسانٌ ، ومعه جرةٌ خضراءُ مُمسكٌ بيده عليها .

قال سهل : فلما رأيتُه من بعيدٍ توهمتُ أنه آدميٌّ ، حتى إذا دنا مني
وسلمَ عليَّ وَوَضَعَ الجِرَّةَ بينَ يديَّ قال : أبو محمد ؟ فجاءني العلمُ يعترضُ ،
وذلك من شريطةِ الصَّحَّةِ ، فقلتُ في نفسي : هذه الجرةُ ، والماءُ من أين هو ؟
فَنَظَّقَ الدَّبُّ ، وقال : يا سَهْلُ ! إِنَّا قَوْمٌ مِنَ الْوَحْشِ قَدْ انْقَطَعْنَا إِلَى اللَّهِ ،
عزَّ وجلَّ ، بعزمِ التَّوَكُّلِ والمَحَبَّةِ ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَشَكَّلُ مع أصحابِنَا
في مَسْأَلَةٍ إِذْ نُودِينَا : أَلَا إِنَّ سَهْلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُرِيدُ مَاءً لِلْوُضُوءِ ،
فَوُضِعَتْ هذه الجرةُ في يدي ، وبجَنَبَتِي مَلَكَانِ ، حتى دنوتُ منك فَصَبَّأَ فِيهَا
هذا الماءَ من الهواءِ ، وأنا أسمعُ خريراً للماءِ .

قال سهل : فَغَشِيَّ عَلَيَّ ، فلما أفقتُ إذا أنا بالجرةِ موضوعةً ، ولا
علمَ لي بالدبِّ أين ذهبَ ، وأنا متَحَسِّرٌ إِذْ لَمْ أَكَلِّمَهُ ، فتَوَضَّأْتُ ، فلما

فرغت أردت الشرب منه ، فنوديت من الوادي : يا سهل ! لم يأن لك أن
تشرّب هذا الماء بعد . فبقيت الجرة ، وأنا أنظر إليها تضطرب ، فلا أدري
أين مرّت .

تصفيق القناديل

أخبرنا عبد العزيز بن علي قال : أخبرنا علي بن عبد الله الهذلي بمكة قال : حدثني محمد بن إبراهيم
ابن أحمد الأصبهاني بطرسوس قال : سمعت أبا طالب يقول :
كنت مع سمنون ، وهو يتكلم في شيء من المحبة ، وقناديل
معلقة ، فرأيت القناديل تصفق حتى تكسرت .

المشتاق إلى الجنة

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي المحتسب قال : حدثنا أبو القاسم اسماعيل بن محمد بن
سويد قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الألباري قال : حدثنا الكديمي قال : حدثنا اسماعيل
ابن نصر العبدي قال :

صاح صائح في مجلس صالح المرّي : ليقيم البكاؤون المشتاقون إلى الجنة !
فقام أبو جهير . فقال : يا صالح ، اقرأ ! فقرأ : وقدمنّا إلى ما عملوا من
عمل ، فجعلناه هباءً منثوراً ، أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن
مقيلاً . فقال : أعدها يا صالح ، فأعادها ، فما انتهى حتى مات أبو جهير .

أشعر من قال في منى

أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن عيسى القيمي بقراقي عليه بمصر في سنة خمس وخمسين وأربعمائة قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن مغلّس بن جعفر السرايري قال : حدثنا القاضي أبو الطاهر محمد ابن أحمد بن عبد الله بن نصر الدهلي قال : أنشدنا ثعلب قال :

وَسُئِلَ جَعْفَرُ بْنُ مُوسَى اللَّيْثِيُّ : مَنْ أَشْعَرُ مَنْ قَالَ فِي مَنًى وَعَرَفَاتٍ
وَالْحَجِّ ؟ فَقَالَ : مَا قَالَ أَحَدٌ مَا قَالَ أَصْحَابُنَا الْقُرَشِيُّونَ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْمَلْحِي ،
بِعَنِي كَثِيرًا ، حِينَ يَقُول :

تَفَرَّقَ أَنْوَاعُ الْحَجَّاجِ عَلَى مَنًى وَفَرَّقَهُمْ شَعْبَ النُّوَى ، مَشَى أَرْبَعٌ^١
فَلَسَمَ أَرَا دَارًا مِثْلَهَا دَارَ غِبْطَةٍ ، وَمَلَقَى إِذَا التَّفَّ الْحَجَّاجُ بِمَجْمَعٍ
أَقْلَ مُقِيمًا رَاضِيًا بِمَقَامِهِ ، وَأَكْثَرَ جَارًا ظَاعِنًا لَمْ يُودَّعِ
فَشَاقُوكَ لَمَّا وَجَّهُوا كُلَّ وَجْهَةٍ سِرَاعًا ، وَخَلَّوْا عَنْ مَنَازِلَ بَلَقَعِ
فَرِيقَانِ مِنْهُمْ سَالِكٌ بَطْنَ نَخْلَةٍ ، وَآخَرُ مِنْهُمْ سَالِكٌ خَبْتِ يَفْرَعِ^٢

أعين الإنس لا أعين الجن

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأردستاني بمكة في المسجد الحرام قال : أخبرنا الحسن بن محمد ابن حبيب المذكر قال : سمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي القاضي يقول : سمعت أبا بكر بن الأنباري يقول : سمعت العباس بن سالم الشيباني يقول : سمعت بن الأعرابي قال :

ومن جيد شعره ، يعني مجنون بني عامر :

وَجَاؤُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِيدِ وَالرُّقَى ، وَصَبَّوْا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ أَلْمِ النُّكْسِ
وَقَالُوا بِهِ مَنِ أَعَيْنَ الْجِنَّ نَظْرَةً ، وَلَوْ عَقَلُوا قَالُوا : بِهِ أَعَيْنَ الْإِنْسِ

١ الشعب : التفريق . النوى : البعد . مشى أربع : أي سير أربع ليال فرقمهم تفريق البعد .

٢ بطن نخلة وخبت يفرع : موضحان .

قميص سعدون

أخبرنا أبو بكر الاردستاني محمد بن أحمد بمكة قال : حدثنا أبو القاسم بن حبيب المذكر
قال : سمعت الحاكم الحسين بن محمد يقول : سمعت ابراهيم بن فاذك يقول : سمعت يوسف
ابن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول :

خَرَجْتُ يَوْمًا بُكْرَةً إِلَى مَقَابِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ فَرَأَيْتُ شَخْصًا مَقْنَعًا
كُلَّمَا رَأَى قَبْرًا مِنْخَسِفًا وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ سَعْدُون ، فَقُلْتُ : أَيُّ شَيْءٍ
تَصْنَعُ هَهُنَا ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا يُسْأَلُ عَمَّا أَصْنَعُ مَنْ أَنْكَرَ مَا أَصْنَعُ ، فَأَمَّا مَنْ
عَرَفَ مَا أَصْنَعُ ، فَمَا يُغْنِي سَوَالَهُ ، فَقُلْتُ : يَا سَعْدُونُ تَعَالِ نَبْكِ عَلَى
هَذِهِ الْأَبْدَانِ قَبْلَ أَنْ تَبْلَى ! فَقَالَ : الْبُكْيُ عَلَى الْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ ، عَزَّ
وَجَلَّ ، أَوْلَى بِنَا مِنَ الْبُكْيِ عَلَى الْأَبْدَانِ ، فَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا خَيْرٌ ،
فَخَيْرُهَا عِنْدَ رَبِّهَا أَكْثَرُ مِنْ بِلَاهَا ، وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهَا شَرٌّ ، فَشَرُّهَا عِنْدَ
رَبِّهَا شَرٌّ مِنْ بِلَاهَا فِي الْقُبُورِ ، فَلَيْتَهَا تَرُكْتُ تَبْلَى فِي الْقُبُورِ ، وَلَمْ تُبْعَثْ
لِلْحِسَابِ .

يَا ذَا النُّونِ إِنَّكَ إِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَلَا يَنْفَعُكَ فِي النَّارِ دُخُولُ غَيْرِكَ الْجَنَّةِ .
وإِنْ تَدْخُلِ الْجَنَّةَ لَا يَضُرُّكَ دُخُولُ غَيْرِكَ النَّارِ .

ثُمَّ قَالَ : يَا ذَا النُّونِ ! وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ، ثُمَّ صَاحَ : وَاعِظُوكُم بِأَلَمِ
مَاذَا تَقَابِلُهُ فِي الصُّحُفِ ؟ قَالَ : فَعِشِي عَلَى غَشِيَّةٍ ، فَلَمَّا أَفْقَتْ إِذَا هُوَ
يَمْسَحُ وَجْهِي بِكُمِّهِ ، وَيَقُولُ : يَا ذَا النُّونِ ! مَنْ أَشْرَفُ مِنْكَ إِنْ مِتَّ مَكَانَكَ
هَذَا ؟

قال محمد بن الصَّبَّاحِ : وَقَرَأْتُ عَلَى قَمِيصِ سَعْدُونِ :

عَيْنِ فَا بَكِي عَلَيَّ ، قَبْلَ انْطِلَاقِ ، بِدُمُوعٍ تَمَلِّ مِنْهَا الْمَآقِيَ
وَانْظُرِي مِصْرَعِي ، فَقَدْ قُضِيَ الْأَمْرُ رُ وَنُوحِي عَلَيَّ قَبْلَ الْفِرَاقِ

ذو النون الصوفي والمشتاقون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الهمداني بمكة قال : سمعت أبا بكر محمد بن علي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى قال : حدثنا يوسف بن الحسين قال :

وَصَفَ ذُو النُّونِ الْمُشْتَاقِينَ فَقَالَ : سَقَاهُمْ مِنْ صِرْفِ الْمَوَدَّةِ شُرْبَةً ،
فَمَاتَتْ شَهْوَاتُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَوْفِ عَوَاقِبِ الذُّنُوبِ ، وَذَهَلَتْ أَنْفُسُهُمْ
عَنِ الْمَطَاعِمِ مِنْ حَذَرِ فَوْتِ الْمَنَاعِمِ ، قَدْ أَنْحَلُوا الْأَبْدَانِ بِالْجُوعِ وَصَفَّتُوا الْقُلُوبَ
مِنْ كُلِّ كَدَرٍ ، فَهِيَ مَعْلَقَةٌ بِمَوَاصِلَةِ الْمَحْبُوبِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا حُسْنَ
غِرَاسِ الْأَشْجَانِ فِي رِيَاضِ الْكِتْمَانِ ! وَذَكَرَ كَلَاماً ثُمَّ تَنَفَّسَ وَقَالَ :
شَوْقٌ أَضَرَ بِمُهْجَةِ الْمُشْتَاقِ فَجَرَّتْ سَوَابِقُ عِبْرَةِ الْأَمَاقِ
لَعِبَتْ يَدُ الْعِبَرَاتِ فِي وَجَنَاتِهِ وَكَذَا بِهِ لَعِبَتْ يَدُ الْأَشْوَاقِ

يا من يعز علي

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرمني بمكة بقراءتي عليه ، في المسجد الحرام ، بباب
الدوة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال : حدثنا يوسف بن عمر
الزاهد قال : قرأت على جعفر بن محمد الخواص حديث إبراهيم بن محمد المروزي قال :

رَأَيْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُسْبَةَ قَدْ سَمِعَ صَوْتاً وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ يَعِزُّ عَلَيَّ
مَا لِي أَهْوَنُ عَلَيْكَ ؟ ثُمَّ صَاحَ وَوَقَعَ فِي الطِّينِ فَتَبَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْماً مَرِيضاً .

كل كريم طروب

أخبرنا الاردستاني بمكة قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت الإمام أبا سهل محمد ابن سليمان بن روضة يقول : سمعت أبا محمد السوري يقول : سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول :

حُدِّثَتْ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لِعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ : امْضِ بِنَا إِلَى هَذَا الَّذِي قَدْ تَشَاغَلَ بِاللَّهِوِّ فِي هَدْمِ مَرْوَةِ ، نُبْقِيَ عَلَيْهِ فَعْلَهُ ، يَرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَخَلَا عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ سَائِبٌ خَاسِرٌ ، وَهُوَ يُلْقِي عَلَى جَوَارٍ لَهُ ، فَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ الْجَوَارِي أَنْ يَتَنَحَّيْنَ لِدُخُولِ مُعَاوِيَةَ ، وَتَنَحَّى عَبْدُ اللَّهِ عَنْ سَرِيرِهِ لِمُعَاوِيَةَ ، فَرَفَعَ مُعَاوِيَةُ عَمْرًا ، فَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : عُدْ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ ! فَأَمَرَ بِالْكَرَاسِيِّ فَأَلْقَيْتَ ، وَأَمَرَ الْجَوَارِي أَنْ يَخْرُجْنَ ، فَخَرَجْنَ فَجَلَسْنَ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ، فَتَغَنَّى سَائِبٌ :

ديارُ التي كنّا ونحنُ نزورها تعفّت بأرياحِ الصَّبَا والجنائبِ

ومضى في الشعر ورَدَدَتْ الجَوَارِي عليه النغم الطيِّبَ ، وحركَ مُعَاوِيَةُ يَدَيْهِ ، وتحركَ في مجلسِهِ ، ثُمَّ مَدَّ رِجْلَيْهِ ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ وَجْهَ السَّرِيرِ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : اتَّشَدَّ فَإِنَّ الَّذِي جِئْتَ تَلْحَاهُ أَحْسَنُ حَالًا مِنْكَ ، وَأَقْلَ حَرَكَةً . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اسْكُتْ ، لَا أَبَا لَكَ ، فَإِنَّ كُلَّ كَرِيمٍ طُرُوبٌ .

عروة بن حزام

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي السوري اجازة قال : أخبرنا أبو الحسين بن روح قراءة عليه قال : حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن فهم قال : حدثنا عبد الله بن شبيب عن سليمان بن عبد العزيز قال : حدثني خارجة المكي قال :

حدثني من رأى عروة بن حزام يطاف به حول البيت قال : فدنوت منه ، فقلت : من أنت ؟ قال : أنا الذي أقول :

أني كل يوم أنت رام بلادها بعينين إنساناهما غرقان
ألا فاحمِلاني، بارك الله فيكما، إلى حاضر الرِّوحاء ثم ذراني
قلت : زدني . قال : لا والله ولا حرفاً واحداً .

جفون وجفون

أبانا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن أيوب القمي قال : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال :

أنشدني محمد بن موسى البربري :

يا جُفُوناً سَوَاهِراً أَعْدَمَتْهَا لَذَّةُ النَّوْمِ وَالرَّقَادِ جُفُونُ
إِنَّ اللَّهَ فِي الْعِبَادِ مَنَآيَا سَلَطَتْهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعُيُونُ

القاتلات الضعائف

. أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني
إجازة قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبي
عمرو بن العلاء قال :

لَقِيتُ أَعْرَابِيًّا بِمَكَّةَ ، فَاسْتَنْطَقْتُهُ فَوَجَدْتُهُ ظَرِيفًا ، فَاسْتَنْسَبْتُهُ ،
فَأَخْبَرَ أَنَّهُ عُنْدِي . فَقُلْتُ : إِنَّكُمْ لَقَبِيلَةٌ قَدْ شَاعَ عَنْكُمْ فِي الْعَرَبِ مَا شَاعَ
مِنْ رِقَّةِ الْقُلُوبِ وَصِدْقِ الْمَقَّةِ^١ ، وَتَجَنَّبِ الْمَأْثَمَ ، فَهَلْ صَحَبْتَ
شَبِيبَتَكَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَصْحَبُ الشَّبَابَ بِالتَّضَائِبِ ،
وَأَتَحَدَّثُ إِلَى الْعَقَائِلِ . فَقُلْتُ : فَهَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَنِي :

تَتَبَّعْنَ مَرْمَى الْوَحْشِ حَتَّى رَمَيْنَا مِنْ التَّبَلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ^٢
نُ يُقْتُلْنَ الرِّجَالَ بِلَا دَمٍ ، فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
وَاللَّعِينِ مَلَهَى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَاقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^٣

١ المقة : المحبة .

٢ الخواطف ، الواحد خاطف : السهم الذي يقع على الأرض ثم يسرع إلى الهدف . والسهم الطائش :
هو الذي يحيد عن الهدف .

٣ الطرائف ، الواحدة طريفة : الشيء الغريب النادر . والطرائف : الحديث المستحسن .

الزوجة الفارك

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري اجازة قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قال :
حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبد الله بن المهاجر قال : حدثني محمد بن يزيد
قال :

تَزَوَّجَ رَجُلٌ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَظَرْفٍ ،
فَكَانَتْ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ وَتَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ :

سَتَنْدَمُ حِينَ تَفْقِدُنِي وَتَطْلُبُنِي فَلَا تَجِدُ

قال : فكان الزوجُ يتطيرُ من قولِها ، ويقول : تَعِدُنِي بِالذَّهَابِ ، قال :
وكان لها محباً ، قال : فأصبح ذاتَ يومٍ يطلبُها ، فلم يقدر عليها حتى الساعة .

لابسة السواد

حدث أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو صالح
الأزدي قال : حدثني محمد بن الحسين قال : أخبرني محمد بن سعاة القرشي قال :

آخِرُ مَنْ مَاتَ مِنَ الْعِشْقِ عَلِيٌّ بْنُ أَدِيمٍ مَوْلَى الْجَعْفِيِّ ، وَكَانَ خَرَّازاً ،
مَرَّ بِكُتَّابٍ بِالْكُوفَةِ فِي بَنِي عَبَسَ ، فَرَأَى جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا مُسْهِلَةٌ ، فَعَشَقَهَا ،
وَكَانَ رَأَاهَا فِي سَوَادٍ ، فَقَالَ :

إِنِّي لِمَا يَعْتَادُنِي مِنْ حَبِّ لَابِسَةِ السَّوَادِ

فِي فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا إِنْ يُطِيقُهُمَا فُؤَادِي

فَبَقِيتُ لَا دُنْيَا أَنَا لُؤْفَاتِي طَلَبُ الْمَعَادِ

قال : وأصابه عليها شبيهُ الجنونِ ، فَجَمَعَ أَبُوهُ التَّجَّارَ ، فَتَحَمَّلَ
بِهِمْ عَلَى الْعَبْسِيَّةِ مَوْلَاةِ الْجَارِيَةِ ، وَأَعْطَاهَا مَالاً كَثِيراً ، فَأَبَتْ ، فَخَرَجَ الْفَتَى إِلَى

أُمّ جَعْفَر ، فَكَتَبَ إِلَيْهَا قِصَّةً يَخْبِرُهَا فِيهَا بِخَبْرِهِ وَحَالِهِ ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُشْتَرَى لَهُ ، فَبَيْنَا هُوَ يَتَنَجَّزُ ذَلِكَ إِذْ خَرَجَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ : أَيْنَ هَذَا الْعَاشِقُ ؟ فَأَوْمَأَ لَهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَنْتَ عَاشِقٌ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ تَحِبُّ الْحُسُورُ وَالْمَفَاوِزُ وَالْقَنَاطِرُ ، وَلَا تَدْرِي مَا يَكُونُ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ مُبَادِرًا ، فَكَتَبَ بَغْلًا ، فَمَاتَ يَوْمَ دَخُولِهِ الْكَوْفَةَ .

ما لليالي وما لي

أَنشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّوَيْحِ الْأَرْمَوِيِّ الْفَقِيهَ بِمِصْرَ
لِنَفْسِهِ :

ما لليالي وما لي يَطْلُبُنْ رُوحِي وَمَالِي
قَدْ جِئْتَنِي بِمُحْلُوبٍ لَمْ تَمْضِ يَوْمًا بِيَالِي^١
لَمَّا عَرَقَنْ عِظَامِي سَأَلْتَنِي كَيْفَ حَالِي
فَقُلْتُ قَوْلًا وَجِيزًا : الْحَالُ مِنْ بَحَالِي

يا جارة الحي

وَلِي مِنْ ابْتِدَاءِ قَصِيدَةٍ نَظَّمْتُهَا بِالشَّامِ فِي بَنِي أَبِي عَقِيلٍ ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ :
أَلَا هَلْ لِمَنْ أَضْنَاهُ حَبْلَكَ إِفْرَاقُ وَهَلْ لِلدَّبْعِ الْبَيْنِ عِنْدَكَ دِرْيَاقُ^١
وَهَلْ لِأَسِيرٍ سَامَهُ قَتْلَ نَفْسِهِ هَوَاكَ ، وَقَدْ زُمْتُ رِكَابُكَ ، إِطْلَاقُ

١ الخلوب : الخادعة بلطيف الكلام .

أيا جارةَ الحَيِّ الذين ترحّلوا ، فليعيس وخذُ بالحُمولِ وإعناقُ^١
 ألما تخافي الله في قتلِ عاشقٍ هجرته حتى في الكرى وهو مُشتاقُ
 فقالت، ورَوَعاتُ النوى تستحيها ودمعُ ماقيها على النحرِ مهراقُ :
 هو البينُ فالبس جنةَ الصبرِ، أو فمتُ بداءِ الهوى، قد ماتَ قبلكَ عشاقُ

رابعة العدوية الصوفية ومنامها

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراءتي عليه قال : أخبرنا محمد بن عبد الله القطيعي قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي قال : حدثنا محمد هو ابن الحسين قال : حدثني عصام بن عثمان الحلبي قال : حدثني مسمع بن عاصم قال :

قالت لي رابعةُ العدويّةُ : اعتلكتُ علّةً قطعَتني عن التهجدِ وقيامِ الليلِ ، فَمَسَكْتُ أَيْاماً أقرأُ جزئي ، إذا ارتفعَ النهارُ ، لما يُذكر فيه أنّه يُعَدَّلُ بقيامِ الليلِ . قالت : ثمَّ رَزَقَنِي اللهُ، عزَّ وجلَّ، العافيةَ فاعتادَتني فترةٌ في عقبِ العلةِ ، وكنتُ قد سَكَنْتُ إلى قراءةِ جزئي بالنهار ، فانقطعَ عني قيام الليلِ . قالت : فَبَيْنَا أنا ذات ليلةٍ راقدةٌ أُرِيْتُ في منامي كأنني رُفِعْتُ إلى رَوْضَةٍ خضراءَ ، ذاتِ قصورٍ ونبتٍ حسنٍ ، فَبَيْنَا أنا أجولُ فيها أتعجَّبُ من حُسْنِها ، إذا أنا بطائرٍ أخضرٍ ، وجاريةٍ تُطاردهُ ، كأنّها تريدُ أخذه ، قالت : فشغَلَتني حُسْنُها عن حُسْنِهِ، فقلتُ : ما تريدن منه؟ دعِيه ، فوالله ما رأيتُ طائراً قطَّ أحسنَ منه .

قالت : بلى ، ثمَّ أخذت بيدي فأدارت بي في تلك الروضة حتى انتهت بي إلى بابٍ قصرٍ فيها ، فاستفتحت ، ففتّحَ لها ، ثمَّ قالت : افتحوا لي

١ الوخذ والاعناق : ضربان من السير .

بَيْتَ لَمُقَّةَ ، قَالَتْ : فَفُتِّحَ لَهَا بَابٌ شَاعَ مِنْهُ شُعَاعٌ اسْتَنَارَ مِنْ ضَوْءِ نَوْرِهِ مَا بَيْنَ يَدَيْ وَمَا خَلْفِي ، وَقَالَتْ لِي : ادْخُلِي ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَيْتٍ يَحَارُ فِيهِ الْبَصَرُ تَلَأُلُوءًا وَحَسَنًا ، مَا أَعْرِفُ لَهُ فِي الدُّنْيَا شَبِيهًا أَشَبَّهُهُ بِهِ .

فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَجُولُ فِيهِ إِذْ رُفِعَ لَنَا بَابٌ يُنْفَذُ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانٍ ، فَأَهْوَتْ نَحْوَهُ أَنَا مَعَهَا ، فَتَلَقَّيْنَا فِيهِ وَصَفَاءُ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْوُثُلُ ، بِأَيْدِيهِمُ الْمَجَامِرُ ، فَقَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ فَلَانًا قُتِلَ فِي الْبَحْرِ شَهِيدًا . قَالَتْ : أَفَلَا تُجْمِرُونَ^١ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ؟ قَالُوا : قَدْ كَانَ لَهَا فِي ذَلِكَ حِظٌّ فَتَرَكَتَهُ . قَالَتْ : فَأَرْسَلْتُ يَدَهَا مِنْ يَدَيَّ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ :

صَلَاتُكَ نَوْراً وَالْعِبَادُ رُقُودٌ وَنَوْمُكَ ضِدٌّ لِلصَّلَاةِ عِنْدُ
وَعَمْرُكَ غُنْمٌ إِنْ عَقَلْتَ وَمَهْلَةٌ يَسِيرُ وَيَفْنَى دَائِمًا وَيَبِيدُ

ثُمَّ غَابَتْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيَّ ، وَاسْتَيْقَظْتُ حِينَ تَبَدَّى الْفَجْرُ ، فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُهَا فَتَوَهَّمْتُهَا إِلَّا طَاشَ عَقْلِي ، وَأَنْكَرْتُ نَفْسِي . قَالَ : ثُمَّ سَقَطَتْ رَابِعَةٌ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا .

معاذة وغايتها من صلاتها

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي قال : حدثنا محمد بن عبد الله قال : حدثنا الحسين قال : حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن بسطام قال : حدثنا عمران بن خالد قال : حدثني أم الأسود بنت زيد العدوية ، وكانت معاذة قد أرضعتها ، قالت :

قَالَتْ لِي مَعَاذَةٌ ، لَمَّا قُتِلَ أَبُو الصَّهْبَاءِ وَقُتِلَ وَلَدُهَا : وَاللَّهِ يَا بُنَيَّةُ ! مَا مَحَبَّتِي لِلْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا لِلذَّيْدِ عَيْشٍ ، وَلَا لِرُوحِ نَسِيمٍ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ الْبَقَاءِ لِاتَّقَرَّبَ إِلَى رَبِّي ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِالْوَسَائِلِ لَعَلَّهُ يَجْمَعُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي الصَّهْبَاءِ وَوَلَدِهِ فِي الْجَنَّةِ .

١ تجمرون : تبخرون بالطيب .

معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها

وبإسناده قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثني روح بن سلمة الوراق قال :

سمعتُ عَفِيرَةَ العابدةَ تقول : بَلَغَنِي أَنْ مَعَاذَةَ العَدَوِيَّةَ ، لَمَّا احْتَضَرَتْ ، بَكَتْ ، ثُمَّ ضَحِكَتْ ، فَقِيلَ لَهَا : بَكَيتِ ثُمَّ ضَحِكْتِ ، فَمِمَّ البُكَاءُ وَمِمَّ الضَّحْكُ ، رَحِمَكَ اللهُ ! قالت : أَمَّا البُكَاءُ فَإِنِّي ، وَاللهِ ، ذَكَرْتُ مُفَارَقَةَ الصَّيَّامِ وَالصَّلَاةِ وَالذُّكْرِ ، فَكَانَ البُكَاءُ لذلك . وَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُمْ مِنْ تَبَسُّمِي وَضِحْكِي ، فَإِنِّي نَظَرْتُ إِلَى أَبِي الصَّهْبَاءِ ، وَقَدْ أَقْبَلَ فِي صَحْنِ الدَّارِ ، وَعَلَيْهِ حُلَّتَانِ خَضِرَاوَانِ ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا شَبَهَا ، فَضَحِكْتُ إِلَيْهِ ، وَلَا أُرَانِي أُدْرِكُ بَعْدَ ذَلِكَ فَرَضًا . قال :

فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ .

ذو الرُّمَّةِ ومي

أَبَانَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْمُسْلِمَةِ قَالَ : أَبَانَا أَبُو عُبَيْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزِبَانِي

قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْشَمَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيِّ

قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ الْفَزَارِيُّ قَالَ :

ذُكِرَ ذُو الرُّمَّةِ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ عِدَّةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَقَالَ عَصِمَةُ بْنُ مَالِكٍ الْفَزَارِيُّ شَيْخٌ مِنْهُمْ ، بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً : لِيَأَيَّ فَسَلُّوا عَنْهُ ! كَانَ حُلُوَ الْعَيْنَيْنِ ، حَسَنَ الْمَضْحَكِ ، بَرَّاقَ الشَّنَائِيَا ، خَفِيفَ الْعَارِضَيْنِ ، إِذَا نَازَعَكَ الْكَلَامَ لَا تَسَامُ حَدِيثَهُ ، وَإِذَا أُنْشِدَ أَبْرٌ وَحَسُنَ صَوْتُهُ .

جَمَعَنِي وَإِيَّاهُ مَرْبَعٌ مَرَّةً ، فَأَتَانِي فَقَالَ : هِيََا عَصِمَةُ ! إِنَّ مَيَّاً مِّنْقَرِيَّةً ، وَمِنْقَرٌ أَخْبَثُ حَيٍّ وَأَقْوَفُهُ ١ لَأَثَرٌ ، وَأُثْبِتُهُ فِي نَظَرٍ ، وَأَعْلَمُهُ بِبَصَرٍ ، وَقَدْ

١ قَافُ الْأَثَرِ : تَتَبَّعَهُ .

عرفوا آثار إيلي ، فهل من ناقّة نردار عليها ميّا ؟ قال : إي والله ، الجؤذر بنت يمانية . قال : فعَلَيْنَا بِهَا ! فجيئتُ بها ، فركبَ وردّفتُهُ ، ثمّ انطلقنا حتى نهبطَ على ميّ ، وإذا الحيّ خلوفٌ ، فلما رأتنا النسوةُ عرفنَ ذا الرّمة ، فتقوّضنَ من بيوتهنّ حتى اجتمعنَ ، وأنحنّا قريباً ، وجثناهنّ ، وجلسنا ، فقالت ظريفةٌ منهنّ : أنشدنا يا ذا الرّمة ، فقال لي : أنشدْهُنّ ، فأنشدتُ قوله :

وقفتُ على ربّعٍ لميّةٍ ناقتي ، فما زلتُ أبكي عنده ، وأخاطبه
فلما انتهيتُ إلى قوله :

نظرتُ إلى أظمانٍ ميّ كأنّها ذرى النخل ، أو أثلٌ تميلُ ذوائبه^١
فأسبلتِ العينانِ والقلبُ كاتِمٌ بمغروقٍ نمتُ عليّ سواكبه^٢
بسكى وامقٌ ، جاء الفِراقُ ، ولم يُجِلْ جوائِلها ، أسرارُهُ أو معاتبه^٣
قالت الظريفة : لكن اليومَ فليُجل ، ثمّ مضيتُ . فلما انتهيتُ إلى قوله :

وقد حلفت بالله ميّة ما الذي أحادثُها إلا الذي أنا كاذبه^١
إذن ، فرماني الله من حيث لا أرى ، ولا زال في أرضي عدوٌ أحاربه^٢
قالت ميّ : ويحك يا ذا الرّمة خفْ عواقبَ الله ، عزّ وجلّ ، ثمّ مضيتُ حتى انتهيتُ إلى قوله :

إذا سرحتُ من حُبّ ميّ سوارحٌ على القلبِ آتتهُ جميعاً عوازبه^٣

١ الاثل : شجر . ذوائبه : أراد أغصانه .

٢ لم يجل جوائِلها : أي أن أسرارهُ ومعاتبهُ لم تنل مرادها .

٣ عوازبه : أي ذكرياته الماضية .

فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : قَتَلْتَهُ قَتَلَكَ اللَّهُ ! فَقَالَتْ مِیَّةٌ : مَا أَصَحُّهُ وَهْنِيئاً لَهُ .
قَالَ : فَتَنْفَسَ ذُو الرِّمَّةِ تَنْفَسَةً كَادَ جَرُّهَا يَطِيرُ بِلَحِيَّتِهِ ، ثُمَّ مَضَتْ حَتَّى
انْتَهَيْتُ إِلَى قَوْلِهِ :

إِذَا نَازَعَتْكَ الْقَوْلَ مِیَّةٌ أَوْ بَدَا لَكَ الْوَجْهُ مِنْهَا أَوْ نَضَا الدَّرْعَ سَالِبُهُ^١
فَمِیَّا لَكَ مِنْ خَدِّ أَسِيلٍ وَمَنْطِقٍ رَحِيمٍ وَمِنْ خُلُقٍ تَعَلَّلَ جَاذِبُهُ
فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : هَذَا الْوَجْهُ قَدْ بَدَا ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ تُنْزِعُ ، فَمِنْ
لَنَا بِأَنْ يَنْضُو الدَّرْعَ سَالِبُهُ ؟ فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهَا مِیَّةٌ فَقَالَتْ : مَا لَكَ ، قَاتِلُكَ
اللَّهُ ، مَاذَا تَجْنِنَ بِهِ ؟ فَتَضَاحَكْتَ النِّسْوَةُ ، فَقَالَتِ الظَّرِيفَةُ : إِنَّ لَهْذَيْنِ
لِشَأْنًا ، فَقُصُّ بِنَا عَنْهُمَا ، فَقُصِّنَا ، وَقَمْتُ فَصَرْتُ إِلَى بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْهُمَا
أَرَاهُمَا ، وَلَا أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا إِلَّا الْحَرْفَ بَعْدَ الْحَرْفِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُهُ
بَرَحَ مَكَانَهُ ، وَلَا تَحَرَّكَ . وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِى
مَا الَّذِي كَذَبْتَهُ فِيهِ ، فَتَحَدَّثَا سَاعَةً ، ثُمَّ جَاءَنِي وَمَعَهُ قُوَيْرِيرَةٌ فِيهَا
دُهْنٌ طَيِّبٌ ، فَقَالَ : هَذِهِ دُهْنَةٌ أَتَحَفَّتُنَا بِهَا مِیَّةٌ ، فَشَأْنُكَ بِهَا . وَهَذِهِ
قَلَانْدُ زَوْدَتِنَاهَا لِلْجُوذُرِ ، فَلَا وَاللَّهِ لَا قَلْدَتُهُنَّ بَعِيراً أَبَدًا . ثُمَّ عَقَدَهُنَّ
فِي ذُؤَابَةِ سَيْفِهِ .

قَالَ : فَانصَرَفْنَا ، فَلَمْ نَزَلْ نَخْتَلِفُ إِلَيْهَا ، مَرَبَعَنَا ، حَتَّى انْقَضَى .
ثُمَّ جَاءَنِي يَوْمًا فَقَالَ : يَا عَصْمَةُ ! قَدْ ظَعَنْتِ مِیَّةً ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الدِّيَارُ ،
وَالنَّظَرُ فِي الْآثَارِ ، فَانْهَضْ بِنَا نَنْظُرْ إِلَى آثَارِهَا ، فَخَرَجْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَى
دِيَارِهَا ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ ثُمَّ قَالَ :

أَلَا ، فَنَاسَلَمِي يَا دَارَ مِیَّةٍ عَلَى الْبَلَى ، وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجُرْعَائِكَ الْقَطْرُ^٢

١ نضاً : خلع . الدرع : ثوب المرأة .

٢ الجرعاء : رملة مستوية لا تثبت شيئاً .

فإن لم تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ ، يَجُرُّ بِهَا الْأَذْيَالُ صَيْفِيَّةٌ كُذِرُ^١
 ثُمَّ انتَضَحَتْ عَيْنَاهُ بَعْبَرَةً ، فَقُلْتُ : مَهْ ! فَقَالَ : إِنِّي لَجَلْدٌ ، وَإِنْ
 كَانَ مِنِّي مَا تَرَى ، فَمَا رَأَيْتُ صَبَابَةً قَطُّ ، وَلَا تَجَلَّدُ أَحْسَنَ مِنْ صَبَابَتِهِ
 وَتَجَلَّدَهُ يَوْمَئِذٍ ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

تآلفا في الحياة وفي الممات

أَبَانَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِيوبَ الْقُمِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ
 مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ
 النَّخَعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ يَحْيَى الصَّنَعَانِيُّ قَالَ :

خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى صَنْعَاءَ ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ خَمْسُ
 سَاعَاتٍ رَأَيْتُ النَّاسَ يَتَزَلُّونَ عَنْ مَحَامِلِهِمْ وَيَتَرَكِبُونَ دَوَابَّهُمْ ، فَقُلْتُ :
 أَيْنَ تَرِيدُونَ ؟ قَالُوا : نُرِيدُ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى قَبْرِ عَفْرَاءَ وَعُرْوَةَ ، فَانْزَلْتُ عَنْ
 مَحْمِلِي وَرَكِبْتُ حِمَارِي ، وَاتَّصَلْتُ بِهِمْ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى قَبْرَيْنِ مُتَلَاصِقَيْنِ ،
 قَدْ خَرَجَ مِنْ كِلَا الْقَبْرَيْنِ سَاقُ شَجَرَةٍ ، حَتَّى إِذَا صَارَا عَلَى قَامَةِ النَّفَا ،
 فَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ : تَأَلَّفَا فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ .

الهوى إله معبود

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ : حَدَّثَنَا عَوْثُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ
 قَالَ : قَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ :

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الْهَوَى إله معبود ! فَفَقِيلَ لَهُ : أَتَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ .

١ الشام ، الواحدة شامة : الخال ، فكتة سوداء في الوجه . شبه دار مية بها . الصيفية الكدر :
 السحابة التي تطلع في الصيف منكدرة . اراد سحائب صيفية كدر .

عمر بن عون وحيلته يا

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق قال : حدثنا محمد بن أحمد بن فارس الحافظ قال : أخبرنا أبو الحسين الزبيبي قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزباني قال : حدثنا أبو الفضل المروزي قال : حدثني أبو عبد الله محمد بن صالح قال :

كان فتى من بني مرة يُقال له عمر بن عون ، وكان يُحبّ جارية من قومه يُقال لها بيا بنت الرُّكَيْن ، فتزوجها رجل من قومه يُقال له دُهيم ، وأبت بيا إلا حبّ عُمَرَ بن عون ، وأبى عمر إلا حبّها وقول الشعر فيها ، فخرج زوجها بها هارباً منه حتى وقع باليمن في بني الحارث ابن كعب ، فطلبها عمر ، فخفي عليه أمرها ، ولم يعلم موضعتها ، فمكث حيناً يبكي ويبكي له من عرفه ، ثم خرج حاجاً على ناقه له ، ومعه صحابة له ، وقال : لعلّي أتعلقُ بأستار الكعبة ، أسألُ الله ، فعسى أن يرحمني ، فيردّها عليّ ، أو يذهبَ بقلبي عن حبّها .

فلما كان بمِنى نظرَ إليه فتى من بني الحارث بن كعب ، فأعجبته ، فجلسَ إليه يتحدّثُ معه ، وأنشدهُ عُمَرُ بعضَ شعره في بيا ، وشكا إليه بعضَ ما هو فيه من البلاء ، فرّق له ، فقال الفتي ، وسأله عن صفتها وصِفَةِ زوجها ، فوصفها له ، فقال الفتي : عندي خبرُ هذه المرأة ، وهذا الرجل ، منذُ سنّواتٍ ، فخرَّ عمرُ لله تعالى ساجداً ، ثمّ سأله عن حالها ، فذكرَ له أنّها سالمةٌ ، وأنّها باكيةٌ حزينةٌ لا يهنئونها شيئاً من العيش . فقال له عمر : هل لك في صنيعةٍ عند مَنْ يُحسِنُ الشُّكرَ ؟ فقال له الفتي : أفعلُ ماذا ؟ قال عمر : تخلفُ عن أصحابك ، وأتخلفُ عن أصحابي حتى لا يكونَ عندَ أحدٍ منّا عِلْمٌ ، ثمّ أمضي معك مُشكراً . فقال الفتي : ذلك لك في عُنتي .

فلما كان النفرُ تخلفَ كلٌّ واحدٍ منهما عن صاحبه ، وأقاما بمكة

أياماً ثلاثة أو أربعة حتى ارتحل الحاج ، ثم مضى حتى وصل الفتي إلى أهله ، فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما ، ومضى إلى بيا ، وأخبرها ، فكانت تخبئه كل يوم فيتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من البلاء والوحشة . واستراب زوجها بغشيانها ذلك البيت ، ولم تكن من قبل تغشاه ، ولا تقرب أهله ، واستراب بطيب نفسها ، وأنها ليست كما كانت ، فخرج في رفقة إلى نجران على أن يغيب عشر ليال ، فأقام ليلتين مختفياً في موضع ، ثم أقبل راجعاً في الليلة الثالثة ، وقد أمine عمر ، وظن أنه قد ذهب فأتاها ، ففرشت له بساطاً قدام البيت ، فتحدثا ثم غلبهما النوم ، وهي مضطجعة على جانب البساط ، وعمر على جانبه الآخر ، فأقبل الزوج ، فوجدتهما على تلك الحال ، فنظر في وجه عمر ، فعرفه فأثبتته ، وانتبه عمر ، فوثب بالسيف فزاعاً . فقال له الزوج : ويلك يا عمر ما يُنجيني منك بر ولا بحر .

فقال عمر : يا ابن عمي ! ما أنا على رية ، وما يُسائلني الله تعالى عن أهلك عن قبيح قط ، ولكن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني ، ونحن صبيان ، فلست أعطي عنها صبراً ، وما بيننا شيء أكثر من هذا الحديث الذي ترى .

قال له الزوج : أمّا أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك ، فأما بعد أن صحّ عندي من عفتك وصدق قولك فلاني لا أهرب منك أبداً . فأقاموا سنّوات ، وهم على تلك الحال ، فمات عمر وجداً بها ، فكانت تبكي عليه الدماء ، فضلاً عن الدموع ، ثم مات دُهيّم بعد ذلك وعُمرت هي .

التقي عزيز

وبإسناده قال : وأخبرني محمد بن سعد قال :

أنشدني رجُلٌ من النّسّاك :

ما للتّصَبّر، ما أعلاه من عَمَدٍ ، قد يُورِثُ الصّبرُ أهلَ الصّبرِ إحسانا
كم عاشِقٍ ماتَ شَوْقاً في تَعَدّبه، وعاشِقٍ حالَ مَنْ يَهوَاهُ أحياناً
لا شيءَ أعلى من التّقوى وصُحبَتِها، إنّ التّقيَّ عزيزٌ حيثُ ما كانا

لا تنفع الرقى

ولي من أثناء قصيدة :

يا لَهْفَ قلبي اليَوْمَ ما بَالُهُ، يُعاوِدُ النُّكْسَ ، إذا فُرّقَا
هلْ سَلَوَةٌ؟ هَيْهَاتَ لا سَلَوَةٌ، قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْنَ وارتَقَى^١
لا تَرْقِيَا في حُبِّه ذَا هَوَى ، فَالْحُبُّ لا تَنْفَعُ فِيهِ الرُّقَى^٢

١ الزُّبْنُ، الواحدة زينة : الراية لا يعلوها ماء، وبلغ السيل الزُّبْنُ مثل معناه: إن الأمر قد اشتد وانتهى إلى غاية بعيدة .

٢ ترقيا: تستعلا الرقية وهي أن يستعان على أمر بقوى تفوق القوى الطبيعية في زعمهم أو وهمهم .

ماتت على القبر

أخبرني أبو عبد الله محمد بن أبي نصر قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
الاندلسي قال : أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي اسماعيل
ابن القاسم قال : حدثنا ابن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ امْرَأَةً عَلَى رَاحِلَةٍ تَطُوفُ حَوْلَ قَبْرِ وَهْيَ تَقُولُ :
يَا مَنْ بِمُقْلَتِهِ زَهَى الدَّهْرُ ، قَدْ كَانَ فِيكَ تَضَاءَلِ الْأَمْرُ
زَعَمُوا قُتِلْتَ ، وَمَا لَهُمْ خَيْرٌ ، كَذَبُوا ، وَقَبْرِكَ ، مَا لَهُمْ عَذْرُ
يَا قَبْرَ سَيِّدِنَا عَلَيْكَ رِضًا ، صَلَّى الْإِلَاسُ عَلَيْكَ يَا قَبْرُ
مَا خَسِرَ قَبْرًا قَدْ سَكَنْتَ بِهِ ، إِلَّا يَمُرُّ بِأَرْضِهِ الْقَطْرُ
فَلْيَنْبُعَنَّ جُودُكَ فِي تُرْبِهِ ، وَلْيُورِقَنَّ بِقُورِكَ الصَّخْرُ
وَإِذَا غَضِبْتَ تَصَدَّعَتْ فَرَاقًا ، مِنْكَ الْجِبَالُ ، وَخَافَكَ الدُّعْرُ
وَإِذَا رَقَدْتَ ، فَأَنْتَ مُنْتَبِهٌ ، وَإِذَا انْتَبَهْتَ ، فَوَجْهُكَ الْبَدْرُ
وَاللَّهُ ! لَوْ بِكَ لَمْ أَدَعْ أَحَدًا إِلَّا قَتَلْتُ لَفَاتَنِ السُّوَيْرُ^١
قال : فدنوتُ منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة .

إسحاق وزهر الأعرابية

وربما سنده قال : حدثنا القالي قال : حدثني جعظة قال : حدثني حماد بن إسحاق الموصلي قال :
حدثني أبي قال :

كُتِبَ إِلَيَّ زَهْرُ الْأَعْرَابِيَةِ ، وَقَدْ غَابَتْ عَنِّي ، كِتَابًا فِيهِ :
وَجَدِي يَجْلُ ، عَلَى أَنْتِي أَجْمَجِيمُهُ ، وَجَدُ السَّقِيمِ بِبِرْءٍ بَعْدَ إِزْفَافٍ^٢
١ الوتر : الثار .

٢ الإزفاف لعلها من قولهم : هو يزف من الحمى أي يرتعد ، لأن الإزفاف السرعة ، ولا معنى له هنا .

أَوْ وَجَدُ شَكْلِي أَصَابَ الْمَوْتُ وَاحِدَهَا ، أَوْ وَجَدُ مُشْتَعِبٍ مِنْ بَيْنِ أَلْفٍ ١
قال حمّاد : قال لي أبي ، فكتبتُ إليها :

اقْرَأِ السَّلَامَ عَلَى زَهْرٍ إِذَا شَحَطْتَ ، وَقُلْ لَهَا : قَدْ أَذَقْتَ الْقَلْبَ مَا خَافَا
أَمَّا أَوَيْتَ لِمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَشِبًا ، يُذِرِي مَدَامِيعَهُ سَحًا وَتَوَكَّفَا ٢
فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْفِ أْفَارِقُهُ ، وَجَدِي عَلَيْكَ ، وَقَدْ فَارَقْتُ أَلْفَا

الضيف الضائع

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال :

أنشدنا ابن درّيد ولم يُسمَ قائلًا ولا عزّاه إلى أحد :
أَلْ لَيْلَى ! إِنَّ ضَيْفَكُمُ ضَائِعٌ فِي الْحَيِّ مُدٌ نَزَلَا
أَمْكِنُوهُ مِنْ ثَنِيَّتَيْهَا ، لَمْ يَرُدْ خَمْرًا وَلَا عَسَلًا ٣

١ الملشعب : المتباعد .

٢ أويت : عطفت .

٣ الثنية : من أسنان مقدم القم .

التفاح بطل الجمار

أنبأنا أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي قال : أخبرني ابن الأصقع قال : قال لي بعضهم :

رَأَيْتُ بِبَغْدَادَ فِي وَقْتِ الْحَجِّ فَتًى ، وَمَعَهُ تَفَاحٌ مَغْلَفٌ ، فَاَنْتَهَى إِلَى سَوْرٍ
فَوَقَفَ تَحْتَهُ ، فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ جَوَارٍ كَأَنَّهُنَّ الْمَهَا ، فَأَقْبَلَ يَرْمِيَهُنَّ بِذَلِكَ التَّفَاحِ ،
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ كُنْتَ مُعْتَرِماً عَلَى الْحَجِّ ؟ فَقَالَ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْحَجَّ قَدْ آنَ وَقْتُهِ ، وَأَبْصَرْتُ بُزْلَ الْعَيْسِ بِالرَّكْبِ تَعْسِفُ^١ ،
رَحَلْتُ مَعَ الْعُشَّاقِ فِي طَلَبِ الْهَوَى ، وَعَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ الْمُحِبُّونَ عَرَفُوا^٢ ،
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْجِمَارَ فَرِيضَةٌ ، وَتَارَكَ مَفْرُوضِ الْجِمَارِ يُعَنَّفُ^٣ ،
فَهَيَّاتُ تَفَاحاً ثَلَاثاً وَأَرْبَعاً ، فَرُغِرَ لِي بَعْضٌ وَبَعْضٌ مُغْلَفٌ ،
وَقُمْتُ حِيَالَ الْقَصْرِ ثُمَّ رَمَيْتُهُ ، فَظَلَّتْ لَهَا أَيْدِي الْمِلَاحِ تَلَقَّفُ ،
وَلَا نِي لِأَرْجُو أَنَّ تُقْبَلَ حِجَّتِي ، وَمَا ضَمَنِي لِلْحَجِّ سَعْيٌ وَمَوْقِفٌ

١ البزل ، الواحد بازل : البعير الذي طلع نابه . العيس : الجمال الكريمة ، الواحدة عيساء .

تعسف : تسير على غير هدى .

٢ عرف : ذهب إلى عرفات .

٣ رمي الجمار : من مناسك الحج .

قمرية الوادي

أبانا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : حدثنا اسماعيل بن سويد قال : حدثنا الكوكبي قال : حدثني أبو الحسن بن الأصقع قال :

كان فتى من بني عذرة يتعشق ابنة عم له ، فبلغه أن فتى أسود يأتيها لريبة ، فغمه ذلك ، فمر يوماً ببابها ، فقال :
شابت أعالي قروني وأمحي شعري ، مما أحدث عن قمرية الوادي
نبتت أن غراباً بكت محتضناً قمرية بين أغصان وأعواد
فلما سمعت شعره خرجت ، فاعتذرت إليه ، وآلت أن لا تعرف
ذكره غيره ، فلم يزل يحتال حتى تزوجها .

الصوفي وغلame

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر قال : أخبرنا أبو صالح السمرقندي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : حدثني أبو المختار الفسبي قال : حدثني أبي قال :

قلت لأبي الكميت الأندلسي ، وكان جوالاً في أرض الله ، عز وجل :
حدثني بأعجب ما رأيته من الصوفية ! قال : صحبت رجلاً منهم يقال
له مهربان ، وكان مجوسياً ، فأسلم وتصوف ، فرأيت معه غلاماً جميلاً
لا يفارقه ، فكان إذا جاء الليل ، قام فصلّى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم
فزعاً ، فيصلّي ما قدر له ، ثم يعود فينام إلى جانبه أيضاً ، حتى يفعل
ذلك في الليلة مراراً ، فإذا أسفر الصبح ، أو كاد أن يسفر ، أوتر ثم رفع

يَدَّيْهِ ، فقال : اللهم إنَّكَ تعلمُ أنَّ اللَّيْلَ قد مضى عليَّ سليماً لم أقارِفْ فيه فاحِشَةً ، وَلَا كَتَبْتَ الحَفَظَةَ عليَّ فيه مَعْصِيَةً ، وَأَنَّ الَّذِي أَضْمِرُهُ فِي قَلْبِي لَوْ حَمَلْتَهُ الْجِبَالُ لَتَصَدَّعَتْ ، أَوْ كَانَ بِالْأَرْضِ لَتَدَكَّدَ كَتُّ .
ثمَّ يقول : يَا لَيْلُ اشْهَدْ بِمَا كَانَ مِنِّي فِيكَ ، فَقَدْ مَنَعَنِي خَوْفُ اللَّهِ ، عِزٌّ وَجَلٌّ ، عَنْ طَلَبِ الْحَرَامِ وَالتَّعَرُّضِ لِلْآثَامِ .

ثمَّ يقول : يَا سَيِّدِي ! أَنْتَ اجْمَعْ بَيْنَنَا عَلَى تَقَى ، وَلَا تَفْرُقْ بَيْنَنَا يَوْمَ تَجْمَعُ فِيهِ الْأَحْيَاءُ .

فَأَقِمْتُ مَعَهُ مَدَّةً طَوِيلَةً أَرَاهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، وَأَسْمَعُ هَذَا الْقَوْلَ ، فَلَمَّا هَمَمْتُ بِالْانْصِرَافِ مِنْ عِنْدِهِ قُلْتُ لَهُ : سَمِعْتُكَ تَقُولُ ، إِذَا انْقَضَى اللَّيْلُ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : أَوَقَدْ سَمِعْتَنِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ! قَالَ : فَوَاللَّهِ يَا أَخِي إِنِّي لِأَدَارِي مِنْ قَلْبِي مَا لَوْ دَارَاهُ سُلْطَانُنَا مِنْ رَعِيَّتِهِ ، لَكَانَ مِنَ اللَّهِ حَقِيقًا الْمَـرَّةُ .

فَقُلْتُ : وَمَا الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ تَخَافُ عَلَى نَفْسِكَ الْعَنَتَ مِنْ قَبْلِهِ ؟ وَذَكَرَ كَلَامًا اخْتَصَرْتُهُ .

الصوفي المتقشف

وإسناده قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي : حدثني الصلت بن جهرام المجاشعي قال :
حدثني محمد بن الخضر التيمي قال :

كَانَ أَبُو عَمْرٍو الضَّبَّابِيُّ مِنْ أَحْسَنِ مَنْ رَأَيْتُهُ وَجْهًا مِمَّنْ يَصْنَعُ الصَّوْفِيَّةَ ، وَكَانَ لَا يُرَافِقُ أَحَدًا وَلَا يُجَالِسُهُ وَلَا يُلَاسِسُهُ إِلَّا فِي طَرِيقٍ ، فَأَتَانِي ذَاتَ يَوْمٍ ، وَنَحْنُ بِيَلَادِ الرُّومِ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ فِي مُرَافَقَتِي ، فَلِإِنِّي قَدْ مَلَلْتُ الْوَحْدَةَ ، وَطَالَتْ عَلَيَّ الْوَحْشَةُ .
فَقُلْتُ : عَلَى خِلَالٍ ثَلَاثَ .

قال : وما هي ؟

قلتُ : على أن لا أراك ضاحكاً إلى أحد من خلق الله ، ولا مشغولاً
بغير طاعة الله ، عز وجل ، ولا تعمل عملاً حتى أقول لك .
قال : قد فعلت .

وكان معي لا يفارقني في حج ولا غزو ، فكنت أرى منه أموراً أعلم
أن الله سيرفعه بها في الدنيا والآخرة من حسن صلاته وكثرة صيامه وطول
صمته وقلة كلامه ، فقلت له ، ذات يوم ، لأتبين معرفته عقله : ألا أشري
لك جارية ؟

فقال : وما أصنع بها ؟

قلتُ : ما يصنع الرجل بملك يمينه !

فقال : لو أردت هذا لم أترك أهلي وأشخص عن وطني وأخرج عن
دياري ، ولكان لي منهم مقنع وفي المقام معهم متسع .
فقلتُ : ألق هذا الصوف عنك ، فإنه قد أثر بيدك ، ونهك
جسمك .

فقال : أتأمرني أن ألقى عني ثوباً أتقرب إلى الله ، عز وجل ، بنخشوته
وريح ، وأنا أرجو منه حسن الثواب عليه عند منقلبي إليه .

قلتُ : فهل لك أن تفرغ فإن الصيام قد أحلك والظم قد غيرك ؟

فقال : سبحان الله ، ما أعجب ما تأمرني به ! هل الدنيا إلا يومان ،
يوم قد مضى عليّ ويوم أنا فيه لا أدري بما يختم لي من رحمة أو عذاب ،
فإن عذبني وأنا على حالة أتقرب إليه بها ، فهو أجدر أن يعذبني إذا
فعلتُ أمراً أنا فيه مقصر .

فقلتُ : فصم يوماً وأفطر يوماً .

فقال : ذلك صوم الأبرار ، ومن أمين النار ، الذين علموا أن الله ،
عز وجل ، مستجاوز عنهم ، وقابل منهم ، فأما أنا فأنت تعلم أني غير

عالم بما سبقَ عليّ في الكتابِ من شقاء وسعادة ، وآله لئن عذّبني الله على طاعته أحبّ إليّ من أن يغفرَ لي وأنا على معصيته ، على أنه غيرُ جائزٍ على من خلّقه ولا معذّب له إلا بذنب .

قلت : أفلا أشتري لك وطاءً تنامُ عليه ؟

فقال : وأيّ وطاءٍ أو طأ من ظهر الأرض ، وقد سمّاه الله ، عزّ وجلّ ، مهاداً ، وآله لا أفرشُ فراشاً ولا أتوسّدُ وساداً ، حتى ألحقَ بالله ، عزّ وجلّ .

فقلت : فهل لك أن تُريحَ نفسك في هذه الغزاة ، وترجعَ ؟

فقال : وأعجابه من قولك ! تأمرني أن أرجعَ عن الجنة ، وقد فُتِحَ لي بابُها ، وآله لا أزالُ أعرضُ نفسي على الله تعالى لعله يقبلني ، فإن رزقني وتخصّني بالشهادة ، فهو الذي كنتُ أحاولُ وبه أطلبُ ، فإن حرمني ذلك فبالذنوب التي سلفَت ، وأنا أسألُ الله أن يتفضّلَ عليّ بما سألتُه ، ويُجيبني في ما دعوته .

فغزاً معنا ، ونحنُ في خلقٍ كثيرٍ مع محمد بن مُصعب ، فلقينا العدو ، فكانَ أولَ من جرّحَ ، فوقفتُ عليه ، فقلتُ : أبشِرْ بثوابِ الله ، عزّ وجلّ ، فقد أعطاك الرضا ، وفوقَ المزيد .

فقال بصوتٍ ضعيفٍ : الحمدُ لله على كلّ حالٍ ، لقد نظرتُ إلى كلّ ما تمَنّيتُ ، وفوقَ ما اشتَيتُ ، وبلغتُ ما أحببتُ ، وأدركتُ ما طلبتُ من حُورٍ وولدانٍ وسلسبيلٍ ورِيحانٍ ، وإياك والتقصيرَ ، لعلَّ الله ، عزّ وجلّ ، أن يُبَلِّغَكَ ما بَلَغني ويرزُقَكَ ما رزَقَني ، ثمّ فاضتَ نفسك .

أبو اسماعيل وفتح الموصل

حدث جعفر الخالدي قال : حدثنا أحمد بن مسروق قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا
عبد الله بن الفرغ العابد قال :

كان بالموصل رجلٌ نصراني يُكنى أبا إسماعيل ، قال : فمرّ ذاتَ
ليلةٍ برجلٍ ، وهو يتهجّدُ على سَطْحِه ، ويقرأ : وله أسلم من في السمواتِ
والأرض طَوْعاً وكرهاً ، وإليه ترجعون . قال : فصرخ أبو إسماعيل صرخةً
وغشي عليه ، فلم يزل على حاله تلك ، حتى أصبح ، فلما أصبح أسلم ،
ثم أتى فتحاً الموصل فاستأذنه في صحبتِه ، فكان يصبّغُه ويخدمه .

قال : وبكى أبو إسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وغشي على الأخرى .
فقلتُ له ذاتَ يومٍ : حدثني ببعضِ أمرِ فتحٍ .

قال : فبكى ثم قال : أخبرك عنه ، كان والله كهيفة الروحانيين معلقَ
القلبِ بما هناك ، ليست له في الدنيا راحةٌ .

قلت : على ذاك ؟

قال : شهدت العيدَ ذاتَ يومٍ بالموصل ، ورجع بعدما تفرّق الناس ،
ورجعتُ معه فنظرَ إلى الدخانِ يَفُورُ من نواحي المدينة ، فبكى ثم قال :
قد قرّبَ الناسُ قربانهم ، فليت شعري ما فعلتُ في قرباني عندك أيّها
المحبوبُ ! ثم سقط مغشياً عليه ، فجثتُ بماء فمسحتُ به وجهه ، فأفاق
ثم مضى حتى دخلَ بعضَ أزقةِ المدينة ، فرفعَ رأسه إلى السماء ثم قال :
قد علمتَ طولَ غمي وحزني وتردادي في أزقةِ الدنيا ، فحتى متى تحبسوني
أيّها المحبوبُ ؟ ثم سقط مغشياً عليه ، فجثتُ بماء ، فمسحتُ على وجهه ،
فأفاقَ فما عاشَ بعد ذلك إلا أياماً ، حتى مات ، رحمه الله .

النفس حيث يجعلها الفتي

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس ابن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزباني قال : أخبرني أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحيم عن العباس بن علي قال : حدثني بعض أهل المدينة قال :

دعاني فتى من أهل المدينة إلى جارية تُغَنِّي ، فلما دخلنا عليها ، إذا هي أحسنُ الناس وجهاً ، وإذا بها انخرائط^١ وجه وسهو وسكوت ، فجعلنا نبسطها بالمزاح والكلام ، ويمنعها من ذلك ما تَكْنُمُه ، فقلتُ في نفسي : والله إنَّ بها لتهياماً ، وطائفاً من الحب ، فأقبلتُ عليها ، فقلت : بالله لَمَّا صدَّقْتَنِي ما الذي بكِ ؟ فقالت : بَرَحُ الذِّكْرِ ، ودَوَامُ الفِكْرِ ، واخلُو النَّهَارَ ، وتَشَوَّقُ إلى من سارَ ، والذي يرى ما وصفتُ لك ، فإن كنتَ ذا أدبٍ صرفتَ العتَبَ عن ذي الكَرْبِ واجتهدتَ في الطَّلَبِ لدواء من قد أشرفَ على العطَبِ ، كما قال الشاعر ، وأخذتِ العودَ ، فغنت :

سَيُورِدُنِي التَّدْكَارُ حَوْضَ الْمَهَالِكِ فَلَسْتُ لِتَذْكَارِ الْحَبِيبِ بِتَّارِكِ
أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ أُمُوتَ صَبَابَةً ، وَلَسْتُ لِمَا يَقْضِي الْإِلَهَ بِمَالِكِ
كَأَنَّ بَقْلِي حِينَ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى ، وَخَلَّفَتْنِي فَرْدًا ، صُدُورَ النَّيَّازِكِ^٢
تَقَطَّعَتِ الْأَخْبَارُ بَيْنِي وَبَيْنَنَسَهُ ، لِبُعْدِ النَّوَى ، وَاسْتَدَّ سُبُلَ الْمَسَالِكِ

قال : فوالله لقد خفتُ أن أُسَلِّبَ عقلي لَمَّا غَنَّتْ ، فقلت : جعلني الله فداءك ، وهو الذي صَيَّرَكَ إلى ما أرى يستحقُّ هذا منك ! فوالله إنَّ النَّاسَ لكثيرٌ ، فلو تَسَلَّيْتُ بغيره فلعلَّ ما بكِ أن يَسْكُنَ أو يَخِيفَ ،

١ انخرائط : دقة ، هزال .

٢ النيازك ، الواحد نيزك : الرمح القصير .

فقد قال الأوّل :

صَبَرْتُ عَلَى اللَّذَاتِ ، لَمَّا تَوَلَّتْ ، وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا ، فَاسْتَمَرَّتْ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى ، فَإِنْ أَطْمِئَعْتُ تَأَقَّتْ ، وَإِلَّا تَسَلَّتْ
فَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَقَالَتْ : قَدْ وَاللَّهِ رُمْتُ ذَلِكَ ، فَكُنْتُ كَمَا قَالَ قَيْسُ بْنُ
الْمُلَوَّحِ :

وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَمَاحًا فُؤَادُهُ ، وَلَمْ يَسْأَلْ عَنْ لَيْلَى بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
تَسْأَلُنِي بِأُخْرَى غَيْرِهَا ، فَإِذَا الْي تَسْأَلُنِي بِهَا تُغْرِي بِلَيْلَى وَلَا تُسْأَلُنِي
قَالَ : فَأَسْكَتَنِي وَاللَّهِ بِتَوَاتُرِ حُجْجِهَا عَنْ مُحَاوَرَتِهَا ، وَمَا رَأَيْتُ
كُنْطِقَهَا وَلَا كَشَكْلَهَا وَأَدْبَهَا وَكَمَالَ خُلُقِهَا .

العِظَةُ النَاجِعَةُ

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ التُّوزِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
قَالَ : أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ صَفْوَانَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَلَّابُ قَالَ : حَدَّثَنِي سَعْدَانُ قَالَ :

أَمَرَ قَوْمٌ امْرَأَةً ذَاتَ جَمَالٍ بَارِعَةً ، أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ ، فَلَعَلَّهَا
تَفْتِنُهُ ، قَالَ : وَجَعَلُوا لَهَا ، إِنْ هِيَ فَعَلَتْ ، أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَبَسَتْ أَحْسَنَ
مَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الثِّيَابِ ، وَتَطَيَّبَتْ بِأَطْيَبِ مَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ تَعَرَّضَتْ
لَهُ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَسْجِدِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ ، فَرَأَاهُ أَمْرُهَا وَجَمَالُهَا ،
ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ، وَهِيَ سَافِرَةٌ ، فَقَالَ لَهَا الرَّبِيعُ : كَيْفَ بَكَ لَوْ نَزَلَتْ
الْحُمَى بِجِسْمِكَ فَغَيَّرَتْ مَا أَرَى مِنْ نُورِكَ وَبَهْجَتِكَ ؟ أَمْ كَيْفَ بَكَ لَوْ
نَزَلَ بِكَ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَطَعَ مِنْكَ حَبْلَ الْوَتَيْنِ ؟ أَمْ كَيْفَ بَكَ لَوْ سَأَلَكَ
مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ فَصَرَخْتَ صَرْخَةً ، وَخَرْتَ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا ، قَالَ : فَوَاللَّهِ
لَقَدْ أَفَاقْتُ وَبَلَغْتُ مِنْ عِبَادَتِهَا أَنَّهَا يَوْمَ مَاتَتْ كَانَتْ كَأَنَّهَا جِدَعٌ مُحْتَرِقٌ .

الحب الصارع

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الابنوسي ، رحمه الله ، قال : حدثنا أبو محمد بن مغيرة
الجوهرى قال : حدثنا أحمد بن محمد أبو عيسى قال :

أنشدنا أبو العباس المبرّد لأمّ الضحّاك المحاربية :

الحُبَّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ وَلَعٌ ، وَإِذَا تَمَكَّنَ فِي الْفُؤَادِ صَرَعٌ
وَيَلِي مِنَ الْحُبِّ الَّذِي شَفَّتِي ، مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الْهُمُومِ جَمَعٌ

أم سبعة أنبياء

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي الحسين المحتسب قال : حدثنا محمد بن عبد الله القطيعي
قال : حدثنا الحسين بن صفوان قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا سعيد بن يعقوب
الطالقاني قال : حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبي كعب الحريري عن الحسن

أنّ امرأةً من بني إسرائيل كانت أُعْطِيَتْ من الجمال عَجَبًا ، قال :
فبلغ من أمرها أنّها كانت لا تُمَكِّنُ من نفسها إلاّ من أعطاهها مائة دينارٍ ،
فاتّخذت سريراً من ذهب ، فأبصرها رجلٌ من العابدين ، فأعجبته ، فانطلق
فالتَمَسَ وَابْتَغَى ، وَتَمَحَّلَ ، أَوْ كَمَا وُصِفَ ، حتى جمع مائة دينارٍ ، فأتاها
بها ، فقال : إني رأيتُك فأعجبتي ، فانطلقتُ فَتَمَحَّلْتُ وَابْتَغَيْتُ ،
حتى جمعتُ مائة دينارٍ .

قالت : فادفعها إلى الجِهْبِذِ يَنْتَقِدُهَا ، ففعل ، فقالت للجِهْبِذِ :
انتَقِدْهَا ! قال : نعم ! قال : فتهبّأتُ ، كما كانت تتهبّأ ، وَجَلَسْتُ
على سريرِها ، فلمّا جَلَسَ منها مكانَ الرَّجُلِ من امرأته ذكره الله تعالى

١ الجهبذ : الناقد العارف بحجيد الدراهم من رديتها .

برحمته ، فانقبضت إليه نفسه ، فقام عنها فقال : المائة دينار لك ، افتحي الباب ! فقالت : وما رأيت ؟ ألسن زعمت أنك رأيتني فأعجبتك فتمحلت وأبتغيت حتى جمعت مائة دينار ، فما رأيت ؟

قال : ليس في الأرض شيء أبغض إليّ منك .

قالت : وما رأيت ؟ قال : هذا شيء لم أفعله قط .

قالت : ما قال لي هذا أحد ، لكن كنت صادقاً فما أريد زوجاً غيرك ، فلي عليك أن تتزوجني .

قال : نعم ، ففنع رأسه ورجع ، فلقى ببلده ، وأقبلت تبيع متاعها ، ثم ارتحلت إليه ، فانتَهت إلى البلد الذي هو فيه ، فسألت عنه ، فقيل لها : هوذا في المسجد . فقيل له : جاءت ملكة أرض كذا وكذا تسألُ عنك ، فأتته ، فلما نظرت إليها نظرة مال ميتاً ، فوجدت عليه وجداً شديداً ؛ قالت : أما هذا فقد فاتني ، ولكن هل له أخ أو قريب ؟ قيل : إن له أخاً ضعيفاً .

قال معتمر : أي ليس في العبادة مثله ، فتزوجت أخاه ، فولدت له سبعة أنبياء .

المرقش الشاعر وأسماء

كتب إلي أبو غالب بن بشران من واسط حدثنا ابن دينار قال : حدثنا أبو الفرج محمد بن علي الأصفهاني في كتاب الأغاني قال : قال أبو عمرو ، ووافقه المفضل الضبي :

كان من خبر مرقش الأكبر أنه عشق ابنة عم له يقال لها أسماء بنت عوف بن مالك ، علقها وهو غلام ، فخطبها إلى أبيها ، فقال له : لا أزوجه حتى تُعرفَ بالناس ، وهذا قبل أن يخرج ربيعة^١ من أرض

١ ربيعة : أراد أبا قبيلة ربيعة .

اليمن ، فكانَ يَبعِدُهُ فيها المَوَاعيد ، ثمَّ انطَلَقَ مُرَقَّشٌ إلى مَلِكٍ من الملوك ، وَكَانَ عنده زَمَانًا ، وَمَدَحَهُ ، فَأَجَازَهُ ؛ وَأَصَابَ عَوْفًا زَمَانٌ شَدِيدٌ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ من مُرَادٍ أَحَدِ بَنِي عَطِيفٍ ، فَأَرغَبَهُ في المَالِ ، فزَوَّجَهُ أَسْمَاءَ على مائةٍ من الإبل ، ثمَّ تَنَحَّى عن بني سعد بن مالك .

وَرَجَعَ مُرَقَّشٌ ، فقال إخوتُها : لا تخبِروهُ إلاَّ أنَّها ماتت ، فذبحوا كَبِشًا ، فَأَكَلُوا لحمه ، وَدَفَنُوا عظامه ، وَلَفَّوْها في مِلْحَفَةٍ ، وَدَفَنُوهَا ، فلَمَّا قَدِمَ مُرَقَّشٌ عليهم أَخْبَرُوهُ أنَّها ماتت ، وَأَتَوْا به مَوْضِعَ القَبْرِ ، فنظَرَ إليه ، وَكَانَ بعدَ ذلك يَعتادُهُ ، وَيَزُورُهُ .

فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ مُضْطَجِعٌ ، وَقَدْ تَغَطَّى بِثَوْبِهِ ، وَابْنَا أَخِيهِ يَلْعَبَانِ بِكِعَابٍ لهما ، إِذْ اخْتَصَمَا في كَعْبٍ ، فقال أَحَدُهُما : هذا كعبي أعطانيه أَبِي من الكَبِشِ الذي دَفَنُوهُ ، وَقَالُوا : إِذَا جَاءَ مُرَقَّشٌ أَخْبِرْنَاهُ أَنَّهُ قَبِرُ أَسْمَاءَ . فكَشَفَ مُرَقَّشٌ عَن رَأْسِهِ ، وَدَعَا الغُلَامَ ، وَقَدْ ضَنَى ضَنْئًا شَدِيدًا ، فسأله عَنِ الحَدِيثِ ؛ فَأخبرَهُ به ، وَبَتَزْوِيجِ المُرَادِيِّ أَسْمَاءَ ، فدعا مُرَقَّشٌ وَلِيدَةً لَهُ ، وَلَهَا زَوْجٌ من غَفِيلَةٍ كَانَ عَسِيفًا لِمُرَقَّشٍ ، فَأمرَهَا بِأَنْ تَدْعُو لَهُ زَوْجَهَا ، فدَعَتْهُ ، وَكَانَتْ لَهُ رَوَاحِلٌ ، فَأمرَهُ بِإِحْضَارِهَا لِيَطْلُبَ المُرَادِيُّ ، فَأَحْضَرَهَا فَرَكِبَهَا ، وَمَضَى في طَلَبِهِ ، فمَرِضَ في الطَّرِيقِ حَتَّى صَارَ لَا يُحْمَلُ إِلَّا مَعْرُوضًا .

وَلَئِنَّهُمَا نَزَلَا كَهْفًا بِأَسْفَلِ نَجْرَانَ ، وَهِيَ أَرْضُ مُرَادٍ ، وَمَعَ الغَفِيلِي امْرَأَتُهُ وَلِيدَةُ مُرَقَّشٍ ، فَسَمِعَ مُرَقَّشٌ زَوْجَ الْوَلِيدَةِ يَقُولُ لَهَا : انْزُكِي ، فَقَدْ هَلَكَ سَقَمًا ، وَهَلَكْنَا مَعَهُ جوعًا وَضَرًّا ، فجعلت الْوَلِيدَةُ تَبْكِي من ذلك ، فقال لَهَا زَوْجُهَا : إِنْ أَطَعْتَنِي ، وَإِلَّا فَإِنِّي تَارِكُكَ ، وَكَانَ مُرَقَّشٌ يَكْتُبُ ، وَكَانَ أَبُوهُ دَفَعَهُ وَأَخَاهُ حَرْمَلَةَ ، وَكَانَا أَحَبَّ وَلَدَيْهِ إِلَيْهِ ، إِلَى نَصْرَانِي من

١ العسيف : الأجير .

أهل الحيرة ، فعلمهما الخط ، فلما سمع مرقش قول الغفلي للوليدة كتب
على مؤخر الرحل :

يا صاحبي تلبثنا لا تعجلا ! إن الرواح رهين أن لا تفعلنا
فلعل لبثكما يقرب نائيا ، أو يسبق الإسراع شيئا مقبلا
يا راكبا إما عرضت فبكفا أنس بن سعد إن لقيت وحرملا
لله دركما ودر أبيكما ، إن أفلت الغفلي حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشا أضحي على الأصحاب عينا مشقلا
وكانما يرد السباع بشلوه ، إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا

قال : وانطلق الغفلي وأمرأته حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات
المرقش ، ونظر حرمة إلى الرحل ، وجعل يثقل به . فقرأ الأبيات ، فدعاهما
ونخوفهما ، وأمرهما أن يصدقا ، ففعلا ، فقتلهما ، وقد كانا وصفا له
الموضع ، فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان ، فسأل عن خبره ،
فعرف أن مرقشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغم تنزو على
الغار الذي هو فيه ، وأقبل راعيها إليه ، فلما بصره به قال : من أنت وما شأنك ؟
فقال له مرقش : أنا رجل من مراد فمن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا
هو راعي زوج أسماء ، فقال له مرقش : أستطيع أن تكلم أسماء امرأة
صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريثها كل ليلة فأحلب
لها عسرا ، فأتيتها بلبنها . فقال له : خذ خاتمي هذا ، فإذا حلبت فألقيه في
اللبن فإنها ستعرفه ، وإنك مصيب به خيرا لم يصبه راع قط إن أنت
فعلت ذلك .

١ بلغا : أراد بلغن ، أبدال النون ألفا .

٢ الشلو : الجسم ، أراد جثته بعد موته .

فأخذ الراعي الخاتم ، فلما حُلِبَتِ العَتَرُ طَرَحَ الخاتمَ في القَدَحِ ، فانطلقت به الجاريةُ ، وتَرَكَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فلما سَكَنْتِ رَغَوَتُهُ ، أَخَذَتْهُ ، فشربته ، وكذلك كانت تصنعُ ، فقرَعَ الخاتم ثنِيَّتَهَا ، فأخذته ، واستَضَاءَتْ بِهِ بِالنَّارِ ، فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا ؟ فقالت : ما لي به عِلْمٌ ، فَأَرْسَلْتُهَا إِلَى مَوْلَاهَا ، وَهَوَى فِي شَرْبٍ بَنَجْرَانٍ ، فَأَقْبَلَ فَنَزِعًا ، فقال لها : لِمَ دَعَوْتَنِي ؟ فقالت : ادْعُ عَبْدَكَ رَاعِي غَنَمِكَ ، فدَعَاهُ ، فقالت : سَلِّهُ أَيْنَ وَجَدَ هذا الخاتم ؟ فقال : وَجَدْتُهُ مَعَ رَجُلٍ فِي كَهْفٍ جَبَارٍ ، فقال لي : اطْرَحْهُ فِي اللَّبَنِ الَّذِي تَشْرَبُهُ أَسْمَاءُ ، فَإِنَّكَ تُصِيبُ بِهِ خَيْرًا ، وَمَا أَخْبَرْتَنِي مِنْ هُوَ ، وَلَقَدْ تَرَكَتُهُ فِي آخِرِ رَمَقٍ .

فقال زَوْجُهَا : وَمَا هَذَا الْخَاتَمُ ؟

قالت : هذا خاتمُ مَرْقَشٍ ، فَأَعْجَلَ السَّاعَةَ فِي طَلَبِهِ ، فَرَكِبَ فَرَسَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى فَرَسٍ وَسَارًا حَتَّى طَرَفَاهُ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَاحْتَمَلَاهُ فَمَاتَ عِنْدَ أَسْمَاءَ ، وَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ :

سَمَا نَحْوِي خِيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى ، فَأَرْقَى ، وَأَصْحَابِي هُجُودٌ
فَبِتْ أَدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ ، وَأَذْكَرُ أَهْلَهَا ، وَهُمْ بَعِيدٌ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ ، يُشَبُّ لَهَا بِذِي الْأَرْضَى وَقُودٌ^٢
حَوَالِيهَا مَهًا بِيضُ التَّرَاقِي ، وَآرَامٌ وَغِزْلَانٌ رُقُبُودٌ^٣
نَوَاعِيمٌ لَا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ ، أَوَانِسٌ لَا تَرُوحُ ، وَلَا تَرُودُ^٤

١ الشرب ، الواحد شارب : أراد في جماعة يشربون الخمر .

٢ الأرضى : شجر ثمره كالعناب ، الواحدة أرطاة .

٣ التراقي ، الواحدة ترقوة : مقدم الحلق في أعلى الصدر . الآرام ، الواحد رثم : الغزال الأبيض اللون .

٤ ترود : تدور تذهب وتجيء .

يَرْحُنَ مَعًا بِطَاءَ الْمَشْيِ رُودًا ، عَلَيْنَهُنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ^١
سَكَنَ بَيْلَدَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى ، فَقُطِعَتِ الْمَوَاقِيقُ وَالْعُهُودُ^٢
فَمَا بَالِي أَنِّي وَيُخَانُ عَهْدِي ؛ وَمَا بَالِي أَصَادُ وَلَا أَصِيدُ^٣
وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَدَيْنِ بِكُرٍّ ، مُنْعَمَةٍ لَهَا فَرَعٌ وَجِيدُ^٤
وَذُو أَشْرٍ شَتَّيْتُ النَّبْتَ عَذْبُ ، نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقُ^٥ بِرُودُ^٦
لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَتَابِي ، وَزَارَتْهَا النَّجَائِبُ وَالْقَصِيدُ^٧
أَنَسًا كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصَلًا ، عَنَانِي مِنْهُمْ وَصَلُ جَدِيدُ^٨
فَدُفِنَ فِي أَرْضٍ مَرَاد .

المحب الجاحد

أَبَانَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحَافِظِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَزْهَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ
الْأَدِيبُ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ السَّكُونِيُّ أَمْلَأَهُ قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ مَكْرَمٍ قَالَ : حَدَّثَنَا
يَزِيدُ الشَّامِيُّ قَالَ :

مَاتَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ وَإِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ،
فَرُفِعَ خَبْرُهُمْ إِلَى الرَّشِيدِ ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِحُضُورِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ، فَوَافَى
الْمَأْمُونُ ، وَقَدْ صُفُّوا لَهُ فِي مَوْضِعِ الْجَنَائِزِ ، فَقَالَ : مَنْ قَدِّمْتُمْ ؟ قَالُوا : إِبْرَاهِيمُ ،
قَالَ : أَخَّرُوهُ وَقَدِّمُوا عَبَّاسًا ! قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ اعْتَرَضَهُ بَعْضُ
الظَّاهِرِيَّةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ بِمَ قَدِّمْتَ عَبَّاسًا ؟ قَالَ : يَا فَضُولِي بِقَوْلِهِ :
سَمَّاكَ لِي قَوْمٌ وَقَالُوا : إِنَّهَا لَهِيَ الَّتِي تَشْقَى بِهَا وَتُكَابِدُ^١
فَجَحَدْتَهُمْ لِيَكُونَ غَيْرُكَ ظَنَّهُمْ ؛ إِنِّي لِيُعْجِبُنِي الْمُحِبُّ الْجَاحِدُ^٢

١ الرود: الشابات الحسنات، الواحدة رادة ورؤد ورأد. المجاسد، الواحد مجسد: القميص الذي يل البدن.

٢ الفرع: الشعر. الجيد: العنق.

٣ ذو أشر: أراد ثغراً فيه أشر وهو تحديد في الأسنان.

القبلة القاتلة

حدث أبو عمر بن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني أحمد بن حرب قال : حدثني أبو عبد الله القرشي قال : حدثني أبو غسان قال :

كان سببُ وفاة مالك بن أبي السَّمح^١ أنه لما كَبَرَ ضَمَّ إليه رَجُلًا من قَرَشٍ يقوم عليه ، ففرَّشَ له على سريرٍ وَخَرَّقَ فيه خَرَقًا للوضوء ، فأتته الجاريةُ يوماً بطعام فأكلَ ، ثُمَّ أَتَتْهُ يَسْخُورٌ فَتَسَبَّخَرَ ، فَوَقَعَتِ الجاريةُ بقلبه ، فَأَهْوَى إليها لِيَقْبَلَهَا ، وَتَنَسَّحَتْ عنه ، فَسَقَطَ عن السَّرِيرِ ، فاندقت عنقه ، فمات .

قال الزبير : أنشدني ظبية لحسن بن عبد الله بن عبد الله بن عبيد الله ابن العباس بن عبد المطلب في مالك بن أبي السَّمح :

ليس عيش إلا بمالك بن أبي السَّم	ح ، فلا تلحني ، ولا تكلم
تتملى لذيذ عيش ، ولأنه	ميك حق الإسلام والحرم
رب ليل قصره اللهو ، فأنجما	ب ، ويوم كذاك لم يدم
كنت فيه ومالك بن أبي السَّم	ح الكريم الأخلاق والشيم

ضل عنه فواده

أبانا أحمد بن علي قال : أخبرنا الأزهرى قال : أنشدنا سهل بن أحمد الديباجي قال :
أنشدنا ابنُ دريد لنفسه :

صارمته فتواصلت أحزانه	ومجرته فتهاجرت أجفانه
قالت تعرض : مس شيطان به ،	بل أنت حين ملكته شيطانه
قد ضل عنه فواده ، فاستخبري	عينيك أين محله ومكانه

١ مالك بن أبي السَّمح : أحد مفني صدر الإسلام البارعين .

هل من آسٍ لداء القلب؟

ولي من قصيدة أولها :

بالحُزْنِ هَاجَتْ لِفَتَى أَحْزَانُهُ ، وَجَفَتْ لِدَيْدِ رُقَادِهَا أَجْفَانُهُ

ومنها :

يَا جَارَةَ الْحَيِّ الَّذِينَ تَرَحَّلُوا سَحَرًا فَأَوْحَشَ رَبْعَهُمْ غُزْلَانُهُ
هَلْ تَعْلَمِينَ لِدَاءِ قَلْبِي آسِيًا ، فَالْيَوْمَ حِينَ تَرَحَّلُوا بُحْرَانُهُ
كُتِمَ الْهَوَى خَوْفَ الْعَدُولِ وَلَوْ مِ ، حَتَّى أَضَرَ بِجِسْمِهِ كِتْمَانُهُ

بنت الوالي والسجين

أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة إن لم يكن سماعاً فأجازة قال : أخبرنا أبو القاسم
إسماعيل بن سويد المعدل قال : حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثني ابن أبي الدنيا
قال : حدثني محمد بن زيد العتبي قال : أخبرني جدي الحسين بن زيد قال :

وَلِيَّ بَدْيَارٍ مَصْرَ وَآلٍ فَوْجَدٌ^٢ عَلَى بَعْضِ عُمَالِهِ ، فَحَبَسَهُ ، وَقَيَّدَهُ ،
فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ ابْنَةُ الْوَالِي فَهَوَيْتَهُ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَيُّهَا الرَّامِي بِعَيْنَيْهِ^١ ، وَفِي الطَّرْفِ الْحُتُوفُ
إِنْ تُرِدْ وَصَلًا ، فَقَدْ أَمَكَّنَكَ الظُّبْيُ الْأُلُوفُ

فأجابها الفتى :

إِنْ تَرِينِي زَانِيَ الْعِيِّ^١ ، فَالْفَرْجُ عَقِيفُ
لَيْسَ إِلَّا النَّظَرُ الْفَا تِرُ ، وَالشَّعْرُ الظَّرِيفُ

١ البحران في عرف الأطباء : تهيج واختلال في القوى المدركة تسببه شدة المرض .

٢ وجد : غضب .

فكُتبت إليه :

قَدْ أَرَدْنَاكَ عَلَى عِشْ قِكْ إِنْ سَانَا عَفِيفَا
فَتَأْبَيْتَ ، فَلَا زِلْ تَ لِقَيْدَيْكَ حَلِيفَا

فأجابها الفتى :

غَيْرَ أَنِّي خِفْتُ رَبًّا كَمَا نَ بِي بَرًّا لَطِيفَا
فَدَاعَ الشَّعْرُ وَبَلَغَ الْحَبْرُ الْوَالِي ، فَدَعَا بِهِ فَرَوَّجَهُ إِيَّاهَا وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ .

دواء الحب غال

أخبرنا التنوخي علي بن المحسن قال : أخبرنا أبو عمر بن حيويه قال : أخبرنا أبو بكر المحولي قال :

وأنشدني حماد بن إسحاق للوليد بن يزيد :

وَلَقَدْ قَالَ طَبِيبِي ، وَطَبِيبِي غَيْرُ آلٍ :
أَشْكُ مَا شِئْتُ سِوَى الْحُبِّ ، فَإِنِّي لَا أَبَالِي
سَقَمُ الْحُبِّ رَخِيصٌ ، وَدَوَاءُ الْحُبِّ غَالٍ

مرضى الحب

وبإسناده قال : وأنشدني أبو العباس بن أحمد من أهل ضَرِيَّةَ لِرَجُلٍ
من بني أسد :

أَقُولُ ، وَعُقْبَةُ الْأَسَدِيِّ يَرْقِي أَخَاهُ بَرْقِيَّةَ الْمَيْنِ الْكَسْدُوبِ :

١ الآلي : المقصر .

تَشَاءَ بَ لي ، فَمَا بي غَيْرُ حُبِّي صَفِيَّةَ ، ضَلَّ سَعْيُكَ مِنْ طَبِيبٍ
وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ : أَنَشِدْنِي أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْمُرُورُودِي :
أَيَا سَبَبَ الدَّمُوعِ إِلَى الْخُفُونِ ، وَشَجَوَ الْمُسْتَهَامِ الْمُسْتَكِينِ
سَلِّ الْحَسَرَاتِ : هَلْ أَبْقَيْنَ دَمْعًا يَجُودُ بِهِ عَلَى قَلْبِ حَزِينِ
وَهَلْ تَرَكَ السَّقَامُ بِهِ حَرَكَاءَ يَسِيرُ بِهِ إِلَيْكَ سِوَى الْحَنِينِ ؟

القطيعة أذهب للعقل

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي نَصْرٍ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْإِنْدَلِسِيُّ
قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّيِّعِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي قَالَ :

قَرَأْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ لِلْحُسَيْنِ بْنِ مَطِيرٍ الْأَسَدِيِّ :
فَوَاعَجَبَا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مَحِبًّا ، وَلَا قَبِيلِي
يَقُولُونَ لِي : اصْرِمْ يَرْجِعِ الْعَقْلُ كُلُّهُ وَصَرَّمْ حَبِيبَ النَّفْسِ أَذْهَبَ لِلْعَقْلِ
فِيَا عَجَبًا مِنْ حَبٍّ مِمَّنْ هُوَ قَاتِلِي ، كَأَنِّي أُجَازِيهِ الْمَوَدَّةَ عَنْ قَتْلِي
وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنَّ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَيَّ قَلْبِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي

أنا أشعر من قيس

وَبِإِسْنَادِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْقَالِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الرِّيَاشِيُّ عَنْ بَعْضِ
أَصْحَابِهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَجُلٌ قَالَ :

جَلَسْتُ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَقُلْتُ مَا أَشْعَرَ قَيْسًا حَيْثُ يَقُولُ :
يَسْبِيتُ وَيُضْحِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَلَى مَنَهْجٍ تَبْكِي عَلَيْهِ الْقَبَائِلُ

١ المراد قيس بن ذريح .

فَقَتِيلٌ لِّلْبُتْنِ صَدَّعَ الْحُبُّ قَلْبَهُ ، وفي الحُبِّ شُغْلٌ لِّلْمُحِبِّينَ شَاغِلٌ

فقال : أنا ١ وَاللهُ أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ :

سَلَبْتُ عِظَامِي لِحِمَّتِهَا فَتَرَكَتُهَا مُعْرِقَةً ، تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْضَرُ ٢

وَأَخْلَسْتُهَا مِنْ مُخِّهَا ، فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ

إِذَا سَمِعَتْ ذِكْرَ الْفِرَاقِ تَقْطَعُ عِلَاقَتُهَا مِمَّا تَخَافُ وَتَحْذَرُ

خُذِي يَدَيَّ ثُمَّ انْهَضِي بِي تَبَيَّنِي بِيَ الضَّرِّ ، إِلَّا أَنْتِي أَنْتِ سَتَرُ

قال : ثُمَّ مَرَّ فَجَمَزَ فِي الصَّحَرَاءِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أُتِيَتهُ ،
فَجَلَسْتُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَلَمَّا أَحْسَسْتُ بِهِ قُلْتُ : مَا أَشْعَرَ قَبْسًا حَيْثُ
يَقُولُ :

تُبَاكِيرُ أُمِّ تَرْوُحُ غَدَا رَوَاحًا ، وَلَكِنْ يَسْطِيعُ مُرْتَهِنٌ بَرَاحًا

سَقِيمٌ لَا يُصَابُ لَهُ دَوَاءٌ ، أَصَابَ الْحُبُّ مَقْلَتَهُ فَنَاحًا

وَعَذَابُهُ الْهَوَى حَتَّى بَرَاهُ ، كَبَّرِي الْقَيْنَ بِالسَّفْنِ الْقِدَاحًا ٣

وَكَادَ يُذِيقُهُ جُرْعَ الْمَنَابِإِ ، وَلَوْ أَسْقَاهُ ذَلِكَ لَاسْتَرَا حَا

فقال : أنا أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ :

فَمَا وَجَدْتُ مَغْلُوبٍ بِصَنْعَاءَ مُوثِقٍ ، بِسَاقِيهِ مِنْ ثِقَلِ الْحَدِيدِ كُبُولُ

قَلِيلِ الْمُوَالِي مُسْتَهَامٍ مُرَوِّعٍ ، لَهُ بَعْدَ نَوَامَاتِ الْعِشَاءِ عَوِيلُ

يَقُولُ لَهُ الْحَدَّادُ : أَنْتَ مُعَذَّبٌ ، غَدَاةَ غَدٍ ، أَوْ مُسْلَمٌ فَقَتِيلُ

بِأَعْظَمَ مِنِّي رَوْعَةً يَوْمَ رَاعَتِي فِرَاقُ حَبِيبٍ مِمَّا إِلَيْهِ سَبِيلُ

١ قوله : فقال انا : يحمل على الاعتقاد انه كان هنالك رجل أجاب بهذا الجواب ، وقد تكون سقطت الإشارة إليه بالنسخ .

٢ تضحى : تصيبها الشمس . تخضر : تبرد .

٣ السفن : كل ما ينحت به . القداح : سهام الميسر ، الواحد قدح .

سيف الفراق

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : أنبأنا أبو بكر بن الأنباري قال :

أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي :

قَدْ قُلْتُ وَالْعِبَرَاتُ تَسُفُ فَحُفَهَا عَلَى الْخَدِّ الْأَمَاقِ
حِينَ انْحَدَرْتُ إِلَى الْجَزِيدِ رَقَةٍ وَأَنْقَطَعْتُ عَنِ الْعِرَاقِ
وَتَخَبَّطْتُ أَيْدِي الرِّفَا قِي مَهَامِيهِ الْبِيدِ الرِّفَاقِ
يَا بُؤْسَ مَنْ سَلَّ الزَّمَا نُ عَلَيْهِ سَيْفًا لِلْفِرَاقِ

مصدّعة القلوب

وبإسناده قال : حدثنا القالي قال : قرأتُ على أبي بكر بن دريد لجميل

رَحَلَ الْخَلِيطُ جِمَالَهُمْ بِسَوَادٍ ، وَحَدَا عَلَى أَثَرِ الْأَحِبَّةِ حَادٍ
مَا إِنْ شَعَرْتُ بَيْنَهُمْ وَرَحِيلِهِمْ ، حَتَّى سَمِعْتُ بِهِ الْغُرَابَ يُنَادِي
لَمَّا رَأَيْتُ الْبَيْتَ قُلْتُ لِصَاحِبِي : صَدَعْتَ مُصَدَّعَةَ الْقُلُوبِ فَوَادِي
بَانُوا ، وَغُودِرَ فِي الدِّيَارِ مُتَيْسِمٌ ، كَلِفٌ بِذِكْرِكَ يَا بُشَيْنَةَ صَادٍ

١ أي أيدي الجمال ، الواحد أرفق وهو البعير الذي انفتل مرفقه عن جنبه . أما
الرفاق الثانية فلعله أراد أن القفار والبيد كانت رفاقاً له في سفره أو رفيقة به ، ولعل اللفظة
معرفة عن رفاق ، وهي الصحراء .

ليست له صبوة

أفبانا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرني أبو الحسن علي بن أيوب القمي الكاتب بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي إملاء قال : حدثنا كامل بن طلحة قال : حدثنا ابن هيمة قال : حدثنا أبو عثانة قال : سمعت مقبة بن عامر يقول : قال رسول الله ، صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ : عَجِبَ رَبَّنَا تَعَالَى مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ .

المأمون وجارية أبيه

أخبرنا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري في ما أجاز لنا قال : حدثنا المعافى بن زكريا الحريري قال : حدثنا محمد بن القاسم الأنباري قال : حدثني أبي قال : قال منصور البرمكي وكان أديباً : كانت هارون الرشيد جارية غلامية ، تَصُوبُ على يده ، وتَقِفُ على رأسه ، وكان المأمون يُعَجِّبُ بها ، وهو أمرَد ، فبينما هي تُصُوبُ على هارون من إبريقٍ معها ، والمأمونُ مع هارون قد قابلَ بوجهيه وجهَ الجارية ، إذ أشارَ إليها بقُبْلَةٍ ، فزَبَرَتْهُ بِحَاجِبِهَا وَأَبْطَأَتْ عَنِ الصُّبِّ فِي مُهْلَةٍ مَا بَيْنَ ذَلِكَ ، فنظرَ إليها هارون فقال : ما هذا ؟ فَتَلَكَّأَتْ عَلَيْهِ ، فقال : ضعي ما معك ا عليّ كذا إن لم تُخبريني لأَقْتُلَنَّكَ . فقالت : أشارَ إليّ عبدُ الله بقُبْلَةٍ . فالتفتَ إليه ، وإذا هو قد نزلَ به من الحياء والرُّعبِ ما رَحِمَهُ مِنْهُ ، فاعتنقه ، وقال : أُحِبُّهَا ؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، فقال : قُسمٌ فَاخْلُ بها في تلكَ القُبْلَةِ ، فقامَ ففعل ، فقال له هارون : قُلْ في

١ زبرته : نهته .

هذا شعراً ، فأنشأ يقول :

ظَبِيٌّ كَنَيْتُ بِطَرَفِي عَنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبَّلْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ فَأَعْتَلَّ مِنْ شَفَتَيْهِ
وَرَدَّ أَخْبَثَ رَدٍّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبَيْهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهِ

الأطباء والمحبون

أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي قال : حدثنا أبو عمر بن حيويه قراءة عليه قال :
حدثنا أبو بكر بن المرزبان إجازة قال :

أنشدني مُنْشِدٌ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ :

جَسَّ عِرْقِي فَقَالَ : حَبٌّ ، طَبِيبِي ، مَا لَهُ فِي عِلَاجِهِ مِنْ مُصِيبِ
فَغَمَزْتُ الطَّبِيبَ سِرّاً بِعَيْنِي ، ثُمَّ حَلَفْتُهُ بِحَقِّ الصَّلِيبِ
لَا تَقُلْ : لَوْعَةُ الْهَوَى أَسْقَمَتُهُ ، فَيَنَالُوا ، بِدَعْوَةٍ ، مِنْ حَبِيبِي

وأنشد :

دَوَايِ السُّقْمِ تُخْبِرُ عَنْ ضَمِيرِي ، وَيُخْبِرُ عَنْ مُفَارَقَتِي سُرُورِي
أَلَا يَا سَائِلِي عَنْ سُوءِ حَالِي ، وَعَنْ شَأْنِي سَقَطَتْ عَلَى الْحَبِيرِ
شَرِبْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ كَأْسَ سَقْمِ بَعِيْنَتِي شَادِنِ ظَبِي غَرِيرِ

وقال عمر بن أبي ربيعة :

طَبِيبِي دَاوَيْتُمَا ظَاهِرًا ، فَمَنْ ذَا يُدَاوِي جَوَى بَاطِنًا
فَعُوجًا عَلَى مَنْزِلٍ بِالْعَمِي ، فَبَاتِي لَقِيتُ بِهِ شَادِنًا

ولي من أثناء قصيدة :

وَذِي شَجَنٍ مِثْلِي شَكَوْتُ صَبَابَتِي إِلَيْهِ ، وَدَمَعِي مَا يُفْتَرُ قَطْرُهُ
فَقَالَ ، وَلَمْ يَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ تُتَرَجَّمُ عَمَّا قَدْ تَضَمَّنَ صَدْرُهُ :
كِلَانَا أُسِيرٌ فِي الْهَوَى مُتَهَدِّدٌ بِقَتْلِ ، فَمَا يَنْفُكُ مَا عَاشَ أَسْرُهُ
وَأَقْلَقَنِي حَادِي الرَّكَائِبِ بِالضَّحَى ، وَسَائِقُهَا لَمَّا تَتَابَعَ زَجْرُهُ
وَتَقْوِيضُ خَيْمِ الْحَيِّ ، وَالْيَنُّ ضَا حَكُ لِفِرْقَتَيْنَا حَتَّى بَدَا مِنْهُ تُغْرُهُ^١
وَفِي الْجَبْرِ الْغَادِينَ أَحْوَى ، عِذَارُهُ يَقُومُ بِهِ لِلْعَاشِقِ الصَّبِّ عُدْرُهُ
غَدَائِرُهُ لِي شَاهِدَاتٌ بِأَنِّي وَفِيَتْ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَا بَانَ غَدْرُهُ

السوداء وحبيبها عمرو

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قالا :
أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال : حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان قال :
حدثني محمد بن عبد الله بن أبي مالك بن الهيثم الخزاعي عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال :
حدثني ابراهيم بن ميمون قال :

حَجَجْتُ فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، فَبِينَا أَنَا بِمَكَّةَ أُجُولُ فِي سِكَكِهَا ، إِذَا
أَنَا بِسَوْدَاءَ قَائِمَةً سَاهِيَةً ، فَأَنْكَرْتُ حَالَهَا ، فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَمَكَثْتُ كَذَلِكَ
سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَعْمَرُوا عَلَامَ تَجَنَّبْتَنِي ؟ أَخَذْتَ فَوَادِي فَعَدَّ بَتَنِي
فَلَوْ كُنْتُ ، يَا عَمْرُو ، خَبَرْتَنِي أَخَذْتَ حِذَارِي ، فَمَا نِلْتَنِي

١ الحليم : الواحدة خيمة .

قال : فدنوتُ منها ، فقلت : يا هذه ! من عمرو ؟ فارتاعت من قولِي
وقالت : زوّجني . فقلت : وما شأنه ؟

قالت : أخبرني أنّه يهوّاني وما زال يدسّ إليّ ويعلّقُ بي في كلّ طريق ،
ويشكو شدّة وجدّه حتّى تزوّجني ، فلبّثَ معي قليلاً ، وكان له عندي من
الحبّ مثل الذي كان لي عنده ، ثمّ مضى إلى جدّة ، وتركني .

قلت : فصفيه لي .

فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرٌ حلوّ ظريفٌ .

قال ، قلت : فخبريني أتُحبّين أن أجمعَ بينكما ؟

قالت : فكيفَ لي بذلك ؟ وظنّنتي أهزلُ بها . قال : فرَكبتُ راحلتي
وصرّتُ إلى جدّة فوقفتُ في المرقى أتبصّرُ من يعمل في السفن ، وأصوّتُ :
يا عمرو يا عمرو ! فإذا أنا به خارجٌ من سفينة ، وعلى عنقه صَنّ^١ ، فعرفته
بالصفة ، فقلت : أعمرو علامَ تجنّبتني ؟ فقال : هيه هيه ، رأيتهَا وسمعتَه
منها ؟ ثمّ أطرقَ هُنيهةً ثمّ اندفعَ يغنيهِ ، فأخذتهُ منه ، وقلتُ له : ألا
ترجّع ؟ فقال : بأبي أنت ، ومَن لي بذلك ؟ ذلك والله أحبّ الأشياء إليّ
ولكن منعَ منه طلبُ المعاش .

قلتُ : كم يكفيك كلّ سنة .

قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهمٍ ، وقلت : هذه
لعشرِ سنينَ ، وردّ دته إليها ، وقلت له : إذا فنيَتْ أو قاربتِ الفناء قدمتَ
عليّ فسررتُكَ ، وإلاّ وجهتُ إليك ، وكان ذلك أحبّ إليّ من حجي .

قال محمد بن عبد الله قال إسحاق : والناسُ ينسبونَ هذا الصّوت إلى
إبراهيم ، وكان إبراهيمُ أخذه من هذا الفتى .

١ الصن : شبه السلة .

مدرك الشيباني وعمرو النصراني

أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي ولقيته بمدينة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في أول سنة ست وأربعين وأربع مائة ١ قال : أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن خرزاذ النجيرمي قال : أنشدني جعفر بن شاذان القمي أبو القاسم قال :

أنشدني مدرك بن عليّ الشيباني له ببغداد في الجانب الغربي في عمرو بن
يوحنا النصراني :

مِنْ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانُ ، ذَاطِقٍ دَمْعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ

القصيدة جميعها .

وقال أبو القاسم جعفر بن شاذان القمي : وكان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار الروم ببغداد من الجانب الشرقي ، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقاً ، وكان مدرك بن عليّ الشيباني يهواه ، وكان مدرك من أفاضل أهل الأدب والمطبوعين في الشعر ، وكان له مجلس يجتمع إليه الأحداث لا غير ، فلإن حضره شيخ أو كهمل قال له مدرك : إنه يقبح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان ، فقم في حفظ الله ، فيقوم .

وكان عمرو بن يوحنا ممن يتحضر مجلسه ، فعشقه مدرك وهام به ، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس ، فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره ، فقرأها ، فلذا فيها :

بمَجَالِسِ الْعِاسِمِ الَّتِي بكَ تَمَّ جَمْعُ جُمُوعِهَا
أَلَا رَثَيْتَ لِمُقْلَاةٍ غَرِقَتْ بِمَاءِ دُمُوعِهَا
بَيْتِي وَبَيْنِكَ حُرْمَةٌ ، اللَّهُ فِي تَضْيِيعِهَا

فقرأ الأبيات ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا مَنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ وَقَرَأُوهَا ، وَاسْتَحْيَا
عَمْرُو مِنْ ذَلِكَ ، فَانْقَطَعَ عَنِ الْحَضُورِ ، وَغَلَبَ الْأَمْرُ عَلَى مَدْرِكٍ ، فَتَرَكَ مَجْلِسَهُ
وَلَزِمَ دَارَ الرُّومِ ، وَجَعَلَ يَتَّبِعُ عَمْرًا حَيْثُ سَلَكَ ، وَقَالَ فِيهِ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ
الْمَزْدُوجَةُ الْعَجَبِيَّةُ .

وَلَمَّا مَدْرِكٌ فِي عَمْرُو أَيْضًا أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ ، ثُمَّ خَرَجَ مَدْرِكٌ إِلَى الْوَسْوَاسِ .
وَسَلَّ جِسْمَهُ ، وَذَهَلَ عَقْلُهُ ، وَانْقَطَعَ عَنْ إِخْوَانِهِ وَلَزِمَ الْفَرَاشَ ، فَحَضَرَهُ
جَمَاعَةٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَسْتُ صَدِيقَكُمْ الْقَدِيمَ الْعَشْرَةَ لَكُمْ ، أَفَمَا فِيكُمْ أَحَدٌ
يُسْعِدُنِي بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ عَمْرُو ؟ فَمَضَوْا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ كَانَ
قَتْلُ هَذَا الْفَتَى دِينًا ، فَإِنَّ إِحْيَاءَهُ لِمُرُوءَةٍ قَالَ : وَمَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ صَارَ إِلَى
حَالٍ مَا نَحْسَبُكَ تَرْضَى بِهِ . فَلَبَسَ ثِيَابَهُ وَتَهَضَّزَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ عَمْرُو وَأَخَذَ يَبْدُوهُ وَقَالَ : كَيْفَ تَجِدُكَ يَا سَيِّدِي ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ
فَأَغْمَى عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنَا فِي عَافِيَةٍ لَا مِنْ الشَّقِيقِ إِلَيْكَ
أَيْهَا الْعَائِدُ مَا بِي مِنْكَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ
لَا تَعُدْ جِسْمًا ، وَعُدْ قَلْبًا رَهِينًا فِي يَدَيْكَ
كَيْفَ لَا يَبْهَلُكَ مَرَشُو قُ بِسَهْمِي مُقْلَتَيْكَ

ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً فَارَّقَ فِيهَا الدُّنْيَا ، فَمَا بَرَحْنَا حَتَّى دَفَنُوهُ .

موسى في وقت الكلام

أخبرنا محمد بن أحمد الاردستاني، رحمه الله، قال : حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت
أبا الفضل محمد بن اسحاق السبخري قال : سمعت القناد يقول :

سألتُ الحسينَ بنَ منصورٍ عن حالِ موسى في وقتِ الكلام^١ ، فقال :
بدا له بادٍ من الحقِّ فلم يبقَ لموسى ثمَّ أثرٌ ، وأنشد :

وبدا له من بعدٍ ما اندملَ الهوى برقٌ تآلقَ موهناً لمعانهُ
يبْدُو كحاشيةِ الرداءِ ، ودونهُ صعبُ الذرى مُتمنِّعٌ أركانهُ
فأتى لينظرَ كيفَ لاحَ ، فلم يطيقُ نظراً إليهِ وردَهُ سُبْحانهُ
فالنَّارُ ما اشتَمَلَتْ عليهِ ضلوعُهُ ، والماءُ ما سَمَحَتْ بهِ أجفانهُ

الحب يذهب بالحب

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس قال : حدثنا أبو
بكر المحولي محمد بن خلف قال : أخبرني أبو بكر العامري قال : حدثني الحسين بن علي بن
قدامة مولى بني أمية عن أبيه قال :

خرجتُ إلى الشامَ ، فلما كنتُ بالشرّاعة^٢ ، ودنا الليلُ ، إذا قصرٌ ، فهويتُ
إليه ، فإذا بينَ بابي القصرِ امرأةٌ لم أرَ مثلَها ، قطّ ، هيئةً وجمالاً ، فسلمتُ ،
فردّت ، ثمَّ قالت : من أنت ؟ قلت : رجل من بني أمية من أهل الحجاز .
فقلت : مَرحباً ، وحيّاكَ الله ، انزلِ أنتِ في أهلِكَ ، قلت : ومن أنتِ ،
عافاك الله ؟ قالت : امرأةٌ من قومك ، فأمرتُ إليّ بمنزِلٍ وقيرى وبَتٍ في

١ موسى : أي النبي . في وقت الكلام : أي حينما كلمه الله تعالى .

٢ الشرّاعة : موضع بين دمشق والمدينة .

خير مَبِيَّتٍ ، فلمّا أَصْبَحْتُ أُرْسِلْتُ إِلَيَّ تقول : كيفَ مَبِيَّتُكَ ؟ قلت :
 خيرُ مَبِيَّتٍ ، وَاللّهِ ما رَأَيْتُ أَكْرَمَ مِنْكَ وَلَا أَشْرَفَ مِنْ فَعَالِكَ ، قالت :
 فإنَّ لي إِلَيْكَ حَاجَةً ، تَمْضِي حَتَّى تَأْتِيَ ذَلِكَ الدَّيْرَ ، دِيرٌ أَشَارَتْ إِلَيْهِ مَتْنَحٌ ،
 فإنَّ فِيهِ ابْنَ عَمِّي ، وَهُوَ زَوْجِي ، قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ نَصْرَانِيَّةٌ فِي ذَلِكَ الدَّيْرِ ،
 فَهَجَرَنِي وَلَزِمَهَا ، فَتَنْظُرَ إِلَيْهِ وَإِلَيْهَا وَتُخْبِرَهُ عَنْ مَبِيَّتِكَ ، وَعَمَّا قُلْتُ لَكَ ،
 فقلت : أَفْعَلُ ، وَتُعْمَى عَيْنٌ .

فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الدَّيْرِ ، وَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ فِي فِنَائِهِ جَالِسٌ كَأَجْمَلٍ
 مَا يَكُونُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ وَسَأَلَنِي ، فَأَخْبَرْتُهُ مِنْ أَنَا ، وَأَيْنَ
 بَيْتٍ ، وَمَا قَالَتْ لِي الْمَرْأَةُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ ! أَنَا رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكَ مِنْ آلِ
 الْحَارِثِ بْنِ الْحَكَمِ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا قِسطُ ! فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ نَصْرَانِيَّةٌ عَلَيْهَا ثِيَابُ
 حَبِيرٍ وَزَنَارٌ مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا ، فَقَالَ : هَذِهِ قِسطُ ، وَتِلْكَ أُرْوَى ، وَأَنَا الَّذِي
 أَقُولُ :

تَبَدَّلْتُ قِسطًا بَعْدَ أُرْوَى وَحُبُّهَا ، كَذَلِكَ لِعَمْرِي الْحُبُّ يَذْهَبُ بِالْحُبِّ

صوفي سيء الحال

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراءتي عليه في سنة خمس وخمسين وأربعمائة ،
 قال : حدثنا أبو صالح محمد بن أبي عدي السمرقندي الصوفي قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين
 ابن القاسم بن أليس قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا
 أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال : قال أبو حمزة الصوفي :

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى مِنْ رُؤَسَاءِ الصُّوفِيَّةِ وَوُجُوهُهُمْ ، فَتَنْظَرَ إِلَى غَلَامٍ
 فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ فَبُيِّلَ بِهِ ، وَكَادَ يَذْهَبُ عَقْلُهُ عَلَيْهِ صَبَابَةً وَحَبًّا لَهُ ،
 وَكَانَ يَقِفُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى طَرِيقِهِ حَتَّى يَرَاهُ إِذَا أَقْبَلَ ، وَإِذَا انْصَرَفَ ،

١ سنة ١٠٦٣ م .

فطال به البلاءُ ، وأقعده عن الحركة الضَّئِي ، فكان لا يَقْدِرُ أن يمشي خُطْوَةً
فما فوقها ، فأتَيْته يوماً لأعودَه ، فقلت : يا أبا محمد ! ما قصَّتُك ، وما
الأمرُ الذي بلغَ بك ما أرى ؟

فقال : أمورٌ امتحنني اللهُ تعالى بها ، فلم أصْبِرْ على البلاءِ فيها ، ولم يكن
لي بها طاقةٌ ولا يدان ، ورُبَّ ذَنْبٍ استصْغَرَه الإنسان ممَّا يزيِّنه له الشيطان
هوَ عندَ الله تعالى أعظمُ من تُبَيِّر^١ ، وحقيقٌ لَمَنْ تَعَرَّضَ للنَّظَرِ الحَرَامِ أن
تَطُولَ به الأسقام . ثمَّ بكى .

فقلت : ما يُبْكِيكَ ؟ فقال : أخافُ أن يكونَ حسابي إلى النَّارِ
يَطُولُ فيها شِقَاي . فانصرفتُ عنه ، وأنا رَاحِمٌ له لما رَأَيْتُ به من سوء
الحال .

الطُّرْفُ الغَرَّارُ

ويُسْنَدُه قال : قال أبو حمزة :

وكنْتُ مع ثابت بن السَّري الصَّوْفِي ، فنظَرْتُ إلى غلام ، فقال : يا طولَ
حُزْنُناه ممَّا أرتنيه عيني ، لقد تركني وأنا لا آنسُ إلى نظري بعد نظرتي هذه !
يا شرَّ ما أتاني به المَقْدُورُ في النظرِ إلى الغُرُورِ ، غرتي وآلله طرفي حتى استمكن
من حنفي .

ثمَّ قال : كم أسْتَقِيلُ الله ، عزَّ وجلَّ ، فيُقِيلني ، وكم أسْتَعْفِيه فيُعْفِيني ،
لقد خفتُ أن يكونَ ذلك استدراجاً منه حتى يأخذني بذلك كله ، في وقتٍ
حاجتي إليه عند قدومي عليه .
ثمَّ بكى حتى غُشيَ عليه .

.....
١ ثبير : جبل بظاهر مكة .

الهاتف بالليل

أَبَانَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي عَلِيٍّ التَّنُوخِي قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ خَلْفَ الْمُحَوَّلِيِّ إِجَازَةً قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الْيَرُورُذِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْمُخْتَارِ قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَحْظَمِيُّ قَالَ :

هَوِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ امْرَأَةً فَضَيَّ مِنْ حُبِّهَا ، حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْفِرَاشِ ، وَكَانَ إِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ صَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : كَمْ تُرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّبَاحِ ؟ فَإِذَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ :
أَلْفُ عَامٍ وَأَلْفُ عَامٍ تِبَاعاً ، غَيْرَ شَكٍّ ، فَلَا تَكُنْ مِلْحَاحاً
قَالَ : فَأَقَامَ الرَّجُلُ عَلَى عِلَّتِهِ سَنِينَ ثُمَّ أَبْلَغَ مِنْ عِلَّتِهِ .

لي سكرتان

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْأُرْدِسْتَانِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ الدَّمَشْقِيَّ يَقُولُ :

حَضَرْتُ مَعَ الشُّبْلِيِّ فِي مَجْلِسِ سَمَاعٍ ، وَحَضَرَ الْمَشَائِخُ ، فَغَنَى قَوَالَ ، فَصَاحَ رَجُلٌ ، وَالْقَوْمُ سَكَوتٌ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْمَشَائِخِ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَؤُلَاءِ سَمِعُوا مَعَكَ ، كَمَا سَمِعْتَ ؟ فَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ وَتَوَاجَدَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكْعَا وَسُجُودَا^١
وَأَنْشَدَ عَلَى أَثَرِهِ :
لِي سَكْرَتَانِ ، وَلَلْنَّدَمَانِ وَاحِدَةً^٢ ، شَيْءٌ خُصِّصْتُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي^٣

١ هذا البيت لكثير عزة .

٢ هذا البيت لأبي نواس .

سُكِينَةُ وَعُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ

أَبَانَا الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَافِظُ بِالشَّامِ قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ :
حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الطُّومَارِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ شَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو مُعَاوِيَةَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ سَعِيدٍ الْمَسَاقِيُّ قَالَ :
وَقَفَّتْ سُكِينَةُ عَلَى ابْنِ أُذَيْنَةَ فِي مَوْكِبِهَا ، وَمَعَهَا جَوَارِيهَا ، فَقَالَتْ :
يَا أَبَا عَامِرٍ ! أَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَيْيٌّ وَأَنْتَ هَيْيٌّ^١ ، وَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :
قَالَتْ ، وَأَبْشَشْتُهَا سِرِّي ، فَبَحْتُ بِهِ : قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السَّتْرَ فَاسْتَرِ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا : غَطَّيْ هَوَاكَ ، وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي

الْهَالِكُ مِنْ عَشَقٍ

أَبَانَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ ثَابِتٌ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَيُّوبَ الْقَاسِي قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ عِمْرَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ :

قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ :

وَيُحِبُّ الْمُحِبِّينَ مَا أَشَقَى جُدُودَهُمْ ، إِنَّ كَانَ مِثْلَ الَّذِي بِي بِالْمُحِبِّينَا
يَتَشَقُّونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعِشْقِهِمْ ، لَا يُدْرِكُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَ
يَرِقُّ قَلْبِي لِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْنِي وَمَا أَلْقَى يَرِيقُونَا
قَالَ : وَلَهُ أَيْضًا :

أَيُّهَا النَّادِبُ قَوْمًا هَلَكُوا ، صَارَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ طَبَقًا
أَنْدُبِ الْعُشَّاقِ ، لَا غَيْرَهُمْ ، إِنَّمَا الْهَالِكُ مَنْ قَدْ عَشِقَا

١ رِيءُ الْقَوْمِ : الَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ . الْهَيْيُّ : الْحَسَنُ الْهَيَّاءُ .

وَلِي مِنْ أَثْنَاءِ قَصِيدَةٍ :

مَرَّتْ بِنَا سَاحِبَةً مِرْطَهَا ، قَدْ أَفْتَسَتْ فِي حُبِّهَا رَهْطَهَا
وَمِنْهَا :

وَشَرَطْتُ إِتْلَافَ عُشَاقِهَا ، فَكُلُّهُمْ مُلْتَزِمٌ شَرَطِهَا
وَاسْتَخْبَرْتُ عَنِي عَدَاوِي بِنَا تِ الْعَمِّ ثُمَّ اسْتَخْبَرْتُ سِمِطَهَا^١
وَكُلُّهُمْ أَخْبَرَ عَن رُتْبَةٍ لِي فِي الْهَوَى ، غَيْرِي لَمْ يُعْطَهَا
لَوْ لَا الْهَوَى الْعُذْرِي ، يَاهِنْدُ ، لَمْ أَشْكُ النَّوَى قَطُّ وَلَا شَحَطَهَا

كوى ما كوى

وَلِي ابْتِدَاءُ قَصِيدَةٍ :

يَا نَاطِرِي أَنْتَ جَنَيْتَ الْهَوَى ، يَوْمَ اسْتَقَلَّ الْحَيُّ عَنْ ذِي طَوَى
تَاللَّهِ ! مَا أَدْرِي مَتَى أَرُشِقْتُ عَيْنَاكَ قَلْبِي يَا غَزَالَ اللَّوَى
أَحْيَيْكَ الطَّائِي أَعْرَاكَ بِي ؟ لَا عَقْدَ الْعِزِّ عَلَيْهِمْ لَوْ
حُبٌّ إِلَى قَلْبِي الْغَزَالُ الَّذِي كَوَى مِنَ الْأَحْشَاءِ مَا قَدْ كَوَى

١ السمط : قلادة أطول من المخنقة . والسبط من الثياب : ما ظهر من تحت الرداء .

قتله خبر زواجها

ذكر ابن حيويه ونقلته من خطه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني اسحاق بن محمد الكوفي قال : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر عن أبيه قال :

كان مسافرُ بن أبي عمرو بن أمية يتعشّقُ جاريةً من أهل مكة ، فنذِرَ به^١ أهلُها، فهربَ ، فلحقَ بالحيرةَ بالنعمان بن المنذر ، فاعتلَّ هناك بالهلاس^٢ ، فجمعَ له النعمان أطباءَ الحيرةَ فأجمعوا على كيّهِ ، فكُويَ فبرأ ، ثمّ إنّه قدِمَ عليه رجلٌ من أهل مكة ، فقال له : ما فعلتَ فلانة ؟ قال : تزوّجت ، قال فشهِقَ وماتَ في مكانه ، فقال أبو طالب ، وكان صديقاً لمسافرٍ خاصّاً به ، فقال يرثيه :

لَيْتَ شِعْرِي ، مُسَافِرُ بْنُ أَبِي عَم	رِي ، وَلَيْتَ ، يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ ^٣
كَيْفَ كَانَتْ مِرَارَةُ الْمَوْتِ فِي	لِكَ ، وَمَاذَا بَعْدَ الْمَمَاتِ يَسْكُونُ ^٤
خَيْرُ مَيِّتٍ عَلَى هِبَالَةٍ ، قَدْ حَا	لَتْ فَيَافٍ مِنْ دُونِهِ وَحَزُونُ ^٥
بُورِكَ الْمَيِّتِ الْغَرِيبُ ، كَمَا بُو	رِكَ نَضْرُ الرِّيشْحَانِ وَالزَّيْتُونُ ^٦
كَمْ صَدِيقٍ وَصَاحِبٍ وَابْنٍ عَمٍّ	وَتَحْلِيلٍ عَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَشُونُ ^٧
فَتَعَزَّيْتُ بِالْجَلَادَةِ وَالصَّبْرِ	رِي ، وَلَئِنِّي بِصَاحِبِي لَضَنِينُ ^٨
رَجَعَ النَّاسُ آيِبِينَ جَمِيعاً ،	وَتَحْلِيلِي فِي مَرْمَسٍ مَدْفُونُ ^٩

١ نذره : علمه فحذره واستعد له .

٢ الهلاس : مرض السل .

٣ الفياقي ، الواحدة فيفاء : المفاضة لا ماء فيها . الحزون ، الواحد حزن : ما غلظ من الأرض وقلما يكون إلا مرتفعاً .

خشف شبیه الحبيب

وجدت بخط أحمد بن محمد بن الأبنوسي ونقلته من أصله قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله
ابن المنيرة قال : حدثنا جدي قال : حدثنا أبو عمر العمري قال : حدثنا عبد الملك بن قريب
عن غياث بن الحارث السهمي قال : حدثني زيد بن عمارة النهدي قال :

اصْطَدْتُ خَشْفًا ١ فَأَوْثَقْتُهُ ، وَحَمَلْتُهُ ، ثُمَّ أَقْبَلْتُ بِهِ ، إِذْ اسْتَقْبَلَنِي
غَلَامٌ كَأَنَّهُ فَلَقَةٌ قَمَرٍ لَهُ ضَفِيرَتَانِ قَدْ قَارَبَتَا عَجِيزَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الْخَشْفَ ،
وَقَفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْنَفَسُ الصُّعْدَاءُ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ ، وَهُوَ يَبْكِي :

وَذَكَرَنِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ ، مَحَاجِرُ ظِيٍّ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ
فَقُلْتُ ، وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي بِحُرْقَةٍ ، وَلَحْظِي إِلَى عَيْنَيْهِ لِحِظَةِ شَاخِصٍ :
أَلَا أَيُّهَذَا الْقَانِصُ الظِّيَّ خَلَّهَ ! وَإِنْ كُنْتُ تَأْبَاهُ ، فَمَرُّ بِقَلَانِصِي
خَفِ اللَّهُ لَا تَحْبِسْهُ ! إِنْ شَبَّيْهَهُ حَيَاتِي ، وَقَدْ أَرَعَدَتْ فِيهِ فَرَا .

قال : ثُمَّ بَكَى ، قال : فقلت : دُونَسْكَه يَا فَيَّ فَهُوَ لَكَ ، قال :
فَعَمَدَ إِلَيْهِ فَحَلَّهَ ، ثُمَّ قَبَّلَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ .

قال : فَمَرَّ الظِّيُّ وَأَتْبَعَهُ بِصَرِهِ يَبْكِي فِي أَثَرِهِ ، قال : ثُمَّ سَكَنَ ،
فقلت : يَا فَيَّ أَلَاكَ حَاجَةٌ ؟ قال : نَعَمْ ! قلت : مَا هِيَ ؟ قال : تَبْلُغُ مَعِيَ
الْحَيَّ . قال : فَوَصَلْتُ مَعَهُ الْمَنْزِلَ ، قال : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، إِذَا بِهِ يَسُوقُ
عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : دُونَسْكَهَا ، فَاْمْتَنَعْتُ ، فَأَبَى إِلَّا قَبُولَهَا .
قال : فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقَالُوا : هَذَا فَيَّ يَهُوَى فَتَاةً مِنَ الْحَيَّ .

١ الخشف : ولد الطليبي أول ما يولد .

العجوز المتصاية

أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد العدل أن أبا عبيد الله محمد بن عمران أخبرهم في ما أجاز لهم قال : حدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

إني لفي سوق ضَرِيَّةَ ، وقد نزلتُ على رَجُلٍ من بني كِلَابٍ ، وكان متروِّجاً بالبصرة ، وكان له أهلٌ بِضَرِيَّةَ ، إذ أقبلتُ عجوزٌ على ناقةٍ لها حَسَنَةُ البزَّةِ ، يُتَخَيَّلُ فيها باقي جمالٍ ، فأناخت ، وعَقَلَتِ ناقةَها ، وأقبلتُ تَتَوَكَّأُ على مِحْجَنٍ^١ لها ، فجلستُ قريباً منّا ، فقالت : هل من مُنْشِدٍ ؟ فقلتُ للكلابي : أبَحْضَرُكَ شيءٌ ؟ فقال : لا ! فأنشدتها شعراً لبِشْرِ بن عبد الرحمن الأنصاري ، وهو :

وَقَصِيرَةَ الْإِيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ بَاعَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ
مَحْذِيَّاتِ أَخِي الْهُوَى غُصَصَ الْجَوَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقْلَةٍ رِيَمِ^٢
صَفْرَاءَ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ ، كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَّاعُ سَقِيمِ^٣
فَجَشَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ، وَأَقْبَلَتْ تَنْكُتُ الْأَرْضَ بِمِحْجَنِهَا وَأَنْشَأَتْ
تَقُولُ^٤ :

قِفِي يَا أَمَامَ الْقَلْبِ ، نَقْضَ لُبَانَةٍ وَتَشْكُ الْهُوَى ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَا لَكَ
فَلَوْ قُلْتَ طَاءُ فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَى مِنْكَ لِي أَوْ مِنَّةٌ مِنْ نَوَالِكَ
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا ، هُوَى مِنْكَ لِي أَوْ هَفْوَةٌ مِنْ مَلَالِكَ

١ المحجن : العصا المنعطفة الرأس .

٢ المحذيات : لعله من أحذاه أعطاه قسمه من الغنية ، فيكون المعنى المجازي انهن أعطين أخا الهوى حصّة النصص .

٣ الجواء : الوادي المتسع ، واسم موضع . الرداع : عودة المرض .

٤ الأبيات الآتية هي لعبد الله بن الدمينة ، شاعر إسلامي ، مشهور ببرقة شعره وعاطفته .

سَلَى البَانَةَ العُلْيَا مِنَ الأَجْرَعِ الذي به البانُ، هل حاولتُ غيرَ وصالكِ
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً، قِيَامَ سَقِيمِ القَلْبِ، وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ
لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِ بِكَفِّي عَلَى الحِشَاءِ، وَرَقْرَاقُ دَمْعِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكَ
قال الأصمعي : فَأُظْلِمْتُ وَاللَّهِ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِحُلَاوَةِ مَنْطِقِهَا ، وَفَصَاحَةِ
لَهْجَتِهَا ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا فَقُلْتُ : نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ لَمَّا زِدْتَنِي مِنْ هَذَا ؟ فَرَأَيْتُ
الضَّحِكَ فِي عَيْنَيْهَا ، وَأَنْشَدْتُ :
وَمُسْتَحْقِبَاتٌ لَيْسَ يَحْقِيقُنَّ زُرْنَنَا ، وَيَسْحَبْنَ أَذْيَالَ الصَّيَانَةِ وَالشُّكْلِ^١
جَمْعَ الهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَ كُنْهَهُ نَزَعْنَ ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِيضَاتٌ رَجَعِ الْقَوْلُ خُرُسٌ عَنِ الحَنَا ، تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ القُلُوبِ بِلَا بَدَلِ
مَوَارِقُ مِنْ حَبْلِ المُحِبِّ عَوَاطِفُ^٢ بِحَبْلِ ذَوِي الأَلْبَابِ بِالْحِدِّ وَالْهَزْلِ
يُعْتَفْنِي الْعُدَّالُ فِيهِنَّ ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أَطِيعَ ذَوِي الْعَدْلِ
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ ، وَالَّذِي خَلَقَكَ ! فَقَالَتْ : أَكْذَاكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ !
قَالَتْ : فَتَنْشُرِكُ فِي هَذَا الإِحْسَانِ غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ قَامَتْ ، فَوَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ
مُنْشِدَةً بَعْدَهَا أَحْلَى الْفَاظَ مِنْهَا .

أماتها ومات أسفاً عليها

وجدت بخط أبي عمر بن حيويه، رحمه الله، ونقلته منه قال : حدثني أبو بكر محمد بن خلف
المحولي قال : حدثنا أبو عبد الله التميمي قال : أخبرنا زياد بن صالح الكوفي قال :
كان العلاءُ بن عبد الرحمن التَّغْلَبِي من أهل الأدب والظَّرف ، فَوَاصَلَتْهُ
.....
١ المستحقيات من استحقب الشيء : ادخره، أو من استحقبه : شده في مؤخر رحله واحتمله خلفه .
يحققن من حقه : أركبه وراه . ولا ندري ما المراد . الشكل : الدلال .
٢ مارقات : خارجات خروج السهم من الرمية . العواطف : لعل المراد بالعواطف ، الميلات
حبل المشاق ، عابثات بهم ، فتكون الباء في بحبل زائدة ، والعواطف : المشفقات .

جارية من جَوَّاري القِيان ، فكان يُظهرُ لها ما ليس في قلبه ، وكانت الجاريةُ
على غاية العِشق له ، والميل إليه ، فلم يزَّالاً على ذلك حتى ماتت الجاريةُ
عِشْقاً له وَوَجْداً به ، فذكرها بعد ذلك وَأَسِيفَ على ما كان من جَفائِه لها
وإِعْرَاضِه عنها ، فرآها ليلةً في مَنامه ، وَهي تقول له :

أَتَبْكِي بَعْدَ قَتْلِكَ لِي عَليَّنا ، فَهَلَّا كَانَ ذَا إِذْ كُنْتُ حَيًّا
سَكَبْتَ دُمُوعَ عَيْنِكَ فِي أَنْهالٍ ، وَمَنْ قَبْلَ الْمَمَاتِ تُسَيِّ إِلَيَّ
فِيَا قَمِراً بَرَى جِسمِي وَرُوحِي ، وَيَقْتُلُنِي وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
أَقِلَّ مِنَ النَّبَاحَةِ وَالْمَرَاثِي ، فَلَمَّا أَرَاكَ صَنَعْتَ شَيْئاً
قال : فزَادَ ما كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْفِ وَالْغَمِّ وَالْبُكْي ، حَتَّى فَاضَتْ
نَفْسُهُ فَمَاتَ .

عذبة الأناب

أبنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي التوزي قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن
المأمون قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال :

قال جميل بن معمر :

خَلِيلِي عُوجًا الْيَوْمَ حَتَّى تُسَلِّمًا عَلَى عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
فَإِنَّكُمْ إِنِ عُجْتُمَا لِي سَاعَةً شَكَرْتُكُمْ حَتَّى أُغَيَّبَ فِي قَبْرِي
وَأَنْتُكُمْ إِنِ لَمْ تَعُوجَا فَلَنْتِي سَأَصْرِفُ وَجْدِي ، فَأَذْنا الْيَوْمَ بِالْهَجْرِ
وَمَا لِي لَا أَبْكِي ، وَفِي الْأَيْكِ نَائِحٌ ؟ وَقَدْ فَارَقْتَنِي شَخْتَةُ الْكَشْحِ وَالْخَصْرِ

١ تسي : سهل تسي .

٢ الشخنة : الدقيقة ، الضامرة . الكشح : ما بين السرة ووسط الظهر .

أَيْبَكِي حَمَامُ الْأَيْلِكِ مِنْ فَقْدِ الْفِهِ
يَقُولُونَ: مَسْحُورٌ يُجَنُّ بِذِكْرِهَا،
فَأَقْسِمُ لَا أَنْسَاكَ مَا ذَرَّ شَارِقُ،
وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُعَلَّقُ،
لَقَدْ شَغِفْتَ نَفْسِي، بُشَيْنَ، بِذِكْرِكُمْ،
ذَكَرْتُ مَقَامِي لَيْلَةَ الْبَانِ قَابِضاً
فَكِدْتُ، وَلَمْ أَمْلِكْ إِلَيْهَا صَبَابَةً،
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ أَبِيتَ لَيْلَةً
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالْحَدِيثِ وَتَارَةً
فَلَيْتَ الْهَوَى لِي قَدْ قَضَى ذَاكَ مَرَّةً،
فَلَوْ سَأَلْتُ مَنِي حَيَاتِي بِذَلِكَهَا،
وَأَحْمِلُ مَا بِي عَنْ بُشَيْنَةَ مِنْ صَبْرٍ
فَأَقْسِمُ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ، وَلَا سِحْرِ
وَمَا خَبَّ آلُ فِي مُلَمَّعَةٍ قَفَرٍ
وَمَا تَوَرَّقُ الْأَغْصَانُ مِنْ وَرَقِ السُّدْرِ
كَمَا شَغِفَ الْمَخْمُورُ، يَا بَثْنُ، بِالْحَمْرِ
عَلَى كَفِّ حَوْرَاءِ الْمَدَامِ كَالْبَدْرِ
أَهِيمُ، وَفَاضَ الدَّمْعُ مِنِّي عَلَى النَّحْرِ
كَكَلْبَاتِنَا حَتَّى يُرَى سَاطِعُ الْفَجْرِ
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالرُّضَابِ مِنَ الشَّغْرِ
فَيَعْلَمَ رَبِّي، عِنْدَ ذَلِكَ، مَا شُكْرِي
وَجَدْتُ بِهَا إِنَّ كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِي

بكيت من الفراق

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري بقراءتي عليه قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس
ابن حيويه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال :
أنشدني إبراهيم بن عمرو لمحمد بن أبي أمية :

بَكَيتُ مِنَ الْفِرَاقِ غَدَاةً وَلَتَ
فَمَا رَقَاتُ دُمُوعُ الْعَيْنِ حَتَّى
غَدَا أَحَدُو مَطَايَا الشَّوْقِ مِنِّي
وَأَسْتَبْطِي إِلَى بَغْدَادَ سَيْرِي،
بَنَا بَزْلُ الرِّكَابِ عَنِ الْعِرَاقِ
شَفَى قَلْبِي الْعِرَاقُ مِنَ الْفِرَاقِ
بِسَوْقٍ لَا يُقِيمُ عَلَى الرِّفَاقِ
وَلَوْ أَنِّي حُمِلْتُ عَلَى الْبُرَاقِ

١ الآل : ما يرى كالسراب . الملمعة : الغلاة التي يلعب فيها السراب .

آه من الحب

حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأندلسي من لفظه قال : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي قال : حدثني القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع قال : حدثنا أبو علي القالي قال :

أنشدنا ابن عرفة نيفطويه لابن أبي مرة المكي :

إنَّ وَصَفُونِي، فَتَسَاحِلُ الْحَسَدِ ، أَوْ فَتَشُونِي فَأَبْيَضُ الْكَبِدِ^١
ضَاعَفَ وَجْدِي وَزَادَ فِي سَقَمِي أَنْ لَسْتُ أَشْكُو الْهَوَى إِلَى أَحَدٍ
آه من الحب ! آه ، وَاكْبِدِي ! إِنَّ لَمْ أُمِتْ فِي غَدٍ فَبَعْدَ غَدٍ
جَعَلْتُ كَفِّي عَلَى فُؤَادِي مِنْ حَرِّ الْهَوَى، وَأَنْطَوَيْتُ فَوْقَ يَدِي
كَأَنَّ قَلْبِي، إِذَا ذَكَرْتُكُمْ ، فَرِيَسَةً بَيْنَ سَاعِدَيْ أُسَدٍ

قاتل الله الحمى

قال : وأخبرنا الأشرف قال :

قرأتُ على أبي العباس الأعرابي :

أَيَا مُنْشِرَ الْمَوْتِ أَقِدْنِي مِنَ الَّتِي بِهَا نَهَلْتُ نَفْسِي سَقَاماً وَعَلَّتِ^٢
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَذَى الْعَيْنِ مِنْ ضَاحِي التَّرَابِ لَضَنْتِ^٣

١ اراد بأبيض الكبد : انه عليل ، قد فقد دمه فابيضت كبده .

٢ أقامه به : قتله بدلا منه . نهلت : شربت اول الشرب . علت : شربت ثانية .

٣ القذى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها فيؤذيها . الضاحي : البارز للشمس . ضنت : بخلت .

أَلَا مَن لَعَيْنٍ لَا تَرَى قُلُلَ الحِمَى ، وَلَا حَبَبَ الأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ^١
 أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الحِمَى مِنْ مَقَامَةٍ ، وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهِ كَيْفَ وَلَّتِ
 فَمَا أُمَّ بَوٍّ هَالِكٍ بِنُفُوسَةٍ إِذَا ذَكَرْتَهُ آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّتِ^٢
 وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَةٍ قَذَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النُّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ
 إِذَا ذَكَرْتَ نَجْدًا وَطَيْبَ تَرَابِهِ ، وَبَرَدَ الحَصَى مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ أَرَنْتِ^٣
 بِأَكْثَرِ مَنِّي لَوْعَةً ، غَيْرَ أَنِّي أَطَامِنُ أَحْشَائِي عَلَى مَا أَجْنَتِ^٤

حديث كالقطر

وباسناده قال : حدثنا القالي قال : قرأت في نوادر ابن الأعرابي عن أبي عمر المطرز الاعرابي قال أبو عمر :

أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي :

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سِنِينَ تَتَابَعَتْ جَدُّبَا
 فَأَصَاخَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيًّا ، وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ : أَيَا رَبَّا

-
- ١ القل ، الواحدة قلة : القمة . الحبيب : الفقايع التي تملو الماء . الأوشال ، الواحد وشل : الماء القليل . استهلت : أفاضت الدمع .
- ٢ البو : ولد الناقة . التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس .
- ٣ أرنت : اعولت .
- ٤ أجنت : سرت .

حديثها السحر الحلال

وأحسن ابن الرومي في هذا المعنى قوله :
وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ، وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمُحَدِّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجِزِ
شَرَكُ الْعِيُونِ، وَفِتْنَةُ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِرِ^١

حديث كقطع الرياض

قال : وأنشدني بعض أصحابنا لبشار :
وَكَأَنَّ حُلُوقَ حَدِيثِهَا ، قِطْعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرًا
وَكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا هَارُوتَ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَخَالَ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرِّ بِصَفَاوَا فِئْتَقَ مِنْكَ فِطْرًا

ما لي وللعيد

أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال :
أنشدني أبو عبد الله بن حجاج لنفسه :
قالوا : غَدَا الْعِيدُ فَاسْتَبْشِرْ بِهِ فَرَحًا ! فَقُلْتُ : مَا لِي وَمَا لِلْعِيدِ وَالْفَرَحِ
.....
١ العقله : ما يعقل به أي يربط . المستوفز : المتهيب للوثوب .

قَدْ كَانَ ذَا، وَالنَّوَى لَمْ تُضَحِ نَازِلَةً،
 بِعَقَوْتِي، وَغُرَابُ الْبَيْنِ لَمْ يَتَّصِحْ^١
 أَيَّامَ لَمْ يَخْتَرِمَ قُرْبِي الْعِبَادُ، وَلَمْ
 يَغْدُ الشَّتَاتُ عَلَيَّ شَمْلِي وَلَمْ يَرْحُ^٢
 وَطَائِرُ طَارَ فِي خَضِرَاءَ مُورِقَةٍ
 عَلَى شَفَا جَدُولٍ بِالرَّوْضِ مُنْتَشِحٍ
 بَسَكِي وَنَاحَ، وَلَوْلَا أَنَّهُ سَبَبُ
 لَشَجْوِ قَلْبِي الْمُنْعَنَى فَيْكَ لَمْ يَنْحِ
 فَمَا ذَكَرْتُكَ، وَالْأَقْدَاحُ دَائِرَةٌ،
 إِلَّا مَزَجْتُ بِدَمْعِي بِكَ يَا قَدْحِي
 وَلَا سَمِعْتُ بِصَوْتٍ فِيهِ ذِكْرُ نَوَى إِلَّا عَصَيْتُ عَلَيْهِ كُلَّ مُقْتَرِحِ

محتضر يصف نفسه في ساعة الموت

أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بفسطاط مصر قال : أخبرنا أبو صالح محمد بن أبي عدي
 السمرقندي الصوفي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن القاسم بن اليسع بالقراة قال : حدثنا
 أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الدينوري قال : حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي
 الحياط قال : قال أبو حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي قال : حدثنا أبو كامل الحراني قال :
 حدثني أبو محمد بن زرعة قال :

كَانَ خَضِرُ بْنُ زَهْرَةَ الشَّيْبَانِي مِنْ أَعْبِدِ الصَّوْفِيَّةِ ، وَأَنْتَسَكَهُمْ وَأَشَدَّهُمْ
 اجْتِهَاداً ، وَأَمْلَكَهُمْ لِنَفْسِهِ ، وَكَانَ مَقْبُولَ الْقَوْلِ مُطَاعاً فِي بَلَدِهِ ، فَارِساً
 شُجَاعاً ، ذَا مَالٍ وَأَفْرَ ، فَتَنَشَأُ لَهُ غَلَامٌ قَدْ رَبَّاهُ كَأَحْسَنِ مَا رُؤِيَ مِنَ الْغِلْمَانِ
 فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِ الْحَدِيثِ وَحَسَنِ الْمُنَاطَرَةِ وَالْأَدَبِ وَالْعِبَادَةِ ، وَكَانَ
 قَدْ أَخَذَ عَنْهُ ، وَسَمِعَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ النَّاسِ يُوَازِيهِ بِهِ فِي الْفُرُوسِيَّةِ وَالشُّجَاعَةِ
 وَالْمَعْرِفَةِ ، وَكَانَا مُلَازِمَيْنِ لِلْغَزْوِ ، فَخَرَجَا فِي بَعْضِ السَّرَايَا ، فَأَصِيبَتْ
 السَّرِيَّةُ ، وَأَفْلَتَ مِنْهَا جَرَحِي ، وَفِيهَا خَضِرٌ وَغَلَامُهُ جَرِيحَانِ ، مُشَخَّنَانِ ،

١ العقوة : الساحة ، المحلة .

٢ يخترم : يتأصل .

فكتمنا في بعض الغياض ، فاشتدَّت عِلَّةُ الغلام ، وَضَعُفَ عَنْ الحَرَكَتِ
وَالنَّهْوِضِ ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، وَنَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ ، فَأَقْبَلَ يَضْحَكُ أحيانًا ،
وَيَسْكِ أحيانًا ، فقال له خضرٌ : ممَّ تَضْحَكُ يا بُنَيَّ ؟
قال : أَضْحَكُ إِلَى جَوَارٍ يَضْحَكُنَ إِلَيَّ ، وَيُقْبِلَنَ بوجوهٍ هينٍ عليَّ .
قال : فما يبكيك ؟

قال : أبكاني فراقُكَ وَحَبْسُكَ في الدُّنْيَا بعدي .
قال : أما لئن قلتَ ذلك يا بُنَيَّ ليكونَ عمري بعدَكَ قَصِيرًا ، وَحُزْنِي
عليكَ كَثِيرًا ، وَفَرَحِي بعدَكَ قَلِيلًا ، وَقَلْبِي بِفِرَاقِكَ عَمِلِيًا ، فَسُبْحَانَ
من أَبْقَانِي بعدَكَ للأحْزَانِ ، وَعَرَّضَنِي لِنَوَائِبِ الزَّمانِ ، وَجَعَلَنِي غَرَضًا
لِنَوَازِلِ الحِداثِ .
وَبَكَى حَتَّى انْقَطَعَ عَنِ الكَلَامِ ، فقال له : لا تَبْكِ فَإِنَّ لِقَاءَنَا قَرِيبٌ ،
وَاجْتِمَاعُنَا سَرِيعٌ .

فقال : أَنوصي بشيء يا بُنَيَّ حَتَّى أبلغَ فيه محبوبَكَ ؟
قال : نعم ! قال : قل ! قال : عليك بالصَّبْرِ بعدي ، فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ
الْأَبْرَارِ ، وَمَعْقَلُ الْأَخْيَارِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجَزَعَ ، فَإِنَّهُ سَبِيلٌ لِكُلِّ ضَعِيفٍ ،
وَمُعَوَّلٌ كُلِّ خَاطِئٍ ، وَإِيَّاكَ وَالزَّيْغَ ، وَالزَّمَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ
أَنْ يُقَدِّمَ بِكَ عَلَى غِيبَةِ وَسْرُورٍ وَسَعَادَةٍ وَحُبُورٍ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مَا أَعَدَّ اللهُ
تعالى لي مِنَ الْكِرَامَةِ ، وَتَفَضَّلَ عَلَيَّ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، لَأَحْبَبْتَ أَنْ تَكُونَ
الْمُقَدِّمَ إِلَيْهِ قَبْلِي .

فقال : لقد سررتني يا بُنَيَّ بما وَصَفْتَ ، وَغَبَطْتُكَ بما قد بَلَغْتَ ،
فهل بقيَ سَبِيلٌ أُمِرُ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا تُحِبُّ أَنْ تُبْلِغَهُ حَتَّى أبلغَهُ لَكَ إِنْ رَزَقَنِي
اللهُ العَافِيَةَ ، وَتَخَلَّصْتُ سَالِمًا ، وَوُهِبَتْ لي الْحَيَاةُ .

قال : نعم ! تجعل لي معك سَهْمًا في حَسَبِكَ وَغَزْوِكَ وَصَدَقَتِكَ .
قال : قد فعلتُ ، لَوَالِدِي الثَّلَثُ وَلَكَ الثَّلَثُ ، مِمَّا تَفَضَّلَ اللهُ بِهِ عَلَيَّ

من الأجر .

فقال : أمّا إذ بدا لك ما سألت ، فإني أقولُ شيئاً لم أكن قلتُه لك ، ولا أطلعك عليه : ما أتيتُ أمراً من أمورِ الخيرِ إلّا قلتُ : اللهمّ ما قسمتَ لي فيه من أجرٍ فاجعله لمولايَ دوني . .

قال : بمَ استحققتُ ذلك منك يا بني ؟

قال : لأنك ملكتني صغيراً ، فأحسنْتَ ملكي ، وصحبتني كبيراً ، فوفقتَ في صحبتي ، وخفيتَ مقامَ الله فيّ ، ونزّهتَ نفسك عن السوء ، وصنّيتني عن أفعالٍ قد كانت عن غيرك مأثورةً عنهم ، ومحفوظةً مشهورةً ، قد تحدّثَ بها النّسّاكُ عنهم وسمعوها منهم ، وشهدتَ الحفظةُ وكتبتهَا الملائكةُ من هجومهم على السيئاتِ ورُكوبهم الفاحشاتِ ، وجُموحهم في الباطلِ وتركهم سبيلَ الحقِّ ، وإيثارهم لشهواتهم في جميعِ حالاتهم ؛ وقد صحبتك على مرّ الأيّام وكرّر السنين فلم أركَ تُؤثّرُ شيئاً من هوائِكَ على أمرٍ آخرتك ، ولم أرَ أحداً اللهُ أهيبُ في قلبه منك ، فنفعتك اللهُ بذلك ، وجعله سبباً للنظرِ إلى وجهه ، والبلاغِ إلى رحمته ، والخلوة في داره ، والمقامِ في جواره .

قال أبو محمد بن زُرعة : فدنوتُ منه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! اجعلني

في شفاعتك .

قال : أنت الرفيقُ والصّاحبُ ؛ أنت أوّلُ مَنْ أشفعُ له بعد مولاي ،

ولهؤلاء الذين معك .

فقال له مَوْلَاهُ : يا بُني ! هل تجدُ للموتِ ألماً ، وتَرى من مقدّماته عِلماً ؟ فإن كنتَ تَرى شيئاً ، فحدّثني بكلِّ ما تراهُ قبلَ أن تُغلبَ على الحديثِ ، فلا يُمكنك أن تُخبرني بشيءٍ ممّا تجدُ أو تَرى .

قال : أمّا ما أجدهُ فإني أجِدُ قلبي كأنّه سَعْفَةٌ في يومِ ريحٍ عاصِفٍ من خفقانه ، أو ريشةٌ في جناح طائرٍ إذا أمعنَ في طيرانه ؛ وأجدُ نفسي ساعةً بعد ساعة تذبُّلُ كالسّراجِ إذا أرادَ أن يطفأ ؛ وأجدُ عيني كأن

الأسِنَّة تَنْخَسُّهَا ، فما أَقْدِرُ على جَمْرَةٍ تَتَوَقَّدُ ؛ وَأَجِدُ عَظَامِي كَأَنَّهَا بَيْنَ رَحِييْنِ تَطْحَنَانِهَا ؛ وَأَجِدُ أَمْعَائِي وَأَحْشَائِي كَأَنَّهَا فِي أَفْوَاهِ سِبَاعٍ تَمَضْغُهَا .
فبكى خضرٌ وَقَالَ : كُفَّ عَنِّي ، لَا تَصِفْ شَيْئاً ، فَقَدْ كَادَ عَقْلِي أَنْ يَذْهَلَ بِصِفَتِكَ وَقَلْبِي يَتَصَدَّعُ مِمَّا نَزَلَ بِكَ .

فَقُلْتُ لَهُ : أَلَيْسَ فِي مَا سَمِعْتَ وَسَمِعْنَا أَنَّ الشَّهِيدَ لَا يَجِدُ مِنَ أَلَمِ السَّلَاحِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ أَلَمَ الشَّوْكََةِ أَوْ أَقْلٍ ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : فَقُلْتُ : أَفَلَسْتَ شَهِيداً مِثْلَهُمْ ؟ قَالَ : بَلَى ! قُلْتُ : فَمَا بِالْكَ أَنْتَ تَأْلُمُ مِنْ بَيْنَهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّمَا ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ النَّفْسِ وَرُؤْيَا مَلَكِ الْمَوْتِ ، وَلَمْ أَبْلُغْ بَعْدُ إِلَى ذَلِكَ .
فَقَالَ لَهُ خَضِرٌ : فَهَلْ تَرَى شَيْئاً ؟

قَالَ : أَرَى صُوراً مُقْبِلَةً لَهَا أَجْنِحَةٌ تَطِيرُ بِهَا ، تُرْفَرِفُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ .

قَالَ : فَهَلْ قُرْبَ مِنْكَ أَحَدٌ مِنْهَا ؟

قَالَ : نَعَمْ جَمَاعَةٌ .

قَالَ : صِفْهُمْ لِي .

قَالَ : أَرَى صُوراً لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا مِنْظَراً ، بَعْضُهُمْ جَنَاحَاهُ مِنْ لَوْلُوٍّ وَسَائِرُ بَدَنِهِ مِنْ يَاقُوتٍ ، وَبَعْضُهُمْ جَنَاحَاهُ مِنْ يَاقُوتٍ وَسَائِرُ بَدَنِهِ مِنْ زُمُرُودٍ .
قَالَ : فَهَلْ تَرَى مَلَكَ الْمَوْتِ ؟

قَالَ : مَا أَرَاهُ ! أَلَيْسَ فِي مَا كَتَبْتَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَايَنَ مَلَكَ الْمَوْتِ شَخْصَ ثُمَّ أَمْسَكَ سَاعَةً فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ؟
فَقَالَ لَهُ خَضِرٌ : هَلْ تَرَى شَيْئاً ؟

قَالَ : أَرَى شَخْصاً قَدْ هَبَّطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى سَدَّ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ ، قَدْ نَشَرَ أَجْنَحَتَهُ ، فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ مِنْ حُسْنِهِ وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا مِنْ نُورِهِ ، وَسَكَنَ عَنِّي مَا أَجِدُ مِنَ الْأَلَمِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَمَا أَحْسَنَ مِنْهُ شَيْئاً ، ثُمَّ سَكَتَ ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

نومة عبود

ذكر أبو بكر محمد بن الفضل بن قدير في مجموعه قال : حدثني محمد بن أحمد البراز قال :
حدثني عبد الله بن محمد أبو جمعة الوراق قال :

أُخْبِرْتُ أَنَّ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ الْكَوْفَةَ فَقَالَ لِأَبِي الْأَحْوَصِ مُحَمَّدِ بْنِ حِيَانَ الْكُوفِيِّ : حَدِّثْنَا حَدِيثًا مِنْ طَرَائِفِ الْأَخْبَارِ بِمَا حَضَرَكَ ، قَالَ :
كَانَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ عَبُودُ وَكَانَ عَاشِقًا لِابْنَةِ عَمٍّ لَهُ فَحَضَرَتْهَا الْوَفَاةُ ، فَأَزْعَجَهُ ذَلِكَ ، وَأَقْلَقَهُ ، فَلَمَّا تَوَفِّيَتْ صَارَ إِلَى الْمَسِيحِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُحْيِيَهَا قَالَ : لَنْ يَتَهَيَّأَ ذَلِكَ أَوْ تَهَبَ لَهَا مِنْ عَمْرِكَ شَيْئًا . قَالَ : قَدْ وَهَبْتُ لَهَا نِصْفَ عُمْرِي ، فَصَارَ الْمَسِيحُ إِلَى تَرْبُوتِهَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَهَا فَأَحْيَاهَا ، فَأَخَذَ يَسُدُّهَا عَبُودٌ ، وَمَضَى يُرِيدُ بِهَا أَهْلَهُ ، فَأَدْرَكَهُ الْفَتُورُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، فَحَطَّ رَحْلَهُ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا ، وَاسْتَقْلَ نَوْمًا .

فاجتازَ بِهَا مَلِكُ النَّاحِيَةِ فَرَأَى وَجْهًا جَمِيلًا وَخُلُقًا حَسَنًا ، فَعَرَضَ عَلَيْهَا صُحْبَتَهُ ، فَأَجَابَتْهُ ، فَأَمَرَهَا ، فَوَضَعَتْ رَأْسَهُ مِنْ حِجْرِهَا ، وَحَمَلَهَا فِي قَبَّةٍ كَانَتْ مَعَهُ ، فَلَمَّا انْتَبَهَ عَبُودُ بَقِيَ مَتَلَدًا^١ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ تَلَقَّاهُ نَفَرٌ يَتَوَاصَفُونَ الْجَارِيَةَ وَبَرَّاعَةَ خَلْقِهَا ، فَسَأَلَهُمْ عَنِ الْخَبَرِ ، فَأَسْمَوْهُ أَنَّهُمْ رَأَوْا مَعَ الْمَلِكِ امْرَأَةً قَدْ حَمَلَهَا فِي قَبَّةٍ ، مِنْ حَالِهَا وَصِفَتِهَا ، فَلَمْ يَنْزَلْ يَقْفُو الْأَثَرَ حَتَّى لَحِقَهَا فَجَعَلَ يُذَكِّرُهَا الْعَهْدَ ، وَهِيَ سَاكِتَةٌ ، وَيَسْأَلُهَا النَّزُوعَ عَمَّا هِيَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مُزَوَّرَةٌ^٢ عَنْهُ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَيَحْكُ قَدْ كُنْتَ تُؤْفَيْتِ ، فَصُرْتَ فِي جُمْلَةِ الْمَوْتَى ، فَسَأَلْتُ الْمَسِيحَ ، فَأَحْيَاكَ لِي عَلَى أَنِّي أُعْطِيْتُكَ مِنْ عُمْرِي نِصْفَهُ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تُسَاعِدُنِي وَلَا تُصِيرُنِي مَعِيَ إِلَى أَهْلِي

١ متلداً : متعيراً .

٢ مزورة عنه : معرضة عنه .

وأهلك ، فرُدِّي عليّ ما وَهَبْتُ لكِ من عمري .
قالت : فإني قد رَدَدْتُه عليك ، ولا حاجةَ لي فيه ، فما أَتَمَّتْ هذه
الكلمة حتى وَقَعَتْ ميتة ، وَانصَرَفَ عبود إلى أهله مغتبطاً ، فَضَرَبَتْ العَرَبُ
بنومةِ عبودٍ مثلاً .

عمر وعفراء وعروّة

أخبرنا أبو طاهر بن السواق وذكر حديثاً قال : قال أبو عمر محمد بن العباس الخزاز قال :
حدثني أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني أبو محمد البلخي قال : حدثني أحمد بن سراحة
قال : حدثني العباس بن الفرّج قال : سمعت الأصمعي يقول عن ابن أبي الزناد قال :
قال عمر بن الخطّاب ، رَحِمَهُ اللهُ : لَوْ أدركْتُ عفراءَ وَعُرُوّةَ
لجمعتُ بينهما .

شجرتان ملتفتان على قبرين

وبإسناده قال ابن المرزبان : وحدثني إسحاق بن محمد بن أبان قال : حدثني معاذ بن يحيى قال :
خَرَجْتُ إلى صَنْعَاءَ ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قِيلَ لَنَا : إِنَّ قَبْرَ عَفْرَاءَ
وَعُرُوّةَ عَلَى مَقْدَارِ مِيلٍ مِنَ الطَّرِيقِ . قَالَ : فمَضَيْتُ جَمَاعَةً كُنْتُ فِيهِمْ ،
فإِذَا قَبْرَانِ مُتَلَاصِقَانِ قَدْ خَرَجَ مِنْ كُلِّ قَبْرِ سَاقُ شَجَرَةٍ ، حَتَّى إِذَا صَارَتَا
عَلَى مَقْدَارِ قَامَةِ التَّفْتِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبَتِهَا .
قَالَ إِسْحَاقُ : فَقُلْتُ لِمَعَاذِ أَيِّ ضَرْبٍ هُوَ مِنَ الشَّجَرِ ؟ فَقَالَ : لَا أُدْرِي ،
وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ عَنْهُ ، فَقَالُوا : لَا نَعْرِفُ هَذَا الشَّجَرَ بِبِلَادِنَا .

القلب الخافق

قال أبو بكر بن المرزبان : أخبرني سعيد بن الفضل الأزدي قال :

أنشدني العتيّ لعروّة بن حزام :

لَوْ أَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ وَجْدًا وَمِثْلَهُ مِنْ الْحَيْنِ بَعْدَ الْإِنْسِ يَلْتَقِيَانِ
فِي شَتَاكِيَانِ الْوَجْدِ تُسَمِّتُ أَشْتَكِي لِأَضْعَفَ وَجْدِي فَوْقَ مَا يَجِدَانِ
فَقَدْتُ تَرَكْتُني مَا أَعْيَ لِمُحَدِّثٍ حَدِيثًا، وَإِنْ نَاجَيْتُهُ وَتَجَانِي
لَقَدْ تَرَكْتُ عَفْرَاءُ قَلْبِي كَأَنَّهُ جَنَاحُ عُقَابٍ دَائِمِ الْخَفَقَانِ

هاثف الجبل

وجدت بخط ابن حيويه يقول : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف قال : حدثني عبد الواحد بن محمد النجاري قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عدي عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن ملك قال : حدثني عثمان بن عمر التيمي قال :

هَوِيَ قِيَّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَتَاةً مِنْ فَخْذِهِ ، وَكَانَ أَيْسَرَ مِنْهَا وَأَغْنَى ، فَكَانَ أَبُوهُ يُمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، وَيُرِيدُ لَهُ أَشْرَفَ مِنْهَا وَأَيْسَرَ ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِ غَيْرَهَا ، فَيَأْبَى إِلَّا هِيَ ، فَيَسْتَمْنَعُ أَبُوهُ مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ أَبُوهَا قَدْ حَبَسَهَا عَلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا طَالَ عَلَى أَبِيهَا وَأَيْسَرَ مِنْهُ زَوَّجَهَا مِنْ غَيْرِهِ ، فَلَقِيَهَا الْفَتَى يَوْمًا فَقَالَ لَهَا :

لَعَمْرِي، يَا سَعْدِي، لَطَالَ تَأْيَمِي ، وَمَعْصِيَتِي شَيْخِي فَيْكَ كَلَيْهِمَا
وَتَرَكِي ذَا الْحَيِّينِ لَمْ أَبْغِ مِنْهُمَا سِوَاكَ، وَلَمْ يَرْبَعْ هَوَايَ عَلَيْهِمَا

١ يربع : يتوقف .

فقلت الجارية :

حَبِيبِي لَا تَعْجَلْ لِنَفْسِهِمْ حُجَّتِي ، كَفَانِي مَا بِي مِنْ بَلَاءٍ وَمِنْ جُهْدٍ
وَمِنْ عِبَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الْوَجْدِ
غُلِبْتُ عَلَى نَفْسِي جَهَاراً وَلَمْ أُطِقْ خِلَافاً عَلَى أَهْلِي بِهِزْلٍ وَلَا جِدّاً
وَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أَمُوتَ بِرُغْمِهِمْ ، غَدَاً ، جَوْفَ هَذَا الْغَارِ فِي جَدَثٍ وَحْدِي
فَلَا تَنْسَ أَنْ تَأْتِيَ هُنَاكَ ، فَتَلْتَمِسَ مَكَانِي فَتَسْلُو مَا تَحْمَلْتُ مِنْ جَهْدِي

فلما كان في غدٍ أتاهما حيث زعمت له ، فوجداهما ميتةً فحملها ،
فأدخلها شعباً ثم التزمتهما فمات معها ، قال : فالتمسا حولاً ، فلم يُقدر
عليهما ، ولم يُعلم لهما خبر ، فإذا هاتِفٌ يَهْتِفُ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي هُمَا فِيهِ ،
وكان الجبل يُدْعَى أَعْرَافاً :

إِنَّ الْكَرِيمَيْنِ ذَوِي التَّصَافِي الذَّاهِبَيْنِ بِالْوَفَاءِ الصَّافِي
وَاللَّهِ مَا لَاقِيْتُ فِي تَطَوَّافِي أَبْعَدَ مِنْ غَدَرٍ وَمِنْ إِخْلَافِ
مِنْ مَيِّتَيْنِ فِي ذُرَى أَعْرَافِ

قال : فصعد القومُ الجبل ، فوجدوهما ميتين فوآروهما .

المجنون الهائج

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي إن لم يكن سماعاً فإجازة قال : أخبرنا أبو
صمر بن حيويه قال : حدثنا ابن المرزبان قال : حدثني محمد بن عبد الله بن الفضل قال : حدثني
أحمد بن معاوية قال :

رَأَيْتُ مَجْنُوناً وَاقِفاً بِصَحْرَاءَ أَثِيرٍ ٢ ، وَقَدْ هَاجَ ، وَهُوَ يَقُولُ :
هَدَّ رُكْبِي الْهَوَى وَكُنْتُ جَسليداً ، وَرَأَيْتُ الْفِرَاقَ مُسْرّاً شَدِيداً

١ قوله : فتلتس هكذا في الأصل مجزوم لغير جازم ، والوجه النصب .

٢ أثير : موضع .

النامسك العاشق

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف الواعظ بقراءتي عليه قال : حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين الواعظ قال : حدثنا جعفر بن محمد قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال : حدثنا فضل اليزيدي قال : حدثني اسحاق بن ابراهيم بن المهدي بن عمرو الهلالي قال : سمعت أبا يحيى التيمي يقول :

كان يختلفُ معنا في من النساءِ يُقالُ له أبو الحسينِ إلى مسعر بن كدام^١ ، وكان يختلفُ معه في حسنُ الوجهِ يفتنُ الناسَ ، إذا رآوه ، فأكثرَ الناسُ القولَ فيه ، وفي صحبتِهِ إِيَّاهُ ، فمنعه أهلُهُ أن يَصْحَبَهُ ، وأن يُكَلِّمَهُ ، فذهَلَ عقلُهُ حتى خُشِيَ عليه التلفُ ، فبلغَ ذلكَ مسعراً ، فقال : قولوا له لا تَقْرَبْنِي ، ولا تَأْتِ مجلسي ، فإني له كارهٍ ، فلقِيتهُ ، فأخبرتهُ بذلك ، فتتَفَسَّ الصَّعْدَاءُ ، ثمَّ أنشأ يقول :

يَا مَنْ بَدَائِعُ حُسْنِ صُورَتِهِ ، تُشْنِي إِلَيْهِ أَعْيُنَ الْحَدَقِ
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ ، نَظَرٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى الطَّرْقِ
لَكِنَّهُمْ سَعِدُوا بِأَمْنِهِمْ ، وَشَقِيتُ حِينَ أَرَاكَ بِالْفَرَقِ
قال : ثمَّ صرَّخَ صرَّخَةً وَشَخَصَ بِيَصْرِهِ فإذا هو ميت .

لا راحة ولا نوم

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف صاحب بن سمعون بقراءتي عليه من نحو خمسين سنة قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن شاهين ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، حدثنا أبو حاتم السجستاني ، حدثني شيخ ظريف حجازي قال :

كنتُ بمكةَ ، فإذا كان اللَّيْلُ سمعتُ أنيناً إلى جنبي ، فطالَ اللَّيْلُ عليَّ ، فسألتُ عنه فقيلَ لي : فتَّى مريضٌ ، فدخَلْتُ عليه فإذا هو من أحسنِ
١ مسعر بن كدام : شيخ السفينيين .

النَّاسِ وَجْهًا كَأَنَّهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ ، فَكَلَّمْتَهُ ، فَإِذَا هُوَ عَاشِقٌ يُغْلِبُ عَلَى عَقْلِهِ
 حَتَّى يُخَالِطَ ، فَأَصَابَهُ ذَلِكَ وَأَنَا عِنْدَهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ :
 مُتَسَيِّمٌ قَدْ بَرَّاهُ السَّقَمُ ، كَأَنَّهُ نِضْوٌ يُقَاسِي الْأَلَمَ
 فَمَا لَهُ رَاحَةٌ وَلَا نَوْمٌ إِلَى الصَّبَاحِ .

آه من البين

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الازدستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الحسن
 ابن محمد بن حبيب ، سمعت أبا علي الحسن بن محمد الزنجاني الصوفي بأسفرايين ، سمعت عبد
 السعيد المنجوري ، سمعت سهلان القاضي يقول :

بَيْنَا أَنَا مَرَّ فِي طُرُقَاتِ جَبَلِ شُورَى ، وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ قَافِلَةٌ عَظِيمَةٌ ،
 إِذَا بَفَتَى شَابًّا عَلَى طَرِيقٍ ذَاهِبِ الْعَقْلِ مَدْهُوشٍ عُرْيَانٍ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ
 خُلُقَانٌ^١ مُتَمَزِّقَةٌ ، فَقَالَ لِي : أَيْنَ رَأَيْتَ الْقَافِلَةَ ؟ قُلْتُ : فِي مَوْضِعٍ كَذَا
 وَكَذَا . قَالَ : آهِ مِنْ الْبَيْنِ ، آهِ مِنْ الْبَيْنِ ، آهِ مِنْ دَوَاعِي الْحُبِّ ! قُلْتُ :
 مَا دَهَاكَ ؟ فَقَالَ :

شَيَّعَتْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا ،	وَرُحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ	عَلَيَّ إِذْ بَانُوا فَمَا سَلَّمُوا
سَارُوا وَلَمْ يَرَوْا الْمُسْتَهْتَرِ ،	وَلَمْ يُبَالُوا قَلْبَ مَنْ تَيَّمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي ، فَمِنْ أَجْلِهِمْ	أَحَبَّ قَلْبِي كُلَّ مَنْ يَظْلِمُ

١ الخلقان : الثياب البالية .

يوم طش بعد رش

وأخبرنا أبو بكر الاردستاني أيضاً بمكة على باب الندوة ، أخبرنا الحسين بن حبيب المذكر ،
سمعت أبا الفرج أحمد بن محمد النهاوندي يقول :
مَرَرْتُ بِدَرْبِ أَبِي خَلَفَ ، فَإِذَا جَمَاعَةٌ وَقُوفٌ عَلَى مَجْنُونٍ ، فَوَقَفْتُ ،
فَهَشَّ إِلَيَّ ، وَقَالَ :

اسْقِنِي قَبْلَ تَبَارِيحِ الْعَطَشِ^١ ، إِنَّ يَوْمِي يَوْمُ طَشٍ بَعْدَ رَشٍ^٢
حُبُّ مَنْ أَهْوَاهُ قَدْ أَدْهَشَنِي ، لَا خُلُوتُ الدَّهْرَ مِنْ ذَاكَ الدَّهَشِ^٣

ابن أبي البغل والمغنية

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراة عليه سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ٢ ، أخبرنا
القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا ، حدثنا محمد بن أحمد بن الكاتب ، حدثني عبدوس بن
مهدي بالكرج قال :

نَزَلَ عَلَيَّ بَنُ أَبِي الْبَغْلِ ، عِنْدَ تَقْلِيدِهِ الْإِشْرَافَ ، عَلَى عَمَالِ الْجَبَلِ ،
فَزَارَتْهُ مَغْنِيَّةٌ^١ كَانَتْ بِهَا لَهْجاً عَلَى قِلَّةِ إِعْجَابِهِ بِالنِّسَاءِ ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةً ،
وَنَحْنُ قُعُودٌ فِي الْبُسْتَانِ نَشْرَبُ ، وَقَدْ طَلَعَ الْقَمَرُ ، هَبَّتْ رِيحٌ عَظِيمَةٌ^٢
فَقَلَبَتْ صَوَانِينَا^٣ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا شَرَابُنَا ، وَأَقْبَلَتِ الْغُلَامَانُ يَسْقُونَنَا ، فَسَكَرَ
ابْنُ أَبِي الْبَغْلِ عَلَى ضَعْفِ شُرْبِهِ وَقَامَ إِلَى مَرْقَدِهِ ، وَأَخَذَنَا مَعَهُ وَالْمَغْنِيَّةَ ،
فَلَمَّا حَصَلْنَا فِيهِ اسْتَدْعَى قَدَحاً ، وَلَنَا مِثْلَهُ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَغْمُوسَةٌ فِي الْحُسْنِ مَعْشُوقَةٌ^١ ، تَقْتُلُ ذَا اللَّبِّ وَتُحْيِيهِ^٢

١ الطش : المطر الضعيف .

٢ سنة ١٠٥١ م .

٣ الصواني : جمع صينية .

بَمَاتَ يُرِينِيهَا هِلَالُ الدُّجَى ، حَتَّى إِذَا غَابَ ارْتَنِيهِ
وَطَرَحَ الشُّعْرَ عَلَى الْمُغْنِيَةِ فَلَقِينَتْهُ وَغَنَّتْنَا فِيهِ ، وَشَرِبْنَا الْقَدَحَ ،
وَأَنْصَرَفْنَا ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، وَحَضَرْنَا الْمَائِدَةَ ، وَهِيَ مَعَنَا ، فَاتَّخَذَ بِمَا
كَانَ فَحَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ بِمَا جَرَى ، وَلَا بِالشُّعْرِ ، وَاسْتَدْعَى دَفْتَرَهُ ،
فَأَثْبَتَ الْبَيْتَيْنِ فِيهِ .

لا قضاة للعاشقين

أُنبأَنَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ الْقَضَاعِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الصَّبَاحِ لَعَمْرُو
الوصافي :

لَهْفِي عَلَى سَاكِنِ قَصْرِ السَّرَاهِ نَغْصَ حُبِّيهِ عَلَيَّ الْحَيَاةُ
مَا يَنْقُضِي مِنْ عَجَبٍ فِكْرَتِي فِي قِصَّةٍ فَرَّطَ فِيهَا الْوَلَاهُ
تَرَكْتُ الْمُحِبِّينَ ، بِلَا حَاكِمٍ لَمْ يَنْصَبُوا لِلْعَاشِقِينَ الْقُضَاةُ
لَقَدْ أَتَانِي خَبَرٌ سَاءَ نِي مِنْ قَوْلِهَا فِي السَّرِّ : وَاخْتَجَلَتَاهُ

حديث الجنيد

أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْفَضْلِ الْأَزْجِي سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ ١ ،
أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ السَّيْرَوَانِيُّ بِمَكَّةَ حَكَى عَنِ الْجَنِيدِ أَنَّهُ قَالَ :
أَعْرِفُ مَنْ قَتَلَتْهُ الْمَحَبَّةُ ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْمَحَبَّةَ ، ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ ؟ فَقُلْنَا :
يَقُولُ الشَّيْخُ ! فَقَالَ : قَتَلَهُ مَا خُبِّيَ فِيهَا .

أصناف الناس

أخبرنا عبد العزيز بن علي قراءة عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن جهضم بمكة من لفظه وكتابه في المسجد سنة ست وتسعين وثلاثمائة ١ ، سمعت أحمد بن محمد يقول :

كان سهلٌ يقول : الناسُ ثلاثةُ أصنافٍ : صنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ المحبة ، مقتولٌ بسيفِ الشوق ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ الكرامة ؛ وصنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ التوبة ، مقتولٌ بسيفِ الندامة ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ العفو ؛ وصنفٌ منهم مضروبٌ بسوطِ الغفلة ، مقتولٌ بسيفِ الشهوة ، مضطجعٌ على بابه ينتظرُ العقوبة .

ذو النون والمريض

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا علي بن الحسن بمكة ، حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ الهموازي ، حدثني أحمد بن جعفر الدستري ، حدثنا سعيد بن عثمان قال :

دخلَ ذو النون على مريضٍ يعودُهُ فرأى المريضَ يئنُّ ، فقال ذو النون : ليسَ بصادقٍ في حبه مَنْ لم يصبرْ على ضربه ، فقال المريضُ : لا ولا صادقٍ في حبه مَنْ لم يتلذذْ بضربه ، فقال ذو النون : لا ولا صادقٍ مَنْ رأى حبه لربه ، عزَّ وجلَّ .

نوح داود

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني بقراءتي عليه بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا أبو عبد الرحمن العلمي ، حدثنا عبد الرحمن بن محبوب ، حدثنا زكريا بن يحيى البزاز ، حدثنا محمد ابن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا محمد بن يحيى البصري ، حدثنا عمرو بن جميع العجلي عن عامر بن يسار عن يحيى بن أبي كثير قال :

بلغنا أنه إذا كان يومُ نوح داود ، عليه السلام ، كان يَمَكُثُ قبلَ ذلك لا يأكلُ الطَّعامَ ، ولا يشربُ ، ولا يتقربُ النساءَ ، فإذا كان قبلَ ذلك بيومٍ أخرجَ له منبراً إلى البرية ، وأمرَ منادياً قبلَ ذلك بيومٍ ليستنفرَ في البلادِ ومن حَوَها : ألا من أحبَّ أن يسمعَ نوح داود فليأتِ ، فتأتي الوحوشُ والسَّباعُ والهوامُ والطيرُ والرَّهبانُ والعذارى من خدورهنَّ ، وبنو إسرائيل ، كلَّ صنفٍ على حديثه ، فيصُغونَ إليه . قال : وسليمانُ قائمٌ على رأسه فيأخذُ في الثناءِ على الله ، عزَّ وجلَّ ، فيصُجَّونَ بالصَّراخِ والبُكاءِ ، ثمَّ يأخذُ في ذكرِ الجنةِ ، فتَموتُ طائفةٌ من النَّاسِ والوحوشِ والسَّباعِ والرَّهبانِ ، وطائفةٌ من العذارى ؛ ثمَّ يأخذُ في ذكرِ النَّارِ ، فتَموتُ طائفةٌ منهم ؛ ثمَّ يأخذُ في أهوالِ القيامةِ والنَّوحِ على نفسه ، فتَموتُ طائفةٌ من هؤلاء ومن كلِّ صنفٍ .

قال : فإذا رأى سليمانُ ما قد كثرَ من الموتى في كلِّ فرقة ، نادى يا أبتاه ! قد مزقتَ المُستمعينَ كلَّ مُمزَّقٍ من بني إسرائيلَ والوحوشِ والهوامِ والسَّباعِ . قال : فيقطعُ النُّوحَ ، ويأخذُ في الدَّعاء .

قال : فبينما هم كذلك إذ ناداه بعضُ عبَّاد بني إسرائيل : يا داود ! عَجَلْتَ على ربِّكَ تَطْلُبُ الجزاءَ ، فيخرَّ داود مغشياً عليه ، فإذا نظرَ إليه سليمانُ وما أصابه أتى بسريِّرٍ ، فحمَّله عليه ، ثمَّ أمرَ منادياً ، فنادى : من كان له مع داود حَمِيمٌ أو قَرِيبٌ ، فليأتِ بسريِّرٍ ، فإنَّ الذينَ كانوا معه قد قتلهم ذكرُ الجنةِ والنَّارِ .

قال : فكانت المرأة تأتي بالسّرير ، فتَقِفُ على ابنِها وأبيها وأخيها ،
وهم أمواتٌ ، فينادي : وآبائي ! من قتلَهُ ذكْرُ النَّارِ ؛ وآبائي ! مَنْ قتلَهُ ذكْرُ
الجنة ؛ وآبائي ! من قتلَهُ ذكْرُ الخوفِ من الله تعالى ، حتى إنَّ الوحوشَ
ليَجْتَمَعْنَ على مَنْ ماتَ منهنَّ فيَحْمِلْنَهُ ، وكذلك السَّباعُ والهوامُ .
قال : ثمَّ يَتَفَرَّقُونَ ، فإذا أفاقَ داودُ من غشيته قال لسليمان : ما فعلتَ
عِبَادُ بني إسرائيل ؟ فيقول سليمان : يا أبتاه ماتوا عن آخرهم . قال : فيقوم
داود فيضعُ يده على رأسه ، ثمَّ يَدْخُلُ بَيْتَ عِبَادَتِهِ ، وَيُغْلِقُ عليه بابَهُ
ثمَّ ينادي : يا إلهَ داود ! أغضبانُ أنتَ على داود أم كيفَ ذا ، إذ قَصَرْتُ
من الموتِ خوفاً منك .

أيوب في بلائه

أخبرنا عبد العزيز بن علي الطحان، رحمه الله ، حدثنا علي بن عبد الله بمكة، حدثني منصور بن
أحمد قال :

سُئِلَ أبو العباس بن عطاء عن قوله ، عزَّ وجلَّ : مَسَّتِي الضَّرُّ ، وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ؛ فقال : إنَّ الله ، عزَّ وجلَّ ، سَلَطَ الدَّودَ على جسم
أيوبَ ، عليه السلام ، كلَّه إلَّا على قلبه ولسانه ، فكانَ القلبُ غَنِيًّا بالله ،
عزَّ وجلَّ ، قَوِيًّا ، وَاللِّسَانُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى رَطْبًا دَائِمًا ، فَأَكَلَ الدَّودُ
الجسمَ كلَّه حتى بقيت أضلاعُه مشتبِكة ، وَالْعُرُوقُ مَمْدُودَةٌ ، وَحَتَّى
ما بقيَ للدَّودِ شيءٌ يأكله ، فَسَلَطَ اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، الدَّودَ بَعْضَهُ على بعض ،
فَأَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، حَتَّى بقيت دودتان ، فجاءتا ، فَشَدَّتْ إحداهما على
الأخرى ، فَأَكَلَتْهَا ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ ، فجاءت فَدَبَّتْ إلى القلب لتنفذه ،
فقال أيوب ، عليه السلام ، عند ذلك : مَسَّتِي الضَّرُّ أَنْ فَقَدْتُ حُلَاوَةَ ذِكْرِكَ
من قلبي ، لَأَنْتَ لَوْ جَمَعْتَ الْبَلَاءَ كُلَّهُ عَلَيَّ بَعْدَ أَنْ لَا أَفْقِدُكَ مِنْ قَلْبِي

ما وَجَدْتُ للبلاءُ أَلماً ، فأَوْحَى اللهُ ، عزَّ وَجَلَّ ، إليه : يا أَيُّوبُ ! إِنَّكَ
لَتَنْظُرُ إليَّ غداً . قال : يا رَبَّ بهاتينِ العَيْنَيْنِ ؟ قال : يا أَيُّوبُ أَجْعَلْ لَكَ
عَيْنَيْنِ يُقَالُ لهما البقاء ، فتَنْظُرُ إلى البقاء بالبقاء .

الجارية الصوفية

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن الهمداني بمكة ، حدثنا
محمد بن عبد الله الشكلي ، حدثني محمد بن جعفر القنطري قال : قال ذو النون :

بَيْنَا أَنَا أُسِيرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، إِذْ بَصُرْتُ بِجَارِيَةٍ عَلَيْهَا أَطْمَارُ شَعَرٍ ،
وَلِذَا هِيَ نَاحِلَةٌ ذَابِلَةٌ ، فَدَنَوْتُ مِنْهَا لِأَسْمَعَ مَا تَقُولُ ، فَرَأَيْتُهَا مُتَّصِلَةً
الْأَحْزَانِ بِالْأَشْجَانِ ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ وَأَضْطَرَبَتِ الْأَمْوَاجُ ، وَظَهَرَتِ
الْحَيْتَانِ ، فَصَرَخْتُ ، ثُمَّ سَقَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَمَّا أَفَاقْتُ نَحَبْتُ ،
ثُمَّ قَالَتْ : سَيْدِي ! بَكَ تَقَرَّبَ الْمُتَقَرَّبُونَ فِي الْخَلَوَاتِ ، وَلِعَظَمَتِكَ سَبَّحَتْ
النِّينَانُ فِي الْبَحَارِ الزَّآخِرَاتِ ، وَبَلَحْلَالِ قُدْسِكَ تَصَافَقَتِ الْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَاتُ .
أَنْتَ الَّذِي سَجَدَ لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ وَالْفَلَكَ الدَّوَّارُ وَالْبَحْرُ
الزَّخَّارُ وَالْقَمَرُ النَّوَّارُ وَالنَّجْمُ الزَّهَّارُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَكَ بِمَقْدَارٍ ، لِأَنَّكَ
اللَّهُ الْعَلِيُّ الْقَهَّارُ :

يَا مُؤْنِسَ الْأَبْرَارِ فِي خَلَوَاتِهِمْ ، يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ بِهِ النُّزَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يَزَالُ مُتَّيِّمًا ، قَرِحَ الْفُؤَادِ يَعُودُهُ بَلْبَالُ
مَنْ ذَاقَ حُبَّكَ لَا يُرَى مُتَّيِّسًا ، فِي طُولِ حُزْنٍ لِلْحَشَا يَغْتَالُ
فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ تَرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِي ، ثُمَّ رَفَعَتْ طَرْفَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ
فَقَالَتْ :

أُحِبُّكَ حُبِّينِ ، حُبَّ الْوِدَادِ ، وَحُبًّا لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِدَاكَا^١

١ هذه الأبيات لرابعة العدوية الصوفية المشهورة .

فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوِدَادِ ، فَحُبُّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سَوَاكَ
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ، فَكَشْفُكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي ، وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ
ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً ، فَإِذَا هِيَ قَدْ فَارَقَتْ الدُّنْيَا ، فَبَقِيْتُ أُتَعَجَّبُ مِمَّا
رَأَيْتُ مِنْهَا ، فَإِذَا أَنَا بِنُسُوءٍ قَدْ أَقْبَلَنَ وَعَلَيْهِنَّ مَدَارِعُ الْعِشْرِ ، فَاحْتَمَلْنَهَا ،
فَغَيَّبْنَهَا عَنِّي فَغَسَلْنَهَا ، ثُمَّ أَقْبَلَنَ بِهَا فِي أَكْفَانِهَا فَقُلْنَ لِي : تَقْدَمُ فَصَلِّ عَلَيْهَا ،
فَتَقَدَّمْتُ فَصَلَّيْتُ عَلَيْهَا ، وَهَنَ خَلْفِي . ثُمَّ احْتَمَلْنَهَا وَمَضَيْنَ .

ما بي جنون

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي ، حدثنا أبو الحسن بن جهضم
أنشدنا محمد بن عبد الله ليحيى بن معاذ :

أَمُوتُ بِدَائِي لَا أَصِيبُ مُدَاوِيَا ، وَلَا فَرَجًا مِمَّا أَرَى مِنْ بَلَائِيَا
إِذَا كَانَ دَاءُ الْعَبْدِ حُبُّ مَلِكِهِ ، فَمَنْ دُونَهُ يُرْجَى طَبِيبًا مُدَاوِيَا
مَعَ اللَّهِ يُمُضِي دَهْرُهُ مُتَلَدِّذَا ، مُطِيعًا ، تَرَاهُ كَانَ ، أَوْ كَانَ عَاصِيَا
يَقُولُونَ يَحْيَى جُنٌّ مِنْ بَعْدِ صِحَّةٍ ، وَمَا بِي جُنُونٌ ، يَا خَلِيلِي ، مَا بِيَا

رابعة العدوية ورياح القيسي

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي ، رحمه الله ، بقراءتي عليه ، أخبرنا
محمد بن عبد الله ابن أخي ميمي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد القرشي ،
حدثني محمد بن الحسين ، حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال :

نَظَرْتُ رَابِعَةً إِلَى رِيَّاحِ الْقَيْسِيِّ ، وَهُوَ يُقْبَلُ صَبِيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَيَتَضَمُّهُ
إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : أَتُحِبُّهُ يَا رِيَّاحُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَتْ : مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ

في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيري . قال : فصاح رِيَّاحٌ وَسَقَطَ مَغْشِيّاً عليه ، ثُمَّ أَفَاقَ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : رَحْمَةُ" منه ، تعالى ذِكْرُهُ ، أَلْقَاهَا فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ لِلْأَطْفَالِ .

دواء المحبين

أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين البزاز ، حدثنا محمد بن عبد الله القطيبي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثني إبراهيم بن عبد الملك قال :

قدمت شِعْوَانَةَ وَزَوَّجْتُهَا مَكَّةَ ، فَجَعَلَا يَطُوفَانِ وَيُصَلِّيَانِ ، فَإِذَا كَلَّ الرَّجُلُ وَأَعْيَا ، جَلَسَ ، وَجَلَسَتْ خَلْفَهُ ، فَيَقُولُ هُوَ فِي جُلُوسِهِ : أَنَا الْعَطْشَانُ مِنْ حُبِّكَ لَا أُرَوِّي ، وَتَقُولُ هِيَ بِالْفَارِسِيَّةِ : أَتَيْتَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فِي الْجِبَالِ ، وَدَوَاءُ الْمَحْبَبِينَ فِي الْجِبَالِ لَمْ يَنْبُتْ .

يستحيي من الله

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت إن لم يكن ساعاً فإجازة ، أخبرنا علي بن أيوب ، حدثنا محمد بن عمران قال :

حُكِيَ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْحَشَوِيِّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى غُلَامٍ جَمِيلٍ ، فَأَطَالَ ، ثُمَّ قَرَأَ : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا أَهْجَمَ طَرَفِي عَلَى مَكْرُوهِهِ نَفْسُهُ ، وَأَذْمَنَهُ عَلَى سُخْطِ سَيِّدِهِ ، وَأَغْرَاهُ بِمَا قَدْ نَهَى عَنْهُ ، وَأَهْجَعَهُ بِالْأَمْرِ الَّذِي قَدْ حَذَّرَ مِنْهُ ؛ لَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى هَذَا نَظْراً لَا أَحْسَبُ إِلَّا أَنَّهُ سَيَقْضِي عِنْدَ جَمِيعٍ مَنْ قَدْ عَرَفَنِي فِي عَرَصَةِ الْقِيَامَةِ ، وَلَقَدْ تَرَكْتَنِي نَظْرِي هَذَا ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ، وَإِنْ غَفَرَ لِي . ثُمَّ صُعِقَ .

محبو الله أحياء وإن قبروا

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر الخياط، حدثنا علي بن عبد الله بن الحسن بمكة،
حدثنا علي بن إبراهيم النقاش، سمعت أبا القاسم بن مردان، سمعت أحمد بن عيسى الحراز
يقول :

دَعَتْنِي امْرَأَةٌ إِلَى غَسْلِ وَلَدِهَا ، ذَكَرْتُ أَنَّهُ أَوْصَى بِذَلِكَ ، فَلَمَّا
كَشَفْتُ عَنِ الثَّوْبِ قَبَضَ عَلَى يَدَيَّ ، فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! حَيَاةٌ بَعْدَ
مَوْتٍ ؟ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ تَعَالَى أَحْيَاءُ وَإِنْ قَبِرُوا .

العباد على ثلاث منازل

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الأزجي الخياط الشيخ الصالح، رحمه الله ، أخبرنا أبو
الحسن علي بن عبد الله بن محمد الهمداني بمكة في المسجد الحرام ، حدثنا الخالدي ، سمعت ابن
مسروق يقول :

بلغنا عن حيان القيسي أَنَّهُ قَالَ : الْعِبَادُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ثَلَاثِ مَنَازِلٍ :
قَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ الْبَلَاءِ لثَلَاثِ يَسْتَرْقِ الْجَزَعُ سُرَّهَمَ ، فَتَكُونُ هَذِهِ
حِكْمَةً ، أَوْ يَكُونُ فِي صُدُورِهِمْ حَرَجٌ مِنْ قَضَائِهِ ؛ وَقَوْمٌ يُضَنُّ بِهِمْ عَنِ
مَسَاكِنَةِ أَهْلِ الْمَعَاصِي لثَلَاثِ تَغْمُّ قُلُوبَهُمْ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَلِمَتِ صُدُورُهُمْ
لِلْعَالَمِ ؛ وَقَوْمٌ صُبَّ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ صَبًّا ، فَمَا أَزْدَادُوا لَهُ إِلَّا حَبًّا .

تاه في حب الله

أخبرنا عبد العزيز بن علي ، حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا الحسن بن يحيى بن حمويه ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثني إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن الحسن البلخي عن إبراهيم بن أدهم قال :

وَجَدْتُ يَوْمًا رَاحَةً ، وَطَابَ قَلْبِي لِحُسْنِ صُنْعِ اللَّهِ بِي وَاخْتِيَارِهِ لِي ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا مِنَ الْمُحِبِّينَ لَكَ مَا أَسْكَنْتَ بِهِ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ لِقَائِكَ ، فَأَعْطِنِي ذَلِكَ ، فَلَقَدْ أَضْرَبَ بِي الْقَلْقُ . قَالَ : فَرَأَيْتُ اللَّهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، فِي النَّوْمِ ، فَوَقَفْتَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ : يَا إِبْرَاهِيمَ ! مَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي ، تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ قَبْلَ لِقَائِي ، وَهَلْ يَسْكُنُ قَلْبُ الْمُشْتَاقِ إِلَى غَيْرِ حَبِيبِهِ أَمْ هَلْ يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ إِلَى غَيْرِ مَنْ اشْتَاقَ إِلَيْهِ ؟ فَقُلْتُ : يَا رَبِّ ! تَهْتُ فِي حَبْلِكَ ، فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ .

عمر والزاني القليل

أُنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المحولي ، حدثنا أبو الفضل أحمد بن ملاعب ، أخبرني محمد بن سعيد الاصميهاني ، أخبرنا علي بن مسهر عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي قال :

كَانَ أَخَوَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَخَرَجَ أَحَدُهُمَا فِي بَعْثٍ ، وَتَخَلَّفَ الْآخَرُ عِنْدَ امْرَأَةِ أَخِيهِ . فَقَالَتْ امْرَأَةُ الْمُقِيمِ لَهُ : أَشَعُرْتُ أَنَّ امْرَأَةَ أَخِيكَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهَا رَجُلٌ . قَالَ لَهَا : فَإِذَا جَاءَ فَأَعْلِمِينِي ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَهُ حَائِطٌ ، فَوَضَعَتْ لَهُ سُلَّمًا ، فَصَعِدَ ، فَأَشْرَفَ ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةِ أَخِيهِ تُوَقِّدُ لَهُ نَارًا ، وَتَشْوِي لَهُ دَجَاجَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَشَعَّتْ غَرَّةَ الْإِسْلَامِ مِنِّي ، خَلَوْتُ بِعِزِّهِ لَيْلَ السَّمَامِ .

أَبَيْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا، وَيُتَمَسِّي عَلَى جَرْدَاءٍ لَاحِقَةِ الْخَزَامِ
كَأَنَّ مَجَامِعَ الرِّبَلَاتِ مِنْهَا ، نِيَامٌ يَنْهَضُونَ إِلَى قِيَامِ
فَنَزَلَ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا
أَصْبَحَ قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : أُنْشِدُ اللَّهَ وَالْإِسْلَامَ رَجُلًا عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ هَذَا
الْمَقْتُولِ إِلَّا أَنْبَأَ بِهِ . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِهِ . فَقَالَ
عُمَرُ : أَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ .

نصر بن حجاج وامرأة السلمي

وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي، حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المغيرة، حدثنا
أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا علي بن أحمد الواسطي، حدثني إبراهيم بن الربيع، حدثني
سماك بن عطية قال :

لَمَّا قَدِمَ نَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ الْبَصْرَةَ نَزَلَ عَلَى مُجَاشِعِ بْنِ مَسْعُودِ السُّلَمِيِّ ،
فَبَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَتَحَدَّثُ هُوَ وَامْرَأَتُهُ كَتَبَ عَلَى رَمْلٍ هُمَ عَلَيْهِ قَعُودٌ : أَنَا
أُحِبُّكَ . قَالَ : فَكُتِبَتْ هِيَ : وَأَنَا كَذَلِكَ ، فَدَعَا بِإِجَانَةٍ^١ ، وَوَضَعَهَا
عَلَى الْكِتَابَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ دَعَا غُلَامَهُ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ قَالَ :
أَنَا أُحِبُّكَ، وَأَنَا كَذَلِكَ، فَدَعَاها وَدَعَاهَا ، وَقَالَ لَهَا : ضُمَّيْهِ إِلَى صَلْبِكَ يَذْهَبُ
عَنْكَمَا مَا أَنْتُمَا فِيهِ .

١ الإجانة : رماه قفلس فيه الثياب .

ضحيتا الهوى

وجدت بخط أبي عمر بن حيويه ونقلته منه قال : حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ،
أخبرني صالح بن يوسف المحاربي قال : أخبرني أبو عثمان المازني ، أخبرنا العتبي عن
شبابة بن الوليد العذري

أن فتى من بني عُدرة ، يُقال له أبو مالك بن النضر ، كان عاشقاً لابنة
عم له عشقاً شديداً ، فلم يزل على ذلك مدة ، ثم إنه فقِدَ بضع عشرة
سنة ، ولم يُحس له خبر .

قال شبابة بن الوليد : فصلت لبل لي ، فخرجت في طلبها ، فينا أنا
سير في الرمال إذا بهاتف يهتف بصوت ضعيف ، وهو يقول :

يا ابن الوليد ألا تحمون جاركم ، وتحفظون له حق القرابات
عهدي إذا جار قوم نابه حدث
هذا أبو مالك المسمى ببليقة ، مع الضباع وآساد بغابات
طليح شوق ينار الحب محرق
أما النهار فيضنيه تذكره ، والليل مرتقب للصبح هل ياتي ؟
يهدي بجارية من عُدرة اختلست فؤاده ، فهو منها في بليات

فقلت : دلني عليه ، رحك الله ، فقال : نعم ، اقصد الصوت ، فلما
قصدت غير بعيد سمعت أنيناً من خباء فأصغيت إليه ، فإذا قائل يقول :
يا رئيس الهوى أذبت فؤادي ، وحشوت الحشا عذاباً أليماً

فدنوت منه ، فقلت : أبو مالك ؟ قال : نعم ! قلت : ما بلغ بك ما أرى ؟
قال : حيي سعاد ابنة أبي الهيثم العذري ، فشكوت يوماً إلى ابن عم
لنا من الحي ما أجد من حبها ، فاحتملني إلى هذا الوادي ، منذ بضع عشرة

سَنَةً ، وَيَأْتِينِي كُلَّ يَوْمٍ بِخَبْرِهَا ، وَيَقُوتُنِي ، حَفَظَهُ اللَّهُ ، مِنْ عِنْدِهِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : إِنِّي أَصِيرُ إِلَى أَهْلِهَا ، فَأَخْبِرُهُمْ بِمَا رَأَيْتُ ، قَالَ : أَنْتَ وَذَاكَ .
 فَانصَرَفْتُ ، وَصِرْتُ إِلَى أَهْلِ الْخَارِيَةِ ، فَخَبَرْتُهُمْ بِحَالِ الْفَتَى ، وَمَا
 رَأَيْتُ مِنْهُ ، وَحَدَّثْتُهُمْ حَدِيثَهُ ، فَرَقُّوا لَهُ فَرَوْجُوهُ بِحَضْرَتِي ، وَرَجَعْتُ
 إِلَيْهِ عَامِداً لِأَفَرِّجَ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ ، فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ ، حَدَّدَ النَّظَرَ
 إِلَيَّ ، ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوُّهاً شَدِيداً بَلَغَ مِنْ قَلْبِي ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 الْآنَ إِذْ حَشَرَجْتُ نَفْسِي وَحَاصَرَهَا فِرَاقُ دُنْيَا ، وَتَادَاهَا مُنَادِيهَا
 ثُمَّ زَفَرَ زَفْرَةً ، فَمَاتَ ، فَدَفَنْتُهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ انصَرَفْتُ فَأَعْلَمْتُهُمْ
 الْخَبَرَ ، فَأَقَامَتِ الْخَارِيَةُ ثَلَاثًا لَا تَطْعَمُ طَعَاماً ثُمَّ مَاتَتْ .

غصص الموت

أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 الْقَاسِمِ الْأَنْبَارِيُّ

أَنْشَدَنِي أَبِي عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ لِأَبِي نَوَاسٍ :

إِنَّ فِي وَصْلِ مَنْ أَحَبَّ دَوَائِي ، وَبِكَفِّيهِ ، إِنَّ أَحَبَّ ، شِفَائِي
 إِنَّ أُمَّتَ ضَيْعَةٍ ، فَلَسَمَ أَجْنَ ذَنْباً ، مِنْ حَبِيبِ أَمَاتَ حُسْنَ عَزَائِي
 كُلَّ يَوْمٍ يُذِيقُنِي غُصَصَ الْمَوْتِ تِ بِصَدِّ يُرِيشُهُ بِالْخَفَاءِ

الدماء المطلولة

ولي من أثناء أبيات كتبها إلى بعض الأدباء :

كم دم للعشاق أهرىق بالهج ر إلى ركن كعبة غراء
وذمائم العشاق مطلولة لي س لها، فاعلموه، من أولياء
تسل بمجنون عامر وأخي عذ رة، ما كان منه مع عفراء
وجميل وقيس لبني، وغبلا ن، وخلق يفوتهم إحصائي

ولي أيضاً من أثناء قصيدة مدحت بها بعض الرؤساء بالإسكندرية :

فليله ما أبقى الهوى من حشاشة بها للنوى داء يعز دواه
قلب رماء البين يوم فراقهم يستهم وما أخطاه حين رماء

ولي من أثناء قصيدة :

وكم من ليلة بالرميل بيتنا كأتا إلهة فوق الحشايا
إذا ابتسمت، وسير الليل مرخى، أضاء لنا الدجى برق الشنايا
ندير حديث من قتلتة خود، ومن في الحب نالتة الرزايا
كمجنون وقيس قيس لبني، ومن أبدى له الحب الحبايا

ليلي الأخيلية والحجاج

أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة في ما أذن لنا في روايته أن أبا القاسم اسماعيل بن سعيد بن سويد أخبرهم إجازة قال : حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، حدثني أبي ، حدثنا أحمد ابن عبيد عن أبي الحسن المدائني عن حدثه عن مولى لعنبة أن سعيد بن العاص قال :

كنتُ أدخلُ مع عَنبَسَةَ بن سعيد ، إذا دَخَلَ على الحَجَّاج ، فدَخَلَ يوماً ، فدَخَلْتُ إليهما ، وليسَ عند الحَجَّاج غيرُ عَنبَسَةَ ، فقعدتُ فجاء الحَجَّاج بطَبَق فيه رُطَبٌ ، فأخذَ الخادمُ منه شيئاً فجاءني به ، ثمَّ جيء بطَبَق ، حتى كَثُرَتِ الأطباقُ ، وجعل لا يُؤْتَوْنَ بشيءٍ إلاَّ جاءني منه شيءٌ ، حتى ظَنَنْتُ أَنَّ ما بينَ يديَّ أَكْثَرُ ممَّا عندهم ، ثمَّ جاء حاجب فقال : امرأةٌ بالبَاب ، فقال له الحَجَّاج : أدخلها ! فدَخَلْتُ ، فلَمَّا رَأَاهَا الحَجَّاجُ ، طأطأ رأسه حتى ظَنَنْتُ أَنَّ ذَقْنَه قد أَصَابَ الأرضَ ، فجاءتُ حتى قَفَّ بينَ يديه ، فنظَرْتُ إليها فإذا هي امرأةٌ قد أَسَنَّتْ ، حَسَنَةُ الخَلْقِ ، وم جاريتانِ لها ، وإذا هي ليلي الأَخِيلِيَّةُ ، فسألها الحَجَّاجُ عن نَسَبِهَا ، فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلي ما أتى بك ؟ فقالت : إِنْخِلَافُ النُّجُومِ ، وَقِلَّةُ الغيومِ ، وَكَلَبُ البرْدِ ، وَشِدَّةُ الجهدِ ، وَكُنْتُ لنا بَعْدَ الله الرُّفْدُ .

فقال لها : صفي لنا الفِجَاجَ .

فقالت : الفِجَاجُ مُغْبِرَةٌ ، وَالْأَرْضُ مُقَشَّعَةٌ ، وَالْمَنْزِلُ مَعْتَلٌ ، وَذُو الْعِيَالِ مُخْتَلٌ ، وَالْهَالِكُ الْمُقْسَلُ ، وَالنَّاسُ مُسْتَتُونَ^٢ ، رَحِمَ اللهُ بَرَجُونَ . وَأَصَابَتْنَا سَنُونَ مَجْحَفَةٌ مَبْطَلَةٌ لَمْ تَدْعُ لَنَا هَيَعاً وَلَا رَبِيعاً ، وَلَا عَافِيطَةً^٣

١ الفجاج ، الواحد فجج : الطريق الواسع الواضح بين جبلين .

٢ مستنون ، من أسلت : أصابه الجذب والقحط .

٣ الميع ، لعله جمع الميعة : سهلان الفيه المصبوب على وجه الأرض فيكون المراد ماء . الريح : الغلة . العافطة : النعجة .

وَلَا نَافِطَةٌ^١، أَذْهَبَتِ الْأَمْوَالَ، وَفَرَّقَتِ الرِّجَالَ، وَأَهْلَكَتِ الْعِيَالَ. ثُمَّ قَالَتْ:
إِنِّي قَدْ قُلْتُ فِي الْأَمْرِ قَوْلًا^٢ ! قَالَ : هَاتِي ، فَأَنْشَأْتُ تَقُولُ :

أَحْجَاجُ لَا يُفْلِلُ سِلَاحُكَ إِنَّمَا	مَنْابَا بِكَفِّ اللَّهِ حَيْثُ تَرَاهَا
أَحْجَاجُ لَا تُعْطِ الْعُصَاةَ مِنْهُمْ ^٣ ،	وَلَا اللَّهُ يُعْطِي لِلْعُصَاةِ مِنْهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً	تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنْ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا	غُلَامٌ ^٤ إِذَا هَزَّ الْقَنَسَاةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا ، فَرَوَاهَا بِشُرْبِ سِجَالِهِ ^٥	دِمَاءُ رِجَالٍ حَيْثُ قَالَ حِمَاهَا ^٦
إِذَا سَمِعَ الْحَجَّاجُ رِزًّا كَتِيبَةً ^٧ ،	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَاهَا ^٨
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً ^٩ فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْلُبُونَ صَرَاهَا ^{١٠}
فَمَا وَلَدَ الْأَبْكَارُ وَالْعُونَ ^{١١} مِثْلَهُ ،	بِنَسْجِدٍ وَلَا أَرْضٍ يَجِفُّ ثَرَاهَا ^{١٢}

قَالَ : فَلَمَّا قَالَتْ هَذَا ، قَالَ الْحَجَّاجُ : قَاتِلْهَا اللَّهُ ! مَا أَصَابَ صِفَتِي
شَاعِرٌ مَذْذَخَاتُ الْعِرَاقِ غَيْرَهَا ؛ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى عَنَسَةِ بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ
إِنِّي لِأُعِيدُ لِلْأَمْرِ عَسَى أَنْ لَا يَكُونَ أَبَدًا ؛ ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهَا فَقَالَ : حَسْبُكَ .
قَالَتْ : إِنِّي قَدْ قُلْتُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، قَالَ : حَسْبُكَ ، وَيَحْكُ حَسْبُكَ ؛ ثُمَّ
قَالَ : يَا غُلَامُ اذْهَبْ إِلَى فَلَانِ فَقُلْ لَهُ أَقْطَعُ لِسَانَهَا . قَالَ : فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
الْحَجَّامِ ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : ثَكَلَتِكَ أُمُّكَ ! أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالَ ؟
إِنَّمَا أَمْرُكَ أَنْ تَقْطَعَ لِسَانِي بِالصَّلَةِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَسْتَبْثَهُ ، فَيَسْتَشْاطُ الْحَجَّاجُ

١ النافطة : العنز .

٢ السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة .

٣ الرز : الصوت البعيد .

٤ أرادت بالمسومة الفارسية : الرماح . الصرى : بقية الشيء .

٥ العون ، الواحدة عون : من كانت في منتصف السن .

غَضَبًا ، وَهَمَّ بِقَطْعِ لِسَانِهِ وَقَالَ : ارْدُدْهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَتْ :
كَادَ ، وَأَمَانَةَ اللَّهِ ، يَقْطَعُ مِقْوَلِي . ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :
حَجَّاجُ ! أَنْتَ الَّذِي مِمَّا فَوْقَهُ أَحَدٌ^١ إِلَّا الْخَلِيفَةُ^٢ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ^٣
حَجَّاجُ ! أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِذْ لَقِيتَ ، وَأَنْتَ لِلنَّاسِ فِي جَنَحِ الدُّجَى تَقِيدُ^٤
ثُمَّ أَقْبَلَ الْحَجَّاجُ عَلَى جُلْسَانِهِ فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَنْ هَذِهِ ؟ قَالُوا : لَا وَاللَّهِ
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِلَّا أَنَا لَمْ نَرَ امْرَأَةً قَطُّ أَفْصَحَ لِسَانًا وَلَا أَحْسَنَ مُحَاوَرَةً وَلَا
أَمْلَحَ وَجْهًا وَلَا أَرْصَنَ شِعْرًا مِنْهَا . فَقَالَ : هَذِهِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ الَّتِي مَاتَ
تَوْبَةُ^٥ الْحَفَاجِيُّ مِنْ حُبِّهَا ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ : أَنْشِدِينَا يَا لَيْلَى بَعْضَ مَا
قَالَ فِيكَ تَوْبَةُ . فَقَالَتْ : نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

وَهَلْ تَبْكِينَ لَيْلَى إِذَا مَا بَكَيْتُهَا وَقَامَ عَلَى قَبْرِ النَّسَاءِ النَّوَائِحُ^١
كَمَا لَوْ أَصَابَ الْمَوْتُ لَيْلَى بِكَيْتُهَا ، وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ سَافِحُ^٢
وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ ، بَلَى أَكُلُ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ^٣
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ ، وَدُونِي تُرْبَسَةٌ وَصَفَائِحُ^٤
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَا^٥ إِلَيْهَا صَدْدِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ^٦
فَقَالَ لَهَا : زَيْدِينَا يَا لَيْلَى مِنْ شَعْرِهِ ، فَقَالَتْ : هُوَ الَّذِي يَقُولُ :

حَمَامَةَ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْتَمِي ، سَقَاكِ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا^٧

١ الصمد : من الأسماء الحسنى ومعناه الدائم .

٢ قوله : إِذَا مَا بَكَيْتُهَا ، هكذا في الأصل ولعل اللفظة محرفة .

٣ الصفائح : الحجارة العراض ، الواحدة صفيحة .

٤ زقا : صاح . الصدى : حائر زعمت العرب انه يخرج من رأس القتيل فلا يزال يصيح عطشان اسقوني إلى أن يؤخذ بثأره .

٥ الفر : البيض ، أي السحاب البيض . الغواضي ، واحدها غادية : السحابة التي تمر غدوة .

أبيني لنا ، لا زال ريشك ناعماً ؛ ولا زلت في خضراء غَضٍّ نضيرُها
وأشرفُ بالقوزِ اليفاعِ لعلتي أرى نارا ليلي أو يراني بصيرُها
وكنت إذا ما جئت ليلي تبزقت ، فقد رأيت منها الغداة سفورها
يقول رجال : لا يضيرك نأيتها ! بلى ! كل ما شفت النفوس يضيرها
بلى ! قد يضير العين أن تُكثر البكى ، ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلي بأنني فاجر ، لنفسي ثقاها ، أو عليها فجورها

فقال لها الحجاج : يا ليلي ما الذي رآه من سفورك ؟ فقالت : أيتها
الأمير ، كان يلِمُّ بي كثيراً ، فأرسل إليَّ يوماً أني آتيك ، وفطن الحي ،
فأرصدوا له ، فلما أتاني سقرت ، فعلم أن ذلك لشر ، فلم يزد على التسليم
والرجوع . فقال : لله درك ، فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت :
لا والذي أسأله أن يصلحك غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد
خضع لبعض الأمر ، فقلت له :

وذي حاجة قلنا له : لا تبخ بها فليس إنيها ما حبيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه ، وأنت لأخرى فارغ وحليل^٢
فلا والذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً . حتى فرق الموت بيني
وبينه . قال : ثم ماذا ؟ قالت : لم يلبث أن خرج في غزاة له فأوصى ابن
عمه : إذا أتيت الحاضرة من بني عبادة ، فناد بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ! هل أبين ليلة من الدهر لا يسري إلي خيالها
فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربي ، وأحسن حاله ، فعز عليتنا حاجة لا ينالها

١ القوز : الكتيب من الرمل . اليفاع : المشرف . البصير : المجاور للنار ، وأراد به ليل .

٢ الفارغ ، إما من فرغ : قلق ، أو انه متفرغ لها . الحليل : الزوج .

قال : ثمّ ماذا ؟ قالت : لم يلبّث أن مات ، فأتاني نعيه . قال : فأنشدنا
بعض مرّائك ، فأنشدت :

لتبك عليه من خفاجة نسوة^١ ، بماء شؤون العبرة المتحدرا^٢
قال : فأنشدنا :

كأن فتى الفتيان توبة لم ينح^٣ قلائص يفحصن الحصا بالكرakra^٤
فلما فرغت من القصيدة قال مُحصِن الفقعي ، وكان من جلساء
الحجاج : من هذا الذي تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة .
فنظرت إليه ، ثمّ قالت : أيها الأمير ! إن هذا القائل لو رأى توبة لسه
أن لا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل^٥ منه . فقال الحجاج : هذا وأبيك
الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .

ثمّ قال لها : سكي يا ليلي تُعطي . قالت : أعط فمثلك أعطى فأجزل .
قال : لك عشرون . قالت : زد فمثلك زاد فأجمل . قال : لك أربعون .
قالت : زد فمثلك زاد فأفضل . قال : لك ستون . قالت : زد فمثلك
زاد فأكمل . قال : لك ثمانون . قالت : زد فمثلك زاد فأتم .
قال : لك مائة ، وأعلمي يا ليلي أنها غنم^٦ ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ،
أنت أجود جوداً وأجمد مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً . قال :
فما هي ويحك يا ليلي ؟ قالت : مائة ناقة يُدعى بها . فأمر بها ثمّ قال : ألك
حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إليّ النابغة الجعدي في قرن . قال : قد فعلت .
وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ، فخرج هارباً عائداً بعبد
الملك ، فاتبعته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبعته ،
على البريد ، بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فمات بقومس^٧ ، ويقال بحلوان .

١ خفاجة : رهط توبة .

٢ يفحصن : يحفرن . الكراكر ، واحدتها كركرة : صدر البعير .

علي بن صالح والقينة

ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثنا الحسين ابن جعفر قال : حدثنا عبد الله بن أحمد العبدى قال : حدثني سليمان بن علي الهاشمي

أنّ عليّ بن صالح بن داود ذكرَ عن جاريةٍ من القيان أنّها تميلُ إليه حُبّةً وكلفاً ، وكانت موصوفةً بالأدبِ شاعرةً ، فكَرِهَ مُرَاسَلَتَها ، فعَضَرَ يَومًا عندَ بعضِ أهلِ البصرة ، وكانت عنده ، فلمّا رأتُ عليّ بن صالح قالت : طابَ عيشُنَا في يَومِنَا هذا ، فلم يَلْتَفِتْ إليها وأَطرَقَتْ هيَ أيضاً فلم تنظرُ إليه ، ثمّ دعت بدواةٍ فكتبت على منديل ، كان معها ، ثمّ غافلت أهلَ المجلس ، فألقت إليه المنديل ، فأخذه فإذا فيه :

لَعَلَّ الذي يَبْلُو بِحُبِّكَ يَا فَتَى ، يَرُدُّكَ لي يَومًا إلى أَحسنِ العَهْدِ
قال : فما هوَ إلّا أن قرأتُ الشعرَ حتّى وَجَدْتُ في قلبي من أمرِها مثلَ
النَّارِ ، وَقَمْتُ فانصرفتُ خوفاً من الفضيحة ، ثمّ لم أزل أعمل الحيلة في
ابتِئاعِها من حيثُ لا تعلمُ ، فعسّرَ ذلك عليّ ، فعَرَفْتُها الخبرَ ، وما عَزَمْتُ
عليه من ابتِئاعِها ، فأعانتني على ذلك حتّى ملكتُها ، فلم أُوثر عليها أحداً من
حرَمي ، ولا أهلي ، ولا كان عندي شيءٌ يعدِلُها ، فتَوَفَّيتُ ، فأنا لا عيشَ
لي بعدها ، ولا سرور . فوالله ما لبثَ بعدَ هذا الكلام إلّا أَيّاماً يَسِيرَةً حتّى
ماتَ أسفاً عليها ، وكَمَسَدًا ، فدُفِنَ إلى جنبِها .

ريقته مدام

ولي من قصيدة أولها :

قَفِي أَخْبِرْكِ مَا صَنَعَ الْغَرَامُ ، عَشِيَّةَ قُوْضَتْ تِلْكَ الْحِيَامُ
لَقَدْ فَتَكَ الْهَوَى بي يَوْمَ سَارُوا ، وَلَوْ لم يُؤْثِرُوا قَتَلِي أَقَامُوا

سَرَوْا وَاللَّيْلُ فِي ثَوْبِي حِدَادٍ ، وَقَدْ أَلْقَى مَرَّاسِيَهُ الظَّلَامُ
 وَقَدْ هَتَكُوا الْأَكِلَةَ عَنْ بُدُورٍ كَوَامِنَ لَيْسَ يَبْرَحُهَا النَّمَامُ
 وَفِي الْأَحْدَاجِ ذُو لَعَسٍ ، لِمَاهُ ، لَنَا كَأْسٌ ، وَرِيقَتُهُ مُدَامٌ
 رَمَى ، وَقُلُوبُنَا الْأَغْرَاضُ ، فَنَنْظُرُ بَعَيْنِكَ هَلْ تَطْيِيشُ لَهُ سِهَامُ

عشق ليس فيه فحش

أَبَانَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيُّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْخَزَّازُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ الْمُحَوَّلِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شَيْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعُتْبِيُّ قَالَ :

كَانَ عِنْدَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقِهَاءُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فِيهِمْ أَبُو حَمزَةَ الشُّمَالِيُّ ، فَقَالَ خَالِدٌ : حَدَّثُونَا بِحَدِيثٍ عِشْقٍ لَيْسَ فِيهِ فُحْشٌ ! فَقَالَ أَبُو حَمزَةَ الشُّمَالِيُّ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! زَعَمُوا أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ غَدْرُ النِّسَاءِ وَسُرْعَةُ تَزْوِيجِهِنَّ . فَقَالَ هِشَامٌ : إِنَّهُ لَيُبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ الْعَجَبُ . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَائِهِ : أَنَا أُحَدِّثُكَ عَمَّا بَلَغُنِي مِنْ ذَلِكَ .

بَلَغُنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي يَشْكُرَ يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ بْنُ مَهْضَمٍ مِنَ الْعَذَافِرِ ، كَانَتْ تَحْتَهُ ابْنَةُ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهَا أُمُّ عَقْبَةَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْأَيْحَرَ ، وَكَانَ لَهَا مَحَبَّةٌ ، وَكَانَتْ هِيَ لَهُ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ مَفَارِقُ الدُّنْيَا ، قَالَ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : يَا أُمَّ عَقْبَةَ ! اسْمَعِي مَا أَقُولُ ، وَأَجِيبِي بِحَقٍّ ، فَقَدْ تَأَقَّتْ نَفْسِي إِلَى مَسْأَلَتِكَ عَنْ نَفْسِكَ ، بَعْدَمَا يُوَارِي نِي التُّرَابَ . فَقَالَتْ : قُلْ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ وَلَا أَجْعَلَنَّه آخِرَ خِطَابٍ مِنِّي . فَقَالَ ، وَهُوَ يَبْكِي بِكَاءٍ مَنَعَهُ الْكَلَامُ :

١ الاحداج ، الواحدة حداجة : ما تركب فيه النساء على البعير . اللس : سواد مستحسن في الشفة . المي : سمة أو سواد في باطن الشفة .

أخبرني بما تريدن بعدي ، والذي تضميرين يا أم عقيبته
تحفظيني من بعد موتي لما قد كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ، وأنا في التراب في سحق غربته
فأجابته بكاء وانتحاب :

قد سمعنا الذي تقول وما قد خفته يا خليل من أم عقيبته
أنا من أحفظ الأنام وأرعنا هم لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجر ومراث أقولها ويندبه
قال : فلما قالت ذلك طابت نفسه ، وفي النفس ما فيها ، فقال :

أنا والله واثق منك لكن ربما خفت منك غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو شير فارعني حقني بحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظني العهدة ، فكوني إن مت عند الرجاء

قال : ثم اعتقل لسانه ، فلم ينطق حتى مات . فلم تلبث بعده
حتى خطبت من كل جانب ، ورغبت فيها الأزواج لاجتماع الحصال
الفاضلة فيها من العقل والجمال والعفاف ، فقالت مújبة لهم :

سأحفظ غسانا على بعد داري وأرعاها حتى نلتقي يوم نحشر
ولاني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا ! فما مثلي بمن مات يغدر
سأبكي عليه ما حييت بعبرة تجول على الخدين مني وتحد

فأيس الناس منها حيناً ، فلما مرت بها الأيام نسيت عهده وقالت :
من مات فقد فات ، فأجابت بعض خطاياها ، فتروجها ، فلما كانت
الليلة التي أراد الدخول بها جاءها غسان في النوم ، وقد أغفت ، فقال :

غَدَرْتُ ، وَلَمْ تَرْعَيْ لِبَعْلِكَ حُرْمَةً ، وَلَمْ تَعْرِفِي حَقّاً ، وَلَمْ تَحْفَظِي عَهْدَا
وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَظًا لَصَاحِبٍ ، حَلَفْتَ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ تُنْجِزِي وَعْدَا
غَدَرْتُ بِهِ لَمَّا ثَوَى فِي ضَرْبِيهِ ، كَذَلِكَ يُنْسَى كُلُّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَا

قال : فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مُرتاعةً مُستحجةً منه كأنه
بات معها في جانب البيت ، وأنكر ذلك منها من حضرها من نساؤها ، فقلن :
ما لك ، وما حالك ، وما دهاك ؟ فقالت : ما ترك غسانُ لي في الحياة أرباباً ،
ولا بعده في سرور رغبة . أتاني في منامي الساعة ، فأنشدني هذه الأبيات ،
ثم أنشدتها وهي تبكي بدمع غزير وانتحاب شديد ، فلما سمعت ذلك
منها أخذت بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه ، فغافلتهم وقامت ،
فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها حياءً مما كادت أن تتركب بعده
من الغدر به والنسيان لعهد . فقالت امرأة منهن : قد بلغنا أن امرأةً أتاها
زوجها في المنام فلامها في مثل هذا ، فقتلت نفسها . فما سمعنا به^١ .

قال : وكانت المرأةُ القائلةُ هذا الكلام صاحبة شعرٍ ورجز فقالت :

مَاذَا صَنَعْتَ وَمَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْناً يَا خَيْرَةَ النَّسْوَانِ
وَقِيتِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ هَمَمْتَ بِالْعِصْيَانِ
إِنَّ الْوَفَاءَ مِنْ الْإِلَهِ ، لَمْ يَزَلْ بِمَكَانٍ

قال : فلما بلغ زوجها زوجها ، وكان يُقالُ له المقدام بن حبيش ، وكان
قد أعجب بها ، أنها قالت : ما كان لي مُستمع بعد غسان ، قال : هكذا
فلتكن النساء في الوفاء ، وقل من تحفظ ميتاً ، إنما هي أيامٌ قلائلٌ حتى
يُنْسَى وَعَنهُ يُسَلَى .

١ قولها : فما سمعنا به ، هكذا في الاصل ، وربما سقط شيء من الكلام في النقل أو في الطبع .

فقال هشام: صدق وبرّ، لجاد^١ ما أدركه عقله وحسن عزائه حين فاته طليته . أحسنت المرأة ووفقت ، وأحسن الرجل فصبر .

نظرة بتبسم

أنشدنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي الخلال ، رحمه الله ، قال :
أنشدنا أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي لبعضهم :
وقالوا لها : هذا حبيبك معرضاً ؛ فقالت : ألا إعراضه أيسر الخطب
فما هي إلا نظرة بتبسم ، فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

قميص الكتمان

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي العلاف الواعظ بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد
ابن عثمان الواعظ ، حدثنا جعفر بن محمد الصوفي ، حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثني
القاسم بن يزيد ، حدثني محمد بن سلام ، حدثني خلاد بن يزيد الأرقط قال :
كان عويمر العقيلي مشغولاً بابنة عم له ، وكان يقال لها ريا ، فزوجت
برجل ، فحملها إلى بلاده ، فاشتد وجدّه ، واعتلّ علّة أخذها الهلاس^٢ بها ،
فدعوا له طبيباً لينظر إليه ، فقال له : أخبرني بالذي تجد ، فرفع عقيرته
فقال :

كذبت على نفسي فحدّثت أني سلّوت لكيما ينظروا حين أصدّق
وما عن قلبي مني ولا عن ملالة ، ولكنني أبقي عليك وأشفق

١ لجاد : أي كان جيداً .

٢ الهلاس : مرض السل .

وَمَا الْمَجْرُ إِلَّا جُنَّةٌ لِي لَبِيسُهَا ، لَتَدْفَعَ عَنِّي مَا يُخَافُ وَيُفَرِّقُ^١
عَطَفْتُ عَلَى أَسْرَارِكُمْ ، فَكَسَوْتُهَا قَمِيصاً مِنَ الْكِتْمَانِ لَا يَتَخَرَّقُ^٢
وَلِي عِبْرَتَانِ مَا تُفَيِّقَانِ : عِبْرَةٌ تَفِيضُ ، وَأُخْرَى لِلصَّبَابَةِ تَخْتَقُ^٣
وَيَوْمَانِ : يَوْمٌ فِيهِ جِسْمٌ مُعَذَّبٌ عَلِيلٌ ، وَيَوْمٌ لِلتَّفَرُّقِ مُطْرَقٌ^٤
وَأَكْثَرُ حَظِّي مِنْكَ أَنِي إِذَا سَرْتُ لِي الرِّيحُ مِنْ تِلْقَائِكُمْ أَتَنَشَّقُ^٥
ثُمَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ ، فَقَالَ الْمُشْتَطَبُ لِأَهْلِهِ وَمَنْ حَضَرَهُ : ارْفُقُوا بِهِ ،
ثُمَّ انصَرَفَ . فَمَا مَكَثَ إِلَّا لِيَالِي يَسِيرَةً حَتَّى قَضَى .

طرف قتول

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري ، أخبرنا ابن رَوْح ، حدثنا المعافى بن زكريا ،
حدثنا الكوكبي ، حدثني اسحاق بن محمد ، أخبرني أبو عثمان المازني قال :

قال أبو حيان الدارمي في أبي تمام الرُّوبِيعُ من بني هاشم ، وكان يهواه :

سَبَّأَكَ مِنْ هَاشِمٍ سَلِيلُ لَيْسَ إِلَى عَطْفِهِ سَبِيلُ^١
ما اختال في صَحْنِ قَصْرِ أَوْسٍ إِلَّا تَسَجَّى لَهُ قَتِيلُ^٢
وَلَا حَظَّتْهُ الْعُيُونُ حَتَّى رَنَتْ لَهُ الْكَاعِبُ الْبَتُولُ^٣
فَإِنْ يَتَقِفْ ، فَمَا لِعُيُونٍ نُصْبُ ، وَإِنْ تَصَدَّى ، فَهَنْ حَوْلُ^٤
يَمْسَحُهُ عَنْ أَدِيمِ خَدٍّ مُورَدٍ ، صَحْنُهُ أُسِيلُ^٥
لِلْحَتَفِ فِي عَيْنِهِ قِيسِي^٦ أَيْدِي الْمَنَايَا بِهَا تَصُولُ^٧

١ يفرق : يفرع منه .

٢ تفيقان : أراد تريحان ، من أفاق الغالب : أراح بين الحلبتين .

يَتَرَعُ فِيهَا بِغَيْرِ نَبْلٍ ، طَرَفٌ لِعُشَّاقِهِ قَتُسُولُ
 قال أبو عثمان : فحدثني مَنْ أتى بخبره أن المأمون أنشد هذا الشعر ،
 فقال : ما سمعتُ أرقَّ من هذا المعنى :
 فَإِنْ يَقِفْ ، فَالْعُيُونُ نُصَبٌ ، وَإِنْ تَصَدَّى ، فَهَنْ حَوْلُ

شعر ليحيى بن طالب

أخبرنا محمد بن أبي نصر الحافظ ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ،
 حدثنا القاضي أبو محمد عبد الله بن الربيع ، حدثنا أبو علي الغالي قال : قال أبو بكر الانباري :
 غُنِّيَ هَارُونُ الرَّشِيدُ بِشَعْرِ يَحْيَى بْنِ طَالِبٍ :

أَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضَحٍ ، حَنِينِي إِلَى أَطْلَالِكُنَّ طَسْوِيلُ^١
 وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَدْ مَلَّ صُحْبَتِي مَسِيرِي ، فَهَلْ فِي ظِلِّكَ كُنَّ مَقِيلُ^٢
 وَيَا أَثْلَاتِ الْقَاعِ قَلْبِي مُسَوَّكَلُ^٣ بَكْنُ ، وَجَدَّوَي خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ^٤
 أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْحُزَامَى وَنَظْرَةِ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ سَبِيلُ^٥
 فَأَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْحُجَيْلَاءِ شَرِبَةً يُدَاوِي بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ عَلِيلُ^٦
 أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ أَنْ لَسْتُ رَاجِعًا إِلَيْكَ ، فَحُزْنِي فِي الْفُؤَادِ دَخِيلُ^٧
 أُرِيدُ هُبُوطًا نَحْوَكُمْ فَيَسِرُدَّنِي ، إِذَا رُمْتُهُ ، دَيْنٌ عَلَيَّ ثَقِيلُ^٨
 فقال هَارُونُ الرَّشِيدُ : يُقْضَى دِينُهُ ، فَطُلِبَ لِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ
 بِشَهْرٍ .

١ الاثلاث ، الواحدة أثلة : شجر صلب الخشب تصنع منه القصاع . القاع : أرض سهلة مطمئنة قد

انفرجت عنها الجبال . توضح : موضع .

٢ قرقرى : موضع .

٣ الحجيلة : موضع فيه ماء .

غصة الحديث

وبإسناده حدثنا القالي ، أخبرنا أبو بكر بن دريد

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه لرجل من بني كلاب :

ولما قضينا غصة من حديثنا ، وقد فاض من بعد الحديث المدامع
جرى بيننا منا رئيس يزيدنا سقاماً ، إذا ما استوعبته المسامع
كان لم تجاورنا أمام ، ولم يقم بعصر الحمى إذ أنت بالعيش قانع
فهل مثل أيام نقضين بالحمى عوائد ، أو غيث الستارين واقع
ولان نسيم الريح من مدرج الصبا ، لأوراب قلب شقه الحب نافع
قال أبو علي القالي : الرس الشيء من الخبر والرئيس مثله .

أفق من الحب

وبإسناده قال : وأبانا القالي ، أخبرنا ابن دريد

حدثنا أبو حاتم للعوام بن عتبة بن كعب :

إن سجمت في بطن واد حمامة تجاوب أخرى ماء عيئك دافق
كانك لم تسمع بكاء حمامة بليل ، ولم يحزنك ألف مفارق
ولم تر متجوعاً بشيء يحبه سواك ، ولم يعشق كعشيق عاشق
بلى فأفق عن ذكر ليلى ، فإنما أخوال الصبر من كف الهوى وهو تائق

١ أمام : اسم امرأة ، العيص : الشجر الكثير الملتف ، موضع منبت هذا الشجر .

٢ الأوراب : الأضواء ، الواحد ورب .

نُصَيْبٌ وَأُمُّ بَكْرٍ

أُنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَحْمَدَ الْبَرْمَكِيِّ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيَّةَ ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّعْدِيُّ عَنْ جَدِّهِ جَمَالِ بِنْتِ عَوْنِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ جَدِّهَا مُسْلِمِ السَّعْدِيِّ قَالَ :
رَأَيْتُ رَجُلًا أَسْوَدَ مَعَهُ امْرَأَةٌ بَيَاضَاءُ ، فَوَقَفْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ شِدَّةِ سَوَادِهِ مَعَ شِدَّةِ بَيَاضِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ :
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي تُحَدِّثُنِّي لِي غَدَاً غُرْبَةً النَّايِ الْمُفَرَّقِ وَالْبُعْدِ
لَدَى أُمِّ بَكْرٍ حِينَ تَنْتَشِبُ النَّوَى بِنَا ، ثُمَّ يَخْلُو الْكَاشِحُونَ بِهَا بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عِنْدَ الْأُلَى فِيهِمِ الْعِدَى ، فَتَشْتَمُهُمْ بِي أُمُّ تُقَيْمُ عَلَى الْعَهْدِ
فَقَالَتْ : لَا بَلْ نَدُومٌ عَلَى الْعَهْدِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي هَذَا نُصَيْبٌ ،
وَسَأَلْتُ عَنْهَا فَقِيلَ لِي عَشِيقَتُهُ أُمُّ بَكْرٍ .

ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى

أُنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَمْرِو الْحَنْبَلِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ حَيَوِيَّةَ ، حَدَّثَنَا الْحَرَمِيُّ بْنُ أَبِي الْعَلَاءِ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو عَثْمَانَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْإِسْدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُوَرِّجٍ قَالَ :
أَرَادَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ الْحَجَّ ، فَلَقِيَنِي نَصِيبًا ، فَقَالَ : هَلْ تُوصِي إِلَى سَعْدَى بِشَيْءٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ بِيَتَيْنِ . قَالَ : مَا هُمَا ؟ قَالَ :
أَتَصْبِرُ عَنْ سَعْدَى ، وَأَنْتَ صَبُورٌ ؛ وَأَنْتَ بِحُسْنِ الصَّبْرِ مِنْكَ جَدِيرٌ
وَكِدْتُ وَلَمْ أَخْلُقْ مِنَ الطَّيْرِ إِنْ بَدَا سَنًا بَارِقٍ نَحْوَ الْحِجَازِ أَطِيرُ
قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ ، فَوَجَدَ سَعْدَى فِي مَجْلَسِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

يا سَعْدَى ! مَعِيَ إِلَيْكَ رِسَالَةٌ . قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ هَاتَهَا يَا ابْنَ الصَّدِّيقِ ،
فَأَنشَدَهَا الْبَيْتَيْنِ ، فَتَنَفَّسَتْ تَنَفَّسًا شَدِيدًا ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ : أَوْهٍ
أَجَبْتِهِ ، وَاللَّهِ ، بِأَحْسَنَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَعَتَقَ مَا مَلَكَ أَنْ لَوْ سَمِعَهَا لَنَعَقَ وَطَارَ .

عاشق يقتله الصدُّ

حدثني محمد بن عبد الله الأندلسي ، وكتبه لي بخطه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد الحافظ
الأندلسي ، حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن الملاحجي الطليبي الأديب قال :

كُنْتُ أُخْتَلَفُ فِي النُّحُوِّ إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ خَطَّابِ النَّحْوِيِّ فِي جَمَاعَةٍ ، وَكَانَ
مَعَنَا عِنْدَهُ أَبُو الْحَسَنِ أَسْلَمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَاضِي قَضَاةِ الْأَنْدَلُسِ أَسْلَمُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ صَاحِبِ الْمَزْنِيِّ وَالرَّبِيعِ ؛ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَكَانَ أَجْمَلَ
مَنْ رَأَيْتُهُ الْعَيُونَ ؛ وَكَانَ مَعَنَا عِنْدَ مُحَمَّدَ بْنِ خَطَّابِ أَحْمَدُ بْنُ كُلَيْبٍ ، وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَاشْتَدَّ كَلْفُهُ بِأَسْلَمَ ، وَفَارَقَ صَبْرَهُ وَصَرَفَ فِيهِ
الْقَوْلَ مُتَسْتَرًّا بِذَلِكَ ، إِلَى أَنْ فَشَّتْ أَشْعَارُهُ فِيهِ ، وَجَرَّتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ
وَتَنُوشِدَتْ فِي الْمَحَافِلِ .

فَلِعَهْدِي بَعْرَسَ فِي بَعْضِ الشُّوَارِعِ بِقُرْطُبَةٍ ، وَالْكَوْرِي الزَّامِرُ قَاعِدٌ
فِي وَسْطِ الْمَحْفِلِ ، وَفِي رَأْسِهِ قَلَنْسُوَةٌ وَشِي ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ خَزَرٌ
عُسَيْدِي ، وَفَرَسُهُ بِالْحَلِيَةِ الْمُحَلَّلَةِ يُمْسِكُهُ غَلَامُهُ ، وَكَانَ يَزْمُرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
النَّاصِرِ ، وَهُوَ يَزْمُرُ فِي الْبُوقِ بِقَوْلِ أَحْمَدَ بْنِ كُلَيْبٍ فِي أَسْلَمَ ، وَهُوَ :

أَسْلَمَنِي فِي الْهَوَى أَسْلَمُ هَذَا الرَّشَا
غَزَالَ لَهُ مُقْلَةٌ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَا
وَشَى بَيْنَنَا حَاسِدٌ سَيُسْأَلُ عَمَّا وَشَى
وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَرْتَشَى عَلَى الْوَصْلِ رُوحِي ارْتَشَى

وَمُغْنٍ مُحْسِنٌ يُسَايِرُهُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْمَبْلَغَ انْقَطَعَ أَسْلَمٌ عَنْ
جَمِيعِ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَلَزِمَ بَيْتَهُ ، وَاجْلُوسَ عَلَى بَابِهِ .

وَكَانَ أَحْمَدُ بْنُ كَلِيبٍ لَا شُغْلَ لَهُ إِلَّا الْمُرُورَ عَلَى بَابِ أَسْلَمَ سَائِراً
وَمُتَقَبِلاً نَهَارَهُ كُلَّهُ ، فَامْتَنَعَ أَسْلَمَ عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى بَابِ دَارِهِ نَهَاراً ، فَإِذَا
صَلَّى الْمَغْرِبَ ، وَاخْتَلَطَ الظَّلَامُ خَرَجَ مُسْتَرْوِحاً ، وَجَلَسَ عَلَى بَابِ
دَارِهِ ، فَعِيلَ صَبْرُ أَحْمَدَ بْنِ كَلِيبٍ فَتَحِيلَ فِي بَعْضِ الْأَيْتَالِي وَلَبَسَ
جُبَّةَ صُوفٍ مِنْ جِيَابِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَاعْتَمَ بِمِثْلِ عَمَائِمِهِمْ ، وَأَخَذَ بِإِحْدَى
يَدَيْهِ دَجَاجاً ، وَبِالْأُخْرَى قَفْصاً فِيهِ بَيْضٌ ، وَتَحَيَّنَ جُلُوسَ أَسْلَمَ عِنْدَ
اخْتِلَاطِ الظَّلَامِ عَلَى بَابِهِ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ يَدَهُ وَقَالَ : يَا مَوْلَايَ !
تَأْمُرُ مَنْ يَقْبِضُ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ أَسْلَمٌ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَجِيرُكَ فِي الضَّيْعَةِ
الْقَلَانِيَةِ ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ أَسْمَاءَ ضِيَاعِهِ وَالْعَامِلِينَ فِيهَا ، فَأَمَرَ أَسْلَمٌ غِلْمَانَهُ
، ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي قَبُولِ هَدَايَا الْعَامِلِينَ فِي الضِّيَاعِ عِنْدَ وُرُودِهِمْ
بِهَا . ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الضَّيْعَةِ ، فَلَمَّا جَاوَبَهُ أَنْكَرَ الْكَلَامَ ، فَتَأَمَّلَهُ فَعَرَفَهُ ،
فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ! وَإِلَى هُنَا بَلَغْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِلَى هَاهُنَا تَتَّبِعُنِي ؟ أَمَا كَفَاكَ
انْقِطَاعِي عَنْ مَجَالِسِ الطَّلَبِ ، وَعَنْ الْخُرُوجِ جَمَلَةً وَعَنْ الْقُعُودِ عَلَى بَابِي نَهَاراً ،
حَتَّى قَطَعْتَ عَمِّي جَمِيعَ مَا لِي فِيهِ رَاحَةٌ ، فَقَدْ صَرْتُ مِنْ سَجْنِكَ فِي حَيْرَةٍ ،
وَاللَّهِ ، لَا فَارَقْتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ قَعَرَ مَنَزِلِي ، وَلَا جَلَسْتُ بَعْدَهَا عَلَى بَابِي لَا لَيْلاً
وَلَا نَهَاراً . ثُمَّ قَامَ ، فَانْصَرَفَ أَحْمَدُ بْنُ كَلِيبٍ حَزِيناً كَثِيباً .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : وَاتَّصَلَ ذَلِكَ بِنَا ، فَقُلْنَا لِأَحْمَدَ بْنِ كَلِيبٍ : قَدْ
خَسَرْتَ دَجَاجَكَ وَبَيْضَكَ ، فَقَالَ : هَاتِ كُلَّ لَيْلَةٍ قُبْلَةَ يَدِهِ ، وَأَخْسِرُ
أَضْعَافَ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَمَّا يَثْنَى مِنْ رُؤْيِيهِ الْبَسْتَةَ نَهَسَكَتُهُ الْعَلَّةُ ، وَأَضْجَعَهُ الْمَرَضُ .
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ : فَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَطَّابٍ قَالَ :
فَعَدَّتْهُ فَوَجَدَتْهُ بِأَسْوَأِ حَالٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : وَلِمَ لَا تَتَدَاوَى ؟ فَقَالَ : دَوَائِي

معروفٌ ، وأمّا الأطباء فلا حيلة لهم في البتّة . فقلتُ له : وما دواؤك ؟ قال .
نظرةٌ من أسلم ، ولو سَعَيْتَ في أن يزورني لأعظمَ الله أجرَكَ بذلك ، وكان
هوَ والله أيضاً يُؤجّرُ .

قال : فرَحِمتهُ وتَقَطَّعتُ نفسي له ، فنهضتُ إلى أسلم ، فاستأذنتُ عليه ،
فأذنَ لي وتَلَقَّاني بما أحبُّ ، فقلتُ له : لي حاجةٌ . قال : وما هي ؟ قلتُ :
قد عَلِمْتَ ما جَمَعَكَ معَ أحمدَ بنِ كليبٍ من ذِمَامِ الطلبِ عندي ، فقال :
نعم ! ولكن تَعَلَّمُ أَنَّهُ بَرَّحَ بي وشَهَرَ اسمي وآذاني . فقلتُ : كلَّ ذلك
يُغْتَفَرُ في مثلِ الحالِ التي هوَ فيها ، فتَفَضَّلْ بعبادته . فقال لي : والله ما أقدرُ على
ذلك فلا تكلِّفني هذا . فقلتُ له : لا بدَّ ، فليس عليك في ذلك شيءٌ ، وإنَّما
هيَ عيادةٌ مريضٍ .

قال : ولم أزلْ به حتى أجابَ ، فقلتُ : فقمِ الآنَ ! فقال لي : لستُ
والله أفعلُ ، ولكن غداً ، فقلتُ له : ولا خُلفَ ؟ قال : نعم .
قال : فانصرفتُ إلى أحمدَ بنِ كليبٍ وأخبرتهُ بوَعده بعد تأبّيه ،
بذلك وأرتاحتُ نفسُهُ .

قال : فلما كان من الغدِ بكرتُ إلى أسلم وقلتُ له : الوعد . فوجَّهَ ،
وقال : والله لقد تحملني على خطئةٍ صعبةٍ عليّ ، وما أدري كيفَ أطيقُ
ذلك . قال : فقلتُ له : لا بدَّ أن تفي بوعدِكَ لي .

قال : فأخذَ رِداءه ونهَضَ معي راجِلاً ، فلما أتينا منزِلَ أحمدَ بنِ
كليبٍ ، وكان يسكنُ في آخرِ دَرْبٍ طَوِيلٍ ، وتَوَسَّطَ الزقاقَ وَقَفَ واحمرَّ
وخجل ، وقال لي : يا سيدي ، السَّاعةُ والله أموتُ وما أقدرُ أن أنقلَ
قدمي ، ولا أستطيعُ أن أعرضَ هذا على نفسي . فقلتُ له : لا تَفْعَلْ بعدَ أن
بَلَغْتَ المَنزِلَ وتَنصَرِفَ ؟ فقال : لا سبيلَ ، والله ، إلى ذلك البتّة .

ورَجَعَ هارباً ، فاتَّبَعْتُهُ فأخذتُ بِرِداءه ، فتمادى وخرَّقَ الرِّداءَ ، وبَقِيَتْ
قطعةٌ منه في يَدَي لشدّةِ إمساكي له ، ومَضَى ولم أدركه ، فرَجَعْتُ ودخلتُ

على أحمد بن كليب .

وقد كان غلامه دخلَ عليه ، إذْ رأنا من أول الزقاق ، مبشراً ، فلما
رآني دونه تغيّر وجهه وقال : وأين أبو الحسن ؟ فأخبرته بالقصة ، فاستحال
من وقته ، واختلط ، وجعل يقول ويتكلم بكلام لا يعقل منه
أكثر من التراجع^١ ، فاستبشعت الحال ، وجعلت أترجع وقُمتُ ، فتاب إليه
وجهه ، وقال : أبا عبد الله ! قلت : نعم ! قال : اسمع مني ، واحفظ
عني . ثم أنشأ يقول :

أسلمُ يا راحة العليلِ ، رفقاً على الهائم النحيلِ

قال : فقلت : اتق الله ، ما هذه الكبيرة ؟ فقال لي : قد كان . فخرجتُ
عنه ، فوالله ما توسّطتُ الزقاقَ حتى سمعتُ الصّراخَ عليه وقد فارقَ
الدنيا .

قال لنا أبو محمد عليّ بن أحمد : وهذه قصة مشهورة عندنا . ومحمد
ابن الحسن ثقة ، ومحمد بن خطاب ثقة ، وأسلم هذا من بني خلف
وكانت فيهم وزارة وحجابه ، وهو حاجب الديوان المشهور في غناء زرياب ،
وكان شاعراً ، وأبنته الآن في الحياة يُكنى أبا الجعد .

قال أبو محمد : ولقد ذكرتُ هذه الحكاية لأبي عبد الله محمد بن سعيد
الحوّلاني الكاتب ، فعرفها ، وقال : لقد أخبرني الثقة أنه رأى أسلم هذا في
يومٍ شديد المطر لا يكادُ أحدٌ يمشي في طريق ، وهو قاعد على قبر أحمد
ابن كليب المذكور زائراً له قد تحيّن غفلة الناس في مثل ذلك النهار .

١ التراجع : هو ان يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

شعر ملحون

قال شيخنا : قال لنا أبو محمد ، وحدثني أبو محمد قاسم بن محمد القرشي قال :
كتب ابن كليب إلى محمد بن خطاب شعراً يتغزل فيه بأسلم ، فعرضه
ابن خطاب على أسلم فقال : هذا ملحون ، وكان ابن كليب قد أسقط
التنوين من لفظة في بيت من الشعر ، فكتب ابن خطاب إلى ابن كليب بذلك ،
فكتب إليه ابن كليب مسرعاً :

الحق لي التنوين في مطمع ، فإنني أنسيت إلحاقه
لا سيما إذ كان في وصل من كدر لي في الحب أخلاقه

قبر عاشق

أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قال :
أنشدنا أبو عمر محمد بن العباس عمّن أنشده في أثر حكاية ذهبت علي
وحفظت الشعر :

مررت بقبر مشرق وسط روضة عليه من النوار ثوب شقائق
فقلت لمن هذا؟ فجأوبني الثرى : ترحم عليه إنه قبر عاشق

١ لعل لفظة مطمع هي التي سقط منها التنوين .

وفاة عزيز لا حياة ذليل

أخبرني أبو الخطاب أحمد بن المفيرة الاندلسي بدمشق لأبي العلاء أحمد بن سليمان وذكر لي أنه قرأ عليه ديوان الصبابة وقرأته عليه جميعه بدمشق

ولي من أثناء قصيدة له أولها :

أسالت أتيّ الدمع فوق أسيل ، ومالت لظلّ بالعراق ظليل
ومنها :

أسرت أحنانا بالحدّاع ، وإنه يُعدّ ، إذا اشتدّ الوغى ، بقبيل
فإن تطلقه ترتجي شكر قوميه ؛ وإن تقتليه تؤخذني بقبيل
وإن عاش لاقى ذلة ، واختياره وفاة عزيز ، لا حياة ذليل

أجمل الناس وأقبحهم

أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين الوكيل ، حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الله القطيعي ، حدثنا الحسين بن صفوان ، حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال :

خرج رجل من بني أسد في نيشدان إبل له أضلّها ، حتى إذا كان ببعض بلاد قضاة ، أمسى في عشيّة باردة ، وقد رفعت له بُيوت ، فتفرّس أيّها أرجى أن يكون أمثل قري ، قال : فرأيت مظلة روحاء فأممتها ، فإذا أنا بامرأة من أكل النساء حسناً ، وآصلهن عقلاً ، فسلمت فردت ورحبت ثم قالت : ادخل من القصر ، وآذن من الصلوة ! فدخلت فلم ألبث أن أتيت بعشاء كثير ، فأكلت وهي تُحدثني ، حتى إذا راحت الإبل إذا

١ المظلة : ما يستظل به من الأخية . روحاء : واسعة منفرجة .

٢ راحت الإبل : ارتدت عشيّاً إلى مراحيها .

هَتِي ١ قد أَقْبَلَ إِلَيْهَا كَأَنَّهُ بَعْرَةٌ دَمَامَةٌ وَضُؤُولَةٌ شَخْصٌ ، وَقَدْ كَانَ فِي حَجَرِهَا
ابن لها كأطيب الولدان وأحسنهم ، فلما رأى ذلك الإنسان مُقْبِلًا هَشَّ
إليه ، وَعَدَا فِي لِقَائِهِ ، فَأَخَذَ الصَّبِيَّ ، فَاحْتَمَلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ يَلْتِمِسُ فَاهُ مَرَّةً
وَعَيْنَهُ أُخْرَى ، وَيُفَدِّيه . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَظَنَّهُ عَبْدًا لَهُمْ ، حَتَّى جَاءَ فَجَلَسَ
إِلَى جَانِبِهَا ، وَقَالَ : مَنْ ضَيْفُكُمْ هَذَا ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ زَوْجُهَا وَأَنَّ
الصَّبِيَّ وَلَدُهُ مِنْهَا ، فَطَفَقْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ تَارَةً وَإِلَيْهَا أُخْرَى وَأَتَعَجَّبُ لاختلافهما ،
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ حَسَنًا ، وَكَأَنَّهُ قَرْدٌ قُبْحًا ، فَقَطَنَ لِنَظَرِي إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ ، فَقَالَ :
يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ ! تَرَى عَجَبًا ؟ قُلْتُ : أَجَلْ ، وَأَيْلِكَ ، إِنِّي لَأَرَى عَجَبًا مُعْجَبًا .
قَالَ : صَدَقْتُ ! تَقُولُ : أَحْسَنُ النَّاسِ وَآدَمُ النَّاسِ ٢ . قُلْتُ : نَعَمْ ، فَلَيْتَ
شَعْرِي كَيْفَ أَوْدِمَ بَيْنَكُمَا ٣ ! قَالَ : أَخْبَرُكَ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ .

كَنتُ سَابِعَ سَبْعَةِ إِخْوَةٍ كُلَّهُمْ لَوْ رَأَيْتَنِي مَعَهُمْ ظَنَنْتَنِي عَبْدًا لَهُمْ ،
وَكَانَ أَبِي وَإِخْوَتِي يَطْرَحُونِي ، وَكَنتُ لِكُلِّ عَمَلٍ دَنِيءٍ : لِلرَّوَايَةِ مَرَّةً ،
وَلِكِرْيَاةِ الْغَنَمِ أُخْرَى ، وَكَانَتْ إِخْوَتِي هُمْ أَصْحَابُ الْإِبِلِ وَالْحَيْلِ . فَبَيْنَا أَنَا
أَرْعَى الْإِبِلَ فِي عَامٍ جَدَّبَ أَشْهَبٌ إِذْ ضَلَّ بَعِيرٌ مِنْهَا ، فَقَالُوا لِأَبِي : ابْعَثْ
فَلَانًا يَبْغِيهِ ! فِدْعَانِي فَقَالَ : اذْهَبْ فَاطْلُبْ هَذَا الْبَعِيرَ ! فَقُلْتُ : مَا تُنْصِفَنِي
أَنْتَ وَلَا بَنُوكَ . أَمَّا إِذَا الْإِبِلُ دَرَّتْ أَلْبَانُهَا وَطَابَ رُكُوبُهَا ، فَهَمَّ أَصْحَابُهَا ؛
وَأَمَّا إِذَا نَدَّتْ ضُلَالُهَا ، فَأَنَا بَاغِيهَا . فَقَالَ : يَا لُكْعَ اذْهَبْ ! أَمَّا وَاللَّهِ
إِنِّي لَأُظَنُّهُ آخِرَ أَيَّامِكَ مِنْ ضَرْبٍ وَجِيعٍ .

قَالَ : وَظَنَنْتُ أَنِّي مَضْرُوبٌ ، فَعُدْتُ مُضْطَهَدًا مُحْقُورًا خَلَقَ الشَّيَابِ
جَائِعًا مَقْرُورًا ، فَطُفْتُ لَيْلَةً فِي بَسَابِسٍ ٤ لَيْسَ بِهَا غَرِيبٌ ، فَبِيتَ ، ثُمَّ

١ الهَيءُ : المَطْلِي بِالْقَطْرَانِ . لَعْلُهُ أَرَادَ أَنَّهُ أَسْوَدَ كَأَنَّهُ طَلِي بِالْقَطْرَانِ .

٢ الْآدَمُ : الْإِسْمَرُ .

٣ أَوْدَمَ بَيْنَكُمَا : وَفَقَ بَيْنَكُمَا .

٤ الْبَسَابِسُ ، الْوَاحِدُ بَسْبَسٌ : الْقَفَرُ .

أَصْبَحْتُ فغَدَوْتُ حافياً ، حتى دَفَعْتُ مساءَ اللَّيْلَةِ إلى مِظْلَةٍ ، فإذا عَجُوزٌ
 وَسِيمَةٌ خَلِيقَةٌ لِلخَيْرِ وَالسُّودِّ ، في عَشِيَّةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ صَرٍّ ، وَمَعَهَا هَذِهِ
 عَدِيَّةٌ نَفْسُهَا^١ ، وَهِيَ ابْنَتُهَا ، فَأَدْخَلَتْنِي الْعَجُوزُ ، وَأَتَتْنِي بِتَمَرٍ وَعَلِقَتْنِي
 هَذِهِ سَخْرِيًّا ، وَهَزَّؤُوا بِي ، وَقَالَتْ : مَا رَأَيْنَا كَالْعَشِيَّةِ قَطُّ فِتْنَى أَجْمَلَ مِنْكَ ،
 وَلَا أَكْمَلَ خَلْقًا. فَقُلْتُ : يَا هَذِهِ جَنَّبْنِي نَفْسَكَ ، فَإِنِّي عَنِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ
 فِي شُغْلٍ .

قَالَتْ : وَيَحْكُ ! هَلْ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ هَذَا السُّتْرَ عَلَيَّ ، إِذَا نَامَ الْحَيَّ ،
 فَتُحَدِّثَ وَتُمَثِّلَنَا مِنْ أُمَثِيلِكَ هَذِهِ ؟ فَإِنَّا نَرَاهَا مِلَاحًا . فغَرَّتْنِي إِبْلِيسُ ،
 لَمَّا شَبِعْتُ مِنَ الْقِرَى ، وَدَفِئْتُ مِنَ الصَّلَى ، وَجَاءَ أَبُوهَا وَإِخْوَتُهَا مِثْلَ
 السَّبَاعِ ، وَاضْطَجَعُوا أَمَامَ الْحَيِّمَةِ ، وَأَنَا فِيهَا ، فَلَمْ يَزَلْ بِي الْقَدَرُ الْمُحْتَمُومُ
 حَتَّى نَهَضْتُ لِأَلْجِ عَلَيْهَا السُّتْرَ ، فَإِذَا هِيَ نَائِمَةٌ ، فَهَزَّيْتُهَا بِرِجْلِي ، فَانْتَبَهَتْ
 وَقَالَتْ : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : الضَّيْفُ . قَالَتْ : إِيَّاكَ ، فَلَا حَيَّاكَ اللَّهُ .

قَالَ الْأَسَدِيُّ : وَهِيَ وَاللَّهُ تَصْدُفُ حَيَاءً مِنْ حَدِيثِ زَوْجِهَا صُدُوفَ
 الْمُهْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ سَمِعْتُ صَلَاحِيلَ لِحَامِهَا . ثُمَّ قَالَتْ : لَا حَسُنَ خَبْرُكَ ،
 اخْرُجْ لَعَنَكَ اللَّهُ !

قَالَ : فَسَقَطَ فِي يَدَيَّ^٢ ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَسْتُ فِي شَيْءٍ ، فَخَرَجْتُ لِأَهْرَبَ
 فَرَعًا مَذْعُورًا ، فَهَاجَتْنِي كَلِيبُ لَهْمٍ ، مِثْلُ الْفَارِسِ لَا يَطَافُ مُرْتَبَضُهُ ، وَأَرَادَ
 أَكْلِي ، فَأَرْهَبْتُهُ عَنِّي ، ثُمَّ قَالَتْ : اذْهَبْ لَا صَاحِبِكَ اللَّهُ . فَلَمَّا رَجَعْتُ
 عَادَ الْكَلْبُ إِلَيَّ فَرَهَقَنِي ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي الْقَهْقَرَى ، وَأَرْهَبُهُ بِعُصْبَةٍ
 مَعِي ، وَهُوَ يَرْكَبُنِي بِأَجْرَامِهِ^٣ ، حَتَّى شَدَّ عَلَيَّ شِدَّةً ، فَتَعَلَّقَتْ أَظْفَارُهُ
 وَأَنْيَابُهُ فِي مُقَدِّمِ مِدرَعَةِ صُوفٍ عَلَيَّ ، وَأَهْوَيْتُ مِنْ قِبَلِ عَقْبِي فِي بَشْرِ ،

١ عديّة نفسها : لعله أراد عدوة نفسها ، أو التي اعتدت على نفسها ، أو هي تصحيف عدوة .

٢ سقط في يدي : ندمت .

٣ أجرامه : بدنه .

وَهَوَىٰ مَعِيَ ، فَإِذَا أَنَا وَهَوَىٰ فِي قَرَارِهَا ، وَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُن فِيهَا مَاءٌ ، فَسَمِعَتِ الْمَرْأَةُ الْوَجْبَةَ ، فَأَقْبَلَتْ وَمَعَهَا حَبْلٌ حَتَّىٰ أَشْرَفَتْ عَلَيَّ ، ثُمَّ أَدَلَّتِ الْحَبْلَ فَقَالَتْ : ارْتَقِ ، لَعْنِكَ اللَّهُ ! فَلَوْلَا أَنْ يُقَصَّصَ^١ أَثَرِي مَعَكَ ، غُدْوَةً ، لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَبْرُكَ .

قال : فَتَعَلَّقْتُ بِالْحَبْلِ وَارْتَقَيْتُ حَتَّىٰ إِذَا كَدْتُ أَنْ أَتَنَاوَلَ يَدَهَا تَهَوَّرَ بِهَا مَا تَحْتَ قَدَمَيْهَا مِنَ الْبَثْرِ ، وَبَثْرٌ أَيْمًا بَثْرٌ ، إِنَّمَا هِيَ بَثْرٌ حَفَرٌ لَا طِيَّ لَهَا^٢ ، فَإِذَا أَنَا وَهَيَّ وَالْكَلْبُ فِي قَرَارِهَا ، يَنْبِجُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَهَيَّ تَبْكِي فِي نَاحِيَةٍ ، وَتَدْعُو بِالشُّبُورِ وَالْفَضِيحَةِ ، وَأَنَا مُنْقَبِضٌ فِي نَاحِيَةٍ فَقَرَّ بَرْدُ جُلْدِي عَلَى الْقَتْلِ^٣ ، حَتَّىٰ إِذَا أَصْبَحَتْ أُمُّهَا تَفْقَدُهَا عِنْدَ الصَّلَاةِ فَأَتَتْ أَبَاهَا ، فَقَالَتْ : أُنْعَلِمَ أَنَّ ابْنَتَكَ لَيْسَتْ هَهُنَا ؟ فَقَامَ ، وَكَانَ قَائِفًا عَالِمًا بِالْآثَارِ ، فَتَحَدَّثَ أَثَرِي وَأَثَرَهَا ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ فِي الْبَثْرِ ، فَإِذَا نَحْنُ فِيهَا ، فَرَجَعَ سَرِيعًا ، فَقَالَ لِبْنِيهِ : اخْتُسُّكُمْ وَكَلْبُكُمْ وَضَيْفُكُمْ فِي الْبَثْرِ .

قال : فَتَوَاشَبُوا فَمِنْ أَخَذَ حَجْرًا ، وَمِنْ أَخَذَ سِيفًا ، وَمِنْ أَخَذَ عَصًا ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْبَثْرَ قَبْرِي وَقَبْرَهَا . فَقَالَ أَبُوهَا : مَهْ ! فَإِنْ ابْنَتِي لَيْسَتْ بِحَيْثُ تَظُنُّونَ . قَالَ : فَتَزَلْ أَحَدُهُمْ ، فَأَخْرَجَهَا وَأَخْرَجَ الْكَلْبَ ثُمَّ أَخْرَجُونِي ، فَقَالَ أَبُوهُمْ : إِنَّكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ هَذَا الرَّجُلَ طَلَبْتُمْ ، وَإِنْ خَلَيْتُمُوهُ افْتَضَحْتُمْ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَزَوِّجَهُ لِيَاهَا ، فَلَعَمْرِي ! إِنَّهُ مَا يُطْعَنُ فِي نَسَبِهِ ، وَإِنَّهُ لَكُفُوٌ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : هَلْ فِيكَ خَيْرٌ ؟

فَلَمَّا وَجَدْتُ رِيحَ الْحَيَاةِ ، كَأَنَّمَا كَانَ عَلَى قَلْبِي غَطَاءٌ فَاُنْكَشَفَ ، قُلْتُ :

١ يقصص : يتبع .

٢ لا طي لها : لا بناء لها .

٣ قر برد جلدي على القتل : هكذا في الأصل ، ولعله أراد أن جلده اقشمر خوفاً من القتل ، أو لعله سقط شيء من الكلام .

٤ القائف ، من قاف أثره : تبعه .

وَأَيْنَ الْخَيْرِ إِلَّا عِنْدِي ؟ حَكَمْتُكَ ! قَالَ : خَمْسِينَ بَكْرَةً^١ وَعَبْدًا وَأَمَةً
قُلْتُ : لَكَ مَا سَأَلْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ فَازْدَدْ . قَالَ : قَدْ مَلَكَتْهَا ، فَانصَرَفْتُ
حَتَّى آتَى أَبِي ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ : لَا مَرْحَبًا ، وَلَا أَهْلًا ، فَأَيْنَ الْبَعِيرُ ؟
قُلْتُ : أَرْبَعَ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ تَسْمَعُ الْخَبَرَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ مُحَدَّثٌ : كَانَ
مِنَ الْأَمْرِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ ، قَالَ : وَرَيْتُ بِكَ زِنَادُ أَبِيكَ ، إِذَا وَاللَّهِ لَا تُسَلِّمَ
وَلَا تُخْذَلْ ، عَلَيَّ بِالْإِبِلِ .

فَلَمَّا جَاءَتْ قَالَ : اْعْتَدْ حَاجَتَكَ ، فَاعْتَدْتُ مِنْهُنَّ خَمْسِينَ بَكْرَةً كَأَنَّهُنَّ
الْعَذَارَى ، وَدَفَعَ إِلَيَّ عَبْدًا وَأَمَةً مَوْلَدَيْنِ ، ثُمَّ سَاقَ مَعِيَ الْإِبِلَ حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ ،
فَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ ، وَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَتَنَا ، وَهِيَ هَذِهِ ، جُهِدُهَا أَنْ تَقُولَ
كَذَبْتُ ، فَاعْجَبْتُ لِدَلَالَةِ فِعْلِ دَهْرٍ ، أَيِ أَكْثَرِ الْعَجَبِ .

لا يقبل الرشوة

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْأَرْدَسْتَانِي فِي مَا أَذِنَ لَنَا فِي رِوَايَتِهِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ
السُّلَمِيُّ ، سَمِعْتُ مَنْصُورَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ :

دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى الشُّبْلِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالُوا : كَيْفَ تَجِدُكَ
يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

إِنَّ سُلْطَانًا حُبَّهِ . قَالَ : لَا أَقْبَلُ الرُّشَا
فَسَلُّوهُ ، فَدَيْتُهُ ، لِمَ بَقِيتُ تَحَرَّشًا

١ قوله : خمسين بكرة ، أي أريد خمسين بكرة .

كيف يقتل الفاسق

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي بن السواق ، رحمه الله ، حدثنا محمد بن أحمد بن فارس ، حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا أبو بكر محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر العامري ، حدثنا عبد الله بن عمر ، حدثنا أبو عباد شيخ قديم قال :

أدركتُ الخادم الذي كان يقومُ على رأسِ الحجاج ، فقلتُ له : أخبرني بأعجبِ شيءٍ رأيتَ من الحجاج ؟ قال : كان ابنُ أخيه أميراً على وَاَسَط ، وكانت بوَاَسَط امرأةٌ يقال : إنه لم يَكُ بها في ذلك الوقت امرأةٌ أجملُ منها ، فأرسلَ ابنُ أخيه إليها يريدُها على نفسها مع خادمٍ له ، فأبت ، وقالت : إن أردتني فاخطبني إلى إخوتي ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ ، فأبى وقال : لا ! إلا كذا ، وعاودَها ، فأبتُ إلا أن يخطبها إلى إخوتها ، فأما حرامٌ فلا ، فأبى هوَ إلا الحرام ، فأرسلَ إليها بهديّةٍ ، فأخذتها فعزلتها ، ثمَّ أرسلَ إليها عشيّةَ جُمعةٍ أني آتيك الليلة ، فقالت لأمتها : إن الأميرَ قد بعثَ إليّ بكذا وكذا ، فأنكرتُ أمّها ذلك ، وقالت لإخوتها : إن أختكم قد زعمتُ كذا وكذا ، فأنكروا ذلك وكذبوها ، فقالت : إنه قد وعدتني أن يأتيني الليلة ، فسترونه .

فقعد إخوتها في بيتٍ حيالَ البيتِ الذي هوَ فيه ، وفيه سراجٌ ، وهم يرونَ مَنْ يدخلُ إليها ، وجوْيرية لها على بابِ الدارِ ، قاعدة . حتى جاء الأميرُ فنزلَ عن دابّته ، وقال لعلامه : إذا أذنَ المؤذّنُ في الغلس ، فأنتي بدابّتي ، ودخلَ ، فمشّت الجاريةُ بينَ يديه ، فقالت له : ادخلْ ، فدخلَ وسَيّدتها على سريرٍ مُستلقية ، فاستلقى إلى جانبها ثمَّ وَضَعَ يدهَ عليها ، وقال : إلى كم هذا المطلُ ؟ فقالت له : كفّ يدك يا فاسق ، فدخلَ إخوتها عليها ، ومعهم سيوفٌ ، فقطعوه ، ثمَّ لَفّوه في نِطعٍ ، وجاؤوا به إلى سِكةٍ من سِكتك وَاَسَط ، فألقوه فيها .

وَجَاءَ الْغُلَامُ بِالِدَابَّةِ فَجَعَلَ يَدُقُّ الْبَابَ دَقًّا رَفِيقًا وَلَيْسَ يَكْلُمُهُ أَحَدٌ ،
فَلَمَّا خَشِيَ الصَّبْحَ ، وَأَنْ تُعْرَفَ الدَابَّةُ ، انصَرَفَ وَأَصْبَحُوا ، فَإِذَا هُمْ بِهِ ،
فَأَتَوْا بِهِ الْحَجَّاجَ ، فَأَخَذَ أَهْلَ تِلْكَ السَّكَّةِ ، فَقَالَ : أَخْبِرُونِي مَا هَذَا ، وَمَا
قِصَّتُهُ ؟ قَالُوا : لَا نَعْلَمُ مَا حَالُهُ وَمَا قِصَّتُهُ . غَيْرَ أَنَّا وَجَدْنَاهُ مُلْقًى . فَفُطِنَ
الْحَجَّاجُ ، فَقَالَ : عَلَيَّ بِمَنْ كَانَ يَخْدُمُهُ . فَأَتَى بِذَلِكَ الْخَصِيِّ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ .
فَقَالُوا : هَذَا كَانَ صَاحِبَ سَرِّهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : اصْدُقْنِي ! مَا كَانَ حَالُهُ
وَمَا قِصَّتُهُ ؟ فَأَبَى ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ صَدَقْتَنِي لَمْ أَضْرِبْ عُنُقَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي
فَعَلْتُ بِكَ ، وَفَعَلْتُ . فَأَخْبَرَهُ الْأَمْرَ عَلَى جِهَتِهِ ، فَأَمَرَ بِالْمَرْأَةِ وَأُمِّهَا وَإِخْوَتِهَا
فَجِيءَ بِهِمْ ، فَعُزِّلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْهُمْ ، فَسَأَلَهَا ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْخَصِيَّ ،
ثُمَّ سَأَلَ الْإِخْوَةَ عَلَى انْفِرَادٍ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَقَالُوا : نَحْنُ صَنَعْنَا
بِهِ الَّذِي تَرَى . فَصَرَفَهُمْ وَأَمَرَ بِرَفِيقِهِ وَدَوَابِّهِ وَمَالِهِ وَكُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ لَهُ
أَنْ يُعْطَى لِلْمَرْأَةِ .

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : عِنْدِي هَدِيَّتُهُ الَّتِي وَجَّهَ بِهَا إِلَيَّ . فَقَالَ : يَارَكَ اللَّهُ لَكَ
فِيهَا ، وَأَكْثَرَ فِي النِّسَاءِ مِثْلَكَ ، هِيَ لَكَ ، وَكُلُّ مَا تَرَكَ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَكَ ،
فَاعْطَاهَا جَمِيعَ مَا تَرَكَ وَخَلَّى عَنْهَا وَعَنْ إِخْوَتِهَا ، وَقَالَ : إِنَّ مِثْلَ هَذَا
لَا يُدْفَنُ فَالْقُوهُ لِلْكَلابِ . وَدَعَا بِالْخَصِيِّ فَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ قُلْتَ لَكَ إِنِّي
لَا أَضْرِبُ عُنُقَكَ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ وَسْطِهِ .

مِثْنَا الْحَبِّ

أَخْبَرَنَا الْأَمِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَيْسَى بْنِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ قِرَاءَةً عَلَيْهِ فِي دَارِهِ بِالْحَرِيمِ الطَّاهِرِيِّ سَنَةِ
ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْيَشْكُرِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْقَاسِمِ
بِإِسْنَادٍ لَهُ عَنْ ابْنِ الْأَشْدَقِ قَالَ :

كَنتُ أَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، فَرَأَيْتُ شَابًّا تَحْتَ الْمِيزَابِ قَدْ أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي
كِسَائِهِ ، وَهُوَ يَتْنُ كَالْمَحْمُومِ ، فَسَلَّمْتُ ، فَرَدَّ السَّلَامَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَيْنَ ؟

قلت : من البصرة . قال : أترجعُ إليها ؟ قلت : نعم ! قال : فإذا دخلت
النَّبَاجَ^١ ، فاخرجُ إلى الحيِّ ، ثمَّ نادِ : يا هِلَال يا هِلَال ، تخرجُ إليك جاريةٌ
فتُنشدُها هذا البيت :

لقد كنتُ أهوى أنْ تكونَ مِنِّي بعَيْنِكَ حَتَّى تَنْظُرِي مَيِّتَ الحُبِّ
وماتَ مكانه ، فلمَّا دخلتُ النَّبَاجَ أتيتُ الحيَّ ، فنَادَيْتُ : يا هِلَال
يا هِلَال ، فخرجتُ إليَّ جاريةٌ لم أرَ أحسنَ منها ، وقالت : ما وراءك ؟
قلتُ : شابٌّ بمكة أنشدني هذا البيت . قالت : وما صنعَ ؟ قلت : مات ،
فخرتُ مكانها ميتة .

إساءة الدنيا وإحسانها

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي بقراة علي عليه ، أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى
الرماني النحوي ، حدثنا أبو بكر بن دريد :

أنشدنا عبد الرحمن عن عمه :

رُؤَيْدَكَ يَا قُمْرِي ! لستَ بِمُضْمِرٍ	من الشَّوقِ لِأَدُونِ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
ليُكَفِكَ أَنْ الْقَلْبَ مُذْ أَنْ تَنَكَّرْتُ	أَسِيْمَاءُ عَنْ مَعْرُوفِهِ مُتَنَكَّرٌ
سَقَى اللَّهَ أَيَّامًا خَلَّتْ وَلَيَالِيَا ،	فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَهْدُهُمَا الْمُتَذَكَّرُ
لَئِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَجْدَتْ إِسَاءَةً ،	لَمَّا أَحْسَنْتُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

١ النَّبَاج : قرية في البادية .

عيون وخذود

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن أيضاً ، أخبرنا علي بن عيسى الرماني قال : أخبرنا ابن دريد

أنشدنا عبد الرحمن عن عمّه لأبي المطراب العنبري :

أيا بارقي مغنى بُشِينَةٍ أسعِدَا فتى مُقْصِداً بالشَّوقِ فهوَ عَمِيدُ^١
ليالي مَنَسَا زَائِرٌ مُتَهَالِكٌ ، وَآخِرُ مَشْهُورٌ كَوَاهُ صُدُودُ^٢
على أنه مُهْدِي السَّلَامِ وَزَائِرٌ إِذَا لَمْ يَسْكُنْ مَسْنٌ يَخَافُ شُهُودُ^٣
وَقَدْ كَانَ فِي مَغْنَى بُشِينَةٍ لَوْ رَنَتْ عُيُونٌ مَهَا تَبْدُو لَنَا وَخُدُودُ^٤

جسم ناحل وعظام

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن التوزي ، أخبرنا اسماعيل بن سعيد بن سويد ، حدثنا أبو بكر ابن الأنباري ، أخبرنا أبي

أنشدنا أحمد بن عُبَيْد :

ألا مُسْعِفٌ من بُعدٍ ناءٍ وَشُقَّةٍ بِرَامٍ ، وَأَعْلَامٍ بِسَفْحٍ بِرَامٍ^١
أَقَامَ بِهِ قَلْبِي وَرَاحَتُ مَطِيئِي بِأَشْلَاءٍ جِسْمٍ نَاحِلٍ وَعِظَامٍ^٢
قال أبو بكر : الْأَشْلَاءُ جمع شِلْوٍ ، وهو العُضْوُ .

١ العميد : الحزين ، الذي هذه العشق .

٢ الشقة : البعد ، والموضع يقصده المسافر . الرام ، الواحدة رامة : موضع في البادية ، ومستنقع يجتمع فيه الماء . برام ، بالفتح : موضع .

موت جميل بثينة

أخبرنا أبو طاهر أحمد بن علي السواق ، أخبرنا محمد بن أحمد بن فارس ، حدثنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن خلف ، حدثنا أبو بكر العامري ، أخبرني أبو الحسن ابن محمد بن أبي سيف ، أخبرني أبو عبد الرحمن المجلائي عن سهل بن سعد الساعدي قال :

بينما أنا بالشام إذ لقيني رجلٌ من أصحابي فقال : هل لك في جميلٍ تودُّه ، فإنه ثقیل بالمرَض ؟ قلت : نعم ! فدَخَلنا عليه ، وهو يَجُودُ بِنَفْسِهِ ، وَمَا يُخَيِّلُ إِلَيَّ إِلَّا أَنْ الْمَوْتَ عَلِقَ بِهِ ، فنظرَ إِلَيَّ وقال : يا ابنَ سعد ! ما تقول في رجلٍ لم يَزِنِ قَطُّ ، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا قَطُّ ، وَلَمْ يَسْفِكْ دَمًا حَرَامًا قَطُّ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، منذَ خمسين سنة ؟ قال : قلت : من هذا الرجل ؟ فأني أَظَنُّهُ ، والله ، قد نجا ، لأنَّ الله تعالى يقول : إِنْ تَجَسَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَدْخَلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا .

قال : أنا . قال : فقلتُ : والله ما رأيتُ كالْيَوْمِ أُعْجِبَ مِنْ هَذَا ، وَأَنْتَ تُشَبِّبُ بِبُثَيْنَةَ مِنْدُ عَشْرِينَ سَنَةً .

قال : أنا في آخرِ يومٍ من أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، فلا نالَتني شِفاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ وَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهَا لِرِيَّةٍ قَطُّ ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْهَا أَنِي كُنْتُ آخِذُ يَدَهَا أَضَعُّهَا عَلَى قَلْبِي ، فَأَسْتَرِيحُ إِلَيْهَا . قال : ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ :

صَدَعَ النِّعَى وَمَا كُنِّي بِجَمِيلٍ ، وَتَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَفُولٍ
وَلَقَدْ أَجْرُ الدَّيْلِ فِي وَادِي الْقُرَى ، نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيلٍ
قُومِي بِبُثَيْنَةَ ، فَمَاندُي بِعَوِيلٍ ، وَأَبْكِ خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ
ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ فَمَاتَ .

غشية تجيء وأخرى تذهب

أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن يوسف العلاف بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو حفص عمر بن أحمد ابن عثمان بن شاهين ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ، حدثنا علي القمي ، حدثني أبو المصعب المديني قال :

دخلتُ على الربيع بن عبيد ، وكان قد أخذته زَمَعَةُ الحبِّ ، وتَيَسَّمَ عقلُهُ ، فكان يُصَيِّبُهُ كالغفلة حتى يذهبَ عقلُهُ ، فسمعتُه وهو يخاطبُ نفسه ، ويقول :

الْحُبُّ لَوْ قَطَعَسَنِي مَا قُلْتُ لِلْحُبِّ ظَلَمٌ
قَدْ كُنْتُ خِلْوًا ، زَمَنًا ، فَالْيَوْمَ يَبْدُو مَا كُنْتُ

قال : قلت كيف أنت يرحمك الله ؟ فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا أخوك أبو المصعب . قال : غشية تجيء ، وأخرى تذهب ، وأنا أتوقعُ الموتَ ما بينَ ذلك . قلت : اللهُ بينك وبينَ من ظلمك . قال : مه ، والله ما أحبُّ أن يناله مكرُوهٌ في الدنيا ولا في الآخرة ! ثم تنفَّسَ حتى رَحِمَتْهُ ، وَهَمَّتْ دُمُوعُهُ ، وَذَهَبَ عقلُهُ ، فَقَمِتُ عَنْهُ .

الهمّ الملازم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري في ما أذن لنا أن نرويه عنه ، أخبرنا أبو القاسم طلحة ابن محمد الشاهد ، أخبرنا أبو عبد الله الحرمي بن أبي العلاء وهو أحمد بن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي الخمصة النطفاني المكي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني محمد بن حسن ، أنشدني مُحَرِّز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي :
غُرَابٌ وَظَبِيٌّ أَعَصَبُ الْقَرْنِ بَادِيًا ، بَصْرَمٌ ، وَصِرْدَانُ الْعَشِيِّ تَصِيحُ^١
لَعَمْرِي لَتَن شَطَطَتْ بَعْتَمَةَ دَارُهَا ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ^٢
أَرْوَحُ بِهِمْ ، ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ ، وَيُحَسِّبُ أَنِي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ

الفتى المشدود بالحبل

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ونقلته من خطه ان أبا بكر محمد بن خلف المحولي حدثهم قال : حدثنا يحيى بن جعفر الواسطي ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد ابن إسحاق ، حدثنا يعقوب بن عتبة بن المغيرة الإخنس عن الزهري عن عبد الله بن أبي حنيفة عن أبيه قال :

كنتُ في خيل خالد بن الوليد فقال لي فتى منهم ، وهو في سِنِّي ، قد جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِرُمَّةٍ ، وَنِسْوَةٌ مَجْتَمَعَاتٌ غَيْرُ بَعِيدَاتٍ عَنْهُ : يَا فَتَى ! قلت : مَا تَشَاءُ ؟ قال : هَلْ أَنْتَ آخِذٌ بِهَذِهِ الرُّمَّةِ وَمُتَدَنِيٍّ مِنْ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ ، فَأَقْضِي إِلَيْهِنَّ حَاجَةً^١ ، ثُمَّ تَرُدَّنِي ، فَتَفْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ ؟ قال : قلت والله ليسيرٌ ما طلبت . فَأَخَذْتُ بِرُمَّتِهِ حَتَّى وَقَفْتُهُ ، فَقَالَ : اسْلَمْ حُيَيْشَ عَلَى بُعْدِ الْعَيْشِ ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ .

١ الأعصب : الملوي ، كانوا يطيطرون من الغراب والظبي الملوي القرن . الصرم : القطيعة .
الصردان ، الواحد صرد : طائر ضخيم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر يصطاد صفار الطير .
٢ أليح : أخاف ، أحاذر .

حكاية : إسلام حبّيش على بعد العيش

ذكر أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه الخزاز ، وفقلته من خطه ، أن أبا بكر محمد خلف ابن المرزبان حدثهم قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الكوفي ، حدثنا الهيثم بن عدي ، حدثني سعيد بن شيبان عن أبي مسعود الأسلمي عن أبيه قال :

نشأ فينا غلامٌ يقال له عبد الله بن علقمة ، وكان جميلاً ، فهَوِيَ جاريةً من غيرٍ فَخَذَهُ ، يقال لها حُبَيْشَة ، فكان يأتيها ، وَيَتَحَدَّثُ إليها . قال : فخرج ذات يومٍ من عندها ، ومعه أمّه ، فرأى في طريقه ظبيةً على رابية ، فأنشأ يقول :

يا أُمَّنا خَبَرِنا ، غيرَ كاذِبَةٍ ، ولا تَشْوي سَوولَ الخيرِ بالكذبِ
حُبَيْشٌ أَحْسَنُ أمْ ظَبْيٍ بَرائِيَةٍ ، لا بل حُبَيْشَةٌ من دُرٍّ ومِن ذهبِ
انصرفت من عندها مرّةً أخرى ، فأصابته السماءُ ، فأنشأ يقول :

وما أدري ، إذا أَبْصَرْتُ يَوْماً ، أَصَوَّبُ الْقَطْرَ أَحْسَنُ أمْ حُبَيْشٌ
حُبَيْشٌ ، وَالَّذِي خَلَقَ الْبَرَايَا عَلَى أَنْ لَيْسَ عِنْدَ حُبَيْشٍ عَيْشٌ
فلما كثرَ ذلك منه وَشْهَرَ بها ، قال قَوْمُهُ لأمّه : إنّ هذا الغلامَ يَتِيمٌ ، وَإِنَّ أَهْلَ هذه المرأةِ يَرْغَبُونَ بأنفسهم عنكم ، فانظري جاريةً من قَوْمِكَ ممَّن لا تَمْتَنِعُ عَلَيْكَ ، فزَيِّنْها وَاَعْرِضِها عليه لعلّه يَتَعَلَّقُها وَيَسْلَى ؛ ففعلت ، وحضرها نساؤها ، فجعلوا يَعْريضُونَ عليه نساءَ الحي ، ثُمَّ يَقُولُونَ له : يا عبد الله ! كَيْفَ تَرَى ؟ فيقول : إِيها ، وَاللهُ حَسَناءُ ، إلى أن قال قائل : أَهِيَ أَحْسَنُ أمْ حُبَيْشَة ؟ فقال : مَرَعَى وَلَا كَالسَّعْدَانِ^١ .

فلما يَثْسُوا من أن ينصرفَ عنها ، قال بعضهم لبعض : عليكم بِحُبَيْشَة ،

١ مرعى ولا كالسعدان : مثل من أمثال العرب أراد به هنا أن كل النسوة جميل ولكنهن لسن كحبيشة . والسعدان نبت له شوك وهو من أفضل ما ترعاه الإبل .

وَطَمِعُوا أَنْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ قِبَلِهَا ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَنْ أَتَاكَ ، لَا تَزُرِينِ بِهِ ، وَتَسْجَمِهَمِينَهُ ، وَتَقُولِينَ لَهُ : أَنْتَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَلَا تُقَرِّبْنِي ، وَتَحْنُ بِمِرْأَى مِنْكَ وَمَسْمَعٍ ، لِيَفْعَلَنَّ بِكَ مَا يَسُوءُكَ ، فَأَتَاهَا ، فَلَمْ تَكَلِّمْهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا ، وَلَمْ تَزِدْ عَلَى أَنْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَتْ عَيْنِيهَا بِالْبِكِيِّ ، فَانصرفت عنها ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَمَا كَانَ حُبِّي عَنْ نَوَالٍ بَدَلْتِهِ وَلَيْسَ بِمُسْلِيٍّ التَّجَهَّمُ وَالْهَجَرُ
سِوَى أَنْ دَائِي مِنْكَ دَاءُ مُودَّةٍ ، قَدِيمًا ، وَلَمْ يُمَزَّجْ كَمَا تُمَزَّجُ الْحُمُرُ
وَمَا أَنَسَ مِيلَ أَشْيَاءٍ لَا أَنَسَ دَمْعَهَا وَنَظَرْتُهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرُ

فبينما هما على أشد ما كانا عليه من الهوى والصبوة ، إذ هجم عليهم جيشُ خالد بن الوليد يومَ الغُمَيْصَاءِ ، فَأَخَذَ الْغَلَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ خَالِدٍ ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَسَ بِي أَهْلَ تِلْكَ الْبُيُوتِ أَقْضَى إِلَيْهِنَّ حَاجَةٌ ، أَفَعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ .

قَالَ : فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى خَيْمَةِ مِنْهَا ، فَقَالَ : إِسْلِمْ حُبَيْشَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْعِيشِ ، فَأَجَابَتْهُ فَقَالَتْ : سَلِمْتَ وَحَيَّاكَ اللَّهُ عَشْرًا ، وَتَسْمَعُ وَتَرَى ، وَثَلَاثًا تَتَرَى ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَكَ يُقْتَلُ صَبْرًا . وَخَرَجَتْ تَشْتَدُّ ، وَعَلَيْهَا خِمَارٌ أَسْوَدٌ ، وَقَدْ لَاقَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا ، وَكَانَ وَجْهُهَا مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، فَقَالَ حِينَ نَظَرَ إِلَيْهَا :

أَرَيْتُكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بِيْرُزَةً ، أَوْ إِنْ لَمْ تَفُتْنِي الْخَرَائِقُ^١
أَمَّا كَانَ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقٌ تَكْلَفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَهُوَ رَاقٍ^٢
فَلَا يَلَا سِرًّا لَدَيَّ أَضَعُّهُ ، وَلَا رَاقٍ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ

١ الخرائق ، الواحد خرق : الفقي من الأرائب . ولا تدري ما المراد منه هنا . برزة : لعلها موضع .

٢ ادلاج السرى : السير في الليل كله . الراق : المعجل .

على أن ما بات العشيّة شاغلٌ ، فلا ذكرَ إلاّ أن تكونَ تُوَامِقُ^١
فَها أنا مأسورٌ لَدَيْكَ مُكَبَّلٌ ، وما أنا بَعْدَ اليَوْمِ بِالْعَتَبِ ناطِقٌ^٢
فأجابته :

أرى لكَ أسباباً أَظُنُّكَ مُخْرِجاً بهما النفسَ من جَنَبي وَالرُّوحَ زَاهِقُ
فأجابها فقال :

فإنَّ يَقْتُلُونِي ، يا حُبَيْش ، فلم يَدَعْ هَوَاكَ لَهْمٍ مِنِّي سِوَى غُلَّةِ الصَّدْرِ
وَأنتِ التي قَفَلْتَ جِلْدِي عَلَى دَمِي وَعَظَمِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمْعَ عَلَى النَّهْرِ^٢
فأجابته فقالت :

وَنَحْنُ بَكِينَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً ، وأُخْرَى ، وَقَايَسْنَا لَكَ الْعُسْرَ بِالْيُسْرِ
فَأنتِ فلا تَبْعُدْ ، فَنِعْمَ أَخُو النَّدَى ، جَمِيلُ الْمُحَيَّا فِي الْمُرُوءَةِ وَالْبِشْرِ
قال الذي أَخْبَرَ به : فلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُمَا أَدْرَكْتَنِي الْغِيرَةُ ، فَضْرَبْتَهُ
ضَرْبَةً ، فَقَطَعْتُ مِنْهَا يَدَهُ وَعُنُقَهُ ، فلَمَّا رَأَتْهُ قَدْ سَقَطَ قَالَتْ لِي : ائْذَنْ
لِي أَنْ أَجْمَعَ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ ، فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَمَعْتَهُ وَجَعَلْتُ تَمْسَحُ التَّرَابَ
عَنْ وَجْهِهِ بِخِمَارِهَا وَتَبْكِي ، ثُمَّ شَهَقْتُ شَهَقَةً خَرَجَتْ مَعَهَا نَفْسُهَا .

موت عروة بن حزام

قال أبو بكر بن المرزبان وأخبرنا أحمد بن زهير ، أخبرنا الزبير بن بكار ، أخبرني أبي
قال : قال عروة بن الزبير :

مَرَرْتُ بِوَادِي الْقُرَى فَقِيلَ لِي : هل لك في عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ ؟ فقلت :
الذي يَلْقَى مِنَ الْحَبِّ مَا يَلْقَى ؟ قالوا : نعم ! فخرَجْتُ حَتَّى جِئْتُهُ ، فإذا هوَ

١ توامق : تحب .

٢ قفلت : أبيضت . قوله : على النهر ، هكذا في الأصل .

فِي بَيْتٍ مُنْفَرِدٍ عَنِ الْبُيُوتِ ، وَإِذَا ، وَاللَّهِ ، حَوْلَهُ أَخَوَاتٌ لَهُ أَمْثَالُ التَّمَاثِيلِ ،
وَأُمُّهُ وَخَالَتُهُ . قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ عَرُوءَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قُلْتُ : صَاحِبُ
عَفْرَاءٍ ؟ قَالَ : صَاحِبُ عَفْرَاءٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى قَاعِدًا فَقَالَ : وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :
وَعَيْنَانِ مَا أُوفِيَتْ نَشْرًا فَتَنْظَرَا بِمَا فِيهِمَا إِلَّا هُمَا تَكْفِيَانِ^١
أَلَا فَاحْمِلَانِي ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ، إِلَى حَاضِرِ الْبَلْقَاءِ^٢ ثُمَّ ذَرَانِي^٣
ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَخَوَاتِهِ فَقَالَ :

مَنْ كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا ، فَالْيَوْمَ إِنِّي أَرَاكَ الْيَوْمَ مَقْبُوضًا^٣
مَنْ كَانَ يَلْحُو فِإِنِّي غَيْرُ سَامِعٍ ، إِذَا عَلَوَتْ رِقَابَ الْقَوْمِ مَعْرُوضًا
قَالَ عَرُوءَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ : فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ بَرَزَنَ وَاللَّهُ يَضُرُّ بِنَ حُرِّ
الْوُجُوهِ ، وَيَسْتَقْنَنَ جِيُوبَهُنَّ . قَالَ عَرُوءَةُ : فَقُمْتُ ، فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَنْزِلِي
حَتَّى لَحَقَنِي رَجُلٌ فَقَالَ : قَدْ مَاتَ .

قصة عروة وعفراء

فَقُلْتُ مِنْ خَطِّ ابْنِ حَيَوِيَّةَ : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمَرْزُبَانِ ، حَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ فَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الْيَزِيدِي ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِي ، أَخْبَرَنِي لَقِيطُ بْنُ بَكْرٍ الْحَارَبِيُّ
أَنَّ عَرُوءَةَ بْنَ حَزَامٍ وَعَفْرَاءُ ابْنَةَ مَالِكِ الْعُدْرِيِّينَ ، وَهُمَا بَطْنٌ مِنْ عُذْرَةَ ،
يُقَالُ لَهُمْ بَنُو هَنْدٍ . حَزَامُ بْنُ ضُبَّةَ بْنِ عَبْدِ بَكْرِ بْنِ عُذْرَةَ ، نَشَأَ جَمِيعًا
فَعَلَقَهَا عِلَاقَةُ الصَّبِيِّ ، وَكَانَ عَرُوءَةُ يَتِيمًا فِي حِجْرِ عَمِّهِ ، حَتَّى بَلَغَ ، فَكَانَ
يَسْأَلُ عَمَّهُ أَنْ يَزَوِّجَهُ عَفْرَاءَ فَيَسُوِّفُهُ . إِلَى أَنْ خَرَجَتْ عِيرٌ لِأَهْلِهِ إِلَى الشَّامِ ،

١ النشز : المكان المرتفع . تكفان : ترسلان الدمع .

٢ البلقاء : موضع . ذراني : اتركاني .

٣ أراك : أظنك . مقبوضاً ، من قبض : مات .

وَخَرَجَ عُرْوَةَ إِلَيْهَا ، وَوَفَدَ عَلَى عَمِّهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْبَلَاءِ يُرِيدُ الْحَجَّ ، فَخَطَبَهَا ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ .

وَأَقْبَلَ عُرْوَةَ فِي عَيْرِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِتَبُوكَ نَظَرَ إِلَى رِفْقَةٍ مُقْبِلَةٍ مِنْ نَحْوِ الْمَدِينَةِ فِيهَا امْرَأَةٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : وَاللَّهِ ، إِنَّهَا شَمَائِلُ عَفْرَاءٍ ، فَقَالُوا : وَيَحْسُكَ ! مَا تَرُكُ ذِكْرَ عَفْرَاءٍ لشيءٍ ؟ قَالَ : وَجَاءَ الْقَوْمُ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَتَبَيَّنَ الْأَمْرَ يَبْسُ وَبَقِيَ قَائِمًا لَا يَتَحَرَّكُ ، وَلَا يُحِيرُ كَلَامًا ، وَلَا يُرْجِعُ جَوَابًا ، حَتَّى بَعُدَ الْقَوْمُ ، فَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ رِعْدَةً ، لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَبِيبُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
فَقُلْتُ لَعْرَافِ الْيَمَامَةِ : دَاوِنِي ، فَلَيْتَكَ إِنْ أَبْرَأْتَنِي لَطَبِيبُ
فَمَا بِي مِنْ حَمِيٍّ وَلَا مَسٍّ جِنَّةٍ ، وَلَكِنْ عَمِي الْحِمِيرِيُّ كَذُوبُ

قال أبو بكر : وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عُرْوَةَ وَغَيْرُهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ ، هُوَ رِيَّاحُ بْنُ رَاشِدٍ وَيُسَكِّنِي أَبَا كُحَيْلَةَ ، وَهُوَ عَبْدُ لَبْنِي يَشْكُرُ ، تَزَوَّجَ مَوْلَاهُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي الْأَعْرَجِ ، فَسَاقَهُ فِي مَهْرٍهَا ثُمَّ ادَّعَى بَعْدُ نَسَبًا فِي بَنِي الْأَعْرَجِ .

ثُمَّ إِنْ عُرْوَةَ انصرفت إلى أهلها وأخذته البكاء والهتاس حتى نحل ، فلم يَبْقَ مِنْهُ شيءٌ ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : هُوَ مَسْحُورٌ ، وَقَالَ قَوْمٌ : بَلْ بِهِ جِنَّةٌ ! وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ هُوَ مُوسِسٌ ، وَإِنْ بِالْحَاضِرِ مِنَ الْيَمَامَةِ لَطَبِيبًا يَدَاوِي مِنَ الْجُنِّ ، وَهُوَ أَطَبُّ النَّاسِ ، فَلَوْ أَتَيْتُمُوهُ ، فَلَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ ، فَسَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُدْرَةَ حَتَّى دَاوَاهُ ، فَجَعَلَ يَسْقِيهِ السُّلْوَانَ^١ ، وَهُوَ يَزْدَادُ سُقْمًا ، فَقَالَ لَهُ عُرْوَةُ : يَا هَنَاهُ ! هَلْ عِنْدَكَ لِلْحَبِّ دَوَاءٌ أَوْ رُقِيَّةٌ ؟ فَقَالَ :

١ السلوان : خرزة كان العرب يضعونها في الماء ويسقون المجنون أو المريض فيشفى في زعمهم .

لا والله . فانصرفوا حتى مروا بطبيبٍ بحجرٍ ، فعالجه وصنع به مثل ذلك ، فقال له عروّة : والله ما دائي ودوائي إلا شخصٌ بالبقاء مقيمٌ ، فهو دائي ، وعنده دوائي .

وفي غير هذه الرواية : شخصٌ بالبقاء مقيمٌ هو ورّائي ، أي أمرضني ، وهزّلتني ، والورّى داءٌ يكونُ في الجوف مثل القرحة والسل .

قال سحيم عبد بني الحسحاس :

وراهنٌ ربّي مثل ما قد ورّيتني ، وأحمى على أكبادهنّ المسكاويبا

رجع الحديث قال : فانصرفوا به ، فأنشأ يقول عند انصرافهم به :

جعلتُ لعرّافِ اليمامةِ حكمتهُ وعرفِ حجيرٍ إن هما شفّيانِي^١

فقالا : نعم ! نشفي من الداء كله ، وقامّا مع العوّادِ يبتدِرانِ

فمّا تركّا من رُقيّةٍ يعلمانيها ، ولا سلوةٍ إلا وقد سقياني

فقالا : شفاكَ الله ، والله ما لنا بما ضمنتُ منك الضلوعُ يَدانِ

قال : فلمّا قدمَ على أهله ، وكان له أخواتُ أربعٌ ووالدةٌ وخالةٌ ، فمرضَ دهرًا ، فقال لهنّ يوماً : اعلمنّ أني لو نظرتُ إلى عفرَاءِ نظرةً ذهبَ وجعي ، فذهبنّ به حتى نزلوا البلقاءَ مُستخفين ، فكأنّ لا يزالُ يُسلمُ بعفرَاءِ ، وينظرُ إليها ، وكانت عند رجلٍ كريمٍ سيّدٍ كثيرٍ المالِ والغاشية .

فبينما عروّةُ يوماً بسوقِ البلقاءِ ، إذ لقيه رجلٌ من بني عُدرةٍ فسأله عن حاله ومقدمه ، فأخبره . قال : والله لقد سمعتُ أنك مريضٌ ، وأراك قد صحّحتَ . فلمّا أمسى الرجلُ دخلَ على زوجِ عفرَاءِ فقال : متى قدِمَ عليكم هذا الكلبُ الذي قد فضّحتكم؟ فقال زوجُ عفرَاءِ : أيُّ كلبٍ هو؟ قال : عروّة ! قال : أوقد قدِم؟ قال : نعم ! قال : أنت والله أولى بها منه أن تكون

١ وفي رواية أخرى : وعرفان نجد .

كلباً ، ما علمتُ بقُدُومه ، وَلَوْ علمتُ لَضَمَمْتُهُ إِلَيَّ .

فلَمَّا أَصْبَحَ غداً يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَهُ ، فَقَالَ : قَدِمْتَ هَذَا الْبَلَدَ ، وَلَمْ تَنْزِلْ بِنَا ، وَلَمْ تَرَ أَنَّ تُعَلِّمَنَا بِمَسْكَانِكَ فَيَكُونُ مَسَرِّلَكُمْ عِنْدَنَا وَعَلَيَّ ، إِنْ كَانَ لَكُمْ مَنْزِلٌ إِلَّا عِنْدِي . قَالَ : نَعَمْ ! نَتَحَوَّلُ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ ، أَوْ فِي غَدٍ . فَلَمَّا وَلَّتْ قَالَ عُرْوَةَ لِأَهْلِهِ : قَدْ كَانَ مَا تَرَوْنَ ، وَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَخْرُجُوا مَعِيَ لِأَرْكَبَنَّ رَأْسِي وَلَأَلْحَقَنَّ بِقَتْلِكُمْ ، فَلَيْسَ عَلَيَّ بَأْسٌ . فَارْتَحَلُوا وَرَكَبُوا طَرِيقَهُمْ ، وَنَكَسَ عُرْوَةَ وَلَمْ يَنْزِلْ مُدْنَفًا ، حَتَّى نَزَلُوا وَادِي الْقُرَى .

وَرَوَى الْعَمْرِيُّ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي مَسْكِينٍ أَنَّ عَفْرَاءَ لَمَّا بَلَغَهَا وَفَاةٌ عُرْوَةَ قَالَتْ لِزَوْجِهَا : يَا هَنَاهُ ! قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ مَا بَلَغَكَ ، وَوَاللَّهِ مَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، وَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مَاتَ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَأْذَنَ لِي فَأَخْرَجَ فِي نُسُوءٍ مِنْ قَوْمِي فَيَنْدَبْنَهُ وَيَسْكِنَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : إِذَا شِئْتَ ، فَأْذِنِي لَهَا ، فَخَرَجَتْ ، وَقَالَتْ تَرْتِيهِ :

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخِيبُونَ وَيَحْكُمُ ! بِحَقِّ نَعَيْتُمْ عُرْوَةَ بْنَ حِزَامٍ
فَلَا هَنَى الْفَتَيَانِ بَعْدَكَ غَارَةٌ ، وَلَا رَجَعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلَامٍ
فَقُلْ لِلْحَبَالَى لَا تُرْجَيْنَ غَائِبًا ، وَلَا فَرَحَاتٍ بَعْدَهُ بِغُلَامٍ

قَالَ : وَلَمْ تَنْزِلْ تُرَدِّدُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَتَبْكِي حَتَّى مَاتَتْ ، فَدُفِنَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، فَلَبِغَ الْخَبْرَ مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ بِهِذَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لَجَمَعْتُ بَيْنَهُمَا . وَقَدْ رَوَى مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ زَكْرِيَّا ، حَدَّثَنَا الْعِشِيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا زُوِّجَتْ عَفْرَاءُ جَعَلَ عُرْوَةَ يَضَعُ صَدْرَهُ فِي أُعْطَانِ^١ إِبِلِهَا ، وَحَيْثُ

١ الاعطان ، الواحد عطن : مبرك الإبل .

كانت تجلس ، فقيل له : اتق الله ، فإنّ هذا غيرُ نافعك ، فأنشأ يقول :
بي اليأسُ ، أو داءُ الهُيامِ سقيتُهُ ، فليأْك عني لا يَكُنْ بك ما ييا

الهجران لثم

أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، حدثنا أبو القاسم طلحة ، حدثنا الجرمي بن أبي
العلاء ، حدثني الزبير ، حدثني عبد الملك بن عبد العزيز بن هب بن أبي سلمة :

أنشدني جدّي يوسف بن الماجشون لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

كشمت الهوى حتى أضرت بك الكم ،	ولامك أقوام ، ولومهم ظلم
وتمّ عليك الكاشحون ، وقبلهم	عليك الهوى قد نمّ لو نفع النّم
وزادك إغراءً بها طول هجرها ،	قديماً ، وأبلى لحم أعظمك الهّم
فأصبحت كالهندي ، إذ مات حسرة	على إثر هندی ، أو كمن سقي السم
ألا منّ لنفسٍ لا تموت فينقضي	عناهما ، ولا تحيا حياة لها طعم
تجنّبت إثيان الحبيب تأثماً ،	ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فدقّ هجرها ، قد كنت تزعم أنه	رشاد ، ألا يا ربّما كذب الزعم

مصطبران على البلوى

أبانا أبو عبد الله محمد بن علي الصوري الحافظ ، أخبرنا أبو الحسين بن روح النهرواني ،
حدثنا المعافى بن زكريا

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي عن أحمد بن يحيى أنه أنشد :

هَوَى نَاقَتِي خَلْفِي ، وَقَدْ أَمَى الْهَوَى ، وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمْخْتَلِفَانِ
هَوَايَ عِرَاقِي وَتَشَنِّي زِمَامُهَا ، كَبُرْتُ سَرَى بَعْدَ الْهُدُوءِ يَمَانِي
تَحِينُ وَأَبْكِي ، إِنَّهَا لَبَلِيَّةٌ ، وَإِنَّا عَلَى الْبَلَوَى لَمُصْطَبِرَانِ

فضل الشاعرة

أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي التوزي إجازة ، أخبرنا القاضي أبو عمر أحمد بن محمد بن
الملاف ، أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثني محرز الكاتب ، أخبرني يحيى بن
الحصيب قال :

كنتُ عند فضل الشاعرة إذ استأذنَ عليها إنسانٌ فأذنت له ، وقالت :
ما حاجتك ؟ قال : تجيزينَ مصراعَ بيتٍ من شعري . قالت : ما هو ؟ قال :
مَنْ لِمُحِبِّ أَحَبِّ فِي صِغَرِهِ

فقلت :

فصَارَ أَحَدُوثُهُ عَلَى كِبَرِهِ
مِنْ نَظَرٍ شَفَّهُ وَأَرْقَاهُ ، فَكَانَ مَبْدَأَ هَوَاهُ مِنْ نَظَرِهِ
لَوْ لَا الْأَمَانِي لَمَاتَ مِنْ كَمَدٍ ، مَرُّ اللَّيَالِي يَزِيدُ فِي ذِكْرِهِ
مَا إِنْ لَهُ مُسْعِدٌ فَيُسْعِدُهُ بِاللَّيْلِ فِي طُولِهِ وَفِي قِصَرِهِ

١ الهدوء : الهزيع من الليل .

شهقة الموت

قال محمد بن المرزبان ، ونقلته من خط ابن حيويه عنه ، قال : أخبرني بعض أصحاب المدايني ، أخبرنا المدايني ، أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال :

كان بالمدينة رجلٌ من ولد عبد الرحمن بن عوف ، وكان شاعراً ، وكانت عنده ابنة عمٍّ له ، وكان لها عاشقاً ، وبها مُستَهتراً ، فضاقَ ضيقةً شديدةً ، وأرادَ المسير إلى هشام إلى الرصافة ، فمنعه من ذلك ما كان يجد بها ، وكثره فراقها ، فقالت له يوماً ، وقد بلغَ منها الضيقُ : يا ابنَ عمِّي ! ألا تأتي الخليفة لعلَّ اللهَ تعالى أن يَقْسِمَ لك منه رِزْقاً ، فتَكشِفَ به بعضَ ما نحنُ فيه . فلمّا سمعَ ذلك منها نشطَ للخروج ، فتجهّزَ ، ومضى ، حتى إذا كان من الرصافة على أميالٍ خطرَ ذكرُها بقلبه ، وتمثّلت له ، فلبثَ ساعةً شبيهاً بالمغمى عليه ، ثمَّ أفاقَ ، فقال للجمال : احبس ، فحبّسَ إبله ، فأنشأ يقول :

بينما نحنُ في بلاكتٍ فالقسا عِ سراعاً، والعيسُ تهوي هويّاً
خطرتُ خطرةً على القلبِ من ذِكِّ نراكِ ، وهناً ، فما أطقُ مضياً
قلتُ : لبّيكِ ، إذْ دعاني لك الشوّ قُ ، وللحاديتينِ ردّاً المطيّاً
فكررتُ صدورَ عيسٍ عِتاقٍ ، مُضمّراتٍ ، طوينَ بالسّيرِ طيّاً
ذاك ممّا لقينَ من دلجِ السّيرِ رِ ، وقولِ الحداةِ ، بالليلِ ، هيّاً
ثمَّ قال للجمال : ارجع بنا ! فقال له : سبحانَ اللهِ ، قد بلغتَ طيّتَكَ !
هذه أبياتُ الرّصافةِ . فقال : والله لا تخطو خطوةً إلا راجعةً ، فارجع ،
حتى إذا كان من المدينة على قدرِ ميلٍ لقيته بعضُ بني عمّه ، فأخبره أن
امراته قد تُوفّيت ، فشهِقَ شهقةً ، وسقطَ عن ظهرِ البعيرِ ميتاً .

١ بلاكتٌ والقاع : موضعان .

جنون وعشق

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد الاردستاني في المسجد الحرام بقراءتي عليه بباب التدوة، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المذكر، أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي القزويني، حدثنا شادل، حدثنا يحيى بن سليمان المادري، حدثنا اسحاق بن ابراهيم الأيلي قال :

رَأَيْتُ غَوْرَكَ يَوْمًا خَارِجًا مِنَ الْحَمَّامِ ، وَالصَّبَّيَّانُ يُؤْذُونَهُ ، فَقُلْتُ :
ما خبرك أبا محمد ؟ قال : قد آذاني هؤلاء الصَّبَّيَّانُ ، أَمَا يَسْكَفِينِي مَا أَنَا فِيهِ مِنَ
الْعِشْقِ وَالْجُنُونِ ؟ قُلْتُ : مَا أَظْنُكَ مَجْنُونًا . قال : بلى ، وَاللَّهِ ، وَبِىْ عِشْقٌ
شَدِيدٌ . قُلْتُ : هَلْ قُلْتَ فِي عِشْقِكَ وَجُنُونِكَ شَيْئًا ؟ قال : نعم ، وَأُنْشِدُ :
جُنُونٌ وَعِشْقٌ ذَا يَرُوحُ وَذَا يَغْدُو ، فَهَذَا لَهُ حَدٌّ ، وَهَذَا لَهُ حَدٌّ
هُمَا اسْتَوَطَنَا جَسْمِي وَقَلْبِي كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَبْقَ لِي قَلْبٌ صَحِيحٌ ، وَلَا جِلْدٌ
وَقَدْ سَكَنَّا تَحْتَ الْحَشَا ، وَتَحَالَفَا عَلَى مُهْجَتِي أَلَّا يُفَارِقَهُمَا الْجَهْدُ
فَأَيُّ طَبِيبٍ يَسْتَطِيعُ بِحِيلَةٍ ، يُعَالِجُ مِنْ دَاءَيْنِ مَا مِنْهُمَا بُدٌّ

الفتى والشيخ العاشق

أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي إن لم يكن سماعاً فإجازة ، أخبرنا عبد الغفار بن عبد الواحد بن نصر الازموي ، حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد القاضي ، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الميموني ، حدثني محمد بن عمر ، حدثني أبو عبد الله الروذباري قال :

دَخَلْتُ دَرْبَ الزَّعْفَرَانِي ، فَرَأَيْتُ فَتًى قَدْ صَرَخَ شَيْخًا ، وَهُوَ يَكْلِمُهُ
وَيَبْعُضُ حَلَقَمَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا فَتَى أَتَفْعَلُ هَذَا بِأَبِيكَ ؟ وَظَنَنْتُهُ أَبَاهُ ، فَقَالَ :
دَعْنِي حَتَّى أَفْرَغَ مِنْهُ ثُمَّ أُحَدِّثُكَ بِقِصَّتِي ، فَلَمَّا فَرَّغَ قُلْتُ : يَا فَتَى مَا
ذَنْبُهُ ؟ قَالَ : إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَهُوَانِي ، وَلَهُ ثَلَاثُ مَا رَأَيْتُ .

زينة الله

أخبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن سويد المعدل ، حدثنا أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي ، أخبرنا غسل ، أخبرنا التوزي قال :
نظرَ رجلٌ من قریش إلى رجل ينظر إلى غلام وضيء الوجه ، فزجره ،
فراه مُحيريز الزاهدُ فقال له : هل رأيتَ غيرَ النظر ؟ قال : لا ! قال :
أتريدُ أن تبطلَ زينةُ الله في بلاده ، وحليته في عبادِهِ ؟

ينشد في ظل خيمة

أخبرنا أبو عبد الله الأندلسي الحافظ من لفظه ، حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
الأندلسي ، حدثنا القاضي أبو بكر عبد الله بن الربيع ، حدثنا القاضي أبو علي ، حدثنا أبو
بكر بن دريد ، حدثنا عبد الرحمن عن عمه قال :

بينما أنا سائرٌ بناحية بلاد بني عامر ، إذا برجلٍ يُنشدُ في ظلِّ خيمةٍ له ،
وهو يقول :

أحقاً، عبادَ الله ، أن لستُ ناظراً	إلى قرقرى يوماً وأعلاميها الغبر ^١
كأنَّ فؤادي ، كلِّما مرَّ راكبٌ ،	جنَّاحُ غرابٍ رامَ نهضاً إلى وكرٍ
إذا ارتحلتُ نحوَ اليمامةِ رِفْقَةً ،	دعَاكَ الهوى ، وأهتاجَ قلبك للذكرِ
فياً راكبَ الوجناءِ أبتَ مسلماً ،	ولا زلتَ من ريبِ الحوادثِ في سترٍ ^٢
إذا ما أتيتَ العرُضَ ، فاهتِفْ بجوهِه :	سُقيتَ على شحطِ النوى سبيلَ القطرِ ^٣

١ قرقرى : موضع .

٢ الوجناء : الناقة الشديدة .

٣ المرض : بلد في الشام .

فإنك من وادٍ إليّ مُسرحٍ ، وإن كنت لا تُزدارُ إلاّ على عَفْرِ^١
 قال : فأذِنتُ ، وكان نديّ الصّوتِ ، فلمّا رآني أوماً إليّ فأنيتهُ ، فقال :
 أعجبك ما سمعتَ ؟ فقلت : إي والله ! فقال : أمن أهل الحضارةِ أنت ؟
 قلت : نعم ! قال : فمن تكون ؟ قلت : لا حاجة لك في السؤال عن ذلك .
 قال : أوماً حلّ الإسلامُ الضغائنَ ، وأطفأ الأحقادَ ؟ قلت : بلى ! قال :
 فما يمنعك إذا قلتَ : أنا امرؤ من قيس ؟ قلتُ : الحبيب القريب . قال :
 فمن أيّهم ؟ قلت : أحد بني سعد بن قيس ، ثمّ أحد أعصر بن سعد . قال :
 زادك الله قرُباً .

ثمّ وثبَ فأنزلني عن حماري ، وألقى عنه إكافه ، وقبّده بقراب
 خيمته ، وقامَ إلى زندي فاقترح وأوقدَ ناراً ، وجاء بصيدانة^٢ ، فألقى
 فيها تمرّاً ، وأفرغَ عليه سمناً ، ثمّ لته حتى التبك ، ثمّ ذرّ عليه دقيقاً ، وقربه
 إليّ ، فقلت : إني إلى غيرِ هذا أحوجُ . قال : وما هو ؟ قلت : تنشدُني .
 قال : أصبتَ فإني فاعلٌ ، فلقِمتُ لُقيماتٍ وقلتُ : الوعدَ ! قال : نعمي
 عينٍ ، وأنشدني :

لَقَدْ طَرَقَتْ أُمُّ الْحُشَيْفِ ، وَإِنَّهَا إِذَا صَرَغَ الْقَوْمَ الْكَرَى لَطَرُوقُ^٣
 فَيَا كَبِيداً يُحْمَى عَلَيْهَا ، وَإِنَّهَا ، غَافَةً هَيْضَاتِ النَّوَى ، لَخَفُوقُ^٤
 أَقَامَ فَرِيقٌ مِنْ أَنْاسٍ يَوَدُّهُمْ ، بَدَاتِ الْغَضَا ، قَلْبِي ، وَبَانَ فَرِيقٌ
 بِحَاجَةٍ مَحْزُونٍ يَظَلُّ وَقَلْبُيْهِ رَهِينٌ بِبَيْضَاتِ الْحِجَالِ صَدِيقُ^٥

١ تزدار : تُزار . العفر : ظاهر التراب . ولا نعلم ماذا اراد به الشاعر هنا .

٢ الصيدانة : القدر من النحاس .

٣ الحشيف ، تصغير الحشف : ولد الغزال . طروق : تأتي ليلاً .

٤ بيضات الحجال : النساء .

تَحْمَلُنْ أَنْ هَبَّتْ لَهْنٌ عَشِيَّةٌ جَنُوبٌ، وَأَنْ لَاحَتْ لَهْنٌ بُرُوقُ
كَأَنَّ فُضُولَ الرَّقْمِ حِينَ جَعَلْنَاهَا ضُحِيًّا عَلَى أَدَمِ الْجِيَمَالِ عُدُوقُ^١
وَفِيهِنَّ مِنْ تَحْتِ السَّتَارِ تَحِلَّةٌ، تَكَادُ عَلَى غُرِّ السَّحَابِ تَرُوقُ
هَجِينٌ، فَأَمَّا الدَّعْصُ عَنْ أَخْرِيَاتِهَا فَوَعْتُ، وَأَمَّا خَصْرُهَا فَدَقِيقُ^٢
فَفَارَقْتُهُ، وَأَنَا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ ظِمًا إِلَى مَعَاوِدَةِ إِنْشَادِهِ .

التفريق بين مؤلفين

أَبَانَا الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَةَ الْقُضَاعِي عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ
الصِّيَاحِ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو عبيد الله بن أحمد السَّمَارِ

أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بْنُ دَاوُدَ الْأَصْبَهَانِي كَانَ يَدْخُلُ الْجَامِعَ مِنْ بَابِ الْوَرَّاقِينَ .
فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَدَّةٍ عَدَلَ عَنْهُ وَجَعَلَ دَخُولَهُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَكَانَتْ مُجْتَرِئًا عَلَيْهِ ،
فَسَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا بَنِي ! السَّبَبُ فِيهِ أَنِّي فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ أَرَدْتُ الدَّخُولَ
مِنْهُ فَصَادَفْتُ عِنْدَ الْبَابِ حَدَّثَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَسْرُورٌ
بِصَاحِبِهِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَا : أَبُو بَكْرٍ قَدْ جَاءَ ، فَتَفَرَّقَا ، فَجَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ
لَا أَدْخُلَ مِنْ بَابِ فَرَّقَتْ فِيهِ بَيْنَ مُؤَلِّفَيْنِ .

* * *

- ١ الرقم : ضرب مخطوط من الوثي أو البرود . الضحيا ، مصغر الضحى : حين تشرق الشمس .
أدم الجمال : سمرها . العدوق ، الواحد عذق : وهو من النخل كالعنقود من العنب .
٢ الهجين : من كان أبوه عربياً وأمه أمة . الدعص : الكثيب من الرمل شبه به مؤخرتها .
الوعث : السهل .

مصارع العشاق

الجزء الأول

الشيخ أبو محمد القاري	٥
المأمون يسأل ما هو العشق	١١
المشق داء أهل الظرف	١٢
العشق أوله لعب وآخره عطب	١٢
ذنوب اضطراب	١٢
المجنون الشاعر	١٣
الجنة لمن عشق وعف	١٣
الماشق الشهيد	١٤
سقراط والعشق	١٥
الماشق التقي	١٥
رواية ثانية عن العماشق التقي	١٨
عاقبوه في سفك دمه !	١٨
مجنون دير هرقل	١٩
هند المحرمة	٢١
المجنون الشاعر	٢١
فراقية ابن زريق	٢٣
مجنون على الدرب	٢٥
لحم على وضم	٢٥
مقربها المخلصين	٢٦
قبر التديم	٢٦
مريض مطوح	٢٨
حي حل البهم	٢٩
موت مروة بن حزام	٣٠
ذو الرمة ورسيس الهوى	٣١
موت الصوفي عاشق الغلام	٣١
عاشق يخاف معصية الله	٣٢
ليل العامرية ومجنونها	٣٣
ردوا على المشتاق قلبه الجريح	٣٤
الرشيد وجارية زلزل	٣٤
اطلبوا نفسي	٣٦
وجهك أغرف	٣٦
العيون الدعج	٣٧
صريع الفواني	٣٧
غليل ودموع	٣٨
عبد الله بن جعفر وجاريته	٣٩
صريما الحب	٤٠
أجساد بغير قلوب	٤١
السل داء الحب	٤٢
مجنون وعليلة	٤٢
الحب للحبيب الأول	٤٣
دين القدر	٤٣
سواجع وهوائف	٤٤
من الحب الهائس الى التمدد	٤٥
خارب بيته	٤٨
آه من اليبس !	٤٨

٨٢ هل يأتيكم نغمي ؟	٤٩ وفاء زوجة
٨٢ المرأة الفاجرة والحية	٥١ جميل والبنات العذريات
٨٤ أبو نواس والغلام عند الحجر الأسود	٥٢ حبذا ذاك الظلوم
٨٥ الزاغ الشاعر العاشق	٥٣ الظريفة العاشقة
٨٦ الزاغ في رواية أخرى	٥٤ عليان المجنون
٨٧ البلبل الناطق	٥٥ عاشق يموت كتماناً
٨٨ حزة وكثير	٦٠ جفني كأس ودمعي الراح
٨٩ يرى الدم حلالاً	٦٠ رأي سقراط في العشق
٩٠ هبني لا أبوح	٦١ لا أنت تدري بي ولا أدري
٩٠ ما كان قلبي حاضراً	٦١ شكوى المحبين
٩١ لم يبق إلا نفس خافت	٦٢ مجنون الميربند
٩١ ثغر يفرح ثغراً	٦٢ إبراهيم بن المهدي والشعر
٩٢ ابنة أبي ربيعة وأبو مسهر	٦٣ راكب القصبة
٩٨ ماني الموسوس وعائداته	٦٣ الأمين . حبه للشعر
٩٩ من أشعار ماني	٦٥ بلاء
٩٩ لحى الله يوم البين	٦٦ أرض لوط
١٠٠ لروحات الحب فيران	٦٧ فاسق لم يفقر له
١٠٠ ذو الرمة ومي	٦٧ امرأة صاحب المسحاة والملك
١٠١ اقرا السلام	٦٨ يقتل جاريته بريئة
١٠١ أيهما أصدق عشقاً	٦٩ قتيل لا يودى
١٠٢ يزيد بن عبد الملك وحبابة	٦٩ يقتلها ويبكي عليها
١٠٢ أبو السائب وشعر جرير	٧١ ظبيات لمن أسرى وقتل
١٠٣ عمر الوادي والراعي	٧١ إهدار دم الفاسق
١٠٣ من عشق فمف دخل الجنة	٧٢ عمر وابنة الشيخ الانصاري
١٠٤ قتل العاشقين	٧٤ سوسن العابدة ومرادها
١٠٥ سنان الصوفي والغلام	٧٥ يخون الغازي فيقتل
١٠٥ قتيل القيان	٧٦ ما أذنبت إلا ذنب صحر
١٠٦ لا سبيل إل وصله	٧٧ الحسناء المهجورة
١٠٦ الواثق وشعر الدارمي	٧٨ إنما يرحم الصحيح السقيما
١٠٧ الغلام وجارية المهدي	٧٨ ينحني المغني
	٨١ تقتل حفاظاً على عرضها

سيد العشاق ١٠٨	قبور العشاق ١٣٠
قتيل المهجران ١٠٩	ما ضرهم ١٣٠
ولما شكوت الحب ١٠٩	تعلل ساعة ١٣١
دماء أهل الهوى هدر ١١٠	فتاة مرارة وخطيبها البكري ١٣١
مواقع الأنفس ١١٠	التبسم النمام ١٣٢
يحتمان في القبر ١١٠	مي الغادرة ١٣٣
رد فؤادي ١١٢	اللس والمرأة التي أحبها ١٣٤
حديث عاشقين ١١٢	أبو دهيل والمرأة الشامية ١٣٥
أموت بدائي ١١٣	الصوفي وعلامه ١٣٧
مصارع العشاق ١١٣	يكره الخلو بالغلام ١٣٧
غريقا الهوى ١١٣	على طريقة ابن مدرك الشيباني ١٣٨
التظير من البكاء ١١٤	عناية الله بخائفه ١٣٩
ما لقتيل الحب قود ١١٤	المجنون الأديب ١٤٠
الحب حلو ومر ١١٥	أربع نسوة وأربعة غربان ١٤١
لم يفتها جواره ميتاً ١١٥	أبو السائب والغراب ١٤١
تفارق قومها باكية ١١٨	لبنى صاحبة قيس بن ذريح والغربان ١٤٦
يزيد يموت حزناً على حباية ١١٩	قلبي بالك ١٤٧
الصوفي المتعفف ١٢٠	قاتل الله الرقيب ١٤٨
هويت شادناً ١٢١	معبد المغني وعلامه ١٤٨
دهر يُشت ويجمع ١٢١	الفضل بن الربيع يهوى غلاماً ١٤٩
لو بدلت مساكنها ١٢٢	دمعة هطلت في ساعة البين ١٤٩
الفرزدق والبدوية الحسنة ١٢٢	حن شوقاً وأن ١٥٠
العشق شغل قلب فارغ ١٢٤	إياس وابنة عمه صفوة ١٥٠
يتهدد بالمهجر ١٢٤	إبليس يغني ١٥٣
لا جعم ولا قلب ١٢٥	محنة العاشق ١٥٤
الحب أعظم من الجنون ١٢٥	المأمون والعباس بن الأحنف ١٥٤
كثير على قبر عزة ١٢٦	مهجور لا مسحور ١٥٥
الموت أيسر محملاً ١٢٧	صيرت لحظها سلاحاً ١٥٥
العينان القاتلتان ١٢٨	جمال يلهي الناس ١٥٦
مات على قبر حبيته ١٢٨	مجنون مصفد بالحديد ١٥٧

١٨٢	الجارية المجنونة والزرع	١٥٨	إمّا موت أو حياة
١٨٣	دعاء ربحان المجنون	١٥٨	عاشقان يصليان
١٨٤	لا تمرض ولا تهرم ولا تموت	١٥٩	الحياء المانع
١٨٤	الغلام الشهيد	١٥٩	العشاق الأعفاء
١٨٥	ابن جويرية والغلام الجميل	١٦٠	سيوف اليبين
١٨٦	يحن بالحنان	١٦٠	لقاء في الجنة
١٨٦	العظلة القائلة	١٦١	صخر بن الشريد وزوجته
١٨٧	خليلان في الجنة	١٦٢	قوم الفهد
١٩٣	المهارب إلى ربه والآبق من ذنبه	١٦٣	لم يفوا ولم يرحموا
١٩٧	الدب المنقطع إلى الله	١٦٤	ضجيج الكواكب
١٩٨	تصفيق القناديل	١٦٤	الهوى حلو ومر
١٩٨	المشتاق إلى الجنة	١٦٥	زليخا ويوسف
١٩٩	أشعر من قال في منى	١٦٧	انتظري الدهر
١٩٩	أعين الإنس لا أعين الجن	١٦٧	هبوا ساعة
٢٠٠	قميص سعدون	١٦٨	الله يحمد التوايين
٢٠١	ذو النون الصوفي والمشتاقون	١٦٩	رجل لا يملك دمه
٢٠١	يا من يعز علي !	١٧٠	حنين المغنية الحسناء إلى بغداد
٢٠٢	كل كريم طروب	١٧٢	الأسود المتيم بالله
٢٠٣	عروة بن حزام	١٧٢	الشبل وشعر المجنون
٢٠٣	جفون وجفون	١٧٣	سأل الله أن يبتليه
٢٠٤	القائلات الضعائف	١٧٤	ريحانة ناطقة
٢٠٥	الزوجة الفارك	١٧٤	عيسى بن مريم والأسد
٢٠٥	لابسة السواد	١٧٥	كمون الحب في الحشا
٢٠٦	ما الليالي وما لي	١٧٦	كل محب عليل
٢٠٦	يا جارة الحي	١٧٦	المكفوف المجذوم
٢٠٧	رابعة العلوية الصوفية ومنامها	١٧٧	زوجتان من الحور العين
٢٠٨	معاذة وغايتها من صلاحها	١٧٩	الشهداء في قباب ورياض
٢٠٩	معاذة تبكي وتضحك عند احتضارها	١٧٩	عيناه الجنة
٢٠٩	ذو الرمة ومي	١٨١	جارية تزور في المنام
٢١٢	تألغا في الحياة وفي الممات	١٨٢	خود في قصر زبرجد

٢٣٩	الأطباء والمحبون	٢١٢	الهوى إله معبود
٢٤٠	السوداء وحببيها عمرو	٢١٣	عمر بن عون وحببيته بيا
٢٤٢	مدرك الشيباني وعمرو النصراني	٢١٥	التقي عزيز
٢٤٤	موسى في وقت الكلام	٢١٥	لا تنفع الرقى
٢٤٤	الحب يذهب بالحلب	٢١٦	ماتت على القبر
٢٤٥	صوفي سيء الحال	٢١٦	إسحاق وزهر الأعراية
٢٤٦	الطرف القرار	٢١٧	الضيف الضائع
٢٤٧	الخائف بالليل	٢١٨	التفاح بدل الجمار
٢٤٧	لي سكرتان	٢١٩	قمرية الوادي
٢٤٨	سكينة وعروة بن أذينة	٢١٩	الصوفي وغلame
٢٤٨	الحالك من عشق	٢٢٠	الصوفي المتكشف
٢٤٩	كوى ما كوى	٢٢٣	أبو اسماعيل وفتح الموصلي
٢٥٠	قتله خبر زواجها	٢٢٤	النفس حيث يحملها الفتى
٢٥١	خشف شبه الحبيب	٢٢٥	العظة الناجمة
٢٥٢	المعجوز المتصاية	٢٢٦	الحب الصارع
٢٥٣	أماتها ومات أسفاً عليها	٢٢٦	أم سبعة أنبياء
٢٥٤	عذبة الأنيا ب	٢٢٧	المرقش الشاعر وأسماء
٢٥٥	بكيت من الفراق	٢٣١	المحب الجاحد
٢٥٦	آه من الحب	٢٣٢	القبلة القاتلة
٢٥٦	قاتل الله الحمى	٢٣٢	ضل عنه فؤاده
٢٥٧	حديث كالقطر	٢٣٣	هل من آس لداء القلب ؟
٢٥٨	حديثها السحر الحلال	٢٣٣	بنت الوالي والسجين
٢٥٨	حديث كقطع الرياض	٢٣٤	دواء الحب غال
٢٥٨	ما لي وللعيد	٢٣٤	مرضى الحب
٢٥٩	محتضر يصف نفسه في ساعة الموت	٢٣٥	القطيعة أذهب للعقل
٢٦٣	نومة عبود	٢٣٥	أنا أشعر من قيس
٢٦٤	عمر وعفراء وعروة	٢٣٧	صيف الفراق
٢٦٤	شجرتان ملتفتان على قبرين	٢٣٧	مصعدة القلوب
٢٦٥	القلب الخافق	٢٣٨	ليست له صبرة
٢٦٥	هاق الجبل	٢٣٨	المأمون وجارية أبيه

٢٩٤	شعر ليحيى بن طالب	٢٦٦	المجنون الهائج
٢٩٥	غصة الحديث	٢٦٧	الناسك العاشق
٢٩٥	أفق من الحب	٢٦٧	لا راحة ولا نوم
٢٩٦	نصيب وأم بكر	٢٦٨	آه من البين
٢٩٦	ابن أبي عتيق ونصيب وسعدى	٢٦٩	يوم طش بعد رش
٢٩٧	عاشق يقتله الصد	٢٦٩	ابن أبي البغل والمغنية
٣٠١	شعر ملحون	٢٧٠	لا قضاة للعاشقين
٣٠١	قبر عاشق	٢٧٠	حديث الجنيد
٣٠٢	وفاة عزيز لا حياة ذليل	٢٧١	أصناف الناس
٣٠٢	أجمل الناس وأقبحهم	٢٧١	ذو النون والمريض
٣٠٦	لا يقبل الرسول	٢٧٢	نوح داود
٣٠٧	كيف يقتل الفاسق	٢٧٣	أيوب في بلائه
٣٠٨	ميثا الحب	٢٧٤	الجارية الصوفية
٣٠٩	إساءة الدنيا وإحسانها	٢٧٥	ما بهي جنون
٣١٠	عيون وخدود	٢٧٥	رابعة العدوية ورياح القيبي
٣١٠	جسم ناحل وعظام	٢٧٦	دواء المحبين
٣١١	موت جميل بثينة	٢٧٦	يستحيي من الله
٣١٢	غشية تجيء وأخرى تذهب	٢٧٧	عجو الله أحياء وإن قبروا
٣١٣	الهم الملازم	٢٧٧	العباد على ثلاث منازل
٣١٣	الفتى المشدود بالحبل	٢٧٨	تاه في حب الله
٣١٤	حكاية : إسلام حبش على بعد العيش	٢٧٨	هرم والزاني القتل
٣١٦	موت عروة بن حزام	٢٧٩	نصر بن حجاج وامرأة السلمي
٣١٧	قصة عروة وعفراء	٢٨٠	ضحيتا الهوى
٣٢١	الهجران إثم	٢٨١	غصص الموت
٣٢٢	مصطبران على البلوى	٢٨٢	الدماء المطلولة
٣٢٢	فضل الشاعرة	٢٨٣	ليل الأخيلية والحجاج
٣٢٣	شهقة الموت	٢٨٨	علي بن صالح والقينة
٣٢٤	جنون وعشق	٢٨٨	ريقته مدام
٣٢٤	الفتى والشيخ العاشق	٢٨٩	عشق ليس فيه فحش
٣٢٥	زينة الله	٢٩٢	نظرة بتبسم
٢٢٥	ينشد في ظل خيمة	٢٩٢	قميص الكتمان
٣٢٧	التفريق بين مؤتلفين	٢٩٣	طرف قتول

